طريق الكمال

المؤلف

مار فيلكسينوس المنبجي

ترجمة

أحد الرهبان السريان الأرثوذكس

طريق الكمال

لمافيلكسينوس أسقف منبج

+٥٢٣م

نقـــله للعربية

أحدالرهبان السريان الأرثوذكس

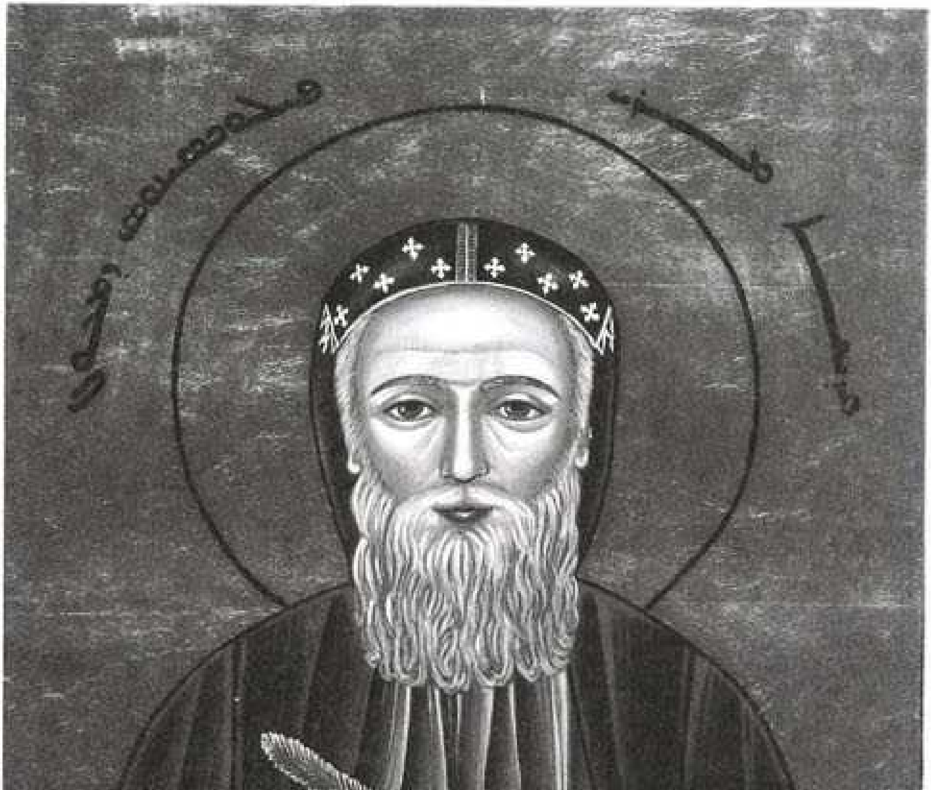

طريق الكمـــــال

لمار فيلكسينوس أسقف منبج

٥٢٣+ م

نقله للعربية

أحد الرهبان السريان الأرثوذكس

III

لامانع من طبعه

فيلكسينوس ماتياس نايش

المعاون البطريركي لشؤون كلية

مار أفرام السرياني

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمترجم

اسم الكتاب: طريق الكمال.

المؤلف: مار فيلكسينوس المنبجي.

المطبعة: دار ابن زيدون.

الطبعة: الأولى ٢٠٠٨.

العدد: ١٠٠٠ نسخة.

يطلب الكتاب من المترجم هـ: ٠٩٨٨٦٩٤٠٧٩

رقم الإيداع: ٩٧٨٠٩

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أرواح جميع الآباء القديسين الذين كتبوا ويكتبون وسيكتبون في ما يخص الروح وخلاص الإنسان، في ما يبقى ولا يمكن للزمان أن يفنيه، في ما لا تستطيع كل قوى الشر أن تصيبه بأذى. لأن الروح بيد خالقها محفوظة ولا يمكن أن يسرقها من يديه أي لص مهما كان.

وأخص من هؤلاء القديسين قديسنا العظيم المحلق في عالم الروح بعيداً عن كل أمر أرضي، الذي جعل من نفسه هيكلاً للروح القدس. الذي قال مع صاحب المزمور: "ومعك لا أريد شيئاً على الأرض"، القديس مار فيلكسينوس المنبجي، الذي أروى أنفس الكثيرين ونفسي العطشى من ضمنها، من جداول المسيح الحية. وأطلب منه وهو في مكانه الحالي عند الرب يسوع أن لا ينسى أن يذكر ضعفي أمام العرش السماوي ليؤهلني الرب أن أوصل كلمته إلى القارئ العزيز.

مقدمة

بمعونة الآب وشفاعة الابن ومساندة الروح القدس أقدم للقارئ العزيز هذا الغذاء الروحي الذي ينعش الروح ويغذيها ويجعلها تتعالى عن كل ما يُرى لتطلب وتبحث عما لا يُرى.

بعد أن قرأت هذا الكتاب لم أستطع أن أمنع نفسي عن ترجمته لكي ينتفع معي كل من لا يجيد اللغة السريانية. فهذا الكنز لا يجب أن يبقى مخفياً تحت أنقاض الزمان، فأي نفع من الكنز المدفون يقولها سفر يشوع بن سيراخ.

يوصينا الرب يسوع دائماً بكتابه المقدس بأن نسعى لنصير قديسين كما إن أباه قدوس ولهذا يأتي الكتاب هذا شارحاً وموضحاً كيف يجب أن يسير الإنسان في طريق الكمال وما هي الفضائل التي يجب يتحلى بها، ويوضح أيضاً الشهوات التي يجب أن ينتصر عليها لكي يحقق هذا الهدف العظيم الذي هو أسمى ما يمكن أن يطمح إليه أي إنسان يعيش الله ومع الله وفي الله.

إن من عادة المترجمين أن يضعوا في بداية كل كتاب قاموا بترجمته لمحة بسيطة عن سيرة القديس صاحب الكتاب، كذكر أبويه وسنة ميلاده والمكان الذي درس فيه...الخ، ولكن بعد أن قرأت هذا الكتاب علمني أنه من غير اللائق على الإنسان الروحي أن ينتمي إلى هذا العالم بعد أن خلعه وكل ما فيه.

فللإنسان الروحي ولادتان: الأولى ولادته من رحم المعمودية إذ يصبح ابناً لله من بعد أن كان عبداً له. وهذا يشبهه قديسنا مار فيلكسينوس بتواجد الجنين في

رحم أمه، ومن حيث أنه لم يكن بموجود صار إنساناً موجوداً في رحم أمه. والولادة الثانية وهي ولادته من رحم هذا العالم إلى عالم الروح (أي العيش كإنسان روحي) وهذا يشبهه بولادة الجنين من الرحم إلى العالم.

ولهذا السبب رأيت أنه من غير اللائق أن أكتب عن حياته الأرضية ونسبه وما إلى ذلك. بل أردت من عزيزي القارئ أن يستنتج هو بنفسه المكانة التي وصل إليها قديسنا من خلال قراءته لهذا الكتاب وفي أي عالم كان يسكن حتى استطاع أن يكتب هذه الحروف الإلهية وكم كان شوقه أن نصل نحن أيضاً لما وصل هو إليه في حال تطبيقنا لما جاء في هذا الكتاب. مع العلم بأن الرب لم يدعونا إلى ما هو مستحيل أو لما هو أكبر من طاقتنا، أي القداسة. فهو لم يأمرنا بشيء قبل أن يجربه هو من قبلنا، الذي له المجد الآن وكل أوان وإلى أبد الآبدين آمين.

أود أن أتوجه بالشكر الجزيل لنيافة المطران مار غريغوريوس صليبا شمعون، مطران الموصل، لمساعدته إياي في تصحيح الترجمة العربية ومراجعته النصوص كاملة، مغنياً ومرشداً بنصائح قيمة وهامة لمسيرة هذا العمل.

وأخيراً، أريد أن أشكر دير مار أفرام السرياني، الذي لولاه لما استطعت أن أتعلم اللغة السريانية التي أمكنتني من ترجمة هذا الكتاب الروحي، وإلى ترجمة كتب أخرى إن شاء الله، فله مني كل الحب والتقدير ولكل القائمين عليه والساكنين فيه.

مقالات في النصائح السلوكية
للطوباوي مار فيلكسينوس أسقف منبج
التي يُظهر فيها نظام التلمذة. كيف يجب أن يبدأ الإنسان تلمذته للمسيح وبأي نواميس وسلوكيات يجب أن يسلك، للوصول إلى الحب الروحي الذي منه يتولد الكمال وبه نصبح شبه المسيح كقول الرسول بولس

المقال الأول

وهو مقدمة لهذا الكتاب كله.

بنعمة ربنا...

لقد دعانا سيدنا وفادينا يسوع المسيح ببشارته المحيية، أن نقترب بحكمة في حفظ وصاياه، وأن نضع فينا أساساً ثابتاً للتلمذة. لكي نَصعد بشكل صحيح في بناء شؤوننا. فالذي لا يعرف كيف يبدأ بحكمة في بناء البرج الذي يُرتقى به إلى السماء، لا يستطيع إنجازه والوصول به إلى نهاية المعرفة.

إن الحكمة والمعرفة هي التي تنير وتنظم وتعمل أولاً وآخراً. وهي أساس كل الأمور، والذي يبدأ هكذا سمي حكيماً بشهادة فادينا : " **فكل من يسمع هذه الكلمات ويعمل بها أشبهه برجل عاقلاً بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يُشبه برجل جاهل بنى بيته على**

الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيماً " [1].

إذاً فيجب علينا كما قال معلمنا، أن لا نكون فقط سامعين لكلمة الله ولكن عاملين بها. فإن الذي يعمل دون أن يسمع، خير من العاكف على السماع وهو خال من الأعمال. مثلما يعلمنا الرسول بولس : " **لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون. لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم ناموس هم ناموس لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً على قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم....** " [2]. فإنه من الجيد الاستماع إلى الناموس فذلك يؤدي إلى الأعمال، جيدةٌ هي القراءة وتأمل الكتب التي تُطهر العقل الداخلي من الأفكار الشريرة. فإذا واظب الإنسان على القراءة والسمع والتأمل في كلمة الله، من غير أن يقرن هذه القراءة بالعمل، فهذا شر قد سبق وقاومه روح الله ووبخ عليه بواسطة الطوباوي داود إذ منعه كي لا يتجرأ ويأخذ الكتاب المقدس على يديه النجستين، " **وللشرير قال الله ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك** " [3]. مع باقي الأمور التي كتبت بعد ذلك.

إن المواظب على القراءة وهو بعيد عن الأعمال، قراءته تصير شكاية عليه، ويكون مستحقاً لدينونة أكبر، إذ كان يسمع كل يوم، كان يستهين ويزدري، فهو والحالة هذه كالميت والجثة التي لا حياة فيها. فكما إن بَوّقت ربوات الأبواق في أذن الميت لا يسمعها، هكذا أيضاً النفس الميتة بالخطايا والعقل الذي تلاشى منه ذكر الله. فهو بضلال الأفكار المميت لا يسمع صوت صراخ الأقوال الإلهية، وبوق الكلمة الروحية لا يحركه، لكونه غارقاً في سبات الموت برضاه. وبما إنه ميت فهو لا يشعر بموته ليعود ويطلب حياة لنفسه. وعلى مثال الميت الطبيعي الذي لا يشعر

---

[1] مت 7: 24 – 27.

[2] رو 2: 13 – 15

[3] مز 50: 16 – 17

بموته، هكذا الميت برضاه عن معرفة الله لا يتألم بموته ولا يشعر بضياعه ليجد فرصة ويطلب العودة إلى الحياة.

وهكذا الله أيضاً، عندما رأى موت اليهود الذين برضاهم سدوا آذانهم وأغلقوا عيونهم وقسوا قلوبهم عن ذكر معرفته، نادى أشعياء ليوقظهم وليصرخ في آذانهم : " **ناد بصوت عال ولا تمسك صوتك كبوق وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم**"[1]. وأيضاً في مكان أخر قال النبي : " **صوت قائلاً ناد. فقال بماذا أنادي كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل** "[2] مثل العشب والزهر الذي ييبس من الشمس، فلا يستطيع المطر ومياه كل الينابيع أن تجعله رطباً إن كان قد أضاع كلياً رطوبته الطبيعية. هكذا يحدث للشعب الميت عن حياة الروح. وكالعشب والزهر يذوي وييبس من ظهيرة الضلالات وحرارة السيئات، هكذا تموت النفس عن ذكر الله، وما إن تموت حتى تموت معها كل إدراكاتها ويبطل فيها التفكير بالسماويات. فتحيا النفس بالطبيعة ولكنها ميتة برضاها، تكون موجودة بتكوينها ولكنها هالكة بحريتها.

فإذاً تلميذ الله ملزمٌ أن يكون ذكر معلمه يسوع المسيح راسخاً في نفسه ليل نهار. ويجب عليه أن يعرف من أين يبدأ وكيف ومن أين يرفع أساسات بنائه، وكيف يبدأ وينهي بناءه، لكي لا يُستهزأ به من قبل عابري الطريق كافة، مثلما قال سيدنا عن " **ذاك الذي بدأ ببناء البرج ولم يستطع أن يكمله إذ صار أضحوكة وهزأ لكل الذين شاهدوه** "[3]. ومن هذا الذي قال عنه فادينا بأنه بدأ ببناء البرج سوى التلميذ الذي يبدأ بطريق بشارة المسيح.

إن بداية بناء التلميذ هو وعده وعهده مع الله : إذ يعد بأن يخرج من العالم ويحفظ الوصايا، ويبدأ ويجد وينتهي، جامعاً من كل مكان حجارة الأعمال الصالحة

---

[1] أش 58: 1

[2] أش 40: 6

[3] راجع لو 14: 29

لبناء هذا البرج الموصل إلى السماء. فالأساس مثبت وموضوع وهو السيد المسيح إلهنا كقول الرسول بولس. وكل إنسان مثلما يشاء يبني على هذا الأساس، لأن الأساس (المسيح) تنازل مرة بمحبته ليقبل كل ما يوضع عليه. إلى أن يأتي يوم الإعلان (الدينونة) الذي يُفحص ويُختبر به عمل كل إنسان، والذي كان هو الأساس في أسفل البناء يصعد ويصير دياناً ورأساً في قمة البناء كقول بولس : " **إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه لأنه بنار يستعلن وسيمتحن عمل كل واحد ما هو** "[1]. فالأعمال الجيدة والصالحة شبهها الرسول بولس بالذهب والفضة والحجارة الكريمة. فشبه الإيمان بالذهب والقناعة بالفضة والصوم والنسك وسائر الأعمال الصالحة بالأحجار الكريمة. والمحبة والسلام والصبر والأفكار الطاهرة والإحساسات المقدسة والعقل النابض كله بالروح وبحركاته الممتلئة بمخافة الله والعجب العجاب بأزليته. والعقل الذي يسيطر عليه السكون والخوف من أسرار الله التي لا تُفسر ولا تقال. وهذه الأفكار والحركات والنبضات السماوية وأعمال الروح دعاها بولس بالأحجار الكريمة. وأما الضلالات والشرور مع كل الشهوات فقد مثلها بالخشب والعشب والقش. وطالما أن البناء موضوع داخل الأرض فإن كل إنسان يبني ويرفع عليه ما يريده، إلى مجيء يوم الفصل ومجيء ذاك الذي قيل عنه : " **الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ** "[2]. ويظهر نفسه كديان الأعمال، ذاك الذي نصب شجرة بشريتنا داخل العالم. وهو ممسك بيده فأس القطع وكل شجرة لا تحمل ثماراً جيدة يقطعها ويرميها في النار. وعندما يظهر الصياد الذي رمى شبكته في بحر العالم وامتلأت بالسمك الكبير والصغير، التي تمثل أجناس وقبائل الإنسانية والشعوب ونسل أبناء الجسد والألسنة المختلفة والأمم التي بلا عدد، في ذلك الزمان سيسحب شبكته إلى شاطئ البحر ومثلما قال، سيختار الأسماك الصالحة ويضعها في أوعيته التي هي مخازن

[1] 1 كو 3: 12

[2] مت 3: 12

حياة الملكوت، والسيئة يرميها للخارج وللظلمة البرانية حيث يكـون فيهـا البكـاء وصرير الأسنان. فكل هذه الأمور محفوظة لذاك الوقت لتتم به عندما يظهر رئـيس الرعاة في مجد ملكوته.

إن زمن الامتحان، غير زمن التلمذة، وغير زمن القـراءة وغيـر زمـن التمييز. وكما أنه في زمن التلمذة لا يوجد امتحان هكذا أيضاً في زمـن الامتحـان لا يوجد تلمذة.

إذاً يا أحبائي فلنسمع كلام الله الحي الذي دعانا ليعطينا الحياة الأبدية. حيث أن كلامه مملوء حياة والذي يسمعه يعطيه حياةً، فمن الحياة تنطق الكلمات الحيـة، ومن كلام الحياة تعطى الحياة للذين ينصتون للكلام الذي يسمعونه. ولكن لأنه مـن الواجب علينا أن نشرح ونتكلم عن كل واحدةٍ من هذه السير فـي مكانهـا، وكيـف يجب أن تحفظ واحدة بعد الأخرى وتُكمل هذه الحسنات. فوضعنا هـذا الموضـوع (التلمذة) في البداية لتشجيع القارئ على أهمية السلوك على هذا النحو التالي.

فيجب على الذي يبدأ بسلوك في طريق وصايا المسيح، أن يعرف من أيـن يبدأ، وأي حجر يجب أن يكون في بداية بناء تلمذته، وأي هو الحجر الثاني وهكـذا. فإن لم يعرف ترتيبها (الحجارة)، ولم يفقه من أين يبدأ، فلن يعـرف أيـن وكيـف ينتهي. وإن كانت معرفة تلمذته فاسدة (باطلة)، فـسوف يجعـل (الحجـارة) غيـر الملائمة للبدء في الأخير والعكس بالعكس وقد يضع بعضها في الوسط. فإن كـان معروفاً لدى مزارعي هذا العالم وقت الزرع ونصب الشتل ووقت الحصاد وجمـع الثمار، ويحفظون الأزمنة لكي لا تفسد وتخرب مزروعاتهم، فكم يجـب بـالأحرى على فلاح وزارع الروح والتلميذ الحقيقي أن يعـرف أي الأمـور هـي الأنـسب لتلمذته، ومن أين يجب أن يبدأ. وما أن يثبت الحجر الأول في أساس تلمذته حتـى يرفع بعدئذ باقي البناء بشكل نظامي. هكذا يفعل كل البنـائين والمهندسـين عنـدما يبدؤون بوضع أساس بنيانهم فيضعون أولاً حجارة قوية وكبيرة وجيدة. وإن كان ما يصعدونه على هذا الأساس خفيفاً فسوف يستطيع أن يتحمله. ولكن إن وضعوا فـي

الأساس حجارة هشة وصغيرة وفوقها القوية والكبيرة فسوف تسقط وينهار البناء كله.

ولنأخذ أيضاً هذا التشبيه. المعلمون الذين يشرحون مادة ما للأطفال. فإنهم يشرحونها لهم تدريجياً، ولا يتخطون الترتيب والقوانين وتسليم المعلمين المدنيين لكن يعرفون ماذا يعطون في البداية، وما يجب أن يُعطى بعد ذلك إلى أن يوصلوا التلميذ إلى نهاية المعرفة.

كذلك الأمر بالنسبة إلى كل الحِرف في العالم إذ لها تشريعها المسلم إليها، ومعروف لديهم (لدى الحرفيين) أي الأعمال التي يجب أن تعطى للمبتدئين ليعملوها عندما يبدؤون حديثاً في تعلم الحرفة. فبحسب قدرتهم البسيطة، يظهر لهم معلموهم الأمور البدائية في الحرفة لينفذوها، وإن صادف وحدثت خسارة ما فإنها تكون بسيطة.

هكذا أيضاً الذين يتعلمون مهنة المبارزة يظهرون لهم شكل القتال الذي سوف يبدؤون به في البداية، وكيف بعدئذ يتابعون ويرتقون بهذه المهنة.

ففي البداية يظهرون لهم كيف يجب أن يقفوا أمام بعضهم البعض، وبعد ذلك كيف يضعون أيديهم الواحد على الآخر، وهكذا يتحركون ويقتربون إلى القتال النهائي.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الذين يُختارون ليكونون في صفوف المحاربين في هذا العالم. فبهذا الترتيب يتعلمون حرفة المحاربة هذه التي تقدموا إليها، بدون أن يتبلبل أو يضطرب نظام التعلم، بل كل واحد منهم يتعلمها بترتيبها وبمكانها، وهكذا سائر الحرف التي في هذا العالم، معروفة هي بدايتها ووسطها ونهايتها. فمن هذه الأمثال التي أظهرناها. يجب بالأكثر أن نستخدم نحن هذا النظام، إذ تلزم معرفة هذه التدابير الأولية وما بعدها. لأنه هنا تُعلمُ مصارعة الروح، فنحن قد أُخترنا للأعمال السماوية. ومثل أنّ الذين يُختارون ليخدموا أمام ملوك العالم، يجب عليهم أن يتعلموا التشريعات وعوائد الملوك من الذين قبلهم، من مسير، إلى النظر، إلى

التكلم، إلى أن تصبح لهم القدرة على التكلم أمامهم (الملـوك). كـل هـذه الأمـور يتعلمها الآخرون من الأولين، والذين يُختارون حديثاً ممن هم قبلهم. هكذا هنا أيضاً يجب على الإنسان الذي يُختار، إن كان من رضاه، أو مـن نـذر لأبويـه ليخـدم المسيح، فليتعلم هذه الخدمة ممن هم قبله، أو من الكتاب المقـدس، أو مـن أُنـاس روحانيين قد ساروا بشكل صحيح في هذه الطريق، أي الـذين بـدؤوا بالأعمـال وانتهوا بالروح وأكملوا بالمحبة.

معروفة هي الشهوات التي تحاربنا في مرحلة الصبا، والتي في المنتصف، والتي في نهايتها، والتي في بداية مرحلة الشباب، والتي في المنتصف والتـي فـي نهايتها وأيضاً في المرحلة التي بعد الشباب (البلوغ) وبـنفس الترتيـب الأول إلـى نهاية هذه المرحلة. وأيضاً في الشيخوخة تحاربنا الشهوات إلى أن نخرج من العالم (الموت). وأي هي (الشهوات) التي تصدر عنا في مرحلة الولادة والصبا، بحركات ونبضات طبيعية، قبل أن يكون لدينا إدراك الحرية، وقبل أن نـصل إلـى معرفـة التميز بين الصالحات والطالحات، وأيضاً يجب أن نحدد الوقت بالنسبة إلى الأعمال التي نقوم بها، وأية قوى تتصارع مع الأخرى، وأية شهوة تتحارب مـع الأخـرى، وعند إكمال عمل حسن ما أي نوع من الرغبة تستيقظ فينا، وكيف بانتصار رغبـة ما تحوز الرغبة الأخرى انتصاراً، وكيف إذا أمسكنا شهوات الجسد تستيقظ علينـا حرب شهوات النفس، وكيف إذا خلعنا عنا الشهوات من الخارج تعود وتلبسنا فكرياً من الداخل بالأفكار. وما إن نقمعها في أعضاء الجسد حتى تحيا في الحركات الحية للنفس، وما أن نفصلها ونطرحها خارجاً عنا حتى تدخل وتكمن في داخلنا.

أي الأهواء التي تتولد في النفس عندما يصوم الجسد، وأي من قلة الطعـام، وأي من صوت الترتيل، وأي من الصلاة بسكون، وأي من التجرد من المقتنيـات، وأي من الزهد في الثياب، وأية رغبة تتولد من القيام بأعمال الرحمـة نحـو كـل الناس، وأية رغبة تستيقظ علينا إذا كثرت أعمالنا عن إخوتنا، أي الأهواء تـصيبنا من المعرفة، وأي من كلمات المعلمين، ومن كلمات التي نـستلمها مـن الكتابـات، وبأي هوى نسقط عندما ننتصر على محبة البطن في كل شـيء، وأي هـي التـي

تستيقظ فينا في نهاية انتصارنا بالحرب ضد الزنى، وأي رغبة تتولد فينا من الاستماع للرؤساء، وأية رغبة من الاستماع لكل إنسان، وأية أفكار تأتينا عندما نقف ضد الطاعة، وبأي تعليم يفسد الفكر الذي لا يطابق فكر معلمينا، وبأي فكر نستأصل منا ظن المعرفة التي نكتسبها باتكالنا على أنفسنا، وما هي الأهواء وكيفية الانتصار عليها، وما هي الشهوات وبماذا تبطل. وأي هي الحروب التي تحارب الجسديين ؟، وأي التي تحارب النفسانيين ؟، وأي هي التي مع الروحيين ؟. وماذا يجب على الجسديين أن يفعلوا عندما يريدون أن ينتصروا على شهوات الجسد ؟. وماذا يجب على النفسانيين أن يفعلوا عندما يريدون أن ينتصروا على أهواء النفس ؟. وماذا على الروحيين أن يفعلوا لينجوا من الأخطاء التي تصيب الروح في أرض الروح ؟. وإلى متى تمتد الحرب لدى كل واحدة من هذه الحالات ؟. ومتى نعرف بأنه منا قد تحركت الشهوة ؟، وكيف ومتى تأتينا من الخارج بتحريض من إبليس ؟، وبأي شيء ننتصر على الشهوة التي تتولد فينا ؟، وبأي شيء ننتصر على تلك التي يوقظها علينا الشرير ؟، وإذا كانت بنفس أسلوب الشهوة ذاتها تنتصر علينا في كل مرة، فهل نحتاج إلى وسائل لننتصر عليها في تلك الأوقات (أوقات التجربة). وكيف وبماذا نشعر، إنه بقوة الصبر أو بنعمة الله قد انتصرنا على الشهوة. وأية حرب تستيقظ علينا ونحن بين الناس، وأيها عندما نكون متوحدين. وكيف تتنقى وتتطهر أنفسنا بالأكثر، وأي هو المكان الذي يساعد الجسد بالأكثر على القيام بالعمل، وما هو أول ما يجب علينا أن نبدأ به عند اقترابنا لتلمذة المسيح، وأية رغبة تستيقظ فينا من مدح الرؤساء لنا بسبب معرفتنا أو بسبب أعمالنا، وأيها عندما نُمدح من أغلب الناس، وما هي الأفكار التي نراها تثير فينا الأهواء، وكيف نحذر لأنفسنا لكي لا نضطرب منها عند التصاقها بنا، وأي أفكار تراودنا متى انتصرنا بمحاربتها، وكيف نستطيع اقتناء التواضع، وبأي الأفكار نتخلص من الكبرياء التي هي عكس التواضع، وبأي الأفكار نمتلك الصبر في داخلنا، وكيف يكون زهد الجسد، والزهد عن العالم وأي هو زهد النفس. وكيف نقتني غنى مواهب المسيح بواسطة الزهد عن الأمور الدنيوية. وأي الوصايا التي يجب أن

نحفظها في بداية تلمذتنا، وكيف نستمع للمعلمين الذين ينصحوننا ويعلموننا الأمور الصالحة، إذ لا نرى نقائصهم. وأي قوة نحصل عليها من كل الأعمال الجيدة التي نمارسها، وكيف يجب علينا أن نسلك بصورة جيدة بمساكن أخوتنا، وإلى أي مقدار يجب أن يكون الصوم، وكيف وكم يجب أن نزيد أو ننقص من طعام جسدنا، وكيف وكم يجب علينا أن نصبر في زمن قيام حرب الشهوة علينا، وماذا نفعل متى أردنا أن نطفئ الهوى في داخلنا، وبأي أفكار نستأصل أفكار الشيطان من داخلنا، وكيف ومن أين تولد فينا الصلاة الطاهرة، وأي أمثلة تجذبنا إلى الإعجاب بالله، وكيف يجب أن نحفز ذكر الله في داخلنا باستمرار، وكم من الآلام والتأملات ترافق هذا الألم من أجل الله.

وعندما نرغب في الهدوء. كيف نحفظ أفكارنا من التيه خارجاً، وما هي الخسارة التي يتكبدها الإنسان من مخالطة الهراطقة، وتلك التي من الأحاديث والمصادقات البشرية يتحجر قلبنا ويظلم عن التفكير وذكر الله، ويجب علينا أن نعرف ما هو الصوم الجسدي وما هو الصوم النفسي وما هو الصوم الروحي. وأي طهارة هي للجسد وأي هي للنفس وأي هي للروح. وما هو وجه الاختلاف بين الهدوء الجسدي والنفسي والروحي. وكيف تتعلم النفس أن تصوم عن الشر مثلما يصوم الجسد عن الأطعمة. فكل هذه الأشياء وغيرها يجب على تلميذ المسيح أن يعرفها، ليسير باطمئنان في طريق عمله، ويصنع إرادة الملك السماوي الذي يعمل أمامه.

فإن كان الذين يتعلمون المهن العالمية يجتهدون في تعلم أسرار هذه المهنة كلها، ليعرفوا كل أنواع الأعمال الموجودة فيها. فكم بالأحرى الذي يُختار لمهنة الروح. فإن كان يجب أن ندعوها مهنة، فيجب عليه (التلميذ) أن يعرف كل طرق وسبل وأهداف وأمثلة وأسرار هذا العمل الإلهي. ويعرف أنه ولئن كان إنساناً جسدياً فقد اُختير ليعمل بالروحيات، وبنعمة من الله أهلَ لعمل السماويات. وإذ هو جسدي ويحيا في العالم يسلك طرقاً أسمى من طبيعته.

إذاً يجب علينا نحن كتلاميذ أن نسأل ونتعلم كل الأشياء التي نرى فيها حياتنا. ومثلما يتعلم التلاميذ المهن من معلميهم، هكذا يجب أن نتعلم نحن أيضاً ونقبل من معلمينا الروحانيين. إذ لا يستطيع إنسان أن يكون عظيماً أن لم يكن تلميذاً في البداية، ولا يستطيع أن يساعد ويفيد الآخرين إن لم يكتسب هو أولاً الفوائد من الآخرين، ويخضع ليتقبل ويتعلم من كل إنسان، ويحسب الآخرين أعظم منه، وإذ كنا بطبعنا مخلوقين، أي لم نكن بموجودين وجدنا بحسب إرادة الخالق. فبتعلم الأمور الحسنة الجديدة نستطيع أن نقتنيها. ومثلما وجدنا من حيث لم نكن بموجودين، هكذا نستطيع أن نتحول من خطاة إلى صالحين، وذلك عندما يخلع الإنسان العالم بشكل نهائي، ويلبس بشكل كامل تدبير المسيح. فإلى أن يخلع عنه الثوب الوسخ ويطهر نفسه بدموع التوبة من دنس الخطايا، لا يستطيع أن يلبس ثوب معرفة المسيح. فالإنسان المدنس بالأفكار أو بأعمال الأثم، واجب عليه أولاً أن يشفي جروحه ويطهر عيوب نفسه وجسده، ثم بعدئذ يأتي لوليمة الأسرار الإلهية وهو لابس الثياب الروحية الخاصة بالوليمة.

لذلك جدير جداً بكل من يتتلمذ للمسيح، أن يضع أساساً لتلمذته منذ صغره، لكي ينال من خلال نموه كل العادات الجيدة، لكي لا يفني العالم قوة نفسه وجسده مثل إناء قديم وبالٍ يقترب لهذا العمل الجديد، كقول سيدنا : " **بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعاً** "[1]. هكذا في بداية شبابنا إذ نحن بعد غرس جديد لنضع بداخلنا خمرة جديدة من تعاليم المسيح، وإذ نحن بعد بقوتنا وخطايانا جديدة لم تعتق بعد، ونستطيع أن نحتمل حرارة التعليم المقدس، وبحفظه نصان من الشرور، وخاصة لكي لا تنفذ قوتنا بأعمال العالم الغريبة.

فالذي يبدأ بهذا العمل منذ شبابه، يجب عليه أن ينتبه للمعلمين ويصغي لإرشادهم ولا يدين نقائصهم. وعلى هؤلاء المعلمين أن يقوموا مقام المربيين الذين عُهد إليهم تربية أبناء الملك السماوي : لأن أباهم ملك، وأخاهم ملك، وأمهم ملكة.

---

[1] مت 9: 17

ومثل الذين يربون أبناء الملك الأرضي يظهرون عناية متناهية في تـربيتهم. مـع الانتباه والاجتهاد لينالوا إعجاب أبيهم وإعجابهم عندما يصبحون أهلاً للُملك. وهكذا أيضاً المعلم القائم على تربية التلاميذ، يجب أن يحسب نفسه بأنه يربي أبناء الملـك، فيكون في الخفاء والعيان مستيقظاً وساهراً على حفظهم وتربيتهم.

كما يجب أن نكون على مثال الأطباء نحو أنفسنا ونحـو الآخـرين. لأنـه لا يوجد طبيب يصيبه مرض ما في جسمه إلا ويهتم بمعالجته بعناية كبيرة، قبل أن يبدأ بمعالجة مرض الآخرين. ولكن في حالة مرض الآخـرين، وبحـسب قـانون (ناموس) المهنة يجب عليه أن يسرع لمعالجتهم. فعلى مثال مهنة الطب يجب علينـا أولاً أن نعرف أسباب الأمراض، وبعدها نُقدم العلاج المناسـب، لكـي لا يـصير العلاج مُضاعِفاً للمرض.

إن النفس والجسد هما نعمة من الله وهبنا إياهما عندما أبدع جبلتنا. فيجـب أن نحرص على كليهما، فبالنسبة لأمراض وشهوات الجسد، الذي تتطلـب طبيعتـه منا طعامها وشرابها ولباسها وهذه احتياجات طبيعية توجـب علينـا تأديتهـا لهـا، ولا نستطيع أن نهملها ولا حتى إن أردنـا ذلـك، لأن شـهواته ترغمنـا وتقودنـا لإشباعها، ولإتمام حاجتها.

أما بالنسبة لأمراض النفس فوصايا الله تشجعنا على معالجـة الـنفس مـن أمراضها ومنح الشفاء لآلامها وإشباع جوعها بطعام العلم وإعطائها شراب معرفـة الله، وإلباسها لباس الإيمان، وإحذائها بخبر البشارة، وتـنـشئتها بالعـادات الجيـدة، وبإتمام كل الحسنات، والطاعة التي تُعد للعمل بوصايا الله. وإذ ما أصبحنا مقدسـين من الداخل وطاهرين من الخارج عندئذ نصبح آنية معـدة ليـسكن روح الله فينـا بطهارة وقداسة. ويتم ذلك عندما نعالج الأمراض التي تـصيبنا بمعرفـة وحكمـة، وعندما نشفي فساد الخطيئة في أنفسنا. لأنه ليس هناك مرض من أمراض الشهوات إلا وأعطي له دواء من قبل كلمة الله لمعالجته، لأنه بنفس الطريقة التي يـستخدمها الأطباء في مزج وتحضير أدوية لأمراض الجسد، أتقنت من قبـل روح الله أدويـة

مضادة لمعالجة أهواء الخطيئة. فكل من يشعر بالمرض (شهوة) يجد له الدواء إلى جانبه. لمساعدته في وقت الحرب (التجربة). كل شيء على الأغلب يعالج بما يعاكسه، فالدواء يتصارع وتداعيات المرض، فالأمراض التي تنتج بسبب البرد، يعالجها الأطباء بالدواء الساخن، والأمراض التي تحصل بسبب الحرارة، تعالج بالأدوية التي تنعش (الباردة)، وهكذا التي تحصل بسبب الرطوبة مثلاً تعالج بالأدوية التي تجفف. خذ لك من هنا أيها اللبيب يا من يريد أن يشفي أمراض النفس مثلاً. وعالج نفسك كما يعالج الأطباء أمراض الجسد. فقد وضع أمامك هذا العمل الظاهر، ليكون مثالاً ظاهراً للتعاليم الخفية. وعلى مثال معالجة الجسد، نعالج النفس من الأمراض الرديئة. بحيث نعد مقابل كل شهوة الدواء المضاد لها.

فلك جُعل مقابل الانقسام الإيمان، والضلالة الحق، والظن الثبات، والكذب الصدق، والغش البساطة، والمكر الوداعة، والقلق النقاوة، والصلابة الحلم، والخشونة الطيبة، وشهوة الجسد شهوة الروح، والانشراح الألم، وفرح العالم فرح المسيح، والأغاني التراتيل الروحية، واللهو الزفرات والبكاء، والشراهة الصوم، ولشرب المسكر عطش التمييز، والراحة العمل، والفرح الشقاء، واللذات الجسدية لذة الأفكار الروحية المفرحة، والكلام السكوت، والأحاديث الثرثارة الهدوء، والتراخي الشدة، والطيش التأني، والكسل حذاقة التفكير، والضجر النشاط، واللعنة الرحمة، والفكر السيئ صلاح النفس، والكبرياء التواضع، والافتخار البساطة، ولحب المجد الخضوع، والمجد الذم، والغنى الفقر، والممتلكات الزهد، والعداوة السلام، والكراهية الحب، والغضب الهدوء، والسخط المسالمة، والحسد الحب، والغيرة السيئة محبة الناس، واللعنات البركات، والضرب على الوجه إدارة الطرف الآخر للذي قام بضربنا، والضيقة الفرج، والاتكال على أنفسنا الاتكال والرجاء بالله، والشهوات الجسدية الشهوات الروحية، والنظر إلى الجسد النظر إلى الروح، والملابس الفاخرة الثياب البسيطة، والتعاظم الزهد، والشدة الهزال، والتفكير بالأطعمة التفكير والتأمل بالسماويات، ومشاهدة كل شيء يرى تذكر كل ما لا يرى، وهذا العالم طلب العالم العتيد، ومحبة آباءنا الجسديين محبة آباءنا الروحيين، والارتباط بجنس البشر الارتباط بطغمات السماء، والسكن في المدينة والبيت داخل

هذا العالم بالسكن في أورشليم التي في الأعالي.

فكل هذه الأمور تعالج بما يقابلها وتشفى، والذي يشتهي أن يصل إلى هذه الروحانيات عليه أن يكفر بالجسديات. فإلى أن تموت فينا الشهوة لا تحيا بنا الأخرى، أي إلى أن تموت فينا كل شهوات الجسد لا تحيا فينا شهوة الروح. فبموت كل واحدة منها تحيا الأخرى، ومتى كان الجسد بكل شهواته حياً فينا فإن النفس وكل شهوتها هي ميتة، ومتى اشتركت النفس بحياة الروح تحيا معها كل أعضائها أي أفكارها. حينئذ يقوم الإنسان من بين الموتى ويحيا حياة جديدة في العالم الجديد. وقبل أن نخلع إنساننا العتيق لا نستطيع أن نلبس الإنسان الجديد بالروح، فإن كنا بالنعمة نلبسه (الجسد الجديد) لكننا لا نشعر به.

إذاً كل تلك الأمراض التي تكلمنا عنها، تعالج بهذه الأدوية. فعليه يجب على كل من يمرض أن يعرف مرضه ويعالج نفسه. ولكل مرض مما ذكرناه له الدواء الذي يقابله. ها أنه بجانب كل مرض قد وضع الدواء الذي يشفيه، وبجانب كل جرح وضع الدواء الذي يعالجه، فإذا أردت أن تشفي أمراضك، فالأدوية إلى جنبك، فقط أشعر بمرضك واقتنِ معرفة الأدوية المعالجة فتشفى.

والآن قد رسمت لك جزءاً من هدفك، ولتعلم بأن الباقي يجب أن تتعلمه من جهدك فليس كل الأمور يعلمك إياها العلم، لكي لا تتعس أو تتكاسل. فإذا رأيتها صعبة وتفوق قوتك، أي أن ما كتب أو سيكتب، أصرخ إلى الرب لمساعدتك ومنه خذ النعمة التي ستساعدك في حربك التي تخوضها.

وأما الآن فسأقترب بمعونة الله وأكتب بكلمات قليلة عن كل واحدة من هذه الأهواء بحسب قدرتي، أي بحسب النعمة التي تعطى لي لمعونتي ولفائدة الآخرين. وسأضع المقالات واحدة تلو الأخرى بحسب ترتيبها. وأظهر كيف يجب للتلميذ أن يبدأ، وكيف يأخذ بالصعود على دراجات الأعمال، إلى أن يصل إلى الدرجة العليا للمحبة، ومنها يصعد إلى الكمال. حينئذ تقبله أرض الأرواح بفرح المسيح، ذاك الذي يقف فيه من تحرر من الأهواء، ونجا من الشهوات ووضع كل أعدائه تحت قدمه. وبشجاعة إذاً يتكلم الإنسان بكلمة الرسول : " **وإذا أحيا لا أنا بل المسيح يحيا بي** ". له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

المقال الثاني
وفيه الوصية الأولى التي يجب أن يتعلمها الشخص الذي يتقدم للتلمذة للمسيح

إن الذي يرغب في التقدم نحو شؤون تلمذة المسيح، يلزمه قبل كل شيء أن يكون له إيمان حقيقي بداخله نحو الله. فلا يستقصي عن كلام المسيح ليؤمن به، ولا يتعقب طبيعته ليؤمن بكلامه، ولا يدين أعماله. بل يؤمن كل الإيمان بكل ما قاله الله، بحيث لا يطلب شهادة ولا أدلة ليصدق كلامه. بل يكفيه هذا الدليل الحقيقي بأن الله هو الذي قاله. أما الآيات والشهود والأدلة فتلزم عندما يكون الإنسان هو الذي يتكلم أو يفعل الشيء. أما عندما يتكلم الله، ويفعل سيد الكل، فما علينا إلا أن نؤمن. إذ يكفينا لنقتنع ونؤمن بأن الله هو الذي تكلم وفعل. ولكن أن يدين الإنسان إرادته فلا سلطان له على ذلك، إذ كيف يستطيع الإنسان المخلوق أن يدين إرادة خالقه. ومثل الإناء الذي لا يستطيع أن يلوم صانعه، لماذا صنعه بهذه الصورة، أو يدين واحدة من أعماله. هكذا أيضاً الإنسان الذي هو إناء ناطق لا يستطيع أن يلوم خالقه، وإن كان له معرفة، فإنها لم تعطَ له لكي يدين بها إرادة خالقه بل ليعظم بها، المعرفة (الله) التي صنعته. وأكثر من بُعد الإناء عن تعقب صانعه، بعد الإنسان عن تعقب خالقه. فبواسطة النعمة أخذنا النطق من الله خالقنا. ولندهش بأعماله وَضع فينا المعرفة، ولنشعر به جعل فينا الشعور بالحكمة، ولنتذوق طعم نعمته وضع بداخلنا تلذذ التمييز، ولنراه من خلال أعماله أعطانا أعين الإيمان التي تتأمل بالأمور الخفية. إن الله أسمى من أن تستقصيه الأفكار، وأن تتعقب إرادته. بحسب

طبيعته تسير أعماله. وكما أن طبيعته لا تستقصى، هكذا أيضاً أعمالـــه لا تفحــص ولا تدان إرادته. لماذا أراد هكذا ؟ وهكذا فعل ؟ كما أنه لا يدان من قبلنا على خلقه لنا بهذه الصورة ولماذا بهذا الإتقان وضعنا في العالم، هكذا يجب أن لا تــلام مــن قبلنا مشيئته بأي نوع كان. لماذا أراد وصنع هكذا ؟. فيجب على الذي يتقدم إلى الله أن يؤمن بوجوده، وهو الذي يكافئ الذين يلتمسونه. فهذا هو الناموس الذي وضـــعه بولس الرسول للإنسان الذي يرغب في التقدم من الله، وهذا الالتزام وضـــع عليـــه لينفذه، وهو أن يؤمن فقط بأن الله موجود. والذي يؤمن بوجوده لا يستقـــصي متـــى وكيف وجد. ولا يخضع لإرادته الشخصية وكلامه ومعرفته. بل يـــصدق إرادة الله ويسمع لصوته ووصاياه، ولكن أن يدين لماذا وبأي صورة ولماذا هكــذا ؟، فهــذا استقصاء وقح للنفس التي لم تشعر بالله. فيلزم أن يقتني كل من يتقدم من الله فكــر الطفل. وكما يكون الطفل تجاه أبيه وأمه، هكذا يكون هو تجاه الله وتجـــاه إرادتـــه. وكما يتقبل الطفل التعليم من الكبير ولا يستقصي كلامه ولا يتعقب تعليمه، ولا يدين بفكره الشيء الذي علمه إياه، لأنه لا يمتلك قوة تفكير بداخله تكفي ليدين ما ســمعه، هكذا يجب أن يكون الإنسان تجاه الله إذ لا يستقـــصي كلامـــه، ولا يـــدين أعمالـــه بأفكاره الداخلية. فهو طفل، وكالطفل ينصت للتعليم ويتقبله بإيمان. لأجل ذلك يلـــدنا الله ثانية ليعلمنا بأننا قد صرنا أطفالاً، ومن أبناء هذا العالم يجعلنا أولاداً للإيمـــان. فقد وضع الرحم المنجب لنا في الوسط وهو المعمودية الممزوجة بـــالروح، فنولـــد نحن بالإيمان. وكما يولد الجنين الطبيعي من البطن، يكون بطفولته الطبيعية غيـــر عارف بشيء من أمور العالم، كما لا يستقصي ولا يتعقـــب ولا يظـــن ولا يـــتكلم، ولكنه نابض بالحياة فقط، إذ يكون مبتعداً عن كل التصورات الأخرى. فهذا الطفـــل الروحي الذي بدل الرحم الطبيعي يلده رحم المعمودية، لا يجب أن يستقـــصي عـــن الذي أنجبه، بل ينصت لكلامه ببساطة ويكون كالطفل نحو تعليمه إذ يقبـــل الكـــلام دون استقصائه. فكما إن الطفل يتعلم الأسماء وأشياء العالم دون أن يـــدرك قوتهـــا،

هكذا أيضاً هنا يجب أن يقبل (التلميذ) الأسماء والكلام، أما سر فهمها فنعطيه لله. فنحن أطفال تجاه المعرفة وأولاد تجاه حكمة الله التي لا توصف، لأنه هكذا دعينا من قبل كلام الفادي : " **دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله** "[1]. وبمكان آخر قال : " **من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله** "[2]. فكإيمان الأطفال تجاه أمور العالم، هكذا يجب أن يكون إيماننا تجاه الأقوال التي تقال لنا من قبل الله. لأن هكذا هو الولد تجاه الكلام الذي يسمعه من أبيه وكل شئ يَعِده به لا يشك فيه بل يؤمن بأنه سيعطيه إياه. كما إنه لا يكذب كلامه ولا يستقصيه ولا يتعقبه لأنه ليس له القوة ليقف على صدقه ثم يقبله. وحتى وإن كان ما وعد به هو أكبر من مقدرة أبيه فإن لا يميز ذلك لكن بسذاجة يقبل كل شئ يقوله له، ولا يشك فيه. فإن رأى الأرجوان على ابن الملك، أو التاج الموضوع على رأسه، يطلب من أبيه أن يعطيه إياهما، إذ يؤمن ببساطة فكره بأنه سوف يعطيه إياهما. لأنه هكذا يظن بأبيه، بأنه يستطيع أن يصنع كل شيء، فإن رأى عقرباً أو حيةً فلا يأتمن أن يمد يده نحوهما في طفولته، بل يطلب من أبيه أو أمه بأن يعطيانه إياهما. وإذ يُظهر بذلك ميول طفولته بطلبه ذلك بإصرار، وتشهد بذلك أيضاً لجاجته وصراخه وبكاؤه المستمر نحوهما إيماناً منه بأن سلطان أبويه يتجاوز حتى أذى الزواحف المؤذية أيضاً. كما لا يوجد شك في نفسه بأنه سيعطى كل ما يطلبه. فبمثال الأطفال أوصانا سيدنا أن يكون كل راغب في ملكوته إذ يؤمن بكل مواعيد الله نحوهم مثل الأطفال. فقد بشر سيدنا وأظهر ملكوته للجسديين قائلاً : " **توبوا فقد اقتربت ملكوت السموات** "[3]. قد سمعت صوت الكارز عن الملكوت فآمن ولا ترتاب، وخصوصاً وقد علمت بأن ذاك الصوت هو من الله. فلا تفكر في

---

[1] مت 19: 14

[2] مر 10: 15

[3] مت 3: 2

نفسك كيف هو الملكوت، ولا تستقصِ عن تلك الأماكن الروحية، فلا تفكر في نفسك تفكيراً جسدياً في تلك الأماكن غير المجسمة عند سماعك بها، ولا تختلق صوراً مشابهة في قلبك لتلك الأماكن الممجدة التي أُعدت لدى صعود الابن، لأنك لن تستطيع أن ترسم بمعرفتك تلك الأمور التي أتقنتها معرفة الله منذ البدء. فلم تُدع لتقصي الملكوت ونظامه وإتقانه، بل فقط لتكن وارثاً ومدعواً إليه، وتتنعم من فيض أطيابه الروحية. قد سمعت كلام السيد المسيح لك عن الملكوت، بأنه قد اقترب ملكوت السماء، فلم يقل لك بأن تصير مستقصياً عن الملكوت، فهو قريب منك، إن كنت تود التقرب منه، فأعلم أن التقرب منه ليس بتتبع الكلام كما يفعل أولئك المعقبون، الذين يتساءلون كيف وكم ولمن يشبه الملكوت. لكن بحفظ الإنسان نواميس الملكوت، والعمل بالوصايا التي سلمت لنا من قبل سلطان الملكوت.

بالإيمان سمعت عن الله بأنه كائن من الأزل، وهو كائن بذاته، إذ لم يوجد من شيء آخر، وليس أقنوماً واحداً بل كياناً سرمدياً بثلاثة أقانيم هكذا يُدرك ويُعرَف. وأيضاً عن الأقانيم الثلاثة يعلمنا الإيمان لنصدق : بأن ذاك الذي وَلَد لم ينقسم، والذي وُلِدَ لم يُفصل، ولكن الآب موجود مع الابن سرمدياً وأبدياً ومع روحه القدوس نظيرهما. فقط آمن بوجودهم، كيف ومن متى أو كم وإلى أين وبأي شكل وترتيب، وكيف هو شكلهم، وكيف إنهم ثلاثة وهم غير منفصلين عن بعضهم البعض، وكيف وهم متحدون يسمون ثلاثة، وكيف وُلِد الابن ولم يفصل من الآب، وكيف وَلَده الآب وهو لم يخرج عنه، وكيف وهم موجودون منذ الأزل وإلى الأبد بالجوهر لا يقال عنهم ثلاثة جواهر. فكل الأمور بالإيمان تقبل وبدونه لا يستطيع الإنسان أن يقبلها، ولا أن يتخيلهم، ولا حتى إدراكه هو بالأمر البسيط إن لم يسبقها الإيمان ويقبلها. هكذا أيضاً كل ما يقال عن الكيانات الروحية والرتب العليا، فالإيمان يستطيع أن يقبلها. فكيف لا نحتاج الإيمان والكتاب يسميهم أرواح محضة،

وبمكان آخر يتكلم عنهم وكأنهم مركبون، ويجعل لهم أشكالاً مختلفة عن بعضهم البعض.

وبالنسبة للسرافيم يتكلم الكتاب " **عن أجنحة وأوجه** "[1]، وعن الكروبيم بأن لهم صوراً مختلفة عن بعضها البعض. فأياً منه نصدق فإنهم يناقضون بعضهم البعض، وذلك لسماعنا الكلام من الخارج (أي للوهلة الأولى). فبكونهم أرواحاً نؤمن، وبأنهم مركبون نصدق، وبأن وجودهم قائم بأشكال مختلفة نقبل. فكل هذه الأمور نقبلها بالإيمان. لأنه من قبل الله قيلت : " **بأن ظهر الحيوانات مملوء عيون عند دورانها** "[2] وبهذا الكلام علمنا بأن الطبائع الروحية بجملتها (بكل كيانها) ترى، وبجملتها تسمع، وبجملتها تشعر وتفكر وتتذوق وتفهم وتشتهي الشهوة الطبيعية (الروحية). وليس بعضو واحد تسمع وبآخر لا تسمع، أو بواحد ترى وبآخر لا، بل بجملتها تسمع وبجملتها تنظر فهي تشعر بكل الأشياء بجملتها، ولا يضطرب سمعها ببصرها عندما تسمع أو ترى بجزء واحد بذاته. أو أن تشعر وتتذوق بجزء واحد بذاته، فأجزاؤها لا تضطرب ولا تبطل بعضهم البعض. ونحن نؤمن بها على هذا الواقع.

أما الطبائع المركبة فتوجد معاكسة لهذه. فبعضو واحد تسمع وبآخر ترى وبآخر تتذوق وبآخر تتنفس وبآخر تشعر وبعضو آخر تفكر. فبسبب أعضائها المُركبة انفصلت أيضاً اضطرابات حواسها.

فبالنسبة للطبائع الروحية الموجودة في السماء فهي تشعر وتتحرك بجملتها، وليس بجزء منها إذ ليست بمنقسمة إلى أعضاء : مثل الرأس والأرجل والأيدي، وخلف وأمام وطول وعرض ولون وأشكال مختلفة عن بعضها البعض. فلا يوجد في هذه الطبائع أعضاء مركبة. فعدم وجود عين لا يعني انعدام رؤية العين. وعدم

---

[1] اش 6: 2

[2] حز 3: 4 ــ 24

وجود أذن لا يعني انعدام السمع، وإن عدم وجود فرح جسدي لديهم لا يعني عدم وجود فرح وتذوق الروحانيات، وعدم وجود أجنحة لهم لا يعني عدم قدرتهم على الطيران، وعدم وجود أرجل لهم لا يعني بأنها لا تتحرك، وعدم وجود قلب عندها لا يعني بأنها لا تفكر، ولكنها تقتني كل أعمال الأعضاء وإن لم يكن لديها أعضاء مركبة، ولكن أن نعرف كيف أنها تقوم بتلك الأعمال بدون الأعضاء ؟ فليس لنا معرفة كبيرة لتدرك ذلك !!!. ولكن بما أعطي لنا من الله، أقول بالإيمان نفهم كل هذه الأمور. وإذ هي لا تقع تحت إمكانية استقصاء الأفكار البشرية لكنها تقبل من قبلنا بدون ريب، هكذا أيضاً وجودها صدقناه بالإيمان، وليس فقط هي بل أيضاً خالقها الأزلي. فبالإيمان نقبل وجوده، لأن كل شيء قائم لدينا بالإيمان. فإنه وإن كانت رؤية المخلوقات وحركتها تفهم بالحكمة بأعمال خالقها، إلا إن هذه أيضاً يسبقها الإيمان. ولعدم وجود الإيمان لدى الكثيرين تُكَذب هذه الأمور من قبلهم. وباختصار أقول إن كل الأمور الروحية وعالم الروحانيين يُرى ويُشعر به من خلال الإيمان. فإن لم يكن لنا إيمان في داخلنا لا يمكن أن نفهم أي شيء غير مرئي. والأمور المرئية ليست بحاجة إلى الإيمان، لأنها ترى من قبل العين، لكونها جسدية وجسدياً ينظر إليها الإنسان. أما عالم الأرواح فبالإيمان يدرك، وحيث لا يوجد إيمان فهو لا وجود لشيء.

فتأمل كم هي عظيمة قوة الإيمان، فكل الأمور الروحية الموجودة يعدم وجودها بدونه، فالأمر لا يتعلق بوجود الكائنات الحية والأماكن الروحية فقط بل حتى الذات الإلهية الموجودة يعدم وجودها بالنسبة لنا بدونه. لذلك رأى بولس سر تعليمنا وقال : " **لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود** "[1]. فقد أمر الرسول بولس التلميذ بأن يؤمن ثم يتقدم للتلمذة للمسيح، لأنه كان يعرف بأن الطبائع الروحية لا تقع تحت الأحاسيس الجسدية ولا تدرك من قبلها، لأنها (الطبائع

[1] عب 11: 6

الروحية) لا تملك أي حس جسدي. لذلك أوصانا في تعليمه بأن نؤمن فقط بوجودها. فالطبيعة الجسدية قسمها الخالق إلى خمس حواس : فمنها لينظر ومنها ليسمع ومنها ليشم ومنها ليتذوق ومنها ليشعر. فأعطى بذلك للإنسان خمسة حواس يفقه بها العالم بمختلف تغيراته. فبدون هذه الحواس الخمس التي قلت عنها لا يستطيع الإنسان أن يتذوق شيئاً من العالم الجسدي، ولا حتى العالم هو بموجود خارج هذه الحواس. وهكذا فكل شيء آخر روحي، إن كان الذات الإلهية أو كائن مخلوق فلا يقع تحت هذه الحواس الخمس، ولا يشعر به من قبل واحدة من هذه الحواس. ولذلك فسيدنا عندما أعطانا هذه النعمة لنشعر به أعطانا في البداية الإيمان لكي بواسطته نشعر به. ثم أظهر لنا نفسه لذلك قال الطوباوي بولس : " **إذا الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله** "[1]. فمن خبر كلمة الله علمنا بولس أن نقبل الإيمان. فإن الإيمان موضوع فينا من قبل الله خالقنا، لكنه فسد وتحول من إيمان إلى ضلال. مثل الحكمة الطبيعية التي وهبت لنا واستبدلناها. فعوضاً عن حكمة الله. جمعنا لدينا حكمة العالم. فأبدلنا حكمة الله بالأمور الأخرى البعيدة عن الله. كقول الرسول بولس : " **لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة** "[2].

هكذا أيضاً الإيمان الطبيعي الذي فينا قد تحول إلى ضلال، والأمور التي وهبت لنا من الخالق لمنفعتنا صارت لنا للخسارة لأننا أبدلنا نظامها المربح، واستخدمناها خارج نطاقها مؤمنين بما لا يليق، ومعرفتنا انتهت إلى ما لا يجب. فاستخدمنا الإيمان حيث لا يوجد ضرورة لاستخدامه، ففي الأمور التي تستطيع عين الجسد أن تراها، والحواس الجسدية أن تدركها، قد يكون إيماننا فهم هذه الأمور بطريقة أخرى، وظن شيء عوض شيء آخر. ولأجل كل هذه الأمور فسد نظام الإيمان الذي غرسه الله فينا.

[1] رو 10: 17

[2] 1 كور 1: 21

إن كلمة الله عادت وغرست فينا مجدداً والقوة التي فينا قد استيقظت بتعاليم المسيح، لذلك نراه في كل أقواله يشجعنا لنقتني الإيمان. " **فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** "[1].

فبالإيمان لن يقوى علينا شيء إطلاقاً، ولذلك فبقوة الإيمان يتم النصر على كل شيء، بحسب وصية المسيح. بالإيمان تعمل الآيات، وتصنع المعجزات، وتكمل القوى، وتعمل العجائب. فكل شيء فوق الطبيعة يصنع بالإيمان فقط : قيامة الموتى، شفاء المرضى، مداواة السقيم، تطهير البرص، فتح عيون العميان، جري العرج، شفاء باقي الأعضاء، تكلم اللاثغ (الذي لديه عيب في النطق)، سمع الطرش، هرب الشياطين. كل هذه الأمور بالإيمان تتم، فالجبل ينتقل من مكانه بالإيمان، البحار والأنهار بالإيمان عُبرت بالأرجل، كل الطبائع بقوة الإيمان خضعت لأوامر الإنسان، وباختصار فإن الإيمان يعطي الإنسان قوة من الله. فما أن يؤمن حتى يستطيع أن يصنع كل شيء بقوة إيمانه. فالإيمان يحول ضعف الجسد إلى قوته، وأوامر الإنسان الضعيفة إلى أوامر الله المسموعة. ويرى الأمور غير الموجودة وكأنها موجودة، وتحسب الأمور الموجودة وكأنها غير موجودة. وهذه هي شبه قوة الله التي قال عنها بولس : " **يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة** "[2]. وقال النبي : " **فوق الجبال تقف المياه. من انتهارك تهرب من صوت رعدك تفر......... الناظر إلى الأرض فترتعد يمس الجبال فتدخن** "[3]. وأيضاً قال أشعياء : " **كل الأمم كلا شيء قدامه** "[4].هذه الأمور قالها روح الله واصفاً فيها قوة

---

[1] مت 17: 20

[2] رو 4: 17

[3] مز 104: 6 – 32

[4] أش 40: 17

الله. إذ دعا الأشياء التي ليست موجودة لتتواجد. والأشياء الموجودة يدعوها ويحولها إلى أي شيء كان. فبهذه القوة يتشبه الإيمان أيضاً : فهو لا يصنع الآيات والمعجزات التي هي أشياء غير موجودة على مثل الله فحسب، ويزيل الأشياء غير الموجودة ويدمرها بقوة الله، بل حتى الأشياء التي تحسب بأنها غير موجودة لأنها مستترة ينظر إليها وكأنها ظاهرة، والأشياء الموجودة التي نعمل بها ونستخدمها يحسبها وكأنها غير موجودة بالنسبة له، لأنه بسابق معرفته قد تأمل بدايتها وإن كانت غير قابلة للزوال أزالها، ورغم أنها قائمة أفناها، ورغم أنها مرئية جعلها غير مرئية ورغم أن مذاقها مازال موجوداً حسبها وكأنها لم توجد، وإذ الدنيا كلها تدور لكنها تبدو ساكنة بالنسبة للإيمان، وإذ يرى الموت لا يصدق ذلك، والغنى يحسبه فقراً، وكل شيء موجود في العالم ينظر إليه كأنه ليس بموجود، لأن في المستقبل سوف يبطل جريانه وأموره سوف تهدى ويأتي بالأمور البعيدة ويجعلها قريبة منه ويتأمل بها وجهاً لوجه، وبدون ستار يرى كل الخفيات ويتأمل بكل المستترات.

فملكوت السماوات بعيد عن نظر الجسد، لكن عين الإيمان تتأمل به. ومنازل الآب بعيدة عنا جسدياً، لكن الإيمان ساكنٌ فيها منذ زمن طويل. النور الروحي داخل أرضه يشرق مجده والإيمان به يسير وبه يرى، لباس مجدنا موجود في السماء، ولكن الإيمان أتزر به منذ زمن طويل، غنانا وممتلكاتنا الروحية هي هناك (في السماء)، وإيماننا منه (غنانا) يأخذ ويعطي. مدينتنا الحقيقية هي في السماء، والإيمان منذ الآن ساكنٌ فيها. وجنسنا وقبيلة آبائنا موجودة في تلك الأرض، والإيمان يتكلم معهم ويحادثهم باستمرار. مائدة الطيبات معدة هناك ودائماً الإيمان يتطيب منها. نبع الحياة الذي يسقينا هو هناك، والإيمان يستقي منه في كل حين. القوات الحية ورتب النور (الملائكة) موجودة في أرض الحياة، والإيمان يتنعم معهم. وماذا أقول : عن المخلوقات (الملائكة) وإن تكن ممجدة، ولكنها مخلوقة. وإن كانت عظمية وعجيبة إلا أنها قد أبدعت حديثاً. ولئن كانت الآن بعيدة

عنا لأنها مستترة، ولكننا عتيدين أن نقترب منها عندما نصبح روحيين بحسب نظام أرضها. وماذا أقول عن الطبيعة السرمدية لله التي هي بعيدة عن الكل، لكنها قريبة من الإيمان، ومهما ابتعدت عنه فإنها تظل قريبة، وإذ هي خارج الكل ولكنها قريبة من الإيمان، وإن كانت بداخل كل المخلوقات الناطقة والصامتة، والحية والتي بلا إحساس، وفي كل مكان تتواجد فيه فهناك يكون الإيمان. لأن طبيعة الإيمان ترى ما لا يرى، وتدرك الأشياء غير المدركة. وتشعر بالأمور غير المحسوسة، وترى الأشياء البعيدة للغاية تقترب منها، ومهما يكون الشي لطيفاً ومخفياً وباطنياً وروحياً ومتسامياً ولا ينطق به. فالإيمان يراه متى شاء. كما تتضح مشاهدته بالأكثر في الأمور العظيمة جداً. فالإيمان يضطرب عندما يفحص تلك الأمور البسيطة لأنه يحسب توقفه عند هذا الأمور الصغيرة أو عند مخلوقات الدنيا إهانة له. لذلك فهو يعبر عن كل شيء ولا يتوقف عند شيء منها إلا عند الخالق.

إذاً قدرة المخلوقات لا تستطيع أن تتحمل أو تدرك قوة الإيمان، لأنه هو أيضاً (الإيمان) لا يؤمن بها، وإن آمن بها فكمخلوقة وليست ككائنة. لأنه يهمل كل شيء، ويجعل كل الطبائع خارج منه، ويقترب لوعد خالقه. فالإيمان يزيل كل الأمور الحاضرة ويجعل الأمور العتيدة حاضرة، الإيمان هو لسان الله، وهو أمر الخالق، الإيمان يأمر ويطاع في كل شيء مثل الله الذي بإشارة منه تستجيب كل الدنيا له، قوة الله هي قوة الإيمان لأنه من الله أخذها، الإيمان سيد المخلوقات وكما يأمر السيد عبيده فيطيعونه، هكذا يأمر هو الدنيا فتطيعه. عجيب هو أمر الإيمان فليست فقط المخلوقات تطيعه، بل حتى إن الخالق لا يرفض إرادته، وكل شيء يريده يأخذه، يسأله فيعطيه، ويطلب منه فيجيبه. فباب الواهب مفتوح أمام طلباته، كذلك القول : " وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه "[1]. الإيمان هو الأمر في بيت الله، كسيد غني ومدبر المقتنيات. عجيب ومتعال هو سر الإيمان

---

[1] مت 21: 22

ولا يستطيع إنسان تفسيره. وعظيمة هي منزلته في مسكن الله، الإيمان الذي لا يكون بالاسم ولا بالقول والكلام، بل الذي يختبر النفس بتجربة حقيقية، ومن الأساس الراسخ المصدق للأفكار إذ لا يكفر بنفسه، وبهذه أيضاً يتشبه بالله، كقول بولس : " **لن يقدر أن ينكر نفسه** "[1]. هكذا أيضاً الإيمان لا يكفر بنفسه ولا ينقسم على نفسه. ورجاؤه لا ينقطع، ولا يطاله سلطان الخوف. بل كل ما يريد يفعله، وما يرغب به يعطى له. فالإيمان يجب أن يكون للإنسان الذي يقترب من الله. والإيمان لا توجد فيه آراء منقسمة، ولا أفكار تبطل بعضها البعض. فهو لا يندم على شيء صنعه أو قاله، ولم يندم مرة على شيء طلبه، أو سأله لما أراده. وكما إن الله لا يندم على أي شيء قاله أو صنعه، هكذا أيضاً الإيمان لا يندم على الشيء الذي قام به، وبهذا أيضاً قد شابه الله. أوامر الإيمان هي ذات سلطان، فهو يصلي بثقة وصلاته تستجاب للحال تُكمتل (صلاته) بالعمل. كما أنه في بعض الأحيان لا يصلي الإيمان ثم يأمر، بل بسلطان يتكلم كالله، وكما أنه لا يوجد شيء يستطيع أن يعصي أوامر الله، هكذا أيضاً بالنسبة لأوامر الإيمان. وأحياناً يصلي الإيمان ويطلب فتستجاب طلبته، وأحياناً لا يصلي ويأمر بسلطان ويستجاب. فإيليا لم يصلِ أمام أخاب وبعدها أُستمع له، بل الإيمان هو الذي أمر بسلطان فنُفذ ما تكلم به فوراً، وأكثر من أوامر الملك على المدن التي تحت سلطانه، سُمعت كلمته لدى الطبائع وكل المخلوقات " **حي هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه أنه لا يكون ظل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي** "[2]. ولم يكتب بأنه صلى ثم قال هذا، وفي الحال عندما سمعت الطبيعة أوامره خضعت لأوامره. وكما تخضع الخلائق لأوامر الله، هكذا خضعت لأوامر هذا الإنسان القابل للموت. سمعت له الغيوم، نادى الأرض فاستجابت له، أمر الهواء فلم يُر بعد بكل تقلباته. صارت كل الطبيعة أمام

[1] 2 تيمو 2: 13

[2] 1 مك 17: 1

كلمة إيمان إيليا كعبدة مطيعة قد ارتعبت من أوامر سيدها. وفي مكان آخر حين صعد رؤساء القوات مع قواتهم لإحضاره حيث كتب بأنه أمر وتكلم بسلطانٍ إلهي فنزلت نار الله من السماء وأحرقتهم. " **إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك** "[1]. وفي الحال وبدون تباطؤ نزلت نار من السماء على النجسين وأحرقتهم. فتمت كلمة النبي بالفعل. وفي أماكن أخرى مكتوب بأن الإيمان صلى ثم أُستجيب كالتي كتبت " **خر على الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه وقال لغلامه اصعد تطلع نحو البحر** "[2]. وأيضاً عندما أقام ابن الأرملة صلى وسجد ثم أقامه، وفي هذه الصلاة أيضاً ظهر الإيمان فإن لم يكن مؤمناً بقيامته لما أخذ الصبي من أمه وأصعده على سريره. وأيضاً بسلطان قال لتلميذه : " **اطلب ما أفعل لك قبل أن أؤخذ منك** "[3]. ومثلما سأل التلميذ وكأمر المعلم عملت الروح بالعبد ونزلت على إليشع. وعندما قرب الذبائح على جبل الكرمل أمام عيون آحاب وكل إسرائيل صاح " **استجب يا رب استجبني ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله** "[4]. وأنا عبدك وبأمرك صنعت كل شيء. فإلى أن صلى لم يُستجب لتنزل النار. فالسبب في ذلك ظاهر والسؤال هنا : لماذا في مكان يصلي وفي مكان أخر يأمر بسلطان ؟، ذلك راجع إلى إظهار ضعفهم في مكان وفي مكان أخر تظهر فيهم قوة الله. فعندما كانوا يصلون ويترجون يظهرون بأنهم بشر ضعفاء. وعندما كانوا يأمرون ويستمع لهم بدون صلاة كان ذلك ليظهر بأن قوة الله ترافق أوامرهم. ففي مكان يتكلمون مثل البشر، وفي مكان أخر يتكلمون مثل عبيد الله، أي كآلهة بشريين. لقد جعلهم الإيمان الذي بهم آلهة سماويين وفي هذه أيضاً فهم يشبهون

[1] 2 مل 1: 10

[2] 1 مل 18: 42

[3] 2 مل 2: 9

[4] 1 مل 18: 37

المسيح الله. إذ أنه كان يعمل في مكان ما كمن له سلطان، وفي مكان أخر كان يصلي ثم يعمل، " **لم يقيم إليعازر إلا بعد أن صلى** "[1]. " **وإلى أن نظر إلى السماء لم يبارك الخبز ويوزعه على الجمع** "[2]. " **وإلى أن بصق على الأرض ووضع أصابعه في أذني الأطرش ونظر إلى السماء لم يأمر لتفتح** "[3]. أما في أعمال أخرى فإنه بسلطان كان يأمر ويشفي. إذ لم يكن ينظر إلى السماء ولا يطلب من أبيه، " **فبسلطان أمر وأقام أبن الأرملة** "[4]. " **بصوت نادى ابنة رئيس المجمع فقامت في الحال** "[5]. " **أمر البحر فسكن، وللريح فهدئت** "[6]. " **أمر بأن تملئ الأجران بالماء فقط ويسقى رئيس المتكئ ولم يؤخر العبد إرادته** "[7]. " **وقال لك أقول أيها الروح الأخرس وفي الحال خرجت منه** "[8]. " **أريد أن تتطهر قال للرجل وكما أرد اختفى البرص من جسده** "[9]. فبهذه الصورة صنع المسيح أيضاً معجزاته. إلى هذا الحد أنزل نفسه نحو من دعاهم إخوة بنعمته، لكي لا يصيبهم الحزن بسبب عدم استجابة طلبهم حتى يصلون، لذلك أنزل هو أيضاً نفسه وصلى ثم استُجيب، فأخذ السيد (الابن) له مستوى واحد مع عبيده، ليتم ما كتب " **ومن ثم ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء** "[10]. فأعطاهم سلطاناً لكي يتكلوا عليه

---

[1] يو 11: 41

[2] مت 14: 19

[3] مر 7: 33 – 34

[4] لو 7: 14

[5] مر 5: 42

[6] مت 8: 26

[7] يو 2: 7

[8] مر 9: 25

[9] مت 8: 3

[10] عب 2: 17

ويجابون، لك بهذا يعرفون بأنهم عبيد الله. كما أنه أعطى أيضاً للإيمان شجاعة لكي يعمل كل ما يريده (الإيمان).

هكذا أيضاً يشوع بن نون أمر بالسلطان الشمس والقمر فوقفا كل واحد مكان سيره، مد يده وتكلم بسلطان الإيمان قائلاً : " **يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون** "[1]. فوقفت الشمس وثبت القمر حتى استوفى الشعب من أعدائه. وماذا أقول عن الأنبياء فإنه في كافة البشر رجالاً ونساءً وأطفالاً على حد سواء أظهر الإيمان مثل هذه الفضائل. صرخ الإيمان كما أمر فلم تستطع الأسوار أن تصمد أمام صوته. في كل مكان أظهر الإيمان مثل هذه الفضائل وبكل الكتب المقدسة صنع العجائب. فالذي شعر بقوة الإيمان واختبر ذلك من خلال العمل يعلم بأن الإيمان هو الذي صنع كل هذا، ويؤمن أيضاً بأنه هو الذي قام بهذه الأمور.

وأنت يا من تريد أن تصبح تلميذاً لله، امتلك الإيمان الذي هو سيد كل المقتنيات، وليكن هو رأس تلمذتك، واجعله أساساً في بناء برجك، فمهما ارتفع للأعلى لن يسقط لأن البناء الذي أساسه الإيمان لا تزعزعه الأمواج والرياح، فحتى يسوع جعل الإيمان هو " **الأساس بواسطة بطرس** "[2] وكما جعله الرب في البداية، هكذا أيضاً يجب على التلميذ الذي يقترب للتلمذة أن يبدأ به أولاً. فالرب يسوع قد جعله أساساً لكل الكنيسة، وأنت أيضاً أجعله أساساً لكل أعمالك. هو بنى عليه أعمال الفضيلة لكل العالم، وأنت ابنِ عليه فضائلك. هو ثبته ليصير أساساً لكل الأجيال بعد مجيئه، وأنت اجعله بداية لحياتك مع الله.

انظر كم هي عظيمة قوته بحيث استطاع أن يحمل جميع أبناء البشر. وأيضاً وضعه السيد المسيح أساساً لكنيسته لأنه بسابق علمه رأى عظمة قوته التي

[1] يشوع 10: 12

[2] مت 16: 18

لا تتزعزع، وصدقه الذي لا يخطئ، وشدته التي لا تهزم، وحدقته التي لا تشجر، وقوته التي لا تذل، وجبروته الذي لا يضعف، وأمره الذي لا يعصى، وحكمه الذي لا يتراجع، وكلامه الذي لا يكذب، وسلطانه الذي لا يهان. فلهذا السبب الإيمان هو سيد الفضائل، والمسيح جعله أساس للكنيسة وسوراً لجسدها المقدس، ليعلم كل واحد بأنه يجب أن يبدأ به، ويجعله أساساً لتلمذته ولكل أعماله. فليس فقط لكي يظهر المسيح قوته جعله أساساً لكنيسته، ولكن ليظهر لكل من يراد أن يبدأ ببناء تلمذته الجديد، أن يجعل الإيمان في بدايته وفي سائر أعمال بنائه. فالإيمان هو الذي سيسند ويصعد كل أساسات النعم، فإنه ولا واحدة من حجارة النعم يمكن أن تصعد على هذا البرج إن لم يكن الإيمان هو الذي أصعدها. كما لا توجد حياة في أي من أعمال الخير إن خلت من حياة الإيمان. فكما أنه بدون حياة الروح تموت جميع أعضاء الجسد، هكذا أيضاً بدون الإيمان تموت كل الأعمال الحسنة. وكما تحيا الأعضاء بالروح، هكذا تحيا الأعمال بالإيمان. فإنه ولو كانت أعضاء الجسم معافاة وسليمة، فإن لم تكن فيها روح فهي بلا نفع، وعافيتها وسلامتها لا تفيد بشيء، هكذا أيضاً إن كانت أعمال الإنسان باجتهاد ومشقة ويكون هو ثابتاً في السير بالأعمال الصالحة، فإن لم يوجد لديه إيمان فإن عمله باطل. وكما إن كل الأعضاء تتقبل الإحساس من الروح، وبواسطته تتحرك كل واحدة منها بحسب نظامها لتقوم بالعمل الموكل إليها : فالعين النظر، والأذن للسمع، اللسان للتذوق، والأنف للشم، واليد للمس، والرجل السير، وهكذا كل الجسم يتحرك ويعمل وينبض بحركات الحياة بكل أشكال الوظائف الخاصة بالأعضاء. وعلى هذا النمط أيضاً الأعضاء التي تعمل الخير، فإن خلت من الإيمان فهي ميتة وباطلة. فالصوم لا يعتبر صوماً بدون إيمان، ولا الصدقات تعتبر كذلك إن لم تعط بإيمان، ولا الرحمة تعد شيئاً بدونه، ولا يوجد زهد ونسك بدون أن تقترن معهم الإيمان، ولا تواضع وطاعة إن لم يحملان الإيمان، وليس حبس إجباري (الحبيس) إن لم يكن معه إيمان. فالخير إن لم يكن

مقترناً بإيمان لا يدعى خيراً، والحسنة بلا حضن الإيمان تُضيع اسمها وتُبطل عملها. وكما إن ظل الجسم لا يدعى جسماً، ولا يدعى ظل اليد أو الرجل باسم أحد الأعضاء، هكذا ولا جسم الخير الذي ليس فيه إيمان يدعى جسماً. ولا الصوم يدعى صوماً ولا الزهد ولا النسك يدعون بأسمائهم الحقيقية. فبدون الإيمان كل هذه الأمور تكون ظلاً، وجسماً ميتاً ولا يدعون بعد جسماً حقيقياً. لأنها قائمة على الوهم، وهي تعمل في كرم غريب، فسياج غرس وصايا المسيح هو الإيمان، وكل غرسة داخل هذا السياج هي للمسيح ومغروسة بكرمه. أما الغرس التي هي خارج هذا السياج فهي غرس بري، أو إنها لا تحمل ثماراً أبداً. وإن حدث وأعطت ثمراً فإن الحيوانات المتوحشة والطيور تفسدها، وإن صادف وبقيت بعض الثمار تكون خربة وليس لها طعم لتؤكل. فهذا هو الكرم الذي استأجر له صاحبه فعلة وكل من وجده خارج الكرم حسبهم بطالين ورجاهم أن يأتوا ويعملوا في كرمه.

فبالإيمان تحفظ النعم الموجودة، وتقتنى تلك غير الموجودة. الإيمان هو جامع الكنوز وحافظها. هو يخفي مقتنياته ويحفظها. هو الأساس وهو المهندس. هو القابع في أسفل الأساس وهو الذي يصعد معه، هو يجبل الأعضاء وهو يحيها. هو يغرس غرس الروح وهو يعمل بها وكمثل سياج لها، وهو النبع الذي يسقيها. هو الذي يلد وهو الذي يربي. هو الجسد وهو الروح الذي في الجسد. هو الذي يبذر البذور وهو الذي يحصدها ويجمع الغلال. هو يشتل الغراس وهو الذي يقطف ويجمع الثمار. فالإيمان هو كل شيء لأنه يستطيع أن يكون كل شيء.

فلهذا تمسك أيها التلميذ بهذا الإيمان، وبهذه الحقيقة تقوى ولا تتراخَ، فكل شيء تؤمن به أطلبه من المسيح فيعطيك إياه، فهو الذي وعد بأن يعطي. له المجد ولأبيه ولروحه القدوس إلى أبد الآبدين آمين.

المقال الثالث
عن الإيمان

تعال أيها التلميذ واسمع إلى مآثر الإيمان الشيقة، هلم وأنصت إلى كلام أمك التي بنعمها الحلوة تعطيك الحياة. تعال وارضع حليب المعرفة من الصدر الحي للأم التي ولدتك. تعال وقف على الينبوع الذي يسقي الأجيال، ومن لا يشرب منه لا يرتوي عطشه. تعال واجلس إلى المائدة المليئة بطعام الحياة الذي إن لم يأكل منه أحد فليست له حياة في ذاته. تعال وأصغ أذنك واسمع. تعال وافتح عينيك وشاهد المعجزات التي تظهر بالإيمان. تعال واصنع لك عيوناً جديدة, تعال وضع لك أذناً مخفية لسماع الأمور الخفية، ولأنك مدعو لسماع الأمور الخفية فيلزمك أذن خفية، لقد دعيت لمشاهدة الروحيات التي تناسبها عيون روحية. تعال وانظر نفسك فإنك لست بشيء، وقد جددت قبل أن تجدد (أي بالملكوت)، فخلقك الخالق خلقة جديدة وساعده في خلقك الإيمان، فقد وجدت لتغير عجيب وإعداد سماوي، والإيمان كان معه حين إعدادك. في البدء حين خلق المسكونة وأعد كل شيء، الحكمة كانت معه. ومثلما يقول سليمان : الرب بحكمته أرسى أساسات الأرض وكون السماء وبمعرفته شق الأعماق والأعين فاضت بالمياه، وأيضاً قال : " **لما تثبت السموات كنت هناك أنا لما رسم دائرة على وجه الغمر لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينابيع الغمر** "[1]، الحكمة كانت مع الله في أعماله الأولى. وكذلك في الخليقة الثانية كان

[1] أم 8: 27

الإيمان معه، إذ بهذه الولادة الثانية أتخذ الله له الإيمان مساعداً ومرافقاً له في كل شيء ومن دونه لا يعمل اليوم أموراً جديدة.

فسهل عليه أن يلدك من الماء والروح من دونه، ولكن لن يجعل منك مولوداً جديداً ما لم يقرر الإيمان ذلك. بإمكانه أن يجددك ويجعل منك إنساناً جديداً بدلاً من القديم ولكن قبل أن يثبت الإيمان فيك لا يغيرك ولا يجددك. فالإيمان مطلوب من المعتمد، لكي يتسنى له أن يفوز بالكنوز من الماء. ومن دونه يكون كل شيء بسيطاً، فإن الإيمان قد حول الأمور الدنيئة إلى ممجدة. فالمعمودية بدون إيمان هي مجرد ماء، والأسرار الإلهية ستكون بدونه خبزاً وخمراً فقط، وسيرى الإنسان العتيق كما هو بدون عين الإيمان التي تراه. فالأسرار ستكون بسيطة والمعجزات لا قيمة لها بدون عين الإيمان التي تراها، وقوة الإيمان لا تذاق بالكلام إن لم يكن التذوق بالإيمان نفسه، ولا يتم الإيمان من سماع الأذن، إن لم يثبت من الداخل من قوة النفس. الأذن تسمع للإيمان فقط ولكن عمل الإيمان يتولد من الأفكار، والنبع الذي ينساب منه الإيمان هو الذهن الطاهر، والفكر البسيط هو الخالي من الانقسامات ففكر الإيمان وحيد ولا يوجد فيه أشياء تتناقض مع بعضها، وهو ينظر ويحدق ويتأمل بالقوى المستترة في الأشياء، وهو أكثر عمقاً من المعرفة، فما لا تستطيع المعرفة رؤيته يكون الإيمان قادراً على اختراق داخله، ولأن المعرفة لم تستطع أن تعمل ما يعمله الإيمان خرجت هي وحل الإيمان محلها. فالمعرفة لها الأعمال الخارجية، وأما الإيمان فله الأعمال الداخلية. المعرفة تستقصي الحكمة الكامنة في العالم، فيما الإيمان يستقصي خفايا الأسرار. المعرفة تفحص قوة الأصل والثمر، وكل الطعام الذي يعطى للجسم. أما الإيمان فيفحص القوة الكامنة داخل الأسرار المحيية تلك التي هي غذاء الروح. فالمعرفة مهما كانت ثاقبة فلا يتعدى بحثها الأمور المادية وجولاتها العالم المنظور. وأما الإيمان فلا يثبت في هذا العالم ولا تستطيع المظاهر أن تجذبه ليحل فيها، ولا يستطيع اللسان أن يتذوق طعم قوة الإيمان، ولا تستطيع الكلمة أن تصف فضائله، أو توضح صوره، فليس بالصوت يذاق طعمه ولا يعرف بالكلام، ولا بالأفكار التي ترجع

للجسد، بل في داخل قدس أقداس العقل الخفي والروحي تشاهد أسرار الإيمان، وتظهر الخفايا. فالعضو الممجد بالأكثر في الإنسان هو فقط من يستطيع أن يشعر بالإيمان، فأعمال الإيمان تظهر في الخارج، وكلامه من الأذن يدخل، ولكن قوته تظهر في الداخل بالعقل الذي يستطعمه. وحتى إن رأيت الموتى يقومون أو العمي يبصرون أو الشياطين يخرجون، فإنك لم ترَ بعد قوة الإيمان، فمثلما تُرى في الجسد قوة الإيمان، كذلك تبعث النفس من الموت، ومثلما تختبر قوته بعيني الجسد السليمتين، كذلك يخلق (الإيمان) عيوناً للطبائع الروحية، ومثلما تلمس قوته بمشاهدة الشياطين التي تخرج، هكذا وبنفس القوة تطرد الأفكار الذاتية من النفس. فقوة الإيمان تُرى للمخلوقات بالأعمال الظاهرة، والإنسان يتذوقها بواسطة قوة النفس، أما بالنسبة للعقل فليس بشيء آخر يعطيه الإيمان طعمه، فبدون توسط يلتقي به ويذوقه قوته.

في داخل النفس لا توجد علامات فارقة تتوسط لتذوق النفس طعم الإيمان. ولكن الإيمان بنفسه يحل بالنفس ويسعدها ويضيء ويفرح أفكارها، يشرق عليها في الداخل نور طبيعته فتعجب النفس بالنور الجديد الذي سطع عليها، لكن إلى أن يعيد ويجمع الإيمان رؤى النفس من كل مكان لا يظهر لها جمال طبيعته. لأنه حتى النفس لا تستطيع أن تشاهده إذ كانت تقسم رويتها إلى أشياء متنوعة، وتضعف النفس من مشاهدة الإيمان متى انقسمت ونظرت إلى أمور أخرى غيره، كما إنها لا تستطيع الإحداق بنوره البهي، فمثل هذه القوة يعطي الإيمان للنفس التي صارت له مسكناً طاهراً، فلا تعود تنظر إلى الأشياء كما هي بل تنظر إليها مثلما يشاء هو.

ها إنك تحمل على يديك جمرة الأسرار (القربان المقدس)، التي هي خبز بسيط بطبيعتها ولكن الإيمان ينظر إليها على إنها جسد المسيح. إذ ليس كما ترى عين الجسد ترى عين الإيمان، ولكن الإيمان يلزم عين الجسد لترى الأمور التي لا يمكن رؤيتها، ها إنها ترى خبزاً وخمراً وماءً، أما الإيمان فيلزم نظرَها ليرى الروحانيات، الشيء الذي لا يرى جسدياً، فها إنه عوض الخبز يتذوق جسداً، وبدل الخمر يشرب دماً وبدل الماء يرى المعمودية الروحية وبدل الزيت قوة المسيح.

فالإيمان يملك قوة الله، وسلطان وإرادة الله، ومن حيث يشاء يجمع الفضائل. يقترب الإيمان من عظام القديسين، ويراها حية ولئن كانت ميتة، ويتكلم معهم (القديسين) مثل الأحياء ويترجى منهم حاجته ويظهر لهم ما هو بحاجة إليه من مستجيب الطلبات (الله)، ويترجى من رفات القديسين ويريد منها أن ينال هذه الموهبة بشفاعتها، إذ أن الإيمان لا ينظر إليها وكأنها مستترة عن الحياة، وصامتة وغير ناطقة، وغير متحركة وبعيدة عن كل الحركات الطبيعية. فهو لا يريد وسيطاً له على هذا النحو، لأنه يعرف بأنه لا بطبيعتها، ميتة كانت أم حية، تستطيع هذا (أي أن تكون وسيطاً بين الخالق وخليقته)، ولكن لأنه أسمى من الطبيعة، قد أمتزج بالقديسين بقوة المسيح، وهو عندهم حتى وهم في قبورهم، يراهم ويترجى الموتى وكأنهم أحياء ويتكلم مع الصامتين وكأنهم ناطقون. فعين الإيمان خلعت عنها رؤية الأمور المنظورة ولبست رؤية الأمور الخفية لكل الروحانيات، وتتحرك داخل الجسد. بحيث يقف الإنسان بمكان ما ويتأمل بآخر، يحيا في العالم السفلي بالجسد ويحيا بالإيمان في العالم العلوي، يسمع الإيمان عن قيامة الأموات وعن تجديد الأجساد البشرية، فيراها وكأنها قد قامت وتجددت منذ أمد طويل. وهكذا يحسب بأنه قد قبل الموعد في عالم الأحياء، وملكوت النور، والأرض الممجدة، والفرح الروحي، وتذوق الحسنات، وتفسير الأسرار، والتشبه بالملائكة، كل هذه الأمور الذي سمعها يراها بأنها حقيقية ثابتة. فالإيمان هو الوسيط بين الذين مضوا والذين سيأتون. أي الأمور التي حدثت قبلنا والتي ستحدث بعدنا. فبالإيمان نتقبل نحن كل تعاليمهم، كقول الرسول بولس : "**فبالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر**" [1]. فإن لم يقتن الإنسان الإيمان يستطيع أن يُكذّب كل ما جاء في الكتب المقدس. وكل الحقائق غير المحسوسة وذلك لأنها غير ملموسة. ليس هناك توبيخ قريب للمتشكك (فهو لن يستطيع أن يزيل شكه بها بسهولة). أما الإيمان فلا يحتاج إلى شهادة ليصدق ما سمعه. فالدليل والشهادة هما من مستلزمات المعرفة. وللذي يريد أن يلمس ويرى ثم يؤمن. والإيمان ليس بحاجة

[1] عب 11: 3

إلى المعجزات، كما إن الله ليس بحاجة إلى قوة ومعجزات ليقبل البرهان على الأمور التي هي عتيدة أن تصير منه لأن كل شيء ظاهر" أمامه وواضح بمعرفته السابقة. فهكذا أيضاً الإيمان ليس بحاجة إلى معجزات، لأنه كيف يكون بحاجة إلى ما يصنعه هو بذاته، فالقوى والآيات والمعجزات والتي هي على مثالها تصنع من الإيمان. فكيف إذاً يحتاج إلى الشيء الذي يصنعه هو، فمن شهادته يصدق الخفايا. فكما أن الله ليس بحاجة إلى مخلوقاته، هكذا الإيمان ليس بحاجة إلى المعجزات التي هي من صنعه. فالإيمان ليس بحاجة إلى شيء، لا إلى النظر، ولا إلى اللمس، ولا إلى الآيات والمعجزات، ولا إلى البراهين والشهادات، بل فقط إلى سماع كلمة الله ومعرفة أن الله هو من قالها، ففي الحال يقبلها بدون أن يشك، فليس هناك إنسان صالح رضى الله بدون إيمان وكما تشهد تعاليم بولس : " **فإنه بدأ من هابيل ووصل إلى المسيح** "[1]. وأظهر أن كلهم قد أرضوا الله بالإيمان. وعندما أظهر شهادة معروفة لكل تلاميذه قال : "**بدون إيمان لا يستطيع إنسان أن يرضي الله** " وأيضاً قال : " **بالإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد** "[2]. " **إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا** "[3] إلى ساعة موتهم، كما يقول الرسول وفي كل زمان حياتهم كان الإيمان يرافقهم، وبه صنعوا المعجزات وهم في العالم، وبه صبروا وانتظروا ليقتبلوا المواعيد العتيدة. ولينالوا ما وعدوا به من ذاك الذي تبعوا كلامه.

الإيمان هو الأرض التي تقبل زرع كلمة الله، وكما أن زرع الفلاح لا يأتي بثمر بدون حقل، هكذا أيضاً لا تأتي كلمة الله بالفضائل الروحية إن لم يكن لدينا أرض الإيمان الذي تتقبلها. ومثل العين للشمس، هكذا يتقبل الإيمان النور الروحي لوصايا المسيح. فهكذا كما أن نور الشمس يُظهر كل شيء، فإنه لن يظهر شيء بدون العيون التي تشاهده. وهكذا أيضاً وصايا الله الذي هو خالق كل شيء

[1] عب 11: 4
[2] عب 11: 13
[3] عب 11: 40

لا تصدق من جهتنا بدون إيمان. الشمس مضيئة بطبيعتها، وقوية كلمة الله لمؤتمره. ولكن مثلما يضعف تأثير النور الطبيعي للشمس لدى العيون العمياء ولا ترى شـيئاً منه، هكذا تضعف وصايا الله بداخل النفس الخالية من الإيمـان. فالإيمـان عيـون مميزة ترى كل شيء وتراه كما هو، وبما إن الأمور التي ترى بسيطة لديه أهملهـا وذهب ليرى الأمور التي لا تُرى، التي هي فوق الطبيعة وغير محـسوسة ليتأمـل ويتعرف عليها.

من الإيمان أيضاً صار لنا اسم لأنه هو ولدنا من الضلال إلى معرفـة الله، ولهذا كل من يتقدم للمسيح ويتتلمذ لبشارته قد أخذ اسمه من الإيمان ويسمى مؤمناً. لأن الإيمان هو آمنا ومُولِدُنا، فهذا الاسم هو أفضل من الذي تعطيه الولادة، فـانظر إلى أين وصلت عظمة الإيمان، لأنه مثلما يتخذ البشر اسماً من اسم الله ومـسيحه، فمن اسم الله نسمى آلهة ومن اسم المسيح نسمى مسيحيين هكذا من اسـم الإيمـان نسمى مؤمنين هذا الاسم الذي يبعدنا عن كل المخاوف ويبعدنا عن التعاليم المضلة. فلا يُدعى إنسان مؤمناً إن لم يكن قد ولد من الإيمـان الحقيقـي، الـذي هـو الأم والمربية، لأن توجه تعاليمنا هو نحو الأمور العتيدة، والحث علـى الأمـور التـي لا ترى، والأمور غير الظاهرة وغير المعروفة للحواس الجسدية التي مـن أجلهـا نحن تتلمذنا. فجيد أنه من أجل تلك الأمور قد دعينا مؤمنين، لأنه بالإيمان يقوم كل رجاء في تلك الحسنات، لأنه إذا رُفع الإيمان من الوسط، فلن يكـون لنـا إيمـان ولا بواحدة من كل تلك الأمور. سواء نعم الأسرار التي هنا أو الحسنات التي هناك، فالإيمان هو الذي يثبتها ويحفظها، فإذا تأملنا بأسرار الكنيسة جميعها بـدون إيمـان وبعين الجسد فسنراها بسيطة ومحتقرة، وسنرى أمور هذا العالم أفضل وأكثر مجداً من التي عندنا.

ها إن عندنا الفقر وعند العالم الغنى، عندنا المهانة وعنده الكرامـة، عنـدنا التواضع وعنده الكبرياء، عندنا البساطة وعنده الرئاسة، عندنا الزهد وعنده القنيـة، عندنا الجوع وعنده الشبع، عندنا الاحتياج وعنده الانشراح، عندنا الضيقات وعنـده الراحة، عندنا الخضوع وعنده إصدار الأوامر، عنـدنا الطريـق الـضيق وعنـده

الطريق الواسع، عندنا لباس واحد بحسب الوصية وعنده مختلف أنـواع الألبسة، عندنا الكلمة التي توقفنا حتى عن (الإكثار) من الطعـام اليـومي وعنـده الكنـوز المكدسة لسنين ودهور عديدة، علينا أن نظهر بكل سذاجة وبساطة وهم يظهـرون بكل تكبر ورهبة. كل هذه الأمور وغيرها تُظهر بأن العالم مُمَد، وأفضل بكل شيء مما عندنا، إذا أُخذ الإيمان منها والذي هو كنزنا الحقيقي. وكما يشهد معلمنا بـولس بذلك. " **إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس** "[1]. وأيضاً قال في مكان آخر : " **نحن جهال من أجل المسيح ومرضى وضعفاء وبلا كرامة ولا نملك أي شيء** "[2]. وإذ نحن في هذا العالم الـذي نعيـشه لا نملك شيئاً قد ملكنا كل شيء، كقول الرسول بولس : " **كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء** "[3]. وباختصار فإن واحدة من تلك الأمور التي لنا لا ترى في هـذه الحياة بدون الإيمان. فهو الوحيد الذي يراها. فلا يـرى هنـا غنانـا ولا سـلطاننا ولا مراكزنا الرفيعة ولا كرامتنا ولا راحتنـا ولا ملكوتنـا ولا مخـادع الراحـة، ولا السعادة غير المنظورة المحفوظة لنا ولا مدنية مسكننا الـسموي ولا صـهيون (أورشليم السماوية) موطن الحياة تلك التي عطشت لتتقبـل أبناءهـا، ولا الكنـوز المخفية، ولا الغنى السماوي الذي امتلكناه، ولا حريتنا التي هي أعلى من أي تسلط، ولا الشبع من الحسنات تلك التي هي عتيدة أن نأخذها. كل هذه الأمور مخفية عـن هذه الحياة وليس بمقدور الجسديين أن يروها، أما المؤمنون فبالإيمان يشعرون بها، وبه يرون كل ما لا يرى، ويسمعون الأقـوال التـي لا تـسمعها الأذن الجـسدية، ويلمسون الأشياء التي لا تلمس باليد الجسدية، ويتذوقون ما لا يستطعم من قبل الفم، لأن في داخل كل الاحساسات الجسدية قد وضعت احساسات للحـسنات الروحيـة. وإن لم يكن لنا احساسات روحية تلك التي يميزها الإيمان، فكأن كل تلـك الأمـور ليست بموجودة. وإن تقل لي ها إن الأسرار هنا ممجدة، ولكن انظر فلولا الإيمـان

[1] 1 كور 15: 19

[2] 1 كور 4: 10

[3] 2 كور 6: 10

لما روي مجدهم، وكل شيء لنا مأخوذ من العالم ونقوم باستعماله مثل التسليم الذي وصل لنا فإن نظرنا له بعين العالم فهو سيبقى عالمياً، أما إن تأملنا به بإيمان فهو أسمى من العالم. فالهياكل بيت الصلوات هي من العالم لأن بناءها مركب من العالم، ولكن روحياً هي أسمى من العالم، لأنها رمز إلى كنيسة الأبكار المكتوبين في السماء " **التي هي أورشليم الحرة آمنا كلنا** "[1]. وكل المذابح مع كل أواني خدمة الأسرار، وكل شيء فيه سر قد سلم لنا، نصنعه بطبيعته من العالم، ولكن لعظمة الأشياء التي تستخدم بها تصبح عظيمة ومتسامية وممجدة لنا، وتحسب أسمى من الطبيعة. لأنها ترمز إلى القوة الروحية الحية الموجودة في السماء التي بها تخدم الأسرار المخفية لله وتتمم إرادته. وأيضاً تلك الأسرار المقدسة التي نمارسها لخلاص حياتنا قد أخذت أولاً من المادة التي يصنع منها الخبز والخمر اللذان يوضعان على المذبح الروحي ولكن متى قبلهما المذبح مثل البطن للكلمة يجعلهما أسمى من المادة إذ يحيلهما إلى جسد ودم الله الحي ذاك الذي هو أسمى من المادة. هكذا أيضاً الماء مع الزيت، الذي بهما يتم سر معموديتنا، فمن المادة يؤخذان، ولكن حين يلدان المدعوين إلى النعمة، تستحيل معمودية الماء والزيت البسيطين إلى بطن وقوة تلد المولودين بالروح. ومثلما نهض السيد المسيح من القبر بعد ثلاثة أيام، يصعد المائت (بالخطيئة) حياً من جرن المعمودية الذي ينزل فيه. وحيث أن الرب قام بعد ثلاثة أيام، هكذا هو بثلاثة غطاسات وبثلاثة أسماء (الثالوث الأقدس) يتجدد. وكما انتقل الرب بعد قيامته من السلوك الذي مارسه قبل صلبه إلى السلوك الروحي، هكذا أيضاً الإنسان ينبعث من المعمودية كأنه من القبر ويسير بحياة جديدة كما علمنا معلمنا بولس، إذ نحن ندفن موتانا مثل باقي الناس فمن النظرة الخارجية لدفننا ولقبورنا لا تختلف عن اليهود والوثنيين، ولكن نحن على رجاء الإيمان، ورجاء قيامة الموتى، نودع موتانا للحياة وليس للموت، ومؤمنين بأننا نرسلهم إلى السماء وليس إلى الهاوية، وأما الضالين فإذ ليس لهم رجاء الإيمان يُرسل أمواتهم إلى الموت والهلاك.

---

[1] غلا 4: 26

عظيمة وسامية هي أسرار الإيمان إذا اقترب منها الإنسان بفكر الإيمان، ولأن عيون الجسد هي أصغر من أن تنظر إلى الأسرار، أعطينا عيوناً أخرى إيمانية، تلك التي تكفي لأن نتأمل بها، ونتظر إليها كما يجب أن تكون وليس كما هي. والأمور التي وعدنا بها وهي بعيدة عنا، تنظر إليها عن قرب ولا تحسبها بعيدة عنا. فهل فهمت الآن يا من ترغب في أن تكون تلميذاً للسيد المسيح، إن كل شيء بالإيمان قائم، وبدونه لن نرى الأشياء التي لنا ولا الأمور التي تصدر عنا ولا المواعيد المعطاة لنا. بل تكون وكأنها ليست بموجودة.

فإذاً أيها التلميذ خذ لك الإيمان في بداية تلمذتك، واخرج وراء الله، فإنك لن تستطيع أن تسمعه وتحفظ وصاياه إلا إذا آمنت به أولاً. فالإيمان مزروع وموضوع فيك من قبل الخالق لتؤمن به بالإيمان الذي وضعه فيك. فلا تهدم قوة الإيمان فتؤمن بالأمور غير الموجودة، وبدل من الأمور الحقيقية والثابتة إلى الأبد تؤمن بأمور غير صحيحة وغير ثابتة. فكل الأمور التي هي بالشكل قائمة الآن ستزول وتنتهي بحسب تعاليم الكتاب. وأما الأمور المستقبلية والموعودة هي حقيقية وثابتة إلى الأبد إذ أنها لا تزول ولا تفسد. فلا تؤمن أنت إذاً بالأمور الزائلة وتحسبها باقية ولكن استخدمه (الإيمان) بحسب ترتيبه وآمن بواسطته بالروحانيات. فها إن الذين سجدوا للأوثان كانوا يحسبون الحجارة والخشب وكل المواد في العالم آلهة فهؤلاء كان لهم إيمان ولكن بخلاف ترتيبه الجيد. وبدلاً من أن يؤمنوا بالله آمنوا بواسطة (بالإيمان) بالأوثان المصنوعة وأسموها آلهة الضلال من حيث لم تكن كذلك (آلهة). لذلك كلما كان الإيمان متحداً مع تلك الأمور (الجيدة) ثق أنه إيمان، ولكن إذا مال الإيمان إلى ضده، اعتبره كشيء ليس هو كذلك في الحقيقة، فلا يكون بعد إيماناً بل ضلالاً. فلذلك وضع الله لك الإيمان لتؤمن به فقط وبالأمور التي يريدها هو وليس لشيء أخر. لأن الصورة الموضوعة فينا هي دليل طبيعي لمعرفة الله كما قال بولس : " **إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم** "[1]. هكذا أيضاً طبع الإيمان في أذهاننا بصورة طبيعية. ولكن وبما أن معرفة الله كانت ثابتة فيهم وإن لم

[1] رو 1: 19

يسجدوا لطبيعته ولم يراعوا أزليته ولكنهم لاسمه سجدوا وأكرموه في المخلوقات بالفطرة. وهكذا أيضاً الإيمان المودع فينا فإننا نؤمن بكل شيء وحيثما توجهت إرادتنا يتوجه الإيمان. فتوجهه مثلاً لينظر إلى أحاسيسنا الطبيعية فإن شاءت إرادتنا آمنت بالله وإن شاءت آمنت بالأوثان والشياطين. وإن أرادت آمنت بدوام عالم الراحة إلى الأبد واشتاقت إليه، وإن أرادت آمنت بهذا العالم الزائل وكأنه حقيقي وثابت فأحبته ومالت إليه. فالإرادة لها سلطان على الإيمان مثل باقي أحاسيسنا الطبيعية، وهي المدبرة لكل شيء إن كانت الأحاسيس الخارجية أم الأفكار الداخلية. ومثلما أعطيت لنا عيون لنرى العالم وآذان لنسمع الوصايا الإلهية وأيدٍ لتمتد للحسنات وأرجل لتسعى إلى بيت الوعود المريحة. فإرادتنا قد تغير كل ذلك للضد وبدل أن تستخدمها للحسنات والتي لأجلها خلقت الأعضاء والأحاسيس تستخدمها للسيئات والمنكرات. وهكذا أيضاً يمكن لسلطان إرادتنا أن يعكس الإيمان المودع فينا لنؤمن به بالله وبمواعيده الروحية، فبدلاً من الإيمان بالله نؤمن بالشياطين وبدل الروحيات نؤمن بالجسديات وبدل تلك الأمور التي لا ترى نؤمن بالتي ترى وبدل الأمور التي لا تزول نؤمن بالأمور الزائلة والفانية.

فأنت أيها التلميذ استخدم الإيمان بمكانه الجيد ولا تعود به إلى الضلالات وآمن بالله وبمواعيده ولا تؤمن بالعالم وراحته. فكل شيء يُرى هو زمني، وكل شيء لا يرى هو أبدي كما يعلمنا بولس : إذاً آمن بالله وترجى منه أن يعطيك حسناته الأبدية وليكن لك الإيمان في بداية طريقك فإن لم تؤمن بتلك الأمور التي لا ترى فلن تستطيع أن تترك الأمور التي ترى. وإن لم تؤمن بصدق وعود المسيح والمجازاة الموعودة لكل من يتبع تبشيره فلن تترك كل ما تملك وتذهب وراء المجازاة التي وعدها لك. " **إن كان أحدٌ يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً** "[1]. فاسمع هذا الصوت أيها التلميذ واخرج من العالم فإن هذه البشارة (الإنجيل) التي تعد بالحسنات الروحية هي فقط تستطيع أن تبعدك عن أعمال وسير هذا العالم فهل

[1] لو 14: 26

سمعت هذا الصوت ؟ إذاً آمن به وكن له تلميذاً وليس لشيء آخر. ولا يكن خروجك لسبب آخر وإلا فلن ينجح خروجك. وكما كان السبب الأول كذلك لتكن كل الأمور التي ستأتي بعده. ولأنه يوجد كثيرون ولأسباب مختلفة يتركون طريق وأعمال العالم ويتقدمون للتلمذة للمسيح ولكن ليس بدافع السبب الحقيقي لذلك لا تنجح تلمذتهم فيكونون مثل أعضاء مريضة في الجسم السليم لتلمذة المسيح ويعيقون أيضاً الأعضاء السليمة من خدمة الروح ومن العمل بكل وصايا الرب أولئك الذي كان خير لهم لو بقوا في العالم ولم يصيروا قدوة سيئة في أرض الروحانيات. فإن كل أعمال العالم هي مرض وسقم بالنسبة إلى الروحانيات أما جسم تلمذة المسيح فهو سليم ومعافى. فالذي يرغب بقطع أعضائه من الجسم المريض ويأتي ويضمها لهذا الجسم الحي فليفعل ذلك بدافع المحبة لهذه الأعمال التي تقربه للاشتراك مع ذلك الجسم (السليم). ولا يجب أن يكون هناك سبب آخر لاقترابه منه، إذ يوجد كثيرون إما بسبب العبودية أو من ذنب ما ارتكبوه أو ضغط الآباء أو الضجر من الزوجة بالإضافة إلى باقي العلل المريضة التي منها يُضطر الكثيرون للتلمذة للمسيح إلا أنهم يكونون بالشكل فقط مع المسيح وبالحقيقة مع العالم. فهنا بالظاهر لكي يشاهدوا بالعين فقط وفعلياً وفكرياً هم هناك (بالعالم)، هنا بسبب العادة وهناك بالإرادة. هنا يسيرهم العصب وهناك بحريتهم. وباختصار هنا يوجد ظلهم وهناك أجسامهم، هنا قائمون بالصورة وهناك بكيانهم الحقيقي. وهكذا يصيرون عثرة لأنفسهم ولأخوتهم ويأكلون جسد المسيح باختلاس وليس باستقامة، وإذ هم أجراء عنده يعملون عند غيره بلا خجل، هو الذي دعاهم غير أنهم يسمعون لمن هو ضده، هو يعاملهم مثل خاصته أما هم فينكرون إحسانه ويزدرون بوصاياه، فيصبحون عثرة في بنائه ومنظراً للسخرية في أرض المنافع وسبباً للعثرة في أرض الحق، ومثالاً مليئاً بالخسارة بدلاً من المكاسب. والذين هم هكذا كان خير لهم مثلما قال المسيح : " **إن لم يولدوا** " [1]. وإذ ولدوا كان الأجدر أن يظلوا في العالم

[1] مت 26: 24

السقيم الذي كانوا به ولم يجلبوا معهم تلك الأمور الغريبة بالنسبة إلى الآخرين. ومثلما هم مائتون عن الله يُميتون معهم الأعضاء الحية أيضاً.

فأنت يا تلميذ الله اهرب من مثل هؤلاء، وليكن الإيمان هو وحده السبب لخروجك من العالم ومثلما وضعت الأساس هكذا ارفع كل بناء أعمالك ومتى أخذت أعمالك قوة إيمانك الأول الذي أخرجك من العالم، فكل الأشياء تحفظ وتكمل بالإيمان بالاستقامة وتثبت سليمة، فتنظرها عين الله الخفية، وتكتمل وتحفظ بتشجيع الإيمان. فكلما كان الإيمان ينظر إلى الأعلى فإن طريق التدابير يمضي بنشاط وطريق الأعمال يسير بسرعة، فانتبه لكي لا تظلم عين الإيمان التي منذ البداية قد فتحتها ورأيت بها من بعيد هذه الطريق ووعود المسيح بحجة أحداث قد تعترضك متى بدأت طريقك. فلا تصيبك عثرة منذ البداية وتسقط في الطريق الذي تسلكه ولكن كن كالذين يسيرون في الطريق العادي فمثلما بدؤوه هكذا يكملون السير فيه حتى النهاية وينتبهون لكي لا تغمض عيونهم أثناء سيرهم ويعاقون من مشاهدة مرشدهم. فهكذا أنت أيضاً يا أيها التلميذ الذي بدأت بالمسير في طريق السماء ليكن محفوظاً لديك ذاك المنظر منذ بداية طريقك حتى نهايته. فكلما تأملت عيون إيمانك الأمور العتيدة كلما خفت عليك أعمال تدبيرك وتهنأ نفسك بصعاب فضائلك. ومثلما تحفظ الرجل من العثرات عندما تكون العين منفتحة للنظر هكذا يختفي ويبتعد الكسل عن النفس كلما كان نظر الإيمان سليماً وينظر ويتأمل بالسماويات. فالنفس التي ليس لها نظرة الإيمان فإما أن تكون نائمة أو ميتة. والنفس التي طردت منها الإيمان بأكمله هي ميتة، أما النفس التي تحفظ اسم الإيمان ولكن عيونها ليست مفتوحة دائماً هذه تكون نائمة وغارقة في نوم عميق. فهي تعمل لكنها لا تشعر وعندما تتبرر لا تعرف، وتسعى ولا تكل في ركضها. وكالنائم الذي لا يشعر بالأمور التي تجري بجانبه، هكذا أيضاً الذي أغمض نظر إيمانه لكي لا يشعر بالحسنات التي تعمل من قبله ولكن يكون مثل الأعمى الذي يقاد من شخص أخر. هكذا أيضاً الذي يقتاد من غصب العادة أو لأنه لا يستطيع أن يغير من شكل العمل الذي يعمله فيراوح في مكانه.

لا يصلح أن يكون تلميذاً للمسيح متى اعتمدت أعماله على ناموس البشر فلربما أبطلت نواميسهم أو أراد مشرعوها أن يغيروا الشرائع فحينذاك سوف تتشتت وتضيع حسناتهم أيضاً. فلذلك الذي وضع لنا الجهاد ليس إنساناً فلهذا لا يجب أن نتمسك بالنواميس البشرية في جهادٍ كهذا. بل بإرادة الذي وضع الجهاد الذي هو المسيح. إذاً فمن هنا يحب أن يكون خروجك من العالم يا من بدأ بالمسير في طريق السماء فبالإيمان خلعت عنك لباس ضلال الأفكار تلك التي تتشابك بأمور العالم وتضل وترى الأمور التي ليست موجودة وكأنها موجودة.

فانتبه إذاً لكي لا تغير إيمانك وتذكر كلام بولس وبه قيم إيمانك وطهر أفكارك من أوساخ الضلال مثلما قال : " **لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود** " [1] له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

---

[1] عب 11: 6

المقال الرابع
عن الإيمان وكيف يستطيع الإنسان أن يتقبل وصايا المسيح ببساطة

بداية سهلة أعطانا سيدنا في بشارته ألا وهي الإيمان الصادق الحقيقي ذاك الذي يتحرك بشكل طبيعي في الفكر البسيط. وبهذا الإيمان يجب أن نسمع وننفذ وصاياه تمثلاً بكل القدماء الصالحين المدعوين من الله الذين ببساطة سمعوا كلامه وبالإيمان صدقوا وعوده.

والبساطة هنا لا أقصد بها الحماقة التي في العالم، بل وحدة الفكر البسيط الذي يسمع ولا يعترض، ويقبل ولا يناقش. كالولد الذي يتقبل الكلام من مربيته، وكالطفل الذي يتقبل العلم من أستاذه دون أن يعترض أو يناقش ما يقال له. لأنه كما أن قدرة الولد ضعيفة على مناقشة الأمور العلمية. هكذا أيضاً قدرتنا ضعيفة على إدراك الأسرار الإلهية. فهكذا بالبساطة والإيمان يستطيع الإنسان أن يتقبل ويسمع هذه الأمور. وكما دعي إبراهيم وخرج وراء الله دون أن يعترض على الكلام الذي قيل له، ولم يمنعه عن ذلك روابط الجنس أو أقربائه أو الأرض أو المحبين ولا كل القيود البشرية. بل في الحال عندما علم بأن النداء هو من الله ازدرى بكل ما كان له وسمع للصوت ببساطة وآمن به. كما سار وراء صوت الله كالولد وراء أبيه بالبساطة الفطرية التي لم تتعكر بالشرور، إذ إن كل شيء قد ازدري بعينه عند سماع صوت الله. فإبراهيم كان عنده تمييز ومعرفة طبيعية فظهر تمييزه هنا أي بأنه يجب أن يسمع لصوت الله الذي دعاه كما يسمع العبد لسيده وكالمخلوق لخالقه،

والمعرفة التي كانت عنده لم يسمح لها بأن تعترض أو تناقش : لمـــاذا ولأجـــل أي شيء دعي من قبل الله " **أخرج من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التـــي أريك** " [1]. (فالله) لم يظهر له تلك الأرض وذلك لكي يتلألأ إيمانه بـــالأكثر وتظهـــر بساطته. وإذ كان يظن بأنه سيأخذه إلى أرض كنعان وعده بأن يُريه أرض الحيـــاة التي هي في السماء كما يشهد بذلك الرسول بولس : " **لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله** " [2]. وأيضاً يقول : " **ولكـــن الآن يبتغـــون وطناً أفضل في السماء** " [3]. ولذا علمنا الله بوضوح بأنه لم يعد إبراهيم بأنه ســـوف يريه أرض الميعاد المادية حين أسكنه بأرض حاران وأخرجه من أور الكلـــدانيين. لذا لم يأخذه مباشرة إلى أرض كنعان. لكي لا يظن إبراهيم بأنه سوف يأخذ أجـــراً لطاعته وخروجه وراء صوت الله، لم يعرفه في البداية علـــى اســـم الأرض التـــي سوف يأخذه لها.

فتأمل أيها التلميذ بهذا الخروج واقتد به. ولا تتأخر لدى ســـماعك صـــوت المسيح الحي الذي دعاك. لأنه مثلما دعا هناك إبراهيم وحده، هكذا هنا أيضاً يدعو ببشارته كل من يريد الخروج ورائه لأنه قال : " **إن أراد أحـــد أن يـــأتي ورائـــي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني** " [4] فأظهر بذلك بأن الدعوة عامة لكل النـــاس. وبدل من أن يختار هناك واحداً اختار هنا كل الناس ليكونوا مـــدعوون كـــإبراهيم. وأيضاً بالنسبة لدعوة الرسل القديسين فهي نفس دعوة إبراهيم حيـــث جـــددها الله. فأنظر إلى إيمانهم الذي يشبه إيمان إبراهيم لأنه كما إن إبراهيم استجاب في الحـــال عندما دعي، هكذا أيضاً التلاميذ فور سماعهم دعوته تبعوه. " **فرأهم يرمون الشباك في البحر فدعاهم فللوقت تركوا الشباك وأباهم وذهبوا وراءه** " [5] وقبل أن يسمعوا

---

1 تك 12: 1

2 عب 11: 10

3 عب 11: 16

4 مت 16: 24

5 مت 4: 21

منه " **إن لم يترك الإنسان أباه وأمه وكل ما يملك ويـأتي ورائـي لا يـستطيع أن يكون لي تلميذاً** " [1] تركا كل شيء وتبعاه. فليست المعرفة والخبرة الطويلـة هـي التي جعلتهم تلاميذ بل مجرد سماع كلام الإيمان. ولأن إيمانهم كان حياً فللوقـت قبلوا كلام الحياة وسمعوا له فالتحقوا به فوراً ولم يتأخروا عنه. وهكذا أظهروا بأنهم من قبلِ أن يدعوا تلاميذ كانوا كذلك. فهذا هو مفعول الإيمان المقترن بالبساطة الذي لا يعتمد على كثرة البراهين. لأنه كما إن العين السليمة والصافية لا تحتـاج إلـى وسائل ووسائط لتبصر الشعاع المرسل إليها، ولكنها فور انفتاحها تستطيع أن تـرى النور، لأن رؤيتها الطبيعية سليمة. هكذا عين الإيمان التي وضعت في بيت البساطة فللوقت عند سماعها صوت الله تتعرف عليه ويشرق فيها نور كلمته وبفرح تبـادر مسرعة أمامه لكي تتقبله كما قال السيد في بشارته " **خرافي تتبعني لأنهـا تعـرف صوتي** " [2]. فكل من يتوفر لديه إيمان ذو طبيعة سليمة يكون حملاً لـذاك الراعـي الذي يؤمن به. وهكذا كتب أيضاً عن متى " **أن السيد المسيح رآه جالساً في مكان الجباية فدعاه فللوقت ترك تجارته وكل ما كان له وذهب وراءه** " [3] وهكذا أيـضاً كتب عن فيليبس " **وفي الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيليبس فقـال له اتبعني** " [4] فتبعه في الحال. فبهذه البساطة والنقاوة تبع الرسل كلام المسيح ولـم يستطع العالم أن يعيقهم ولا حتى العادات ولا التقاليد الإنسانية استطاعت أن توقفهم ولا أي شيء في العالم الذي نظنه بأنه شيء هام، استطاع أن يعطل نفوس أولئـك الذين شعروا بالله. لأنه ليس هناك شيء في العالم أقوى من كلمة الله عند الإنـسان الذي لديه الإيمان الحي. أما الذي تكون عنده كلمة الله ضعيفة فذلك لأن نفسه ميتـة ولهذا تضعف به الكلمة القوية ويمرض فيه التعليم الصحيح لله. ففي المكـان الـذي يكون فيه قلب الإنسان تكون فيه أيضاً كل أعماله. فالذي يعيش في العـالم فللعـالم ترجع كل أعمال أفكاره وأحاسيسه. والذي يحيا لله تتجه نفسه مع كـل احـساساتها

[1] مت 19: 5

[2] يو 10: 4

[3] متى 9: 9

[4] يو 1: 43

نحو الوصايا القديرة. لأن الذين دعوا لم تطلهم متاعب محبـة الأرضـيات لـذلك سمعوا في الحال الصوت الذي دعاهم. لأن قيود العالم تثقل على العقل والفكر وكل من كان مأسور بها صعب عليه سماع دعوة الله. أما الرسل وآباؤنا والصالحون فهم ليسوا من هذا القبيل بل قد سمعوا كالأحياء وخرجوا وأحمالهم خفيفة لأنهـم ليـسوا مأسورين بالأثقال. فمن الذي يستطيع أن يعيق النفس التي تشعر وتحس بالله وهـي معدة وجاهزة لاستقبال نور الصوت الإلهي عندما يأتي في أي وقت كان..؟ فقد دعا السيد المسيح زكريا " **فأسرع ونزل وقبله فرحاً في بيته** "[1] لأنه كـان ينتظـر أن يراه ويصير له تلميذاً من قبل أن يدعوه. وهنا العجب إذ إن السيد المسيح لم يـتكلم معه ولم يرَ زكريا المسيح بالجسد بل من كلام الآخرين آمن به لأن الإيمان الـذي كان به كان محفوظاً بسلامة. فللوقت عندما سمع خبره وآمن به أظهر إيمانه ووعد بأن يعطي نصف أمواله للمساكين وإن كان قد وشي بأحد يرد له أربعـة أضـعاف وبهذا أشرقت به بساطة إيمانه. فإن لم تكن تلك البساطة التي امتلأ بها فكر زكريـا في ذلك الوقت لائقة بالإيمان لما أعطى ذلك الوعد السخي للمسيح. وكل ما يخـرج كان قد جناه من أعماله عبر السنين يوزعه في وقت قصير. فالذي جمعـه الظلـم ردته البساطة. والذي اقتناه من الأفكار الماكرة بددته النفس الطاهرة. كـل شـيء اقتناه الطمع كفر به الإيمان ونادى بأنه ليس لي لأن الله هو وحده مقتنـى الإيمـان ولا يستطيع أن يقتني معه شيئاً أخر. لأن الإيمان يعتبر كل شيء خـارج عـن ذلك المقتنى الوحيد الذي هو الله هو شيء صغير. ولذلك أيضاً جُعل الإيمان فينـا لكـي نجد ونقتني الله فقط، وكل ما هو خارج عنه هو خسارة. وبهذا الفكر أظهـرت لنـا الكتب المقدسة بأن الإنسان يقترب من الله بالإيمان والبساطة.

ولأجل هذا أيضاً عندما كان آدم وحواء يسيران ببساطتهما الطبيعية، إيمانهم لم يتأثر بالشهوات الجسدية. لذا لدى سماعهما وصية الله قبلاها في الحال وحفظاهـا وحين قال الله لآدم : " **لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر وإن أكلت منها موتاً**

[1] لو 19: 6

تموت " [1] وأن حفظت وصايتي أعطيك الحياة الأبدية فبالإيمان قبل وحفظ، وبالبساطة لم يتذمر من الأمر ويتساءل. لماذا منعني عن الأكل من شجرة واحدة وسلطني على باقي الأشجار، ووعدني بأن يعطيني الحياة الأبدية إن حفظت أمره ؟ أقول : بسب بساطته لم يدن آدم ولم يتعقب. ولكن عندما جاءت نصيحة الشيطان استغلت البساطة، وعلمته المكر والخداع وزرعت في ذاك الفكر البسيط فكراً آخر معاكساً. فذاك الإنسان المتزن والبسيط أصبح له رأيان واحد يريد وآخر لا يريد، واحد يدين والآخر لا، واحتار هل يفعل أو لا، وتلك النصيحة جعلت من الطفل البسيط دياناً لوصايا الله، ولأنه أضاع بساطته لم ينجح حتى في حكمه لأنه حكم بغباوة وأوجب الاستماع للعدو أكثر من الصديق، وللقاتل بدلاً من الذي يحيي، وللذي يعلمهم الشرور أكثر من الذي يعلمهم الخير. إذاً كلما كانوا قائمين بالبساطة كانوا يسمعون لوصية الله، وعندما أرادوا أن يكونوا ماكرين قبلوا نصيحة الشيطان. لأن المكر هو في داخل الشيطان وأما البساطة فهي عند الذين يريدون المسيح. لأن الإنسان لا يستطيع وهو راغب في المكر والخداع أن يتتلمذ للمسيح ويتبع تعاليمه. فالفكر المليء بالخداع يبني ويهدم أفكاراً مضادة باستمرار، ويربط ويحل، ويصدق ويكذب، وتارة يقول عن هذا الأمر بأنه جيد وتارة أخرى يقول بأنه سيئ، ويختار شيئاً آخر بدلاً منه. فالفكر الذي تدرب بالمكر هو جسر للأفكار الهدامة ولا يستقر على وجه واحد ليؤمن به ويتكل عليه.

أما البساطة فهي ضد المكر في كل شيء كما يشهد بذلك اسمها، وليس لديها أفكار متناقضة وقد أخذت اسمها من الاسم الذي يلقب به الله لأنه حتى الله يدعى بسيطاً حسب إيماننا به لأنه لا يوجد فيه تركيب ولا أعضاء كثيرة. وهكذا أيضاً كل من لا يتعامل بالشر ندعوه بسيطاً كالعادة لأنه لا يوجد فيه أي فكر شرير مهما كان صغيراً، ولا يحاول إيجاد مخرجاً للتخلص من الأمور التي تصادفه في العالم، ولا يسئ ويمكر بعدوه ولا يأبه بالأمور التي تقال عنه، ولا يعمل مكائد خبيثة أو يأتي أموراً خبيثة ولا يسئ ويمكر بأحد. إن هذه الأمور لا تعرف البساطة

[1] تك 2: 17

أن تأتيها. ولهذا سلمت لها الأسرار الإلهية في كل وقت لأنها مستحقة لاقتبال الرؤى الإلهية. وكما إن الرسل عندما اختيروا كان معروفٌ عنهم بأنهم أبسط الناس جميعاً. ولأجل هذا اختارهم يسوع ومن بساطتهم أراد أن يخزي حكمة العالم. وبسذاجتهم يظهر بطلان معرفة الحكماء والمعلمين وكما قال بولس : " **بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء** "[1]. وأيضاً قال : " **ألم يجهل الله حكمة هذا العالم** "[2]. وقال أيضاً : " **لأنه إذ كان العالم بحكمة الله لم يعرف الله بالحكمة أستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة** "[3]. وأيضاً قال : لبعض التلاميذ الذين كانوا يفتخرون بحكمة العالم " **فانظروا دعوتكم أيها الأخوة إن ليس كثيرين حكماء حسب الجسد** "[4]. وفي كل هذه الأمور التي قلناها لا أريد أن أظهر أن تعاليم المسيح خالية من الحكمة. بل أن أظهر بأن حكمة المسيح هي أسمى من حكمة هذا العالم، وأن حكمة هذا العالم هي عكس حكمة المسيح في كل شيء. كما إن الظلمة هي عكس النور، والمرارة هي عكس الحلاوة، والمرض عكس الصحة. إن حكمة الله لا تتمجد بهذه الأمور أي التأمل والتفكير بالأمور الأرضية بل بالتفكير بالروحانيات. وإن كل أفكارها ومشاعرها هي أسمى من مستوى هذا العالم، كما يشهد بذلك بولس الرسول عن نفسه ويقول بأني جاهل أمام حكمة هذا العالم لكن بمعرفتي اقتنيت حكمة أسمى من هذا العالم. وعندما يعلم بأن ليس باستطاعة كل الناس أن يسمعوا ويقبلوا تلك الحكمة المعطاة له قال : " **لكننا نتكلم بحكمة بين الحكماء ولكن ليست من هذا العالم ولا من عظماء هذا العالم الذين يبطلون بل نتكلم بحكمة الله في سر الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر** "[5]. وحكمة هذا الدهر لا تكف لتكون أساساً لتقبل بناء حكمة الله، ولذلك وضع المسيح البساطة أساساً لحكمته. فمن

[1] 1 كور 1: 27
[2] 1 كور 1: 20
[3] 1 كور 1: 21
[4] 1 كور 1: 26
[5] 1 كور 1: 6-7-8

لا يعرف كم كان بسيطاً ذاك الزواج الأول (آدم وحواء) لرؤساء الجنس البشري. وكم كانا بسيطين في كل مسالك ذاك العالم وذلك لأنهما لم يكونا قد جربا ولا استخدما شيئاً من أشياء هذا العالم لذلك. كانا قريبين من المناظر الإلهية وكان الله يتكلم معهما وجهاً لوجه، وكان الله بجانبهما باستمرار، كما كان يأخذهما ويحضرهما ويذهب بهما من المكان الذي جبلا فيه ويدخلهما ويضعهما في الفردوس. كما كان الله كإنسان قريباً منهما وهو يظهر لهما كل شيء. ولم يخطر ببالهما قط أن يتساءلا. يا ترى أين يسكن (الله)، ومتى وجد، وهل هو مخلوق، وإن كان مخلوقاً فمن الذي خلقه، ونحن لماذا خلقنا ؟ ولماذا وضعنا بهذا الفردوس وأعطانا هذا الناموس ؟. فكل هذه الأمور كانت بعيدة عن أفكارهما لأن البساطة لا تفكر بمثل هذه الأمور. بل كان فكرهما مجذوباً بذاك الصوت الذي سمعاه وممزوجاً بكلام ذاك الذي تكلم معهما (الله). وكالطفل بالنسبة للذي يتكلم معه هكذا جعل الله البساطة لرؤساء جنسنا البشري ليتقبلوا وصاياه. فالبساطة إذاً هي قبل الإيمان، لذلك فالإيمان هو ابنها، وليس ابن المكر، لأن المكر والخداع لا يصدق بسهولة ما يسمعه. ولكن البسيط يسمع كل الأصوات ويؤمن بها. فإذا كانت للبساطة طبيعتها الطاهرة قبلت كل كلمة تصدر من الله، كالأرض بحسب طبيعتها التي خلقها لها الخالق تتقبل الزرع والغرس النافعة للإنسان. أما وقد أخرجت شوكاً وحسكاً الذي ليس من طبيعتها ذلك لأنها قد عوقبت من قبل الله. فهكذا أيضاً غرست البساطة فينا من قبل الخالق أم المكر والخداع فتقبلهم من الأمور التي تصادفنا في العالم. وأيضاً يشهد لذلك كل المولودين من أبناء الجنس البشري بأن البساطة تتحرك فيهم قبل المكر، بحيث عندما كانوا أطفالاً كانوا مليئين بالبراءة والبساطة، ولكن عندما يتربون في العالم وشيئاً فشيئاً ومن خلال ما يصادفونه من أمور هذا العالم يتعلمون المكر والخداع. فلو خطف إنسان طفلاً ابن سنة وأخرجه ورباه في البرية بعيداً عن الناس وعن كل تصرف أو ممارسات بشرية وحيث لا يرى ولا أي شيء من أمور هذا العالم. حينئذ يستطيع أن يعيش ببساطة وحتى حين يصل إلى مرحلة البلوغ. فبسهولة يمكن لمثل هذا الإنسان أن يشاهد الرؤى الإلهية والأفكار

الروحية، ويكون مستعداً ليصير إناءً لتقبل الحكمة الإلهية. وباعتقادي أن الكاروز الوديع يوحنا المعمدان كان مثلاً لهذا، لأنه كان في البرية دائماً كما يشهد بذلك الكتاب " **حتى وقت ظهوره لبني إسرائيل** "[1]. واستطاع ببساطته التي تربى بها داخل البرية أن ينال ويتعلم الأسرار الإلهية وأخذ قوة المعمودية بالروح الذي ولا واحد من الأنبياء السابقين شعر بها. والأكثر من هذا، قبل أن تبطل اللعنة وتموت الخطيئة وقبل أن يهدم سياج العداوة الموضوع في الوسط الذي كتب بأنه هدم بصلب المسيح. كان هو قد تقبل كل هذه الأمور قبل عملية الصلب. فلذلك أخذته النعمة ليخرج إلى البرية ويظل ببساطته الطبيعية لكي يستطيع أن يتقبل علم الأسرار التي تفوق الطبيعية. وعلى هذا المنوال حين خلص الله شعبه في مصر أخرجه إلى البرية حيث أقتنى هناك البساطة ولذلك أنا على يقين بأنه أخرجهم إلى تلك البرية ليبتعدوا عن الأمور والعادات البشرية والمكر وحكمة هذا العالم التي تعلموها في مصر، ولكي يعتادوا على الطبيعة البسيطة ليتمكنوا من تقبل التعاليم الإلهية بنقاء. ولئن يوجد الكثير من الأسباب لإخراجهم إلى البرية إلا أن السبب الرئيسي في نظر الذين يهتمون بأسرار التدبير الإلهي هو ما ذكرناه. ولكن وبما أن الذين خرجوا من مصر لم يرغبوا في أن يخلعوا عنهم الشرور والمكر الذي تعلموه في مصر بل كانوا ضد مشيئة الله لذلك أقامهم أربعين سنة في البرية لتتلاشى منهم الشرور وما يتبعها. ويزول المكر وكل ما تعلموه من مصر. وأما الجيل الذي ولد في البرية وتربى فيها فقد كان بسيطاً مثل المكان الذي تربى فيه وهو الذي سيدخل ويرث أرض الميعاد. ولأجل هذا استوجب على من يتربون في البرية أن يكونوا بسطاء هذا الأمر الذي يناسب البساطة التي تسمع وتمتثل لوصايا الله. ولكن إن كان أحد يظن بأنهم آمنوا بسبب المعجزات والآيات التي شاهدوها في البرية. أو خوفاً من العقاب الذي أصاب الذين كانوا قبلهم. فإنه سيجد أن الذين خرجوا من مصر قد شاهدوا آيات أكثر بالإضافة إلى المعجزات التي حصلت معهم في مصر : حيث شاهدوا انشطار البحر، والعبور الرهيب، كما شاهدوا رجوع البحر الذي غطى

[1] لو 1: 80

المصريين الذين دخلوا فيه، وتلك المعجزة التي حصلت للمياه المرة حيث تحولت بواسطة الشجرة إلى مياه حلوة وصالحة للشرب، باختصار فإن الذين خرجوا من مصر شاهدوا كل المعجزات والآيات التي حصلت في مصر والبرية وما بينهما. أما جيل الشباب الذين ولدوا في البرية فلم يروا سوى تلك الآيات التي رافقتهم دائماً مثل : العامود، والسحابة، والصخرة التي تنبع ماء، والسلوى التي تخرج من البحر. إذاً كل المعجزات التي شاهدوها هي أقل بكثير مما شاهدها الذين خرجوا من مصر ولكنهم (جيل البرية) ببساطتهم ثبتوا بمخافة الله أكثر من الذين رأوا المعجزات الكبيرة والكثيرة. وأعلم أن كل الآيات والمعجزات التي صنعت لم تستطع أن تزيل وتبطل منهم الشرور التي تعلموها في مصر. وأما الجيل الذي ولد في البرية فقد أبتعد كلياً عن تلك الشرور بفضل بساطته. وأفهم من هذا بأنه بعد وصولهم إلى أرض مأهولة بالسكان في نهاية الأربعين سنة. حلوا قبالة أرض موآب وأرادوا أن يدخلوا أراضي الأمم. وبسبب مشاهدة النساء اللواتي أجلسهن الموابيين أمام إسرائيل زنى معهن ذاك الشعب الباقي من أولئك الخارجين من مصر كما يذكر الكتاب المقدس " **فأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعونَ الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور** "[1]. والذين فعلوا هذه كما قال عنهم الكتاب هم الذين ضلوا من الشعب الخارج من مصر " **وقد تسلط عليهم الموت وأمات منهم أربعة وعشرين ألفاً** "[2]. وهنا يذكر الكتاب إن الستمئة ألف الذين خرجوا من مصر قد قُضي عليهم، وقد قال الله أيضاً : " **لا يدخلوا ويروا أرض الميعاد** "[3] وبهذا نفهم بأنهم هم فقط قد ماتوا من كل الشعب وهم وحدهم الذين زنوا. " **أما موسى وكل إسرائيل فكانوا جالسين أمام الله بباب خيمة الاجتماع ورمزي ابن سالو وهو رئيس عشيرة من سبط شمعون فدخل إلى كزبي بنت رئيس من رؤساء مديان على مرأى موسى وكل**

---

[1] عد 25: 1

[2] عد 25: 9

[3] عد 14: 23

إسرائيل وهناك قام فنحاس وأظهر نبلاً وغيرةً " [1]. إذاً فالضربة كان لهـا سـلطان فقط على القلة الباقية من الشعب الخارج من مصر ومن هنا يجب أن نعرف بأن هم فقط الذين صنعوا هذه الفاحشة وأما الشعب الذي ولد في البرية وتربى بالبراءة والبساطة ومخافة الله كان جالساً مع موسى يطلب بتوبة الرحمة من الله. ولي أيضاً أن أؤمن بذلك مما حصل عندما سكبوا العجل، فهناك أيضاً عندما نزل موسى من الجبل ونظر إلى تورط شعبه عرف بأنه ليس كل الشعب قد شجعوا على هذا العمل ولكن أناس منهم " **فأحرق العجل بالنار وطحنه ناعماً وذراه على وجه الماء** " [2] فعندما شرب منه بنو إسرائيل صار لهم ذاك الماء كممتحن لأفكار الذين قد صوروا العجل في أفكارهم وشجعوا على هذه الشرور وعنهم كتب بأن علامة العجل ظهرت فيهم وهم أيضاً الذين قتلوا بسيف اللاويين. فمن موتهم نعلم كيف أن الضلال بدأ في الذين شجعوا على ذلك، فأصبحوا هم أول الضالين. فأدركهم العقاب الذي أمر به موسى فُميزوا بعلامة العجل التي ظهرت عليهم. ومن هذا الموت المفاجئ والذي سقط فيه أربعة وعشرين ألف رجل قال الكتاب أن عدد الناس الذين خرجوا من مصر قد انتهى. فيجب علينا من هذا أن نعرف بأنهم هم فقط الذين ارتكبوا الزنى بدليل العقاب الذي أصابهم والموت المفاجئ. فقد تذكروا عبادة الأوثان في مصر ولذلك حينما شاهدوها في موآب أكملوا زناهم بها (ببعل فغور). وأما بساطة الودعاء الذين ولدوا في البرية فقد حفظتهم عند الله وببراءة قلوبهم جلسوا عند بباب خيمة الاجتماع يطلبون الرحمة من الله بنفوس بعيدة عن المكر وبأفكار منزهة عن الخبث. ولذلك أعطيت لهم المواعيد الأرضية التي لإبراهيم. وهكذا تدخلت البساطة فورثوا أرض الميعاد، والبراءة وقفت على حدود الميراث الذي وعد به رؤساء قومهم. والوداعة التي أظهروها أمام الرب جعلتهم ينتصرون في حروبهم مع الأموريين. فقد أمر يشوع من بعد عبور الأردن " **بأن يطوفوا حول أريحا سبعة أيام مرة واحدة وفي اليوم السابع سبعة مرات يسير هو مع الكهنة**

[1] عد 25: 6

[2] خر 32: 20

حاملي الأبواق وتابوت العهد أمامهم "[1].. وكان كل الشعب يسير وراء يشوع وخلف التابوت كالأولاد وراء أبويهم. وما قاله الكتاب عن الشعب ينطبق على يشوع الذي كان يتحلى بالبساطة والبراءة فيشوع "**ذاك الصبي لم يكن يغادر الخيمة** "[2]. بل كان هناك دائماً في خدمته لموسى. وذاك إذ حرم من الخروج والدخول بين الجماعة صار هو الأقرب للبساطة. لأنه إن كان المكر والأمور الشريرة تأتي من كثرة المعاشرة. فاعلم بأن البساطة والوداعة تمتلك من التربية والسيرة الهادئة. وكلما أطال الإنسان السكنى في الأمكنة الهادئة كلما أمتلك البساطة بالأكثر. وتشهد التقاليد الاجتماعية بأن الذين قد تربوا بأماكن هادئة لا يتسكعون في الشوارع والطرقات أو يتحدثون مع الكثيرين. وهم أكثر وداعة وبساطة من غيرهم وأكثر تمسكاً بالعدالة التي منها تأتي الاستقامة. وأيضاً الطوباوي داود في كلامه يقرن الاستقامة بالوداعة حين يقول : "**الودعاء والمستقيمون يتبعونني لأني لك انتظرت** "[3] وأيضاً يشهد ذاك النبي على بساطة نفسه وكيف كان مع الله "**كنت بسيطاً لا أعرف كنت كالبهيمة عندك** "[4] إلى هذا الحد تواضع البسيط لكي يكون كمثل البهيمة نحو الإنسان حيث أنها لا تدين أعماله وتصرفاته لأن طبيعتها ليست ناطقة ولا مميزة. هكذا صار علم داود بالنسبة لله أي كالبهيمة التي تساق من الإنسان هكذا وضع نفسه تحت إمرة إرادة الله ولا يدين بشكل من الأشكال إرادة الله. كما يشير إلى ذلك بقوله : "**لأني كنت غبياً لا أعرف كنت كالبهيم عندك بمشورتك تهديني وإلى مجدك تأخذني** "[5]. ويتابع ويقول : "**من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض** "[6]. ولم أقف على تمييز تدبيرك. وإذا أردت أن أعرف ما يرضيك اختارت مشيئتك أمراً آخر. ولأني احترت بمختلف أعمالك

---

[1] يش 6: 3- 4

[2] خر 33: 11

[3] مز 25: 21

[4] مز 73: 22

[5] مز 73: 22

[6] مز 73: 25

سعيت وأمسكت بالبساطة كملجأ لي وصرت معك كالبهيم الذي لا يعرف شيئاً. كي تصبح مشيئتك هي الوحيدة التي تقودني ومعرفتك هي التي تأخذني إلى طريق الحياة. وكل ما يلزم للحياة الجسدية والروحية تعطيني إياها عناية حكمتك. كما يوضح في المزامير بأن نعمة الله تعطى بالأكثر للبسطاء والأتقياء. " **إنما الله صالح لإسرائيل لأنقياء القلوب** "[1]. كما جعل البراءة مقترنة برؤية الله لأن إسرائيل تعني " رأى الله " وأن كل بسيط ونقي القلب يستطيع أن يرى الله كما قال سيدنا المسيح ببشارته " **طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله** "[2]. كما بيّن النبي داود بأن الفكر البعيد عن المكر والعلوم الدنيوية هو أقرب لإدراك عدل الله ويقتني قوة الروح ورجاء ضد أي شيء يعثره " **لأني لا أعرف أعداداً آتي بجبروت السيد الرب أذكر برك وحدك** "[3] وعندما يعلم البسطاء والسذج ومن هم حكماء وعلماء قال : " **اللهم قد علمتني منذ صباي وإلى الآن اخبر بعجائب** "[4] وأيضاً عندما أراد أن يظهر طهارة أفكاره شبههم بالأيادي وشبه طهارتها (الأيادي) من الأثم بالغسل " **وغسلت بالنقاوة يدي** "[5]. أي نقيت أفكاري وتذكرت مدبحك يا الله وأيضاً قال : " **أتعقل في طريق كامل متى تأتي إلي أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي** "[6]. وأيضاً قال : " **لا يسكن وسط بيتي عامل غش** "[7]. ومعروف بأن الغش يتركب من المكر وأيضاً قال : " **جربني يا رب وامتحني صف كليتي وقلبي** "[8]. وأيضاً قال : " **حقاً قد زكيت قلبي باطلاً وغسلت بالنقاوة يدي** ". ومع كل هذا فاختياره يشهد بأنه قد اختير من الأرض التي تصنع البساطة أي من وراء القطيع كما يشير ويذكر هو

[1] مز 73: 1
[2] مت 5: 8
[3] مز 71: 16
[4] مز 71: 17
[5] مز 73: 13
[6] مز 101: 2
[7] مز 101: 7
[8] مز 26: 2

ذلك في أحد مزاميره " **واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم** "[1]. وعندما كان يعلم بأن مملكته كانت تدار أيضا بالبساطة قال : " **فرعاهم بكمال قلبه** "[2] وواضح بأن الوداعة تعني البساطة.

وأما نقاؤه فتشير إليه قصته (سفر صموئيل) من حيث تعامله مع الأمور العالمية ببساطة فمشيره (أخيتوفل) في الأعمال كان يرافقه ويذكر الكتاب بأنه كان مشير داود. فمن السهل علينا أن نتعلم من أمور أخرى ونرى بساطة الطوباوي داود، كحديثه مع يوناثان حيث قال : " **ليس في قلبي إساءة وأبوك يطلب حياتي** "[3]. وأيضاً حين قال يوناثان لأبيه إنه وضع نفسه بين يديك وصنع حرباً وقتل فلسطينيين، هذا الكلام كان يدل على بساطة داود. وأيضاً عندما أشار إليه (داود) الرجال الذين معه ليقتل شاول مكث هو على بسطته. وعلم بأن هذه المشورة هي مكر وخداع دنيوي لكون هذه هي العادة للذين يملكون بالمكر في العالم إذ يفكرون بأبعاد الذين هم ضدهم من أمامهم, وهكذا لكي يملكوه يجب أن يقتلوا عدوه. أما داود فقد بقي على بساطته ورحمته. ويوجد لدينا الكثير من الأمور التي يمكن أن نراها في الكتاب المقدس والتي تدل على بساطة قلب رجل الله هذا. كالتي قيلت من قبل الرب إلى صموئيل " **بأني رأيتُ رجلا مثل قلبي** "[4]. وهنا أيضاً كان يشهد على طهارة قلب داود. وطهارة القلب تُعرف بأنها تتولد من البساطة. كما أن داود في صلاته كان يسأل " **قلباً طاهراً اخلق فيَّ يا الله** "[5] ونرى أيضاً الكثير من الصالحين والقديسين الذين أرضوا الله ببساطتهم. فقد قيل عن التلاميذ الأولين الذين تتلمذوا للرسل بعد صعود الرب إلى السماء بأنهم " **كانوا معاً وكانوا جميعاً رأياً واحداً ونفساً واحدةً وكانوا يكسرون الخبز في البيوت وكانوا يتناولون الطعام**

---

[1] مز 78: 7

[2] مز 78: 72

[3] 1 صم 20: 1

[4] 1 صم 16: 1

[5] مز 51: 12

بابتهاج وبساطة قلب يسبحون الله " [1]**.... " ولم يكن أحد يقول أن شيئاً مـا مـن أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً "** [2]. ومن الواضح أن شركة مثل هـذه تتولد من البساطة. وتسابيحهم من طهارة قلوبهم كانت تصعد إلى الله. وبأنهم كـانوا يتناولون الطعام بابتهاج معاً ولم يكن أحد يأخذ أكثر لأنه وضع أكثر من الذي وضع قليلاً. كانت كل هذه الأمور نتيجة طهارة أفكارهم. وأيضاً أظهر كلام الكتاب بـأن الطوباوي يشوع كان أكثر من الكل برارة لأن تربيته كانت دائماً في خيمة الاجتماع وهو أكثر من كل الناس بساطة وطهارة لأنه تربى بهدوء داخل خيمـة الاجتمـاع وهو الذي أختير لتلك الإدارة المشهورة بعد معلمه موسى. لأن الذين يتربـون فـي الخيمة تكون بساطتهم قريبة من بعضهم البعض أكثر من باقي الناس الذين اعتـادوا على الخروج والدخول وتشهد على ذلك قصة يعقوب وعيسو، **" فعيسو كان رجـل صيد، رجل برية أما يعقوب فكان رجلاً متواضعاً يسكن فـي الخيمـة "** [3]. ومـن أعمالهم نستطيع أن نعرف الفرق في أفكارهم فإن الكتاب في كل مكان يـتكلم عـن عيسو ويشبهه بالماكر والمخادع **" مذخر الغضب وحامل الحقـد، جعـل غـضبهم يفترس إلى الأبد، وحفظوا حقدهم على الدوام "** [4] وأيضاً قال في عضبه (عيـسو) عن نسل يعقوب بأن حقد الحاقدين موضوع فيهم. وأيضاً **" عندما تـسلح وخـرج للقاء أخيه مع أربعمئة رجل "** [5]. من هنا أيضاً يدل على غضبه الدائم فإنـه وبعـد عشرين عاماً من خروج يعقوب من حاران ما زال يطالبه بأخذه لبكوريتـه. ولـولا تواضع يعقوب وإدارة الله المستترة غيرت غضبه إلى طيبة، لكان صنع ما كان قـد نوى عليه عند خروجه. وأما يعقوب فقد صنع في كل هذه الأمور عكس مـا كـان يصنعه عيسو إذ كان من جهة أبويه أو من جهة بيت لابان فقد كان يُرى متواضـعاً ومطيعاً في كل أعماله وقد أجمل الكتاب المقدس تواضعه بجملة واحدة **" ويعقـوب**

[1] أع 2: 44
[2] أع 4: 32
[3] تك 25: 27
[4] عا 1: 11
[5] تك 32: 7

إنساناً كاملاً يسكن الخيام "[1]. وأيضاً من بساطته لم يفكر بـأن يـسرق البكوريـة ولولا إن أمه رفقة هي التي علّمته ذلك وعندما سمع هو هذا الفكر الذي سيـساعده رضي، وببساطة تفكيره لم يعارض. ولكي لا يظن أحدٌ بأن بساطته هي دليل غباء، فالينظر كيف كان محترساً من لعنة الأبوين وكيف ردّ الجواب على تلـك الأمـور (اللعنة) بحكمة " **ولكن عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، ماذا لو جسني أبي فوجدني مخادعاً، ألا أجلب على نفسي لعنة لا بركة ؟** "[2] ولكن أمـه بالإيمـان إذ كانت مصدقة لتلك الوعود التي قيلت لها منذ البدء وللأمور التي جرت لها عنـدما ذهبت لتسأل الرب إذ قيل لها " **الكبير يُستعبد للصغير** "[3]. فأجابت يعقوب وقالت له " **لعنتك عليّ يا ابني** "[4] وما عليك إلا أن تسمع لكلامي وتعمل ما أقوله لك. ففـي الحال سمع لأمه كالطفل. فصنعت وأعطته الطعام الذي يحبه اسحق وكـست يديـه وعنقه بشعر الماعز أي الأماكن القابلة للمس. ويعقوب ببساطته لم ينتقد ما يجـري أمامه. ولكن كالطفل الموضوع أمام مربيته يصنع ما تطلبه منه، هكذا أيـضاً ذلـك الرجل (يعقوب) ببساطته كان يخضع لكل ما تقوله له أمه. وأيضاً عندما أخذ الطعام ودخل إلى أبيه ردد كالطفل ما أوصته به أمه بحيث لم يزد أو يُنقص شيئاً. وعنـدما حان وقت زواجه فلم يخط نحو هذه الأمور بإرادته بل صنع ببساطته مثلما أوصـي من أبويه. أما عيسو فلكونه ماكراً وأراد أن ينغص حياة والديه اللذين احتالا عليـه، ذهب وأخذ من بنات كنعان وهُنَّ (زوجات عيسو) كُنّ سبب مرارة دائمـة لاسـحق ورفقة. وعندما رأى أن كراهة والديه له قد ازدادت بسبب ضجر والديه من زوجاته ولكي لا يُحرم من الوراثة الجسدية. وهذه أيضاً نظر لها بمكر ذهب وأخـذ محلـة بنت إسماعيل مثلما يقول قائل : " **أخذ من الضربة علاجاً** ". وهذه لم يفعلها كـالابن الفطن الذي ندم على ما فعله في السابق. ولكن لكي لا يحرمه اسحق من المقتنيـات

[1] تك 25: 27

[2] تك 27: 11 – 12

[3] تك 25: 23

[4] تك 27: 13

والممتلكات تلك التي كان يحبها عيسو. وكما تضايق من أجل البكورية والبركة ليس لأنه أضاع المواعيد الروحية التي بها بل لأجل وراثة الممتلكات التي أضاعها، تلك التي كان يأخذها الأبكار عادة. وعندما رأى أن حبّ والديه له قد تغير ظنّ بأن له شيئاً أكبر يجب أن يأخذه بالوراثة. فكل هذه الأمور التي عملها عيسو تدلّ على مكره وغشه. ونستطيع أيضاً أن نرى من هذه الأمور بساطة اسحق أبيهما الذي كان يحب عيسو لأنه البكر ولكن عندما شعر بتدبير الله الذي هو أسمى من الطبيعة ودخول رفقة وكَشفَها عمّا قيل لها عندما ذهبت لتسأل الله من تلك الساعة أنتقل حبه من عيسو إلى يعقوب الذي كان مستحقاً لذلك الحب. ولنرى أيضاً طاعة يعقوب ذاك الذي كان كالطفل مطيعاً لأبويه في كل شيء. قالت رفقة " **إن أخذ يعقوب نساء من بنات كنعان فلم الحياة لي** "[1]. لذلك نادى اسحق يعقوب وأوصاه قائلاً : " **لا تأخذ امرأة من بنات كنعان ولكن اذهب إلى لابان ابن بتوئيل أخو أمكَ وخذ لك امرأة من هناك** "[2]. فسمع وخرج مستعداً لذلك ومكتفياً من كل النعم التي كانت في بيت أبويه وكالغريب الذي لا يقتني شيئاً بدأ في طريق سفره ولم يأخذ منهم شيئاً ليستخدمه مثل حيوان للركوب وعبيد للخدمة ومظاهر للتباهي مع باقي أمور الأبهة والجاه، تلك الأمور التي يتمسك بها الكثيرون في يومنا هذا. لكنه خرج من عندهم بعصاته وحمل له زوادة التي هي البكورية والوعود والحسنات بدل تلك الأمور البشرية. وكلامه أيضاً يشير إلى ذلك عندما شكر الله من أجل ما صار له وسأله أن يخلصه من أخيه "**عبرتُ هذا الأردن وما لي إلا عصاي وأما الآن فصار لي فرقتان. نجني من يد عيسو أخي فأنا خائف منه** "[3]. وأيضاً لنسمع كلامه عن ذاك المكان الذي ظهر فيه الله ومنه تتجلى لنا بساطته بالأكثر " **الرب في هذا المكان ولا أعلم** "[4]. فيا أيها الوديع (يعقوب) هل تظن بأن الله يُحصر فقط في الأرض التي سكن فيها والداك ولا يظهر ويُرى في كل مكان للذين يستحقون مشاهدته ؟

[1] تك 27: 47

[2] تك 28: 1 و 2

[3] تك 32: 11 و 12

[4] تك 28: 16

ولنرى أيضاً كم مرة تغيرت أجرته في بيت لابان حيث وبّخه أخيراً بكلامه ذاك الماكر " **غيّرت لي أجرتي عشر مرات فلم يتركك الله لتُسيئ لي** "[1] وأيضاً عندما عمل عنده ظهر غشه مستغلاً بساطته وأدخلَ ابنته الصغرى بدلاً من أختها الأخرى دون أن يشعر. وعندما سأل لماذا عملت هذا الأمر اعتذر له، فسمعت وقبلت بساطته هذا الاعتذار. كم مرة حاول لابان بسبب شره أن يظلمه وتغير من ناحيته بطرق كثيرة بمكره ودهائه لكن صفاء يعقوب لم يتعكر وبساطته لم تضطرب ووداعته لم تتكبر وبمقدار ما كان هو حريصاً على هذه الأمور. بمقدار ما كان الله حريصاً عليه (يعقوب). فهذا هو التعليم المنير لكل من يرغب في العمل مع الرب أن لا يبطل فكره عن ذكر الله، ويُشغله في ابتكار طرق مظلمة تلحق الأذى بأعدائه.

لكن أنت أيها التلميذ البث في صفاء أفكارك والرب هو الذي يعرف كيف يدبر حياتك، ويصنع كل ما هو نافع لك. سمعتَ عن أناس يزيدون أن ينكثوا بك وآخرون يجلسوا في المكآمن ليقتنصوا حياتك، وآخرون أصبحوا فعلة لهدم بنائك، وآخرون يقللوا من مجدكَ ويحقروا أعمالك، وآخرون يحفروا لكي يرموك إلى الأرض من الأعالي التي تقيم فيها، وآخرون يغمزوا، وآخرون يتكلموا بسخرية عليك وبسخرية يرمونك بالشتائم، وآخرون صرتَ لهم مثلاً وحكاية وصار كل اهتمامهم التهجم عليك، ولكن بالرغم من كل ذلك امكث أنت في بساطتك ولا ترجع إلى الوراء من تلك الأرض التي تنظر إليها، ولا تتوقف عن ترديد اسم الله، ولا تنتصر تلك الأمور الخارجة عنك، على المرساة الخفية المرتبطة حياتك بها. لكن تمسك برجاء المسيح الذي لا يكذب مثلما يصفه بولس لنا " **لنتمسك بالرجاء الموضوع لنا الذي هو لنا كمرساة للنفس لكي لا تتزعزع** "[2]. وكالمرساة التي ترمى للأسفل وبسبب ثقلها تتمسك وتقف السفينة بين الأمواج لكي لا ترجع وتضطرب وتنحرف عن مسلكها، هكذا أيضاً الرجاء الموعود به لنا في السماء،

---

[1] تك 31: 7

[2] عب 6: 18 و 19

الذي هو كالمرساة الخفية الموضوعة فوقنا ومخفية عنا في سماء السموات. فلنجعل أفكارنا عندها ونربط بها سفينة حياتنا لكي لا ترجع وتضطرب بأمواج العالم التي تضرب بها، فنخرج عندها خارج الطريق الذي نسير به.

إذاً امكث أنت ببساطتك بالأمور التي سمعتها ولا يغيرك أولئك الذين يتكلمون عليك فتصبح مثلهم. فالعدو يجمع مثل أولئك عليك ويصفهم ضدك لتغير فكرك من حلمه، ويشوشون ويعكرون صفاءك، ويهيجون بساطتك، لتصير على مثال أولئك الذين قد اجتمعوا ضدك. وتمتلئ مثلهم بالحقد وتصير إناءً للغضب على مثالهم وتلبس رداء السوء. وما أن ينزل فكرك عن بساطته التي تنظر لواحد (الله) فتنظر للكثرة (العالم)، فتسمع الأمور التي قيلت عنك، وبهذه الأمور يتغلب عليك العدو كما أراد وتصير له صيداً جاهزا وسهلاً.

ولكن تقوى أنت بالبساطة التي هي إناء البر. وكما إن الإناء الأصلي يقبل كل ما يسقط بداخله، هكذا أيضاً البساطة هي إناء طاهر ونقي يقبل كل أنواع الصلاح. فليكن لك إذاً يعقوب الوديع الذي قصصتُ عليك قصته مثالاً في هذه الأمور عندما يثور عليك كلام الخصام ليعكر بساطتك، وحين تشعر بمشورة العدو الذي يرغب في إعاقتك فكر بهذا الرجل الطوباوي، وتأمل فكره من البداية حتى النهاية، فلأجل هذا كُتبت هذه الأمور في الكتب لتكون سنداً للنفس التي أوشكت السقوط، ولتشجيع الأفكار المريضة بسبب سخط الخاطئ (إبليس). انظر كم احتال عيسو ولابان ليسلبا يعقوب. لكن الرب كان يفشل أعمالهم بدلاً عنه (يعقوب). وإذ كان هو هادئاً ولا يهتم بطرق إبليس كان الله يُرجع عليهم مكرهم وبدل الخسارة كان يلاقيه بالمكاسب. فيعقوب كان يهتم بوداعته والله كان يدبر له الخيرات، هو كان يدبر كل شؤونه كصبي بسيط والله بحكمته كان يصلح طرقه. كان لابان يسعى لخسارته ويعقوب لا يشعر بذلك، الوديع لا يحس، الطاهر لا يعرف، وبدلاً عنه كان الله هو العارف والمشاهد لكل الأمور. وما يعقده لابان يحله الله. يبتدع طرقاً لخسارة يعقوب والعلي يبددها. أوجد (لابان) طريقة لتكثير ممتلكاته وتقليل ممتلكات

يعقوب فأوجد الله طرقاً ضدها، فبينما كان يعقوب ساكناً كان القاضي يـدافع عنـه، وإذ كان هو بكل بساطة يقوم بأعماله كان الله بحكمته يسهل طريقه.

إن هذه الأمور التي حدثت ليعقوب كتبت لك، وهي لك إن مكثـت ببـساطة فكر يعقوب وبصفاء روح ذاك الوديع. فالبسطاء هم أبناء الرب فـلا تخجـل مـن البساطة. وأما المحتالون والماكرون فهم عملاء العدو. فلا تشته وترغب في المكـر فهو أرض تلد الشر. وأما البساطة فهي حقل ينبت البر. لذلك كـان الله فـي كـل الأماكن يتكلم عن البساطة التي ترضي إرادتـه وقـد أصـبحت مـسكنه ومقتبلـة لظهوراته.

" **فعالي الكاهن مع أبنائه كانوا بداخل هيكل الرب نائمين** "[1]. فعندما رغب الرب بأن يتكلم مع الناس، ترك الشيخوخة المتمرنة بالحكمة والخبرة بأمور العـالم. كما ترك الشبيبة التي قبلت المكر والشرور، وأتى إلى البساطة ومعها تكلم واختـار العشرة معها. نادى الرب صموئيل مرتين بقوله : " **صـموئيل صـموئيل** " فقامـت البساطة وأسرعت نحو الشيخوخة ولم يعلم الصبي من الذي دعاه. وبدلاً من أن يرد الجواب لله ردّه لعالي لثلاث مرات لأنه لم يختبر بعد وحي الله. ولكن عالي عنـدما فهم دعوة الرب طلب إليه بأن يرد الجواب لله ولا يسرع إليه. فهم عـالي بـأن الله دعا الصبي فأرسلت الشيخوخة للشبيبة إلى الله لتعرف إرادته. فاحتاج المكـر إلـى البساطة ليعرف بواسطتها إرادة الله. ترجى عالي صموئيل وأراد منه أن يخبره كل ما سمع من الله ولا يخف عنه كلمة واحدة. وإذ شعر بأنه لم يستحق أن يتكلم الرب معه. قرّب رجاءً للصبي ليكشف له السر الإلهي. فصارت البساطة هي المترجمـة بين الله والمعرفة. والشبيبة قبلت وجاوبت، والصبي ذو السنين القليلـة الـذي لـم يكتشف بعد طرق البشر تجلت له معرفة الله. فالله يحل في الودعاء ومـع البـساطة يتكلم. وللساذجين يختار هؤلاء الذين حينما يتكلمون بالكلمة (كلمة الله) لا ينـسبونها إلى ذواتهم ولكن يعلمون بأنها لسيدهم وله يعطون الشكر. ولا تصير كلمة الله التـي

[1] 1 صم 3: 4

عندهم أداة للتصلف والكبرياء الباطل. ولا يتكبروا إذا منحهم الله المواهب فينسبونها إلى ذواتهم ولا يدّعوا أن حكمتهم هي من عندهم. فالبسطاء والودعاء لا يفكروا هكذا ولكنهم يعترفون ببساطتهم بأن الذي عندهم هو لله. وهكذا رأينا أن الله في كل مكان يكره المكر ويختار البساطة لأنه ليس من السهل إيجاد حكيم روحي الذي بتجربته الخاصة قد ذاق طعم المعرفة الحية. لذلك فالبساطة الطبيعية هي محمودة عند الله لأنها هبة منه، وقد جبلت مع طبيعتنا منذ البداية عندما خلقنا الله وجعلها فينا. إذاً فالبساطة كانت موضوعة أمام الجميع. فيوجد من صعد ببساطته إلى العالم الروحي وصار حكيماً روحياً ويوجد من هبط منها حباً بشؤون هذا العالم وهذا يدعى ماكراً ومخادعاً وهو الاسم الحقيقي لهذه الأمور التي ذكرناها. فليس الذين يركزون معرفتهم على الجسديات يُسمون حكماء وليس الذين تمرنت بساطتهم بالروحانيات يُسمون ماكرين ومخادعين. بل الذين يستمدون معرفتهم من العالم هم الذين يُسمون ماكرين ومخادعين، والذين يتمرسون بالروحانيات يُسمون حكماء وعقلاء. لأن الحكمة هي لله فقط، وللإنسان الذي وجه طلبته نحو الله. فلا تستحق حكمة العالم عدلاً بأن تُسمى حكمة، ولا من الفطنة أن تُسمى حكمة الله مكراً وخداعاً، لأنه ليس فيها مكر ولا تقوم على أفكار مركبة ومختلفة، وهذا ما يدعو للتساؤل لماذا يرغب الله بالبساطة وفضلها على حكمة العالم مع أن حكمة العالم هي هبة من الله كقول الرسول : " **لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة** "[1] فمن هنا نعرف بأنه لو لم يكن فينا حكمة عندما أتقنت جبلتنا، ولئن خلت أعمالنا منها. لما استطعنا أن نجمع الحكمة من العالم. لأن حكمة العالم هي موهبة من الله. إذاً لماذا كرهها الله واختار البساطة ؟ هذه معروفة لأن (حكمة العالم) فيها مصلحة شخصية. لأن الذين يقتنوها يكون نظرهم متجهاً نحو العالم وليس إلى الله، وهم يسعون وراءها ليظهروا للناس ولأنفسهم بأنهم حكماء. وخلاصة القول إن نفوسهم مليئة بالشهوات الدنيوية. وهم يرغبون بهذه الحكمة من خلال أعمالهم، رغم الصعوبات وتعب أجسادهم الضرورية للحصول على هذه

[1] 1 كور 1: 21

الطلبة (طلب الحكمة) لذا يظنون بأنهم اقتنوها بأعمالهم التي أنجزوها. لهـذا كـره الرب حكماء هذا العالم واختار عوضاً عنها البسطاء. علماً بأن حكمة العـالم هـي ضد حكمة الله في كل شيء. ولا يوجد فرصة لكي تجتمع مع بعضها البعض. وكما إنه لا شركة للنور بالظلمة. إذا أراد الإنسان أن يتعلم الأمور الروحية عبر حكمـة العالم فيجب أولا أن ينزع عنه أفكار تلك الحكمة وكـل حكمتـه الأولـى، ويبـدأ بالمرحلة الأولى التي هي البساطة والبراءة والإيمان الذي يسمع ويقبل بوداعة. ثـم يبدأ بهذه الطريقة بالاتجاه نحو حكمة المسيح. وبمقابل سعيه واجتهاده قُدماً، تُظهـر له الحكمة نفسها. وأما البساطة الطبيعية فهي ملك لله وليس فيها شيء منا. وهكـذا فهي ليست من إرادتنا ولا من عملنا. لذلك فهي توجد حيـث تحـل مواهـب الله، وتسكن حكمته في المكان التي يعدّه لها. كما حلّت الحكمـة (الله) علـى صـموئيل وتركت الكبرياء، وتكلمت معه وتركت عظمة الكهنوت. ومع أن الكتـاب المقـدس لا يذكر خطايا لعالي سوى إهماله توبيخ بنيه. ولئن لم يشترك معهم بالأعمـال. وإن قال إنسان إن في شبابه كان يسلك مسلكهم إلا أن الكتاب لم يذمه بذلك ولم يقل لـه أنك أخطأت بهذا في شبابك والآن أبناؤك يحذون حذوك. ولكن قال الله لـصموئيل : " **ساعمل في إسرائيل عملاً كل من يسمعه تطن أذنيه لأنه سمع عالي بأن أبنـاءه أثموا في خيمة الاجتماع ولم يردعهم** " [1] فكل ذنب عالي كان الإهمال، وإنـه لـم يوبخ أبناءه على آثامهم. فالكتاب يقول بأنه كان يوبخهم ولكن كان توبيخـه رخـواً وليس كما يستوجب ذلك الإثم. هذا كان كل ذنب عالي الكاهن الإهمال وليس شـراً أقترفه شخصياً. ولذلك اختار الله الصبي الذي هو أفضل منه وجعـل حديثـه مـع البراءة والبساطة لأنه كما يذكر الكتاب بأن صموئيل كان يتربى في هيكـل الـرب مثل يشوع بن نون ويعقوب اللذان تربيا في الخيم كما أشرنا أعلاه. وما يثير العجب أن الله اختار أصفياءه من الذين تربوا في هذين المكانين البرية أو الخيام لأنه فـي مكان مثل هذين المكانين تُقتنى البساطة. فاختار داود وموسى مع باقي الأنبياء مـن البرية وفرزهم لتدبير شعبه. وصموئيل ويشوع ويعقوب اختارهم من الخيام. إذا من

[1] 1 صم 3: 11

هنا نعرف بأن البساطة هي محببة من الله وهي بداية الطريق للذين اقتربوا من الله. وأيضاً نستطيع أن نرى البساطة في هابيل أول بار إذ كان بسيطاً أكثر من قـايين. فقد أشار لنا الكتاب المقدس بأن كليهما قرّبا قرابين لله فقُبل قربان البـساطة ونبـذ قربان الشر، فحقد قايين على الله لأنه رفض قربانه، وعلى هابيل لأنه غار منه. فلو كان بسيطاً لما حسد ولو كان طاهراً لما حقد على الله. وأيضاً نـرى مكـر قـايين وتعامله الشرير، فحين فكر بأن يقتل أخاه ولم يستطع لأنه كان قريباً من والديه قال له لنمض إلى السهل. فهابيل لوداعته سمع وقبل كالطفل ولم تظن بساطته شراً، ولم يفكر لماذا يدعوه إلى السهل، ولم يشعر حتى ببغض قـايين نحـوه، لأن البـساطة لا تعرف أن ترى مثل هذه الأمور. ولكن بوداعة قلبه وبحبه الأخوي كـان يـسلك معه، كما كان يستجيب له كلما كان يدعوه. فانظر هنا إلى أعمال البـساطة وتأمـل في أذى المكر والشر. واحترس على أن تكون من مختاري البسطاء، هؤلاء الـذين في كل زمان أرضوا الله. وانبذ المكر وكشيء لا يليق بك، ولا يصح للتلمذة التـي أنت بها. فأنت تعرف اللباس الذي يليق بك فإذا لبست بخلافه أصبحت سخرية لكـل الناس، هكذا يليق لنفسك لباس البساطة، فإن لبست المكر وبّختَ من قبل الحكمـاء، لأنه ولا في الوليمة (الملكوت) يقبلوا مثل هذا اللباس.

ولنا أيضاً من أمثال هؤلاء يوسف العفيف فإن احترامه لوالديه ومحبته تجاه أخوته كانت تنبع من بساطته. فقد كان محسوداً من أخوته ولم يشعر بذلك ! وكـانوا ينوون قتله ولم يعلم، أمره أبوه أن يذهب ليفتقد أخوته فـسمع فـوراً. رأى أحلامـاً تشير إلى عظمته وإلى استعبادهم وببساطته أظهر لهم استعبادهم ولم يشعر الوديـع بأنه يزيد مكرهم شراً، وإنه بسماع مثل هذه الأمور يزيد الكره عند أخوته. وعنـدما رأى يعقوب بساطة ابنه وبّخه لكي لا يظهرها ليس لأنه لم يصدقها قـال الكتـاب : " **وأما أبوه فحفظ هذا الكلام في قلبه** "[1] بل لأنه كان يؤمن بأنها عتيـدة أن تـتم. لكنه انتهر بساطة يوسف لكي لا ينم بسبب أحلامه كره أخوته. حمـل وأخـذ لهـم زوادة، وعبر من مكان لآخر وهو يسأل عنهم، ولم يعرف أنه يـذهب إلـى قاتليـه

[1] تك 37: 12

وليس إلى أخوته. رآهم وللفور امتلأ سعادة لكنهم بمشاهدته امتلؤوا عبوساً وغضباً. وإذ كانت بساطته تظن الأمور الحسنة وبمشاهدته لأخوته كانت تزداد المحبة. ولكن المكر الذي ولّده الحسد كان أقوى بكثير وكان يفكر (المكر) بالقتل، فظنوا الشر، وصنعوا الشر. ولكن انظر إلى نهاية كليهما وانظر على من رضي الله. فإذا كانت البساطة لا تعرف أن تخفي الأحلام كانت تتزيح على مركبة المجد، وكان الكبرياء مطروحا أمامها على الأرض. تأمر البساطة (يوسف) فيسمع لها الكبرياء (أخوته). فالبساطة كانت تتربى بحكمة الله، أما المكر فكان يزداد شراً. "**لم أرَ حكيماً وعاقلاً مثلك**" [1] قال ملك مصر لذاك البسيط لأن الحكمة هي قريبة جداً من البساطة وفهم الله قريب للودعاء. والبساطة صارت إناء قابلاً للظهورات الإلهية. فجيد للرسول بولس أن يرذل المكر "**غير سالكين في مكر ولا غاشين كلمة الله، بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله**" [2] ها إن بولس يعلمك بأن الغش يتبع المكر وهو إناءً لكل الشرور ولذلك هرب منه. فأي تلميذ لا يكره المكر والرسول قد كرهه وأخرجه وجعله خارج تعليم السيد المسيح الطاهر ولا ينتمي إليه. وكما إن الشر هو عكس الخير، هكذا أيضاً المكر هو عكس البساطة. وفي مكان آخر يكتب بولس لتلاميذه "**لكن إن كنتُ محتالاً لأخذتكم بمكر**" [3]، وهنا أيضاً يُتبع الاحتيال بالمكر. وفي مكان آخر يدين الهراطقة ويُظهر بأن كل تعاليمهم تقوم على المكر "**كي لا تكونوا بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال، بل صادقين في المحبة تنمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس، المسيح**" [4]. أيضاً أظهر ربنا بأن الهراطقة هم محتالين وماكرين فقد قال : "**احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة**" [5]. وأيضاً إن كان إنسان يظهر شيئاً ما، وهو شيئاً آخر، فهو

---

[1] تك 41: 39

[2] 2 كو 4: 2

[3] 2 كو 12: 17

[4] أف 4: 14 و 15

[5] مت 7: 15

عبد للمكر، أي هم ذئاب ظهروا بلباس الحملان. فالمكر هو الذي علّمهم بأن يصنعوا هكذا، لأنه يخدم الاثنين : أي ينبت الشر وينمي الإثم، كما يتحايل في كيفية تعليم الآخرين متى يظهرون الشر ومتى يخفونه. فالشر هو أعمى والمكر هو عيناه. وفي مكان آخر يعلم الرب تلاميذه بأن ينتبهوا من خمير مكر الفريسيين والصدوقيين " **انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين وخمير هيرودس** "[1]، ولتعرف بأن الخميرة هنا هي المكر. وفي مكان آخر عندما قال له الفريسيون بأن هيرودس يرغب في قتلك فوصفه بالثعلب وذلك لمكره " **فقال لهم اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب** "[2]. وإذ ليس له (هيرودس) قوة ليعمل بسلطانه الشيء الذي يريد فهو يخترع وسائل مكر ليحل المكر محل القوة كما أن في الثعلب يحل المكر محل القوة. فالمسيح يقول إني بإرادتي سأذهب ومكرك لا يستطيع أن يسلبني إرادتي، " **فأعمل معجزات اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل** "[3]. فهو كان يحذرهم من مكر هيرودس وشرور الفريسيين لأنهم يعلمون شيئاً، ويعملون شيئاً آخر، فالرب كان ينبه تلاميذه ليس من تعاليم موسى تلك التي كان يعلمها الفريسيون بل نبههم من تقاليدهم. أولئك الذين استطاعوا بمكرهم أن يغيروا التعليم إلى تجارة، وإذ كانوا يظهرون أنفسهم للناس بأنهم صالحون ويحرصون على مجد الله، لكن بأعمالهم الخفية كانوا يهينون الله، ويطيلون صلاتهم لكي يأكلوا بيت الأرامل، وكانوا يعبسون وجوههم ليظهروا للناس بأنهم صائمون، ويغسلوا خارج الكأس والصحفة وهم يظهرون براً ومن الداخل مملوءون كل إثم ونجاسة، كما أنهم يجملون أنفسهم من الخارج بالوقار والعفة للظهور أمام الناس، ومن الداخل مملوءون خطفاً واحتيالاً ودنساً وكل شهوة. ومن هنا نرى بأن الرب أمر رسله بأن يحذروا من تعاليم الفريسيين، لأن كلها خداع والتي تُعمل بطريق الكذب والتي تتولد من المكر. فماذا أمر الرب تلاميذه ليعملوا عوضاً عن هذه الأمور ؟. قد علمهم بأن

---

[1] مت 16: 6

[2] لو 13: 32

[3] لو 13: 33

يكونوا ودعاء مثل الحمام نحو الخير، وحكماء كالحيات نحو الشر، فبساطة نحو الإيمان، وحكمة نحو الضلالات وذلك لكي يكونوا ودعاء، ولا يُضيع الماكرون حياتهم، ولكي تُقتنى الصالحات فيلزمنا البساطة، ولكي لا تضيع هذه الصالحات فيلزمنا الحكمة. فيلزمنا طهارة الأفكار نحو الله، ونحو الناس الذين يمكرون ليأخذوا منا عطايا الله فيلزمنا أفكار حكيمة. فخير شيء أمرنا به الرب بأن نكون ودعاء كالحمام نحو بعضنا البعض ونحوه، وحكماء كالحيات نحو الذين يرغبون بمكرهم أن يفصلونا عن الروحيات، لأن حكمة الحية هي نحو الناس وليس نحو نفسها، فإنها تُسلم جسمها كله للضرب وذلك بحكمة لتحفظ رأسها من الأذى الذي يمكن أن يسبب الموت للجسم كله. وأيضاً التلاميذ الذين سألوه بمكر من فيهم سيكون الأكبر في ملكوت السموات، وبفكرهم الماكر اشتهوا أن يصعدوا إلى الدرجات العلية، فعلّمهم الرب بساطة الطفولة، تلك التي ليس فيها شهوة السلطان والترأس، ولم تنغمس فكرها بمحبة مجد العالم " **الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات** "[1] وأيضاً " **كل من لم يقبل ملكوت السموات كالأطفال بوداعة القلب والبساطة فلن يدخله** "[2] وبولس يعلّم بأن البساطة يجب أن لا تكون نحو بعضنا البعض ونحو الله فقط ولكن حتى العبيد يأمرهم أن يخدموا ببساطة أسيادهم وليس بالخداع والمكر " **أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد في كل شيء لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح** "[3]، وأيضاً للذين يعطون، أمرهم بأنه يجب أن يكون لديهم البساطة في هباتهم " **فالمعطون فبالبساطة والمدبر فباجتهاد** "[4]، لأنه إن وجد مكر عند المعطين، فإنهم يصبحون كمن يمتحنون الذين يأخذون. وبهذا السبب تبطل تلك الهبة. أما ما تعطيه البساطة فلا تحسبه، لأن هذه هي عادة البساطة لا تحسب ثم

---

[1] مت 18: 3

[2] لو 18: 17

[3] أف 6: 5

[4] رو 12: 8

تعطي ولكن بكرم تعطي وتوزع لكل الناس. وهذه هي البساطة التي علّمنا إياها الرب إذ قال : " **كل من يسأل منكم فأعطه** "[1]، ويدعو بولس الواهبين لتنمو غلات برهم وببساطة يوزعون عطاياهم للمحتاجين " **والله يقدم بذاراً للزارع وخبزاً للآكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلاتِ بركم مستغنين في كل شيء بكل سخاء يُنشئ بنا شكر الله** "[2] وهنا أيضاً ببساطة يبارك بولس تلاميذه ليغتنوا إذ يقول : إن الإيمان بالله ينمو ويقوى بالبساطة. وأيضاً قال : " **إذ هم باختيار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع** "[3] وأيضاً قال : " **ولكنني أخاف إذ كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح** "[4]، وهنا علّمنا إن الذي يؤمن بالمسيح يجب أن يستمر بسيطاً في تعاليمه، وقد قدم حواء مثالاً بأنها لم تخدع بمكر المجرب إلا بعد أن تركَت البساطة في ما يخص وصايا الله. وحتى السلام المقدس الذي في نهاية كل رسائله كان يوصي به تلاميذه بأن يعطوه لبعضهم البعض. هو وليد البساطة التي تضفي عليه صفاء الفكر، وأيضاً يقول : " **إن كنا نعيش بالروح فالنسلك أيضاً بحسب الروح ولا نكن معجبين نغاضب بعضناً بعضاً ونحسد بعضناً بعضاً** "[5]. فإن كان الإنسان يعيش بالروح ويسلك بالروح فهذه من البساطة وصفاء الفكر.

جيد لتلاميذ المسيح أن يسلكوا بالبساطة وان يجدوا لصفاء فكرهم ولا يحسدوا الذين يسعون إلى الغش والخداع وأعمال الشر لكي ينالوا المجد الدنيوي. فها إننا قد تعلمنا من كل الأسفار المقدسة في العهدين القديم والجديد، بأن الإنسان يقترب من الله بالبساطة، وهي ستصبح مسكناً له. فإن تعاليم الكتب والتجارب تظهر لنا بأن القداسة قريبة للبساطة أكثر منها إلى المكر. فإن المخادعين

---

[1] مت 5: 42

[2] 2 كو 9: 10 و 11

[3] 2 كو 9: 13

[4] 2 كو 11: 3

[5] غل 5: 25 و 26

والماكرين، وإن كان لهم أعمالٌ يظهرون فيها بأنهم صالحون، ولكن لهم ميولاً أخرى، لذلك يجدّون بالأعمال ليغذوا الميول المتحركة بنفوسهم، كالعظمة والمجد والسلطان التي يرغبون في اصطيادها من خلال القيام بهذه الأعمال، وأما البساطة فليس لها هذه الأفكار في أعمالها. فإن الذي يديرها إما الناموس الجيد الذي قبلته وتستقر عليه. أو الخوف من ترك المحبة نحو الله التي تحفظها في أوقات الشدة، فإن وصل إلى هذا المستوى من المحبة فإن الخوف هو الذي يحفظ ويسند البساطة.

فلا تخجل أيها التلميذ من هذه الموهبة الجيدة، بل تمسك بها من بداية تلمذتك وإلى نهايتها، وكل الحسنات سوف توجد عندك. فببساطة الإيمان خضعت لله وخرجت من العالم ولم تتعقب وتدين ما قيل لك. فإن كنت قد مكرت فلم تكن قد خضعت له، وإن كنت قد أنصت لكلامه بأفكار ماكرة ما كنت خرجت وراء الله الذي دعاك، وما كان أحد من الذين دعوا وسمعوا الله يسمع لكلامه ويطيع أوامره عندما دعاهم ليأتوا وراءه ويصبحوا خداماً لتدبيره للبشرِ بأي شكل من الأشكال. فمن البساطة الطبيعية تتولد صفاء الأفكار الروحية. انظر إن الفكر البسيط الذي يستطيع أن يقبل حتى العلم الدنيوي، فلطالما الشبيبة بسيطة جداً تقبل علم هذا الزمان وتخشى من المعلمين. وكلما نمت بالقامة، كلما ازدادت خبرة في الدهاء البشري، فتستخف بالمعلمين وترفض العلم. أما البساطة فتقبل العلم الروحي وتخشى من المعلم، وتحرص كي لا تتساه. وإذا أراد إنسان أن يعبر من المكر إلى الشهوات، يرفض في الحال العلم ويستخف بالله.

إذاً لنتمسك ونتنبه لهذه الموهبة الجيدة، ولتكن كل أعمالنا بصفاء القلب وكراهية المكر ونبتعد عن الخداع، وننبذ الشر، ونحذر من الغش، ونبتعد عن التآمر، ونهرب من الذم، ونطرح عنّا اللسان الذي يغتاب الآخرين، وبفكر بسيط وذهن صاف نمجد الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس، إلى أبد الآبدين آمين.

المقال الخامس
في البساطة

يجب أن نتحدث عن الفضائل الروحية في كل حين في هذا المكان الذي يعتبر متجر الفضائل. لأني أرى أنه حتى أنتم (تلاميذ المسيح) تشتهون أن تسمعوا كلاماً يساعدكم. وليس كلام لهو وشغب. لأن كلام اللهو أو التسلية هدفه إثارة الشغب لدى سامعيه، فمثل هذا الكلام هو غير مرغوب فيه بهذا المكان العفيف. ولكن بحسب المكان يجب أن يكون أيضاً الكلام الذي ينطق به، لأن المكان الذي نجتمع فيه هو مكان الفضائل والمنافع الروحية، إذاً لنتكلم فيه بالكلام البسيط الذي يحمل بداخله الفائدة للمتحدث والسامع معاً. لأنه مكتوب : " **ولكن ليشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم في جميع الخيرات** " [1]. لقد تكلمنا سابقاً عن البساطة وطهارة الكلام. أيضاً أريد الآن أن أتكلم عن هذا الأمر المفيد، وهو أمر يناسبنا، فالبساطة هي من شأننا ولا يوجد طريقة يمكن أن نصنع الأمور الصالحة بدونها. فكما أنه لا يمكن للأعضاء (للجسد) أن ترى بدون العينين، هكذا أيضاً الأمور الجيدة لا يمكن أن تعمل بدون البساطة. وكما إنه في حال كانت العيون مصابة بالعمى، فتظلم كل الأعضاء. هكذا إن بطلت البساطة تتعطل كل الصالحات. فبالأكثر تليق البساطة بالمتوحد وبالذين قد تركوا العالم وأصبحوا خارجه. فهؤلاء يناسبهم بالأكثر صفاء الذهن. حيث لا وجود لأية صورة من صور العالم، وحكمته ليس لها لزوم أيضاً إذ ليس لدينا بيع وشراء، كما لا يوجد لدينا مقايضة من أجل الربح الزائد،

---

[1] غل 6: 6

وليس لدينا هنا من يريد أن يستعلي على أخوته، أو يَظهر بسلطان أكثر من رفيقه، وليس هنا غالب ومغلوب لأنه ليس لدينا هنا أسباب للتفضيل، وليس لدينا أيضاً حقولاً وكروماً للقسمة، ولا أراضٍ للتقسيم والتحديد، وليس هنا من يرغب في أن يكون غنياً أكثر من أخيه، ولا أن يتنعم بمقتنيات هذا العالم أكثر من بني جنسه، وليس هنا من يريد أن يظهر بلباسٍ زاهٍ لأن لجميعنا لباس واحد وهو لباسٌ بالٍ وبسيطٌ، وليس هنا من جعل نفسه عبداً لبطنه ويريد أن يجد له طعاماً جيداً فكلنا نأكل من مائدة واحدة بسيطة، وليس هنا من يريد أن يخطف مجد أخيه فإننا كلنا نُلزم باحترام بعضنا بعضاً، وليس هنا من يُدِين أخاه لأن لجميعنا ديانٌ واحدٌ لأننا جميعنا كما قلنا واحد، وليس هنا من يريد أن يبني وآخر يشتهي أن يقيم له قصوراً لأن لكلنا مسكنٌ واحدٌ إجباريٌ وهو المحبس (مسكن الرهبان)، وليس هنا من يرغب في توسيع مسكنه ويعد لنفسه علية مذهبة لأن لجميعنا مسكنٌ ضيقٌ ومحدودٌ ومتواضعٌ للنوم على الأرض. فإن كانت كل هذه الأمور هي غريبة عنا، فمكر هذا الزمان لا يجب أن يتواجد هنا. ففي المكان الذي تستبعد فيه أعمال العالم هناك يجب أن ينبذ فيه المكر. فحيثما كانت الأمور الجسدية مرذولة فهناك يجب أن ينبذ المكر الذي يدافع عنها. وفي المكان الذي يصلب فيه الإنسان العتيق مع كل عادته، فهناك يجب أن يصلب المكر نصير الإنسان العتيق. وحيث ينبذ الكذب فهناك يجب أن ينبذ المكر الذي هو أبو الكذب. وحيث يرمى الخداع فهناك يجب أن يرمى آباؤه وأصوله. فالجماعة التي لا يوجد فيها خداع، لا مكان للكذب فيها، ويجب أيضاً أن يرذل المكر والاحتيال اللذان هما أصلهما.

ففي المكان الذي فيه لباس الشعر المتواضع هناك يجب أن تحترم البساطة اللائقة بهذا اللباس. فليس جيد لمثلنا لباس القطن، وليس جيد لحالتنا ألبسة مزينة بالصور والنقوش. وعلى هذه الأمثلة وأكثر منها، لا يليق المكر بتَلمذتنا ولا الخداع بمن هم على شاكلتنا، كما إنه من غير اللائق بنا تزيين الرأس الذي يليق بناقصِ الحشمة والفاسدين. وكذلك لا يناسبنا الخداع الذي هو بدعة الشيطان الأولى، فالمكر هو من ممتلكات الشيطان وكل خدامه. أما البساطة فهي غنى المسيح وكل تلاميذه.

فالمكر هو الوحيد الذي يناسب أمور العالم، كما يناسب أيضاً كل من جعل نفسه لخطف ونهب الآخرين ولظلم وخيانة أبناء جنسه. فالخديعة تناسب هؤلاء. فالحكمة لا تسكن في النفس الملوثة بالشرور. يقول سليمان الحكيم : " **فالحكمة لا تلج النفس الماكرة ولا تحل في الجسد المسترق للخطية** "[1]. فالنفس الملوثة بالشرور هي مليئة بالمكر، لأن المكر هو من أوجد الشرور. فالذي يريد أن يتجند للشهوات يسعى للتتلمذ للمكر لتبرير مساوئه وليجد الجواب لكل السيئات التي يصنعها. فمن حيث تُنبَذ الشهوات وتطرد منه الأهواء البشرية، فمن هناك يجب أن تستأصل جذورها، ويقطع ويرمى الذي ينميها، فليس هناك مكر في السماء، وليس هناك احتيال لدى جبرائيل وميخائيل، كما إنه لا يوجد مكر في الأماكن الروحية، وليس هناك ظلمة الغش في أورشليم المنيرة مدينة الأحياء. وليس هناك من يفكر بكافة الوسائل لينتصر بالكذب، لأن الكذب لا يتواجد في ذلك المكان. ليس هناك من يحاول إخفاء رذيلته، وليس هناك من يمكر ليخبئ سيئاته. فكما إن هذه الأمور لا توجد في أرض الروحانيات، هكذا يجب ألاّ تكون في المكان الذي هو مثال لذلك المكان (الروحي). فهذا العمل هو على مثال ذاك العمل الروحي، وهذا المكان هو بمثابة ذاك الذي في السماء. فسلوككم أيها اللابسون الجسد يشبه سلوك أولئك السماويين الذين ليس لديهم جسد. فلكم قد أُسلم هذا الكلام الذي كرز به بولس : " **وإن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب** "[2]. فأمام العيون أنتم تُشاهدون جسديين، ولكن عملكم كله هو روحي، فأنتم ملائكة جسديون، وروحانيون لابسي الجسد، ومسكنكم هو طاهر ونظيف ونقي ومقدس ومثال مطبوع للمسكن العالي الروحي.

فأعمال تلاميذ المسيح تقوم على البساطة، وإن أزيلت عنها البساطة صارت أعمالاً جنونية، فالبساطة هي افتخار عندنا والذي يقتنيها هو حكيم. فكما إن الذي يكون بسيطاً في العالم يدعى غبياً من قبل الأغبياء. هكذا في هذا المكان الروحي

[1] حك 1: 4

[2] 2 كور 10: 3

يجب أن يدعى الماكر غبياً من قبل المميزين. لأنه أقتنى في هذا المكان ما ليس مناسباً له، ووجد فيه شيء ليس منه. فلا يوجد إنسان يطلب في أن يجد أشجاراً وزرعاً وأغراساً في وسط الأمواج، ولا يوجد من يطلب أن يجد أمواجاً على اليابسة. فكل شيء يطلب في بيئته حيث يوجد. هكذا أيضاً لا يليق أن نجد المكر في المكان الروحي الطاهر، لأن أرض المكر هو العالم المليء بالشرور، وكما أنه لا يليق الغمز في بيت العزاء، هكذا لا يليق البكاء في بيت الفرح، وهكذا لا يليق أن نجد المكر في أرض البساطة، أرض الفضائل الروحية. فإنها خسارة لأرض الروحيات أن يوجد فيها المكر. فإنك لا تتكلم بأمور العمل مع أخيك فلماذا يلزمك المكر، ولست جالساً في كمين لتقتل بطياشة صديقك، أنت في الدير فلماذا يلزمك المكر والخداع. لماذا تتكبر أيها الغبي بالشيء الذي لديونتك ؟ ولماذا تتباهى بالشيء الذي يخجلك ؟ ولماذا تفتخر بالممتلكات التي ليست لك ؟. تذكر بأنك ستدان بسبب الحيلة التي أخذتها من العالم، فكل شرور العالم هي عندك. لأن الثمار تتبع الشجرة، والمكر هو شجرة ذات الجذور الشريرة كلها، وحيث ما وجدت فهناك توجد كل الشرور. وإن لم تكن ظاهرة للعيان لكنها مستترة في الفكر الباطن، فمرض النفس هو المكر، كما إن صحة النفس الحقيقية هي البساطة. فمتى رأيت مريضاً يفتخر بمرضه ؟ أو متوجع يتباهى بوجعه. فالراهب الماكر يجب عليه أن يخجل لأنه وجد في حالة لا تليق به. فكما إنه مخجل له بأن يُرى بصحبة زانية، هكذا يجب أن يخجل إن وجد عنده المكر الذي هو بمثابة الزنى. وكالزانية في داخل السوق، هكذا المكر في داخل النفس. وكما إن الزانية تتكلم مع كل الرجال، وتتغير بكل الأشكال لتَظهر لكل إنسان بأنها شبيهة له، هكذا أيضاً المكر فإنه يُرى بكل أشكال الفكر، ويخترع صوراً جميلة مستعارة ليظهر لكل إنسان بأنه مثله. كتلك التي كتبت بإتقان من الرسول بولس : " **صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً** "[1]. وهذا ما يعمله المكر ليكون الكل في الكل، وليضيع كل الناس ويسخر

---

[1] 1 كور 9: 22

ويهزأ من كل الناس. فإن كانت هذه هي أعمال المكر فكيف تصلح لتلميذ المسيح ؟ وكيف يمكن أن تكون من المتوحدين البسطاء ؟

فأنظر بعين المعرفة وأفهم كل هذه الشرور بأنها تنبت من المكر. فالغش منه، والكذب موجود فيه، والنميمة هي قريبته، والسخرية هي حبيبته، والتكبر هو الذي يقتنيه، وملجأ الشرور هو بيته، والضلالة والانحراف هما تعاليمه، ومع السرقة اشتراكه، للفسق هو المعين، ومحام عن الزانية، والنميمة هي لباسه المدلل، والمكائد منه تصاغ، وشهادة الزور هو الذي يهيئها، والافتراء الكاذب هو أبوها. وأخيراً نقول بأن كل الشرور أقامت لها المكر معيناً لكي يدافع عنها، فمنها يغطي عليها، ومنها يعطي جواب عنها، ولبعضها ينكر وجود افتراء من قبله، ويكثر البراهين والأمثلة في أجوبته. ولبعض الشرور يغير شكلها بشكل آخر ويقول بأنه ليس لذلك قد صنعوا هذا الأمر وليس لأجل هذا الهدف قد عملوا هذا الشيء. لديه يجتمع كل كلام الكذب، هو الذي يساعد القضاة إذا أرادوا أن يختلسوا، والرؤساء يستخدمونه إذا أرادوا أن يأخذوا رشوة، وهو الذي يساعد الأشرار عندما يُدانون، وتأخذه المرأة التي تريد أن تخرج عن الناموس من رجُلِهَا (تزني) لمساعدتها، وعندها تخرج لتتيها بالقبائح، يتعلمه التلاميذ وهكذا يبدؤون بالكذب على معلميهم، المحامون أمام القضاة يتكلمون ومن غِناه يُركبون كلامهم ومن مكياله يصغون اعوجاج كلامهم، هو الذي يفرش مصائد الآثم، وهو يفتح الفخاخ على الطريق أمام المارة، وهو يدفن شرك الغش، وهو يحفر حفرة الهلاك، وهو الذي يطالب بالأخذ بالثائر. حتى الكذب يأتي إليه فهو لا يعرف كيف يدافع عن نفسه فالكذب حاضر ليكذب لكن كيف يكذب ؟ المكر هو الذي يلقنه. والإرادة الشريرة مهيئة عند الكذب لكن كيف يظهرها بالعمل ؟ فالمكر هو يرشده إلى ذلك. يبدأ الكذب للسير في الطريق ضد الحق، ويدعو المكر ليكون له مساعدٌ ثم يغادر. المكر هو معلم كل الشرور. ووكيل حاضر لكل المكرهات. يأخذ أشكالها كلها، ويقدم عن كلها الجواب أمام القضاء. وكأن المكر يقول لكل الشرور : أنت. أيها الشر أسيء قدر ما تستطيع، ولتفرح كل أعضائك بالشهوات، ولتتلذذ كل حواسك بما تحب، وكل ثمارك

لتجتمع فيها لذتها ولتنضج، وكلّ ما تشتهي وتلذذ ولا تبالِ، تنعم ولا تـدع عينيـك ترى شيئاً وكأنه سيئ، أكثر من الأثم كما ترغب، وإرتكب الخطايا وأزنِ كما تشاء، أكمل شرورك ولا تخف، وأتمم كل الـسيئات ولا تفـزع، ولا يرهبـك النـاموس ولا يخيفك الديان، ولا يرعبك صوت السلاطين، ولا يفزعك صراخ الأسياد، فأنـا عوضاً عنك أتأهب وأعطي جواباً عنك أمام كل الموبخين، فسهل علي أن أضفر لك المجد من رذائلك، وأن أعقد لك إكليل النصر من الرذائل التي يظن الـبعض بأنهـا تدينك، فكل أفكاري هي لك وكل أرائي لأجلك، وخبرتي في الليل والنهار وفي كـل وقت حضارة لإعطاء الجواب عنك، وأفكر فيك في كل وقت أيها الشر لكي تتـنعم بالراحة، وأنا أتعلم العلوم التي تجعلك منتصراً، ولا تفكر بماذا تجيب أو بما تـتكلم أمام القاضي فأنا أعطي الجواب عنك، وأنا سأسكت رؤسـاءك، وسأنتـصر علـى العدل الذي يقف ضدك، وأنا سأسكت استقامة القضاة أعدائك، فأنا لسانك أيها الـشر وأنا قد تجهزت لأصير فماً متكلماً عنك، فأي لسان يريد أن يقاضيك سأقف أمامـه وأرد عليه،. فكل هذا التشجيع يقال من قبل المكر للشر. وهذا الكلام يمنحـه كـي يجره إلى الآثم. ولذلك فإن المكر هو أشر من الشر نفسه. وهو قوة الخطيئة وحيـاة المكرهات. وإن لم يكن هناك مكر فلربما سكت الشر من فزع الخطيئة ومن الخوف من الدينونة المعدة له من قبل العدل. فالمكر هو أشر من كل الشرور، وهو جـسر للخطيئة التي متى سقطت على الطرقات وسلبت كل الناس تسعى إلى بيت ملجأهـا المكر لكي يجيب عنها أمام القضاة. وتستتر به كالبرج أمام تفتـيش العـدل الـذي يخرج ليفحص أثارها. فانظر بما هو افتخارك الشرير أيها التلميذ الغبـي ؟ وبمـاذا تتكبر أيها الذئب اللابس ثياب الحمل ؟ فإن كان مكرك بك فكل الآثام ستكون فيـك. وإن كان الاحتيال في نفسك فكل الخطيئة تسكن فيك، وإن كانـت حياتـك ملوثـة بأدناس الكبرياء، وكل الشرور تسكنك. وإن كانت سيئاتك لا تظهـر علانيـة، لأن المكر يخفيها. فهذا ما يعد به المكر لكل من يرغب في أن يكون تلميذاً له. أي بأنـه سوف يستر خطاياه. فلهذا لا تليق بك هذه التي هي أم الشرور.

فأنت إذاً أيها التلميذ المستقيم، أفرح بالبساطة التي بها تسير نحـــو طريـــق العدل، ولا تستح بأن تدعى طفلاً فهذا الاسم ينسجم معك. وهذه الدعوة تليـــق بـــك، فبها تعرف بأنك طاهر من الآثم. فاسم الطفل يدل على صفائه كما إنه صفة البسيط. وهذه أيضاً تبرهن بأنه لا يوجد فيه غش. فكما إنه لكل حرفة في العالم أو مهنة في المملكة البشرية لها اسم يعرف به مكانها ونوعها. هكذا أيضاً التلميذ يـــدعى بهـــذا الاسم بسيطاً. فما أسعدك لتدعى بالاسم الذي يدعى به الله. فاسم البسيط يدل علـــى كل شيء أحادي، فالبسيط لا يوجد فيه غش ولا تُعد عنده المصائد ولا يـــستقر فيـــه الكذب، ولا توجد فيه فتنة ولا تسكنه الوشاية، ولا يتغيب (يتكلم بغيابه) ابن جنـــسه، ولا يريد أن يسئ، ولا يرغب بالغش، ولا يوجد فيه غش لقريبه، ولا يظن الـــسوء بأخيه الذي يسكن معه بهدوء. ولكنه إناء صافيٌ ونقي، وجيرته جيرة منيرة. وكمـــا أن الطفل طاهر ولا يتأثر بأي من هذه الشرور. هكذا لا يتأثر فكر الإنسان البـــسيط بأي هذه الشرور، فالطفل نظراً لطفولته لا يفكر بالشر، والبـــسيط نظـــراً لبـــساطته لا يفكر بالمكرهات. لأن اسم البسيط يجمع كل الحسنات، كما إن اسم المكر يجمـــع كل الشرور. فالبساطة هي الحقل المحروث الذي يتقبل الزرع وكل شتائل الفضائل. والمكر هو الأرض المليئة بالأشواك والحسك التي هي الأفكار المتشككة والباطلـــة. وكما يُعاق الزرع الجيد في الأرض المليئة بالأشواك والحسك، هكذا تعاق التربيـــة البسيطة في الأفكار المتشككة والباطلة للمكر. وكما ينبت الزرع الجيد بسلام داخـــل الأرض الخالية من الشوك والحسك، هكذا أيضاً تتربى الكلمة الصادقة داخل الأفكار البسيطة. فالبساطة لا تدين كلام الإيمان، ولا تتعقب وتسأل. لماذا أمر الله هكـــذا ؟. ولا تعترض على ما أمر به الله لتنفيذه. ولكن تسمع باســـتقامة، وتعمـــل بـــصفاء، وتحفظ ببساطة، فليس للبساطة مشقة في كل أعمالها، وليست مجهدة بأفكار تـــربط وتحل بعضها البعض،. فسهل على البساطة عمل الحسنات، كما إنها تقوم بالأعمال بدون طلب للمنفعة، ولهذا علم سيدنا يسوع المسيح تلاميذه صـــفاء الأطفـــال لكـــي يُكسبهم البساطة. فقد كره الماكرين وأختار البسطاء. وأبعـــد المحتـــالين والكتبـــة. وقرب إليه البسطاء والسذج. فحنانيا كـــان محتـــالاً وقيافـــا مـــاكراً، والفريـــسيون

متصنعون والكتبة غشاشون، وهؤلاء كلهم نبذهم فادينا، وأختار بدل قيافا بطـرس، وبدل حنانيا يوحنا، وبدل الكتبة اندراوس، وبدل الفريسيون متى، وبـدل العـارفون فيلبس، وبدل المخادعون تداوس، وبدل الماكرون يعقوب. أي أختار البسطاء بـدل جماعة الماكرين. وأولئك الذين لا يعرفون، بدل الذين يظنون أنفسهم بأنهم يعرفـون كل شيء. ففي كل زمان كان الحق يزدهر بالبساطة، والإيمان يـشرق بالطفولـة. وبعد أن كره الرب مجمع العارفين وزمرة الماكرين والمخادعين. أختار الـصيادين والبسطاء وغير المثقفين : وعاد وعلمهم لكي يزيدوا في بساطتهم، ولا يتوقفوا على ذاك المستوى الأول من الطفولة. فأخذ طفلاً وأقامه بينهم وإذ كان ينظر إليه الجميع قال : " **إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات** "[1]. وقـد فعل الرب ذلك لأنه رآهم أنهم يريدون أن يبتعدوا عن فكر بساطتهم إلى الـسلطان والمجد. وبأن يأخذوا مناصب الواحد أعلى من الآخر، وسـلطان كهـذا لا يريـده البسطاء، بل يريده الفكر الذي يميل إلى المكر. لذلك زجـر الـرب صـاحب هـذا السؤال الماكر. وقال : لتلاميذه وهو يوبخهم ويزجرهم. إن كنتم لي فكونوا بسطاء، وأن كنتم تشتهون ملكوت السموات فتشبهوا بهذا الطفل. وإن أردتم الحيـاة العتيـدة فامكثوا في البساطة. فلست أريد أن تتحولوا من بسطاء إلى ماكرين، بل من بسطاء إلى حكماء. فالذي يريد أن يتحول من بسيط إلى ماكر. أي يريـد أن ينـزل نحـو الأسفل. وأما الذي يريد أن يصير بالطفولة حكيمٌ فإنه سوف يـصعد إلـى الأعلـى ويرفض تعليم المكر. لذلك اخترتكم لأنكم بسطاء ونبذت المكر الذي لدى الآخـرين. فاحذروا لكي لا تبتلوا به فأكرهكم أيضاً. فليكن لكم هذا الصبي مثـالاً، فكمـا إنـه لا يشته شيئاً من هذا العالم، ولا يسأل شيئاً من أمور الناس، ولا يرغـب بمناصـب ومجد وغنى وسلطان، بل فقط طعامه ولباسه الذي تحتاجه طفولتـه. وهكـذا أنـتم أيضاً صيروا أطفالاً على مثاله وبسطاء مثله لتصيروا تلاميذ مختـارين. وتوجـدوا لي كما اخترتكم.

[1] متى 18: 3

فها إن المسيح أيضاً قد شجعنا بوصيته هذه على البساطة، ويلفت نظرنا لنكون ودعاء وأنقياء. فلا يجب أن نخجل من البساطة ونهملها كأنها شأن ما من شؤون هذا العالم لا يناسبنا. ويُحتقر البسطاء في أعيننا ونحسبهم بأنهم لا يصلحون لشيء، فهم لا يلزموا لهذا العالم. ولكنهم يلزمون ويُطلبون لملكوت السموات. لأن الذي يرفض من قبل الناس يكون مختاراً لدى الله، مثل الرسل الذين كانوا مكروهين من كل الناس، كما كان أيضاً الرب يسوع مكروهاً من جميع اليهود. هكذا كل من يكره البسطاء ويهزأ ويستخف بهم يحصى مع اليهود والفريسيين والكتبة الذين كرهوا المسيح وتلاميذه ويحصى هذا الوقح مع اليهود. فأنظر العقاب الذي وضعته كلمة السيد المسيح على " **الذي يعثر أحد هؤلاء الصغار** "[1]. وأنتبه لكي لا تعثرهم، إذ إنها عظيمة جداً هذه الكلمة بمعانيها. " **من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر** "[2]. فلا يتجاسر أحد ويسخر من البسطاء والودعاء لأنه لو ازدريت وسخرت منهم وهزئت بهدوء البسيط واستصغرت وداعته وحسبت بأنه لا شيء وغير مناسب. فبتأثيرك يجبر فيخلع ويرمي عنه صفاءه وينزع منه بساطته. وتكون كمن صرت علة له ليهرب ويسخر من الطفولة التي ظن نفسه بها غبياً من الوقحين. وصار كأنه لا شيء بسبب سخريتك منه وسخطك عليه. وعثرتك له كانت سبباً ليترك أعماله الأولى ويتمسك بأعمال أخرى التي هي ضد الصفاء . ففي حين كان هادئاً صار يكره الهدوء ويمجد ويختار الكلام أكثر من الهدوء، والمكر أكثر من البساطة الأولية، والخداع أكثر من البراءة، وجعلته غاضباً وساخطاً بعد أن كان مسالماً وطيباً. وبذلك أعثرته وألزمته بسخطك عليه وجعلته يحول حسناته إلى شرور. وكان خيراً لك أن يعلق حجر الرحى في عنقك وتلقى في عمق البحر من أن تعثر واحداً من أولئك الصغار المؤمنين بالابن. فأنظر حتى من الرب قد دعوا صغاراً لأنهم يرون

[1] متى 18: 3

[2] متى 18: 6

أنفسهم أصغر من كل الناس ليعلموك بأن لا ترذلهم. لأنهم سعوا نحو الأمور الصغيرة، ولكن من أجل هذه الأمور يجب أن يكبروا في عينيك.

فبسيطة هي رؤية البسطاء، وبسيط ومحتقر شكلهم، ومن يريد أن يستهزئ بهم فمن ظاهرهم يستطيع أن يجد السبب لاستهزائه وذلك لأنه ليس لديهم الفكر الذي يجمل ظاهرهم أمام الناس، ويظهرهم أمام العالم بأنهم علماء وأصحاب معرفة. ولكن بسبب هذه الأمور يجب أن يكبروا عندك ويكون بؤسهم سبباً لتعظيمهم، وحقارتهم سبباً لمجدهم. ففي المكان الذي يكون فيه الإيمان محفوظ بسلامة ولم تفسده أفكار المكر، فإنه (الإيمان) يكرم ويكبر البساطة ويحبها ويتكل عليها. فكم تكون محتقرة في منظرها فإنه من التجارب نعلم بأن البسطاء كانوا دوماً قريبين من المؤمنين. وكم كان الجهلاء والسذج محبوبون من أجل المسيح من تلاميذ المسيح. وتعلم من هذه بأن حكماء هذا العالم يسعون نحو جهلاء الإيمان، والمخادعين والرؤساء، يحنون رؤوسهم أمام بسطاء المسيح. فأنظر إلى عظماء هذا العالم كيف بمحبة يضمون البساطة، ويحبون ويسجدون أمام الجهلاء. وبمقدار ما يُرى الإنسان أكثر بساطة بمقدار ما يزداد ويكبر في عيونهم. فالناس لا يخرجوا إلى الأديرة الروحية التي هي خارج هذا العالم لكي يشاهدوا الماكرين والمخادعين. أرفع عينيك أيها التلميذ وأنظر إنهم يأتون إليك، ويطرقون بابك بفرح، فإنهم يسعون لمشاهدة الأولاد الروحيين وليس لخبراء وحكماء أعمال هذا العالم، فحين يرغبون بمشاهدة الماكرين والمخادعين والمتمرنين والحاذقين بحكمة هذا العالم، فإنهم يخرجون إلى المدن والقرى. وأما إذا خرجوا إلى خارج هذا العالم فإنهم يسعون لمشاهدة الأطفال البسطاء وأولاد المسيح. فلا يأتوا ليجدوك وقد صرت بدل الحمامة حية، أو باشقاً بدل العصفور الوديع، وثرثرتك في الأمور السيئة بدلاً من الكلام في الأمور الحسنة، فقد أتى ليشاهدك أيها التلميذ كما يشتهي أن يراك. فإنه قد خلع عنه لباس المكر ولبس البساطة وجاءك وأنت قد سعيت لتلبس ما قد خلعه هو. وأردت أن تقتني ما قد كرهه هو، فهو لم يحمل ويجلب معه أفكار المكر بل بساطة الإيمان. فهو يأتي ليجد ما قد تركه في العالم موجوداً في أرض الروحانيات. فأسمع ما

قاله النبي فإنه قد شبه بتعاليمه، الرب بالبسيط وبالخروف والشاة. هذه التي هي أكثر الحيوانات براءة. حيث قال : " **كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها لم يفتح فاه** "[1]. فالأسد الماكر والذئب مع باقي الحيوانات المفترسة شرهم ممزوج بالمكر. وأما الحملان والنعاج والماعز فهي بسلوكها، وديعة وساذجة. وبها شبه المسيح، وبأسمائها دعوا المؤمنين، فلم يُشبه الرب نفسه بالأسد عندما كان يقتاد إلى الألم والموت، ولم يسمِ قطيعه باسم الحيوانات التي هي بطبيعتها ماكرة وشريرة، ولكنه دعي حملاً ونعجة حيث كان صامتاً مثلهم. وسار إلى الألم والموت كالنعجة الصامتة أمام جازيها. وهكذا لم يفتح فمه لتواضعه وليحقق كلام النبي بالعمل. فعندما ساقوه بقي صامتاً وعندما أدانوه كان صامتاً، وعندما جلدوه لم يشتكِ، وعندما حكم عليه لم يجادل، وعندما ربطوه لم يفزع، وعندما لطم على وجهه لم يتذمر، وعندما عُري من ثيابه مثل النعجة من صوفها لم يصرخ، وعندما أعطي خلاً ومرارة لم يلعنهم، وعندما صلب على الخشبة لم يصرخ فيهم، وعندما أراد بطرس أن يخلع عنه وداعة الخروف ويأخذ السيف لينتقم لشتم معلمه، صرخ به ليرجع السيف إلى مكانه " **اجعل سيفك في الغمد** "[2] لا تلزمني مساعدتك. قام أمام القاضي والحاكم الذي هو معلم كل الحكام، ولم يجيب بجملة واحدة. حفظ ناموس البساطة وحقق ما قيل : كشاة سيق إلى الذبح. ساقوه كالأخرس الذي لا يستطيع الكلام، من مكان لآخر يسوقه، ومن بقعة لأخرى يجلدونه، ومن قاض إلى قاض يرجعونه. قام أمام حنانيا وهو صامت، وإلى أن حلّفه لم يتكلم، يُسأل من قبل بيلاطس ويظل صامتاً ولم يعطه جواباً إلى أن سمع منه، أنت هو ملك اليهود مشيراً بذلك بأنه ضد قيصر، أخذوه إلى هيرودس فسأله بتجربة ليسمع ويرى منه العظائم، وهناك أيضاً بقي صامتاً ولم يتكلم، أو يجيب بكلمة واحدة عن سؤاله. فظنه بسيطاً لا يعرف شيئاً، وغبياً لا يستطيع أن يجيب. وهكذا ظن اليهود أيضاً والكهنة بأنهم بلغوا مأربهم. وأما هو فلم يترك وداعة الحمل، ولم يترك ناموس البساطة.

---

[1] أش 53: 7

[2] يو 18: 11

ظنه صالبوه ساذجاً وبدون عقل، وظنه أعداؤه بلا معرفة كما عدّوه غبيـاً، ولكـن أنظر إلى الرسول بولس كيف يعطي جواباً لهم بدل السيد المـسيح " **لأن جهـل الله أحكم من الناس** " [1]. فلذلك لا تثقل عليك وتظن في الناس البسطاء بأنهم محتقرون. فكما إن الله أظهر نفسه بسيطاً إذ قام أمام القضاة صامتاً ولم يعطِ جواباً. واعتبـره أمياً لكونه لم يعط جواباً. فأنت أيضاً تشجع بالقوة التـي فيـك ولا تتـرك نـاموس البساطة، وحتى ولو اعتبرك كل الناس غبياً، وحُسبت بدون معرفـة وأدب. فالـذي يعز عليه أن يَظن الناس به بأنه بسيط وساذج فهذا يكون مأسوراً بمحبـة المعرفـة الباطلة للعالم. والذي يظن هكذا فإنه سوف يخيم الغم على حياته، فيجب عليـك أن تصبر على كل شيء لكي تتمم طريقك وتجد نهاية لسيرك فيه. فها إن داود قد أوجد طريقة ليحافظ على حياته من الموت، إذ أظهر نفسه مجنوناً أمام الفلسطينيين، كمـا جعل لعابه يسيل على ذقنه على شبه الرجل الفاقد عقله. ولكي ينجـي حياتـه مـن القتل. فإن كان داود من أجل الحفاظ على حياته الزمنية أظهر نفسه مجنوناً وبـدون عقل وتمييز. فكم يجدر بك بالأكثر أن تمكث بالبساطة من أجل الحيـاة الأبديـة ؟ ولا تُغلب من تعير المستهزئين، وتنحرف عن الهدف الموضوع لك. فالرب قد دعا شعبه المؤمن به بأسماء البساطة لكي يعرفوا بها. فقـد قـال لـشمعون (بطـرس) " **أتحبوني فأرع لي خرافي ونعاجي** " [2]. كما دعي هو أيضاً (الـرب) فـي سـفر الأمثال على لسان النبي بالحمل والنعجة، كما دعاه يوحنا أيضاً بحمـل الله. وهكـذا أيضاً تلاميذه دعاهم على مثاله بأسماء تدل على البراءة. والمؤمنون الذين يسمعون الأسماء التي دعوا بها من الراعي يتشجعون ليكونـوا ببـراءة الحمـلان والنعـاج والكباش. ولا يخرجوا عن ناموس البساطة. وعلى مثال تلك الحيوانات التـي تقـاد للقتل، وتجر للذبح، وتربط للجز، يتشجعون فلا يصرخوا ويبكوا ولكن يلبثون بهدوء ووداعة. فهكذا يجب أن يكون أيضاً تلميذ المسيح أي أن يستمر في براءة القلب أمام التجارب والكلام والمصائب والتوبيخات والسجون والمنافقين والظالمين والزنزانات

---

[1] 1 كور 1: 25

[2] يو 21: 15

وأمام توبيخ المنافقين وتشكي الكاذبون. كما يجب أن لا يترك ناموس الهدوء، ولا يخلع براءته، ولا يترك بساطته ويحاول أن يمكر بأعداءه. فإن هذه الأعمال هي لهم (للأشرار) كالمكر الشرير، وخداع الآثمين كما إنهم يقضون حياتهم كلها في هذه الأعمال.

وأما أنت أيها التلميذ فلك شأن لا تطاله معرفتهم، وبصفاء فكرك أنت قادر على أن تكمله وتتلذذ به بالخفاء، وأما هم فلا يشعروا بهذه اللذة لأنهم لا يستحقوا أن ينالوا راحة لذتك. فالبساطة ليس لها نظام لذلك فهي في كل وقت في سعادة دائمة. فكما إن السعادة دائمة لدى الأطفال والضحك كثير عندهم بسبب بساطتهم، لأن تفكير هذا العالم لا يردع سعادة تفكيرهم الطفولي. فهكذا هي سعادة القلب البسيط دائمة في كل حين لأنه لا يوجد لديه غاية لكي يغتم إن لم يبلغها. فالذي يريد أن يمكر بعدوه ولا يستطيع، أو يفكر بأن يغتني ولا يغتني، أو أن يسعى لينال شيئاً ما ولا يستطيع. فيسيطر عليه الغم ويستحوذ المرض على حياته وتنتزع منه تلك السعادة التي تتولد من البساطة.

يظن البعض إن البسيط لا يصلح لشيء. فإن ظُنت بك هذه الأمور أيها التلميذ فلا تهتم لأن هذا هو مجد حقيقي وحين لا يسلك الإنسان بحسب أمور العالم أو يستخدم أشياء من الأعمال الجسدية. ويقال له أنك لا تعرف التجارة، أو لا تفهم بأن تعمل في دباغة الجلود، أو لا تتقن مهنة ما من مهن هذا العالم. فإن هذا لا يدعُ للهزء به، لأنه حتى الملك لا يُعاب بهذه أي بأنه لا يعرف مهنة من مهن هذا العالم. بل إن هذا يكون سبباً لمجده، لكون منزلته أسمى من هذه الأمور. فلا حاجة له أن يتنازل لكي يتقنها، وإن إتقانه لإحداها قد يجلب له عاراً. كما نرى الكثير من الناس من ذوي المناصب العليا في هذا العالم، الذين يعرفون المهن ويفهمون باقي الأمور التي هي أقل من مرتبتهم ومن مركزهم. ينكرون معرفتهم بها لأن عدم معرفتها بها هو سبب في مجدهم، وبمجد ينكرون معرفتهم ويقولون بأننا لا نعرف شيئاً عن هذه المهن. فهكذا يجب أن يكون تلميذ المسيح أي أن يكون مجداً له عدم معرفته بأمور العالم. وعدم معرفته المكر والخداع يكون تكريماً له، واسم جيد له بأنه لا يفهم شيئاً

من مكر الأشرار. وتكون له معرفة هذه الأمور إهانة كبيرة. وكما إنه عـار علـى الملك معرفته بمهن هذا العالم ، فبالأكثر عاراً للتلميذ الذي عين في الملكوت العليـا معرفة الأمور الغريبة عن مسلكه، والبعيدة عن تـدبير تلمذتـه. فـإن اسـتمرارية مناجاته مع الله لا يفسح له المجال للالتفات إلى هذه الأمور الباطلة، ويلهج في هـذه الأمور الجسدية، وبأن يفكر كيف يمكر ويسئ إلى عدوه، وكيف يغتني ويملك، وأن يتكلم ويسمع أموراً ضد ظالميه، ويفكر بالسبل المؤدية إلى منفعته الشخصية. لكـن حديث البسيط هو مع الله، ولم يعط له بأن يلتفت إلى هذه الأمور، ولا ينـزل مـن سمو معرفة ملكوت المسيح ليفكر بهذه الأمور المريضة بل القابعة في مرضها فـي كل حي ، ومضطربة في أفكارها. فلا يليق لفكر البـساطة الـذي ينـشئ الإيمـان بالمسيح أن يتراجع ليفكر بدنس الجسد وبالمهن الزائلة. فإذاً لا تحسبها إهانة عـدم معرفتك شيئاً من مهن هذا العالم. ولكن ليكن لك ذلك للمجد لكونـك قـد ترفعـت كالروحانيين عما هو للجسد. لأنه لا يوجد في الأمور الروحية شأن لأمور العـالم. لأن سيرتها هي أعظم من كل الأمور الجسدية، كما هو معروف وأيضاً أن فكـرهم أيضاً متعالي عن هذه الهموم، وتفكيرهم فقط بالأمجاد الإلهية، إذ هم ينمون بمعرفة الروح بتلك المعرفة التي هي أعظم من معرفتهم، فلا ينزلوا لينظروا ما هو أدنـى منهم، ولا يرغبوا أن ينزلوا من مرتبتهم، بل يشتهوا أن يرتفعوا أكثر ويجتهدوا فـي كل وقت ليسيروا إلى الأمام في الأسرار الإلهيـة. فالأفكـار التـي لا تـضطرب بالجسديات هي على مثال الطغمات الملائكية، وهم أشبه بالمراتب الروحانيين الذين لا ينزلوا ليطلبوا المعرفة الغريبة عن طرقهم. فكما إنه لكل مهنـة وحرفـة ميـزة خاصة والذي يمتهن إحدى هذه المهن يجتهد ليتعلم سر مهنته ولـيس سـر مهنـة أخرى. هكذا يجب أن يكون كل اهتمام تلميذ المسيح في مهنته ولا يشغل تفكيره في أمور أخرى. وأما مهنتنا فهي مهنة روحية وكل تفكيرنا وأعمالنا يجـب أن تكـون أسمى من العالم كما يجب أن نجتهد في كل حين نحو الأمور الروحية. فالتلميذ الذي لا يتعلم مهنته ولا يتقدم في تلك المهنة إلى الأمام يوبخ مـن معلمـه، ويـستهزئ ويُضحك عليه رفقاؤه. فبالأكثر يوبخ تلميذ المهنة الروحية إن لم ينمُ يوم بعـد يـوم

ويتقدم في الأعمال الجسدية وبالأفكار الروحية. كما أن الخسارة في كل واحدة من هذه المهن معروفة وواضحة. فالذي لا يتقبل معرفة مهن العالم يخسر المكاسب التي لهذه المهن. والذي لا يتقبل علم المسيح وينمو بالحسنات فخسارته هي ملكوت السموات والسعادة المحفوظة والمختومة لمختاري الله، الشيء الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب إنسان تلك المشاركة التي ستكون للكاملين مع المسيح التي من أجلها نزل السيد المسيح من السماء إلى الأرض. وخلاصة القول : إنه سيخسر نفسه مع باقي الحسنات التي هي أسمى من الطبيعة. فالفكر الذي يستطيع أن يتقبل هذه الأمور هو فكر صاف وبسيط. وكما إن فكر الطفل هو بسيط وشفاف ويتقبل كل تعليم أكثر من فكر الرجل البالغ. هكذا أيضاً هو سهل على فكر البسيط أن يتقبل التعليم الروحي أكثر من الأفكار الماكرة والمخادعة. فالبساطة هي أرض جيدة وبسهولة تتقبل بذور وشتل هذا التعليم. وكما يوجد في بعض الأراضي خصوبة تتقبل الزرع والشتل وتجعلهما ينمو بسرعة ويعطي ثماراً أكثر من أرض أخرى. هكذا أيضاً أراضي أفكار البسيط تتقبل شتل وبذور هذا التعليم الروحي وبسرعة تتمسك به وتعطي ثماراً . وأما المكر فهو أرض عقيمة لهذا التعليم، فإما أنها لا تتقبله أبداً وإن قبلت به فإن تربيتها الباطنية تخنقه بواسطة أشواك وحسك الأفكار المتشككة التي في كل حين تبني وتهدم كل ما هو ضد الإيمان والبساطة.

إذاً فافرح بالبساطة أيها التلميذ فإنها لا تجعلك فقط محبوباً لدى الله بل أيضاً في عيون كل الناس. فأنظر إن كنت تشتهي التجارب وأعلم أن البسطاء محبوبون في عيون الناس أكثر من المخادعين والماكرين، وكل الناس يحبون البساطة كما يحبون الطفولة. فالبسطاء والأطفال جميعهم محبوبون. وأما المكر والشر فمنبوذة من كل الناس. وكلهم يحذرون منهما لأنهما مليئتان غش ومكائد وفساد لكل الأمور الصالحة. وأما البساطة فهي رجاء لكل محبيها، ولا يوجد إنسان يحذر من البسيط في كل ما يفعله، لأنه متأكد بأنه من بساطته لا يأتي عملاً سيئاً. وكما إنه لا يوجد من يحذر من الطفل عندما يريد أن يدخل إلى البيت بالخفية. لأنه لا يوجد لديه قوة قابلة للتخريب، هكذا أيضاً لا نجد من يحذر من البسيط في كل ما يفعل لأن أفكاره

هي أفكار الطفل. فمن الذي لا يشته أن يكون محبوباً من الله والناس، وهذان الأمران موجدان بالبساطة.

فلماذا تهرب أيها التلميذ من أن تكون محبوباً من الله والناس، ومن غير تعب تجد لك حباً مجانياً من الجابل ومن جبلته. وإن كانوا يستهزئون بي، ويحسبونني من دون عقل، وجاهلاً وغبياً وبدون تمييز. فأعلم أنه لا وجود لعمل ليس له ضد أيها التلميذ. فإن خفت من أضداد الحسنات فإنك لن تستطيع أن تتم عمل حسنة واحدة. لأنه هناك أضداد لكل الحسنات، ومع كل عمل ممزوج به بالإضافة إلى ذلك الحسد والغيرة التي تثار من البشر ضد كل الأمور الحسنة. ولكن من الجيد في الحسنات إنها محررة أكثر من الشرور من الأضداد وذلك لا الحسد ولا الغيرة يقويان على مقاومتها دائماً، ولا السوء ولا العداوة تحاربها دائماً، إلا إن وجد فيها شيء يستهان بها وتحتقر قليلاً، ومع ذلك فالمحبة موجودة لديها. وأيضاً الذين يهينون البسيط يحبونه، لأنه ليس من سيئاته يستهان في عيونهم، بل قد يكون من رجاؤه أو من عدم استخدامه للأمور التي تلزمهم هم. فيظنوه بذلك جاهلاً بأمور العالم، وساذجاً في مناهج الناس، وبعيداً عن معرفة الأمور الماكرة والشريرة. فيجب عليك أن تفرح لذلك، لأنهم ظنوا فيك ما يجب أن تكون عليه، ودعوك بما يجب أن تكون عليه. فإن قال لك إنسان بأنك لا تعرف الكذب أو الزنى، أو السرقة، فهل تحسب ذلك إهانة لك. أو إن قيل لك بأنك لا تعرف أن تقود المركبة وتكون سائقاً، أو أنك لا تفهم بأمور الحروب، أو أن تعزف وترقص، أو إنك لا تعرف أن تمزح وتضحك وتظهر بعض أمور السخرية، فعدم معرفة هذه الأمور هل تعتبرها إهانة لك ؟ لا أظن، كما لا أظن بأن إنساناً سوف يلومك لعدم معرفتك لتلك المهن. هذا ولن يحسب عدم معرفتك للشرور وللمكر وللشر إهانة لك. فأنظر النبي داود يقول : إن الودعاء والمستقيمين يتبعوني. والمعروف بأن الوداعة تتولد من البساطة. أما كلامي الآن فسوف يكون عن صفاء الروح الذي يحدث داخل النفس عند استئصال الشرور منها. فنظام البساطة شيء ونظام ودرجة الصفاء الروحي شيء آخر. فبساطة الكيان هي بداية طريق تعاليم المسيح، وصفاء الروح هي نهاية

طريق البر الذي يبدأ بالبساطة وينتهي بالنقاء. فكما كان الرسل في بداية اختيارهم بسطاء وفي نهاية سيرتهم من بعد تقبلهم للروح القدس غدو أنقياء. فالنقاء هو أن يميز الإنسان مكر الشرور بالجهد والتعب والحرب ضد كل أنواع الشرور، فيستأصل الإنسان حينئذ ويطرد كل الشرور منه ويرميها خارجاً عنه. وهكذا يحتفظ بالنقاء وصفاء الأفكار الطاهرة التي تخضع للروح ونمو على الشك. أما البساطة فمن طبيعتها أن لا تضطرب بهذه الأفكار الداخلة إليها لأنها تميزها وتثير عليها حرباً وتنتصر، وبحكمة أظهرتها وأخرجتها خارج مكان تطهيرها، بل إن هذه الأمور هي من عمل الصفاء. إذاً فالبساطة هي بداية الطريق وهي الأرض الطاهرة من كل الأشواك والتي تقبل الزرع الجيد. فإن يستأصل الإنسان الأشواك وينزع الحسك ويطهر الأرض ويهيئها لتتقبل الزرع والشتل الجيد شيء. والحقل المزروع الذي زرع وشتل وحمل ثماراً وينتظر اليد التي ستجمع الغلال وتحمله وتضعه في المخازن شيء آخر. وأما الصفاء فهذا مستواه، أرض كاملة الزرع وتامة السنابل ومحملة بالثمار التي نضجت. وأما البساطة فهي الحقل المحروث والنقي من الأشواك والجاهز للاستخدام ولتقبل ما يوضع فيه. أما المكر والخداع فهما الأرض المليئة بالأشواك والحسك والزؤان، فمتى سقط فيها الزرع الجيد تخنقه.

فيا أيها التلميذ كن حقلاً محروثاً وجاهزاً ليسوع ليرم بك الزرع الجيد لكلامه، ويغرس في نفسك شتلة تعليمه الجديدة وإن كانت فيك بساطة فافرح بها وأجتهد أن تزيد عليها. وإن لم تقتنيها بطبيعتك فاسع لكي تقتنيها لأنك رأيت كيف إنها مكسب لحياتك مع الله، وهي التي تعطيك أن تحيا حياة بلا خوف وبرجاء داخل المكان الذي تحيا فيه. فالبسيط لا يفكر بالإساءة إلى إنسان، ولا يخاف من شر الآخرين. فبمقدار ما يسعى لكي لا يسئ للآخرين، بمقدار ما يفكر أيضاً بأنه لن يُسيء إليه الآخرين. فالبساطة تظن بأن كل الناس هم على مثالها. وترى الناس كما ترى نفسها، فهي المرآة لنفسها والنموذج لكيانها. وتتأمل بكل الناس كما تتأمل بنفسها. وكما إنها بلا غش هكذا تظن بالآخرين. وإن اختلفت آراؤهم، فإنها تفكر بأن ذاك هو بالنسبة إلى أنفسهم، ولكن بالنسبة إليها فهم واحد. فلذلك فهي ساكنة

دائماً دون أمواج ولا تتهيج عليها الأنواء وتعكر صفاءها، لأنه لم تنشب بهـا روح المكر التي تهيج أمواج الظنون. ومثلما تتهيج أمواج البحر بـسبب الريـاح التـي تتلاطم على سطحه. هكذا تتهيج الأفكار المرتبكة للمكر التـي تتولـد مـن (روح المكر) وتتهيج أيضاً الأفكار السيئة في داخلها. وأما فكر الإنسان البسيط فهو ساكن، ولا مباحثات فيه، وكما إن أمواج البحر تكون هادئة بدون رياح، هكذا تكون أفكـار البسيط هادئة وحرة من دون خوف، الذي يمثل الأمواج التي تضرب به. فالبـساطة هي الميناء الذي تلتجئ إليه كل السفن التي ضربتها أمواج المكر، وكل من يـدخل إليها تسكنه بهدوء وتبعد كل اضطراباته. فالبسيط ليس هو وحده بسيطاً لكنه يضفي من صفائه على كل من يصادفه. كما أن الطاعة تتبع للبساطة التي لا تدين ما يقـال لها، ولا تجادل في ما تأمر به. فمسكن البسيط راحة لأقربائه، وفرح لكل معارفـه. لا يخاصم جاره، ولا مشاجرة تدنو منه، ولا مشاكل له مـع تابعِـه، ولا عـصيان بطاعته، ولا جواب لمن يقول شيء عليه. فكل الناس يأخذونه، تختاره الأغلبية فـي حالة تشعب القضايا وهو النصيب الأصلح لمن يصيبه. فلا يعرف عـدم الطاعـة، ولا يعرف أن يسئ للآخرين. بل معرفته كلها في الخير وليست بالشر. وهو يـسعى دائماً لكي يرضي رؤساءه وليس ليعصي إرادتهم. لذا البساطة تليـق بالمتوحـدين، وتجب الوداعة للناسكين، والصفاء للرهبان، وتوجب الطيبة للزهاد، ووجبت البراءة للرهبنة.

إن رؤساء الكهنة واليهود اندهشوا من الرسل إذ وهم جهـلاء ولا يعرفـوا الكتابة، كانوا يتحدثون عن الحياة العتيدة كالحكماء. وقد جعلوا أنفسهم مدافعين عـن المسيح وإن كانوا سذجاً فالمسيح اختار له وكلاء سذجاً لينطقوا بلسانه، ويكرز بهـم لتظهر حكمته بالأكثر، ويعرف كل الناس بأنهم ليسوا هم المتكلمين بـل إنـه هـو المتكلم بهم " **فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا فعرفوهما بأنهما كانا مع يسوع** "[1]. فإذاً عجيب كيف أن البساطة تحفظ الوصايا، وما لا يستطيع أن يعمله الحكماء تعمله البساطة. فلو عرف الكهنـة

[1] أع 4: 13

بأن الرسل كانوا حكماء من قبل ويتكلمون بحكمة لما تعجبوا منهم كثيراً لأنهم كانوا سيسمعون منهم ما يوافق سلوكهم (حكمتهم). ولكنهم تعجبوا منهم لأنهم سمعوا منهم ما لم يتوقعوه، وخاصة لأن جوابهم كان أعلى من مستوى كل الحكماء. ففي بساطتهم تمجد يسوع وكرزت بشارته بين كل الناس. ومن أجل هذا أيضاً أختار الرب البسطاء وكره الحكماء والعارفين، ولُيعلم أيضاً بأن كل من يتتلمذ له يجب أن يتمسك بالبساطة ويسعى إليها. وليس لأن العالم يظن بأن المكر هو حكمة فنسير نحن أيضاً إليه (للمكر)، ولأن البساطة محتقرة من الناس نبتعد عن اقتنائها. فها إن السيد المسيح في اختياره أظهر لنا كلا الأمرين. فلقد اختار الصيادين كما اختار العشارين أي البسطاء والخطاة والجهلة والسيئين. وأعداء المعرفة وأعداء الصلاح فهكذا هم الصيادون والعشاريون، فالصياد بعيد عن المعرفة والعشار عن الصلاح، فمتى اقتنيا كليهما هذين الأمرين (المعرفة والصلاح)، يظهر المسيح بأنه هو المعلم وواهب الصلاح. كما أقتنى أيضاً المثقفين مثل متى وزكريا هؤلاء الذين تبعوا السيد المسيح ولكنهم أظهروا بساطة بعد اختيارهم، وبرهاناً على بساطتهم هو طاعتهم، ولكن إلى أن تخلو عن المكر البشري الذي كانوا يقتنونه، وثبتوا ببساطة الصيادين، لم يقربهم السيد المسيح من تقبل تعاليمه، ولم يسلطهم على كنوز معرفته. ولربما إذ كان في كل مكان يأمر بالبساطة وبالتشبه بالأطفال والأولاد، كان يوجه كلامه ونصائحه لتلاميذه أولئك (متى وزكريا). وأيضاً في نفس الوقت كان يوبخ آخرين ليتوقفوا عن تعاليم المكر، والبسطاء منهم كان يعلمهم أن يستمروا على بساطتهم، والذين كانوا قد تربوا بتعاليم المكر كان يرشدهم لكي يخلعوا عنهم هذا اللباس الدنس. وهكذا يصبح كلا الطرفين (الجاهل والخطاة) في نفس المستوى، ويباشران بقدم واحدة للسير في طريق الصالحات.

يوجدُ من كان بلا تمرين وولد بالبساطة مثل بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا، ويوجد من تربى بالعالم وكانوا محبوسين داخل المكر مثل متى وزكريا وفيليبس وباقي التلاميذ. والذين لم يكونوا قد ولدهم المكر بعد، نقلهم من حالة المكر إلى حالة الطفولة وقمطهم بقماط البساطة. ثم بدأ بتربيتهم ذروة تعليمه ويهيئوهم إلى

مستوى الجبابرة الروحيين. فإن كانت البساطة مفضلة هكذا عند التلاميذ، فكم بالأكثر يجب أن تكون لدينا، وكم يجب أن تكون محبوبة جداً لدى النساك، كما وإن عملنا يلزمه البساطة ومن يأتون إلينا ينتظرون أن يشاهدوها لدينا.

فالتلميذ الماكر لن ينجح، بل سيكون قدوة سيئة لكل تلاميذه، ومعلماً للشر وليس للخير، ومثالاً للخسارة وليس للمكاسب، ومعلماً لعدم الطاعة، ومظهراً لعدم الامتثال، يتمسك بالأباطيل وبالكلام الكثير، جامعاً للطيش، أسير الضرورة, مجبراً على أمور لا يريدها، عاملاً متمرداً، أجيراً كسولاً يَعد ولا يفِ، يبطل مكان المجتهد ويأخذ مكانه ولا يفعل فعله، حجر عثرة للسعاة، مظهر للطرق الغريبة، يعمل على ضلالة الذين يسيرون بالاستقامة، يلوي الطريق أمام الذين يسعون باستقامة، يستهوي الأمور المنحطة، يشتهي السلطان، محبوب الأغنياء، معاشر العارفين، وصديق العظماء، صائم عند الضرورة، وممنوع عن الأطعمة بسبب غضب الناموس، عامل بدون خاطر، وتلميذ بالظاهر وليس بالفكر، مرَبِ للغش، نفسه أمارة بالسوء، لسانه منمق، افتخاره باطل، ومتكبر وليس له شيء، مناهض للاستقامة، شخص يخرج صورة معثرة، جسد مركب من أعضاء منقسمة، آثم في كل الأمور، مشتكي على كل الأعمال، منتقم مِنْ كل مَن لا يهتم به،، متباطئ في الحسنات، سريع السعي للشرور، أبن للنوم، وولد للكسل، وعدو للسهر، كاره للصلاة، وصديق المائدة المعدة، منتظر الولائم، ينظر للملذات، وهو اليد اليمنى لإبليس، والذراع الهادمة للعدو. كل هذه الأمور التي قيلت ومثلها هي موجودة في تلميذ المكر علماً بأن ما قيل هو غيض من فيض. فالذي هو على هذه الشاكلة يجب أن يرفض من كل الناس، وينبذ وتقمع شروره. فنبي الله يلوم الذين هم أطفال بالخير وحكماء بالشر " **صار أفرام كحمامة رعناء بلا قلب يدعون مصر يمضون إلى أشور ولا يرجعوا إلى الرب إلههم** "[1]. فمثل هذه الطفولة يلومها النبي لأنها ليست بساطةً بل غباوة. وذلك لأن الآثمة بفعل طفولتهم في الصالحات، أبدلوا المخلص الواحد (الله) واختاروا لهم مساعدين كثر، وتركوا الطريق المؤدي إلى

[1] هو 7: 11

الله، وركضوا وراء مصر والآشوريين ليأتوا لمساعدتهم. وإذ طلبوا منهم مرات عديدة ولم يستطيعوا أن يخلصوهم بسبب شرورهم .لم يتعلموا من التجارب ليسعوا إلى ملجئهم الله. فمثلهم بالحمامة لأن ثمارهم يأخذها غيرهم، وتسيل دموعهم لصالح الآخرين. وقد حسبهم بلا قلب لأنهم لم يقتنوا العقل الذي به يقتربون من الله. ويمثل النبي سليمان الذي يذهب وراء شهواته بالغبي المقتاد وهو لا يعرف أنه ذاهب إلى العذاب. " **فذهب وراءها في الحال كالثور الذي يساق إلى الذبح، ومثل غزال يسير إلى الأسر حتى يشق كبده السهم** "[1]. فهذه الطفولة تستحق الذم لأنها لم تخدم الخير بل الشر. ولا يصح أن تدعى إلا جهالة ولو إنها دعيت في الكتاب المقدس هكذا (بساطة) وذلك عكس الهدف الذي وضعت لأجله. فبالأولى تسميتها بالغباوة وفقدان العقل والتمييز. فليست مثل هذه البساطة المقصودة بكلامي. بأن يقتاد الإنسان بدون معرفة إلى كل الأقوال، وينخدع بالغش وبكل تعليم. فهذا ما يحذرنا منه الرسول بولس " **كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى كل مكيدة الضلال** "[2]. ها إن الرسول يدعو هذا الفكر بأنه أبله ومقتاد بكل الأقوال والتعاليم. ويبدل استقامته بأعمال سيئة وحياة فاسدة. ولكن البساطة المتمرسة في كل الحسنات تكون هي البساطة التي قد تكلمنا عنها. فتأمل ببساطة كل المؤمنين وأنظر إلى بساطة التفكير عند تلاميذ المسيح إذ إنهم لا يفقهوا شيئاً في غش الماكرين والهراطقة، ولا يعرفوا مرارة تعاليم الشرير، وهم حذرون كي لا يشتركوا بها ومتمسكون بالحق دون تغيير لأن بساطتهم حكيمة، ومخافة الله تنبع من بساطتهم، ويفهمون كالطفل الذي يعرف معلماً واحداً ويخشاه وحده، ومن أوامره يخاف ومن عصاه فقط يخاف وليس من المعلمين الآخرين. فهكذا المؤمن الحديث لتكن مخافته من المسيح وحده ولا يخاف ولا يرهب من رهبة المعلمين الذين لم يعلمه شيئاً. وليكن كالطفل الذي يخاف من معلم واحد وأستاذ واحد، وإذا

---

[1] أم 7: 22

[2] أف 4: 14

أراد معلم آخر أن يعطيه علماً آخر غير الذي يتمسك به فلا يقبل بذلك لأن طفولتــه هي طفولة نقية كما إن أفكاره ليست أفكاراً هدامة.

إذاً لنسلك كتلاميذ المسيح في الطريق الذي أظهره لنا، ولنتمجد في عيونتــا البساطة ولنكن أطفالاً بسطاء في تقبلنا التعليم الجديد، ولنكن حكماء كالحيات أمــام العدو الذي يريد أن يفترسنا، ولنتذكر في كل حين تلك الكلمات التــي قيلــت مــن المسيح لكل التلاميذ " **الحق أقول لكم من لا يقبــل ملكــوت الله مثــل ولــد فلــن يدخلها** " [1] ونحن كلنا نتأهل لنقتبل نعمة وحسنات ونكون مع كل القديسين برحمــة المسيح إلهنا له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

[1] مر 10: 15

المقال السادس
يوضح فيه أن مخافة الله
تتحرك في الإنسان بعد الإيمان الذي ينبثق من البساطة
فمن أين تتولد...
ومن أي الأمور تنشأ وتتوطد فينا هذه المخافة ؟

لنتقدم بضمير يخشى الله نحو معرفة مفهوم كلمة " **مخافة الله** ". بكل ما أتينا من قوة وبحسب ما أعطينا من نعمة إلهية لمنفعتنا ومنفعة الآخرين. فلم نكتب لنَظهر بأننا علماء، ولكن لأننا نرغب في أن ننقل للآخرين ما نراه مفيداً لنا. وليس لأن كثيرين سبقوا وكتبوا وتكلموا عن هذا الموضوع نلوذ نحن بالصمت ولا نتكلم. فالذين كتبوا قبلنا كتبوه كمعلمين، أما نحن فكتلاميذ لهم نوصل علمهم إلى من هم بعدنا. وذلك كالطفل الذي يتشبث ويعيد باستمرار ما تعلمه من معلمه لكي لا ينساه. ونحن أيضاً كذلك نعيد ما سمعناه لكي بإعادته نتذكره ولا تتشتت أفكارنا وراء الأباطيل التي لا تنفع. فإن لم يتمازج الفكر بفكر آخر يساعده فإنه يتشتت خارج النفس ويسير في الأرض خارج نطاق العون الإلهي. وكما إن التفكير بالصالحات يستمر ثابتاً في نور ذكر الله، هكذا إذا تأمل بالأمور الباطلة والهادمة فهو في الظلمة، والذي في الظلمة لا يَرى ولا يُرى ولا يميز ولا يتميز ولا يَعرف ولا يُعرف ولكنه محروم من مشاهدة جمال الطبيعة، وحرم الآخرين من رؤيته. لأنه لا يميز الطريق ولا يفهم السبل ولا يرى طريقة لسيره. ولكي لا يصيبنا هذا

الأمر يجب أن نتذكر كلمة الله دائماً، وليس بتكريرها بلساننا فقط بل بالتأمل والتفكير بها بالقلب والفكر، لأن من فضلة القلب يتكلم اللسان دائماً. فما يدور حوله الفكر بالخفية يتكلمه اللسان علانية مهما كان منتبهاً. وإن حاول اللسان أن يصمت بدلاً من أن يتكلم فإنه بصورة أو حركة ما ستظهر للآخرين خفايا القلب. والتصرفات المختلفة التي تظهر على الوجه تشير إلى ما هو خفي في داخل النفس. وأما الذي يرتوي دائماً من تعاليم الله فيعطي في كل حين ثماراً إلهية، فالذي لا يسمع دوماً إرشاد المعرفة، ولا لمجرد جماله، ولا يتخذه لكي يتفقه بالمعرفة البشرية، ولا يتخذه لتغذية المجد الباطل. فالعلم الذي يقال بمعرفة ويسمع بتمييز هو الذي يأتي بثمار روحية من الجانبين، أي من لسان زارعه ومن أذن متقبله. لأن الذي يعلم والذي يتعلم يسمعان الكلمة بفرح. وذلك إن كان المعلم صادقاً وليس ناقلاً لتعاليم الآخرين.

إن العمل الدائم في المهن يزيد خبرة بها ويجعل الحواس كلها منشغلة بالعمل. هكذا أيضاً فكر كل من يسمع كلمة التعليم، فإنه يوقظ أفكاره ويشحذ لسانه ويربط ذهنه بفكر الله. فالذي يفكر في كل حين بالله، ويكون دائماً لديه هذا التذكر الخفي بداخل نفسه، وتتربى لديه مخافة الله التي تكون له سوراً حافظاً من كل الشرور. فكما يستر سور المدينة سكانها من أذى الأعداء القادمين هكذا تستر مخافة الله الإنسان من قدوم أعداء نفوسنا. كما تبعد الجسد عن إثارة الشهوات، وتحفظ النفس من الأفكار السيئة. والذي فعلاً يتعلم كيف يخاف الله فإنه لا يحفظ فقط جسده من الشهوات بل يحفظ أيضاً قلبه من الحركات السيئة.

ولكن بأي ترتيب هي مخافة الله ؟. وفي أي مرتبة يكون من يخاف الله ؟. وكيف تقتنى هذه المخافة ؟. وبأي الأمور تنشأ ؟. فيجب علينا أن نظهر ذلك كما تعلمناه من الذين سبقونا إلى المعرفة. وممن عملوا في التعليم.

فقد تعلمنا بأن المخافة الحقيقية من الله تتولد من الإيمان. والذي هو بالحقيقة مؤمن فهو بالحقيقة يخاف من الذي يؤمن به. وكيف إن الإيمان يجب أن لا يعتمد

على المناسبات. هكذا يجب أن لا تؤخذ المخافة كمهنة. فما أن يؤمن الإنسان بوجود الله حتى يبدأ بتقبل تعاليم وصاياه لأن الإيمان يتولد من البساطة الطبيعيــة، ويقتنــي ويحفظ منها أيضاً. وأما الوصايا التي يسمعها ويقبلها الإيمان فتصونها مخافــة الله. وكما إن الإيمان تحفظه البساطة هكذا أيضاً وصايا الله يحفظها الخــوف مــن الله. والمخافة التي أقصدها لا تعني أن الإنسان يقول إني أخاف الله أو كالكثيرين الــذين يدعون بأنهم يخافون الله. بل إنها (مخافة الله) الخوف الذي يتحرك طبيعيــاً داخــل النفس وما أن ترتدع وتتحرك النفس من الداخل حتى تتحرك معهــا كــل أعــضاء الجسد. فالجسد يخاف من الشيء الذي يضره، والنفس أيضاً تخاف من ذاك الذي له سلطان على إهلاكها. وكما يوجد خوف للجسد من الأذى الخــارجي كــالوحوش أو النار أو السيف أو أدوات التنكيل أو الغرق بالماء أو السقوط من على صخرة عالية أو اللصوص أو من الوقوف أمام القضاة أو من الجلد المؤلم أو من الأسر والحبس. هكذا للنفس أيضاً خوف طبيعي من الديان غير المنظور الــذي يــستطيع بعــذابات روحية كطبيعتها أن يعذبها هي والجسد. وكما يخاف الجسد طبيعياً مما ذكرنا. هكذا أيضاً تخاف النفس طبيعياً من تذكر يوم دينونة الله، ومن العــذابات المعــدة للــذين أغضبوه، ومن جهنم المعدة لفاعلي الشرور، ومن السماع عن الظلمة البرانية، ومن السماع عن النار التي لا تنطفئ، والدود الذي لا يموت. فعندما يرى الجسد الأمــور التي تعذبه يخاف منها، وإذا حدقت هي بالأمور التي تعذبها فإنها تبتعد عنهــا فــي الحال. فالجسد يخشى من الأمور التي تؤذيه وفي الحال عندما يراها أو عند التفكير بها يخاف ويضطرب منها طبيعياً. هكذا أيضاً النفس ما أن تحــدق بعــين الإيمــان بالعذابات العتيدة وترى بالخفاء المخاوف الذي أظهرها الديان حتى تمتلئ خوفاً فــي الحال وترتعب كل أفكارها التي هي أعضاء روحية، وبخوفها ينتقل الخــوف إلــى الجسد أيضاً. وبخوف أفكارها تخاف كل أعضائها. وكما تشترك هي بخوف الجسد هكذا يشترك الجسد أيضاً بخوفها. وإن كانت النفس لا تتأذى كثيراً بطبيعتهــا ممــا يتأذى به الجسد ولكن بسبب اتحادها معه فإنها تشاركه الخوف. وبــالرغم مــن إن العذابات العتيدة هي غير ظاهرة للجسد إلا إن النفس تراها بالخفاء وتخاف وترتعب

وتبتعد عنها فيرتعب معها الجسد أيضاً، ويسري الخوف إلى كل أعضائه. فهذا أمر واضح من خلال تجارب الناس، ومعروفة هذه (المخافة) للذين اختبروها بشكل شخصي. ففي الحال عندما تتذكر النفس دينونة الله تخاف من ذكرها ويسري الخوف إلى كل أعضاء الجسد بصورة أتوماتيكية. وعندما يتذكر الإنسان الله ويكون جسده ونفسه غير طاهرين من الخطيئة ففي الحال يمتلئ كله خوفاً وترتجف كل أعضائه. كما يرتجف الجسد عندما يرى بغتة الشيء الذي يخيفه. وإن كان إنسان لم يجرب هذه (المخافة) بنفسه إذ ليس كل إنسان قد وصل إلى مستوى مخافة الله طبيعياً. فالخوف الذي يصيب الجسد ترتجف معه النفس أيضاً، وهذا أمر واضح ومعروفٌ لدى كل الناس. فلنفهم إذاً بأن النفس تخاف فتلقي بخوفها على الجسد وهذه قد جربها القليلون الذين لم تمت نفوسهم بالخطيئة. لأن الخطيئة التي ترتكب بالجسد تأتي من عدم تذكر الله، وهذه تسبب موتاً كاملاً للنفس. كما إن الكتاب المقدس يدعو الخاطئ الذي لم يتوب بالميت. لأن التوبة تأتي من تذكر الإنسان لله. فالخاطئ الذي لا يتحرك فيه ذكر دينونة الله سواء كانَ في حالة الخطيئة أو بعدها تكون نفسه ميتة. ولئن ظهر حياً بجسده. وهكذا تظهر النفس حيةً بتذكر الدائم لله. فإن أخطأت وتابت فتكون بمثابة المريضة، ولكن إن كان يخطيء ويزدري بدون أن يتوب ويتذكر الله فهذا واضح بأن الخطيئة قد قضت عليها. فمعرفة الله هي الحياة الروحية للنفس كما إن حياة الجسد هي استمرار وجود النفس فيه. فحياة الجسد تعرف من إحساسه بكل ما يقترب منه أو بإحساسه بهم حينما يقرب هو منها. وهكذا أيضاً حياة النفس تقوم بمعرفة الله فتعرف بأنها حياة عندما تشعر بالله. فالجسد الميت لا يشعر بالآلام ولا النفس الميتة بدينونة الله. كما إن الجثة مهما عذبت فإنها لا تتألم. هكذا النفس المنغمسة بالخطيئة هي ميتة عن الله ولا تشعر به. فالجسد الميت يضرب ولا يشعر ويقطع ولا يتألم. وهكذا أيضاً النفس الميتة عن الله تخطئ ولا تشعر، تأثم ولا تعرف، تذنب فلا يؤنبها ضميرها وتسيء ولا تتعذب. وكما إن ضمير الإنسان المميز لا يؤنبه عندما ينجز الأمور الطبيعية التي هو بحاجة إليها، هكذا أيضاً النفس التي أفسدت بالخطيئة وماتت مرة واحدة عن الله

لا يؤنبها ضميرها على الأعمال التي صنعت من قبلها. فإذاً تــذكر الله هــو حيــاة النفس. وكيف إن شرايين الجسد الحي وأعضاءه هي دائمة الحركة مــا دام شــريكاً للنفس في الحياة، هكذا أيضاً النفس التي فيها ذكر الله. فكلما تذكر الله لا تخطئ وإن صادف وهبت عليها نسيم الشهوة، واختفى نور معرفتها لفترة قصيرة، فيتحرك بهــا في الحال ذكر الله وخوفها منه يقودها إلى التوبة. فمخافة الله تصنع أمرين في داخل النفس. الأول تحفظ الإنسان لكي لا يخطئ وإن أخطئ تشجعه لكي يشفي خطيئتــه بالتوبة. فهذه هي عادة كل من يمتلك مخافة الله أو الخوف من الناس، والثاني إنهــا سور حصين من كل المساوئ للذين لا يخطئون أبداً وإن أخطؤوا يصلحون ذنوبهم. إذاً مخافة الله تغلق دائماً الأبواب في وجه كل الشرور وتحفظ بداخلها الإنسان مــن الأذى. فتكون كسور حصين حافظ من كل الشرور ومرة أخــرى تكــون كــشافية للشرور، لكي تظهر في كلتا الحالتين مخافة الله كشافية وحافظة، فهي كسور حــافظ من ارتكاب الشرور. ومعالجة حكيمة من الشرور التي تحــدث بــسبب الإهمــال. فيوجد من يبتعد عن الخطيئة بسبب رؤية الديّان، ويوجد من يرتعب لمجرد ســماع خبره، فالذي يكون حذراً من ارتكاب الشر فإن تصور الديّان هو الذي يوقفــه عــن ذلك، وأما الذي سيتوب عن الخطيئة فإن خبر الديّان هو الذي يرعبه، والسمع عنــه فقط يخيفه فيبتعد عن دينونته، ولأنه لا يستطيع أن يتصوره عندما يرتكب الخطيئة، لأن الخطيئة تعمي النفس. فما أن يرتكب الإنسان الخطيئة عدة مرات، حتى تغــشى رؤية النفس برائحة الخطيئة فلا تعود تنظر الديّان. بل تسمع صدى وعيده من فــم الآخرين، أي من الكتب المقدسة، وتخاف من خبره وترتعب من الــسمع، وتحــدث هذه الحالة عندما لا تكون النفس قد ماتت بالكامل عن ذكر الله. وهــذا أيــضاً هــو وضع الكيان الجسدي فهو لا يخاف من مشاهدة الأمور المؤذية فقط، ولكن أيــضاً من السماع بخبرها من الآخرين. فهو قبل أن يرى الأسد القادم لإهلاكه أو الأفعــى الزاحفة للدغه، يرتجف لمجرد السمع عنهما مــن الآخــرين. وإن كــان لا يــرى الصخرة أو الحفرة التي في طريقه، وحذره إنسان آخر من الأذى الذي سيأتيه يبــدأ بالخوف ويهيئ نفسه للرجوع إلى الوراء. ولكن الذي يكون صحيح النظر بطبيعتــه

فلا يحتاج للآخرين لكي يُعلِموه عن تلك الأمور. لأن عينه تـشير إلـى ذاك الأذى الجسدي. فبهذا الشكل نفهم بأن الذي يكون منتبهاً لا يخطئ، وكـذلك الـذي حـين يخطئ يعود ويتوب عن أثمه.

إن النفس لا تخاف من الأضرار التي تصيب الجسد، وإن كان البعض يظن بأنها تخاف لأنها متحدة به، ولكن إن خافت النفس من الأضرار التي بالجسد، فـإن خوفها هذا ليس من طبيعتها لأن بخار خطيئة الجسد يصعد عليها ويظلم مشاهدتها. فتخاف مع الجسد من الأشياء التي لا تستطيع أن تؤذيها. ولكن إن خافت النفس من الله يكون حينئذ خوفها طبيعياً لأن هذا هو الخوف الطبيعي للنفس أي أن تخاف مـن الله فقط. فالجسد بطبيعته لا يخاف من الله، ولا الـنفس تخـاف مـن الحيوانـات. فالحيوانات يخشاها الجسد فقط دون أن تشترك معه بالخوف النفس الحيـة. ومـن طبيعة الحيوانات عدم الخوف من الله. ولكنها تخاف من بعضها الـبعض. أو مـن أعداء آخرين. فعلى هذا المثال يخاف الجسد فقط من الأمور التي تؤذيه، ولكـن إن اشتركت النفس بأفكاره فعندئذ يشعر هو أيضاً معها بالخوف من الله. كما هي أيضاً تخشى معه من الحيوانات. وأن ديّان ومعذب النفس هو الله فقط. لأنه أكثر شـفافية منها، أما الجسد فيستطيع الناس أن يدينوه وحتى أن يقتلوه، لكن حكمهم لـيس لـه سلطان على النفس. كما تشهد لذلك كلمة الرب الذي قال : " **ولا تخافوا من الـذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها** "[1] فسلطان القضاة هـو علـى الجسد فقط، فيدينونه ويقتلونه ويعذبونه، وأما طبيعة النفس فهي أسمى من أن يطالها عقاب القتلى، فلا تحترق بنارهم، ولا طبيعتها الروحية تسقط تحت وقـع جلـداتهم، ولا تقطعها سيوفهم، ولا تبطل طبيعتها بأباطيلهم. لأن الذي يُـدين هـو جـسدي، والحكم الذي يصدره على المذنبين هو باللسان جسدي، وإن كانت النفس تـضطرب خفية بتصور الحكم. فإن كل الأدوات المجهزة للتعذيب هي للأجساد وهذه العـذابات يتحملها الجسد وحده وهو الذي يتعذب. وبما أن النفس هي ذات طبيعة روحية فهي متعالية بطبيعتها عن هذه الأمور. فلا يطالها العذاب مهما أشتد قوته، لكـن الـذي

[1] مت 10: 28

يصاب بأضراره هو الجسد فقط. ومهما بلغ تأثير العذاب في الجسد فالنفس تبقى بعيدة عن تأثيره وتبقى محافظة على حياتها إذ ليس بوسع الحاكم قتل النفس. لذلك لا يجب أن تخافوا من أحكامهم، " **بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك الجسد والنفس في جهنم** "[1]. فالرب هو وحده الذي يدين النفس، فهو الذي منحها الحياة وهو الذي يستطيع أن يميتها، وبالحكم الروحي يعذب طبيعتها الروحية. ولأن النفس شعرت بأن الرب هو فقط ديّانها فمن الطبيعي أن تخشاه. وكما إن تذكر دينونة العالم للذين هم أحياء بالجسد ولكنهم أموات بالروح يوقفهم عن آثامهم، هكذا أيضاً الإنسان الحي بالروح فإن ذكر دينونة الله يبعده عن شروره. وكلما تذكر الدينونة امتنعت نفسه عن ارتكاب الخطايا. فالرجل الحكيم لا يفكر بالدينونة التي يراها هو أمام عيناه بل يخشى تلك البعيدة عنه. لأنه مثلما إن الأشياء ظاهرة لعين الجسد، هكذا الأمور الخفية هي ظاهرة لعين الإيمان. وكيف إن الجسد الحي يشعر بكل الأجساد في العالم، هكذا أيضاً النفس الحية تشعر بكل أرواح العالم وتنظر إليهم بطريقة روحية، فذكر الله هو نور الذي يكشف الأمور العتيدة. وهو مخيف للخطاة، ولكن الإنسان نفى ضميره بسبب خطاياه فهذا لم يعد يخيفه الحكم العتيد. لأن كل إنسان في الكيفية التي يكون مع نفسه كذلك يكون مع تذكر الله. فإن كان في مرتبة المذنبين فإنه يرى الله كديّان، وإن صعد إلى رتبة التائبين فيرى الله مسامحاً غفوراً، وإن كان في رتبة الراحمين فإنه يتأمل بغنى مراحم الله، وإن كان متزر بالتواضع والسكون فإنه يرى طيب الله، وإن أقتنى عقل الحكماء فإنه يتأمل بغنى الله الذي لا يدرك، وإن كان خالياً من الغضب ومتحرر من الحقد والسلام يتحرك فيه دوماً، فإنه سينظر إلى صفاء الله المتعالي الذي لا يتعكر. وإن كانت حركات الإيمان في كل وقت تنبض بداخل نفسه فإنه سينظر في كل وقت بأعمال الله غير المدركة. وإذا كان الإنسان في مستوى عالٍ في المحبة الروحية فأنه سيصدق الأمور السهلة التي يخالها أعلى من مستوى معرفته. فإذاً بحسب المستوى الذي يكون فيه الإنسان يرى الله. فإنه حب كامل وهذا هو العجب. إذ هو بسيط وليس فيه أعضاء ولا عددٌ، لكنه

[1] مت 10: 28

يظهر للبشر بأشكالٍ مختلفة. وكل من شاء يستطيع أن يرى الله من أي جانب يريده. وإذ كان الله لا شكل له، إلا أنه يظهر بأشكال للأفكار بحسب الانفعالات التي تصيب النفس. فالذي يريد أن يرى الله صالحاً فليكن هو نفسه صالحاً. فلا تظن أنك سترى الله صالحاً وأنت تعيش في أرض الشرور، فهذه الرؤية تجعلك فاتراً. إذ ترى الله بصورة لا يريدها لك الله، ولا تظن بأنك قد رأيته، لأنك أردت أن تراه خارج إرادته، فإن شئت أن تراه كما يشاء هو، فعليك أن تتشبه به في كل الوصايا التي يريدك أن تحفظها. وإذا يخال لك أنك رأيته (الله)، فإنك قد رأيت الوهم لا الحقيقة. فإذاً كل من هو قائمٌ في أرض الخطايا، ويشعر بشهوة شريرة داخل نفسه، ويبكته ضميره بسبب خطاياه، فإنه ملزم بأن يرى الله كديّان ولا يتجاسر ليراه بشكل آخر. فمن هنا يجب أن تزيد مخافته ويبتعد عنه الشرور. ولكن إن أردت أن ترى الله غفوراً فاترك الشرور وتقدم إلى التوبة. وأغفر أنت أيضاً للآخرين الذين أساءوا إليك. وعندها ارفع عيون فكرك وستراه غفوراً. فذاك الذي يذنب باستمرار استناد إلى أن الله غفورٌ فإنه يزيد ذنباً على ذنوبه. فلا تتكل على الغفران لأنك بذلك تزيد خطية على خطاياك، فما أكثر الذين يخطئون لاتكالهم على الغفران فيبتعدون عن التوبة. إذ لم يشعروا بالغفران بل سمعوا بخبره، فالذي يغفر للآخرين هو فقط الذي يستطيع أن يشعر بغفران الله. وعلى هذا المثال يشعر بنعم الله. فنحن لا نشعر بأن الصلاح هو من عند الله إلى أن نختبر ذلك. فمن السمع يعلم كل الناس بأن الله صالح. ولكن من معرفة النفس فالصالحون فقط يشعرون بذلك، ويعترفون ويعرفون بأنه رحوم، وطويل الأناة، وحليم، و مملوء محبة. وذلك لأنهم اختبروا ذلك بأنفسهم. فإذاً كلما كنت عائشاً في أرض الخطايا توجب عليك أن تتذكر دينونة الله وبهذا التذكر تبعد عنك شرورك ولا تتجاسر وتفكر بشيء آخر سواه. ما دمت حياً في أرض المخافة، فهناك مكانان أرض المخافة، وأرض الفرح، فأرض المخافة هي أرض التوبة وأرض الذين يشعرون بأخطائهم والذين لم يتحرروا بعد من الشهوات. وأما أرض الفرح فهي أسمى من المحبة ولا يستحقها إلا الإنسان الذي تحرر من شهواته وكبح جماح نزواته، حينئذ يدخل ويتنعم في

أرض الفرح، حيث لا يوجد خوف ولا رعب، فالخوف هو ضد الفرح، فحيث يوجد خوف لا يوجد الفرح، وحيث يوجد الفرح فلا موطىء لقدم الخوف. لأن الخوف يصاحب الشر، والخير يصاحب الفرح، ومثلما إن الصالحات هي عكس الطالحات، هكذا أيضاً الفرح هو عكس الخوف. فالخاطئ لا يشعر بفرح الروح الذي يأتي من الصالحات، ولا الفرِح يشعر بالخوف الذي يعقب الطالحات. فالإنسان الذي يريد أن يعيش بفرح وهو مازال عائشاً في أرض الخوف يشبه إنساناً يظن نفسه صالح وهو مازال غارقاً في شروره. أو إنسان يظن نفسه غني وهو فقير أكثر من كل الناس. فيتوجب على كل إنسان أن يشعر بنفسه بذاته بما فيه من أخطاء وأباطيل، ويزيد فيه مخافة الله باستمرار. ويفكر فيها في دخوله وخروجه، ويتأمل بها في جلوسه وقيامه، وفي سلوكه. وبمخافة الله تمتلئ أفكاره بحيث لا يحدد وقتاً لهذه المخافة بل إن كل الأوقات هي لها.

ففي غياب مخافة الله عن الإنسان فهو يستخف بوصايا الله وتغرق أفكاره بنعاس الخطايا. ومثل الآلة التي لا تشعر يفكر بالشر ويأتي بالسيئات. وكخاطئ لا يعرف بأنه قد أخطئ، وإذ عرف خطيئته تكون معرفته سماعية لا حقيقية لأن المعرفة الحقيقية لهذه الأمور السيئة تسبب في الحال الخوف للإنسان، وكما يشرق النور على العين لدى فتحها، هكذا بتذكر الله، تشرق في الحال مخافة الله داخل الفكر. وتخطف الإنسان كما من نوم عميق، فالإنسان الذي يخطف في نوم عميق فإذ هو راغب في القيام فيأتي النور ويراه ما يزال في فراشه، ولكن ما أن يفتح عينيه ويرى النور يُفاجئه ويتحرك بسرعة، وفجأة ينفض عنه كل أثقال النعاس الذي كان غارقاً فيه. هكذا أيضاً إن تكاسل الإنسان وأُخذت منه يقظة تذكر الله، وفضل نوم التهاون واستغرق في كسله. فإن صادف ولسبب ما أو بإرادته، وأشرق عليه نور تذكر الله. ففي الحال يرمي عنه هذا التهاون ويمتلئ فرحاً وتتقوى لديه المخافة من تذكر عدالة الديّان وما أن يخرج منه تهاونه الأول، حتى يدخل مكانه تبكيت الضمير ويمتلئ خوفاً من الأمور التي صنعت من قبله أو على الأوقات الباطلة التي قضاها بدون ذكر الله. فالإنسان الذي يعيش بذكر الله باستمرار، ولأن تطرأ عليه

نزعة شهوانية، لكنه يمتلئ فوراً من مخافة الله، فيندم على تلك النزعة التي داهمته وعندئذ يتلاشى ذاك الفكر ويهرب بسبب المخافة التي للنفس، كما يهرب الطير من أمام الإنسان بسبب المفاجئة التي تصيب هدوءه. إذاً الخوف والخجل من الناس يحفظ الجسد من الشهوات. وخوف الإنسان وخجله من الله يحفظ حركات النفس من الأفكار الشريرة. لأنه يرى بأن الله يراه باستمرار، فيحذر لكي لا يخطئ ويحفظ إنسانه الداخلي من العيوب الخفية، تلك التي تتأملها عيون الله الخفية.

فسيج إذاً حولك بسياج مخافة الله أيها الفطن، لكي لا تتجرأ الشرور وتدخل إلى داخل مدينة نفسك. وأتق الله بداخلك لتحفظ نفسك بطهارة. حرك فيك في كل حين مخافته فتبتعد عنك خطايا الأفكار، ويسكنك ذكر الله دائماً لأن ذكر الشرور لا يساكنه، فما دمت تذكر الله لا تستطيع أن تذكر الشرور، لأن النور والظلام لا يتواجدا في العين سوية، ولا ذكر الله وذكر الشرور يتواجدان سوية داخل النفس. فإلى أن تنسى ذكر الله لا تذكر الشرور، وإلى أن تنسى ذكر الشرور لا يحل بك ذكر الله. فنسيان الواحد هو تذكر للآخر، ودخول الواحد هو خروج للآخر. فذكر الشرور هلاك، وتذكر الله هو المعرفة الحقيقية. فالضلال ظلمة والمعرفة نور. وكما إن الذي يقوم بالنور هو أقرب للتقوى، هكذا أيضاً النفس التي يشرق فيها ذكر الله تتقي دائماً عري الخطيئة. وكما إنه بسبب الخجل يخفي الإنسان عريه، هكذا أيضاً عندما يظل ذكر الله داخل النفس يخيفها لكي تصون نفسها. وبغتةً تبسط عليها ثوب الحشمة. فإن وجِد فيها فكر كاذب فتغطيه وإن كانت متمسكةً بأمور لا تليق بها ففي الحال تخاف وترميها. وإن كانت مرتبكة فتنتظم، وأن كانت مضطربة ترتاح، وإن كانت خاطئة تتبرر، وإن كانت قذرة تَبيَض، وإن اتسخت تتطهر، وإن تدنست تتقدس، وإن تعرت تتعفف، وإن استهترت تورعت، وإن احتقرت تعقلت، وإن تبددت تجتمع، وإن تاهت تعود لذاتها، وإن افتقرت اغتنت، وإن أضاعت حياتها سارعت في طلبها من جديد، وأن كانت مريضة تتعافى، وضعيفة فتتقوى، وإن كانت سقيمة تشفى، وإن فيها كسور تتجبر، وإن امتلأت بالآثام عالجتها، وأن عتقت وبليت بالخطيئة فذكر الله والمخافة يجددها. فاختيار المخافة إذاً هو للنفس، والإنسان

وحده الذي يستطيع أن يعرف إن كان يخاف الله أو لا. فواجب على كل واحد فينا أن يقتني هذه النعمة. فإن ذكرتَ الله وامتلأتَ في الحال من مخافة الله واختلجت أفكارك مع أعضائك واضطربت نفسك مع جسدك وخفض عقلك رأسه للأسفل وخجل ذهنك خفيةً من الله، فإن حدثت كل هذه الأمور لك. فاعلم بأن فيك مخافة الله. واقترب منك ذكر الله حقاً. فليس الذي يقول أني أخاف من الله هو يخاف الله. ولكن من يشعر بنفسه بهذه الأمور التي قلت عنها فهذا بالحقيقة يخاف الله. فالصالحات التي تُرى من الخارج لا تظهر بأن فاعليها هم بالحقيقة يخافون الله. لأنه هناك أسباب كثيرة لعمل الصالحات من قبل الناس. ويوجد أيضاً سبب آخر هو حفظ الوصايا، فالذي بدافع مخافته الله يحفظ الوصايا هو عبد صالح إذ يخاف من الذي وضع الناموس فينفذه. ولكن لا يمكن أن يحفظ الناموس الإلهي ويتمم إن لم يحفظ نفساً وجسداً. فكثيرون هم الذين يحملون أثقال الأعمال في الظاهر وفي الداخل يخدمون الشرور. ويوجد من يربطوا أعضائهم برباطات المصاعب ولكنهم يطلقون أفكارهم لتتيه بالرذائل. ويوجد من يلبسوا الحياء من الخارج ولكن يتشحون بالفحشاء من الداخل. ويوجد من هم صائمون من الخارج ومن الداخل شرهون طماعون. كما يوجد من يظهرون أتقياء في الخارج وبالخفية يعملون كل الشرور. ويوجد من وهو صائم ثم يكثر من الأكل. ويوجد من يتظاهر بالزاهد وهو يحب المال. ويوجد من هو في الظاهر طويل الروح وهو حاقد. ويوجد من هو في الخارج صبور والغضب يسكنه بالخفية. ويوجد من يمتنع عن الشهوات ظاهرياً وهو في الخفية يطلبها. ويوجد من لا يرغبوا بسماع الشتائم وهو في كل حين يفعلها في الداخل. ويوجد من يصلي علنية، ويوجد من يصلي بالخفاء. ويوجد من يرتل بلسانه، ويوجد من يرتل بفكره. يوجد من يروض جسده، ويوجد من يروضه مع نفسه أيضاً. يوجد من يحفظ نفسه بلا خطايا لكي لا يعير من الناس، ويوجد من أبتعد عنها لمحبته للصلاح. يوجد من يخجل من الله، ويوجد من يخجل من وجوه الناس. يوجد من كره الخطايا لأنه علم بأن الخطية هي مكروهة لدى الله، ويوجد من ينتبه لكي لا يخطئ لأنه رأى أن الخطيئة مدانة في عين الناس. ويوجد من

لا يخطئ بسبب خوفه من الدينونة البعيدة (الحياة الجديدة)، ويوجد من لا يخطئ لخوفه من الدينونة القريبة (دينونة هذا العالم). ويوجد من بتذكر النار القريبة تبرد شهوة أعضائه ويبعدها ويوقف حركتها، ويوجد من بتذكر نار جهنم يبعد ويخمد شهوته. فإذاً لا تكف الأعمال الظاهرية لتظهر الإنسان بأنه يخاف الله. فأنت أيها الفطن أفحص نفسك ولتكن شهاداتك منك وبك إن كان في داخلك مخافة الله. فالبرارة التي تبدأ من الداخل هي صنيعة مخافة الله، ولكن التي تبدأ من الخارج فأعمالها أيضاً تكون خارجية، ورؤية الناس هي التي تشجعها، وتأثيرها أيضاً يكون في الخارج وليس في الداخل. وتُصنع لتشاهد أمام الناس وليس لتعمل خفية من أجل رؤية الله. فجيدة هي الضيقات التي تُرى لأنها تُخضع الأعضاء لكي تمتثل للعقل ولتقهر صلابة الجسد ليخضع لإرادة النفس. ولكنها (الضيقات) لا تنق الذهن من الخطايا ولا تضع النفس في إطار مخافة الله. إن لم تتعلم النفس أن تخاف من الله تلقائياً، فالعمل الخفي هو للنفس والعمل الظاهر هو للجسد، لكن عمل الجسد بدون عمل النفس لا يتزكى، وأما عمل النفس يُزكى وإن كان بدون عمل الجسد. وهكذا إن لم يكن الامتناع عن العمل بسبب الإهمال، أو الهرب من الضيقات طلباً للراحة. إذاً رؤية الناس لا تحفظ الإنسان من الخطيئة لا ظاهراً ولا خفية. ولكن رؤية مخافة الله تبعد الجسد والنفس عن الخطايا. ومثل الذي يقف أمام الديّان، فإن سُأل عن آثامه لن يكون له ما يجيب به بل يحاول أن يخفي آثامه القديمة. أما الذي يتصور الله الديّان، فتصوره هذا يجنب أفكاره دائماً فلا يستطيع أن يخطئ، وعليه أن يلبس في داخله في الليل والنهار ثوب الحشمة والخجل. وكل حركة للخطيئة تدنو منه تطرحها عنه مخافة الله. فمخافة الله تجمل الإنسان من الداخل وأما مخافة الناس فتجمل الإنسان بالحسنات الظاهرة فقط. فديّان أعمالك هو صاحب الحق في أن يفحص حروبك، وعليك أن تضع مخافته أمام عينيك دائماً. فإذا كانت مخافة الأسياد أمام عبيدهم، وإذا كان الخوف من الملوك والقضاة ورؤساء القوات أمام أنظار مرؤوسيهم والذين تحت سيطرتهم. وإن مخافة المعلمون والمربون تصون دائماً نقاء الأولاد. فكم يجب على الذي تتلمذ لله وهو بالطبيعة عبده، وجندياً عند الملك الأبدي،

وخادم الديّان الحقيقي للناموس : أن لا تبرح مخافته من جميع أعماله وأفكاره المخفية وأعضائه الظاهرة، فمخافة الله هي كاللجام الذي يلجم اندفاع الإنسان من الطيش وراء الشرور، كما وتردعه عن السعي وراء الشهوات الرديئة ليس ظاهراً فقط بل بالأكثر باطنياً، وليس كما يخاف العبيد من أسيادهم والخدم من الملوك والقضاة، هكذا الجندي الروحي من الله، لأن خوف أولئك هي خارجية مرئية على أعضاء الجسد، وإذا حدث وأهانوهم بالخفاء يحتقرونهم في أفكارهم، ومن الخارج يظهرون لهم صورة الخوف. بل لتكن مخافتك له متكاملة من جميع الجوانب، فهو يرى بالخفاء حركات نفسك فتسيطر عليك المخافة المطلقة بالظاهر والباطن، للذي هو ديّان أعمالك الباطنية والظاهرية وتخجل منه نفسك ولا تخطئ، ويقمع ذهنك ولا يأثم. فإن كانت مخافة الناس تحول دون ارتكابنا الخطايا فكم بالأكثر الخجل من الله يمنعنا عن ارتكاب الخطايا. فلتتذكر باستمرار بأن الله ينظر إليك دائماً، فأنظر أنت بالخفاء لذاك الذي ينظر إليك بالخفاء، فلن تمكث الخطيئة بأفكارك. فكما تهرب الظلمة من المكان الذي تطل عليه الشمس، هكذا أيضاً لا تمكث ظلمة الشر في النفس التي ينظر لها الله وتحس بذلك. فنور عين الله هو أكثر بكثير من نور الشمس، فقد قيل بالكتاب المقدس : " **يبصر كل أعمال الناس** "[1]. وأيضاً قال في مكان آخر : " **أعمال البشر كلها كالشمس أمامه ودائماً يرى ما يفعلون** "[2]. فنبي الله يوبخ الشخص بسبب خطية غياب مخافة الله عنده، فيزني على فراشه، كما يوبخ الفكر الجاهل الذي لا يرى، أن الله يراه، لأن عيونه مضيئة أضعاف ضياء الشمس، وبهذه يعلم كل إنسان أن الله يرى الخفايا. وينبه بكل حرص من الخطايا التي تعمل بالخفاء. فلا تخطئ بأفكارك ولا تأثم في بيتك بالخفاء، لأن الخطايا التي تعمل بالخفاء يراها الله بصورة واضحة، لأنه متى تتوارى عنك رؤية الناس، تستقبلك رؤية الله، وحين لا يراك الناس، يراك بالأكثر الرب الذي جبلك، لأنه يعلم بأنك كلما أنت تحت أنظار الناس فإنك تكون حذراً من أن تصنع أمامهم أعمالاً مخجلة،

---

[1] سير 23: 19

[2] سير 17: 19

لأن الخوف والخجل منهم يبعدانك عن فعل الخطيئة. فمتى بقيت وحدك وجدران وسقف المنزل تسترك من كل جانب، فهناك يلزمك سلاح مخافة الله. لأنه في الظلمة يسهل جداً عمل الخطيئة، ويستوجب أن تستيقظ نفسك في ذكر الله. وتحصن أعضاءك لكي لا تهزم أمام الخطيئة. وتقف كالجبار أمام الخطيئة التي تحاربك وتريد الانتصار عليك، وأمام السيئات الخفية التي تقاتل حياتك بحركات الشهوة لأن خلجات النفس توجد في جميع أعضاء الجسد. وكما يستتر الجسد بداخل البيت، هكذا تستتر أفكار النفس داخل غلاف الجسد. لأنه ليس من السهل أن ينظر الإنسان إلى الداخل لذا يسهل عليه فعل الخطيئة، وكلما رغب في فعل الآثم. لأن الفكر يخطئ بسهولة أكثر من الأعضاء، لأن الأعضاء ممكن أن تمنع من كثيرين، وأما الفكر فمتى ما أراد أن يخطئ ففي الحال تكتمل به الخطيئة وليس بحاجة إلى زمان ومكان لفعل الخطيئة. لأن السرعة في فعل الخطيئة تعتمد على شدة نزعته، ولكي يقاوم الذهن هذه النزعة يلزمه أن يذكر الله باستمرار لتحل به مخافة دائمة لديّان الخفايا. وباختصار يجب أن تكون مخافة الله في الذهن أكثر من النزعة التي فيه نحو الخطيئة. لكي كلما يتحرك به فكر الخطيئة تردعها مخافة الله. والنفس التي يوجد بها مثل هذا اللجام تكبح فيه حركات الأفكار السيئة. وإن حدث وبدأت تتغير فجأة يوبخها هذا التذكر ويعيدها إلى الوراء لتتأمل ذاتها. فليس هناك واحدة من الصالحات إلا ومخافة الله هي التي تحفظها. وإن وصف إنسان ما مخافة الله بحافظة الصالحات فلم يخطئ. فالإيمان بها يصدق، والصوم بها يحفظ، والصلوات بتذكرها تستمر عندنا، وعلى الصدقات هي التي تشجعنا، والأفكار السيئة التي بالنفس هي التي تهدئها، والشهوة التي تشتعل بأعضاء الجسد هي التي تطفئها، والأفكار القبيحة هي التي تطهرها، وهي التي تعيق النفس من التفكير بالأمور الشريرة، وهي التي تحذر من الأفكار والغضب والعداوة، وهي التي توبخ لكي لا يتجاسر إنسان ويفكر ويشتهي ما ليس له، ولكي لا ندوس الناموس فهي لذلك كافلة، ولكي لا نتجاوز وصايا الله فهي لبني البشر ناصحة، فهي حد لكل الشرور، وهي الترس بوجه كل السيئات، تقف ضد اليسار، وتشجع على الأمور الجيدة نحو

اليمين، تبطل الشرور وتجذب نحو عمل الخير، ولكي لا تعمل الشرور تعيقها مخافة الله، هي توقف الإنسان من طريق الآثم، فهي خادمة حسنة في كلا الجهتين، أي توقف الإنسان من طريق الشرور وتحثه ليسير في طريق الخير، تشجعه ليجمع له الأمور الجيدة، وتحافظ على ما قد جمع منها، فإنه لو لم توجد المخافة، لكان الفساد قد تسلط على كل شيء. فهي التي تساعد القضاة فتستقيم أحكامهم، وهي تحيط بالملوك لذلك لا تبطل أوامرهم، وهي التي تتبع رؤساء القوات فتلقي أوامرهم الخوف في سامعيها، وهي التي تثبت كل الناس بالإيمان بالله وإن كانت هي نفسها من الإيمان ولكنها أيضاً حافظة له. فالذي يخاف الله فهو الذي يحذر من أن لا يتعدى حدود الإيمان بالله. والذي يخاف الله هو الذي يقترب إلى مخافة الله، والذي قد حلت مخافة الله في نفسه يكون مستيقظاً ليحافظ على كل وصايا الله. فقد آمن آدم بالله فلم يخف منه بل، آمن بوجوده وقبل منه الناموس الذي سلمه إياه، ولما رمى مخافة الله عن فكره، ترك الإيمان وكسر الوصية. " **في اليوم الذي تأكل من الشجر موتاً تموت** "[1]. ولأن آدم انتزع تلك المخافة، آمن بالمحتال بدلاً من الله، وتعدى ناموس الديّان. إن الله لم يحط آدم فقط بالمخافة لتكون سوراً لحفظ الوصايا ولكن لجميع الأجيال أتبعها في وصاياه. فقايين بإرادته لم يخف الله ولكن المخافة سيطرت عليه بالضرورة، فقد خاف وتاه في الأرض ولأنه لم يخف من الواحد الذي منه يحق الخوف منه، امتلأ خوفاً من كل الذين يرونه. ومن عذاب تلك المخافة " **كل من يراه يقتله** " ترجى الله أن ينجيه من حياة مليئة بالأخطار والرعب. وأعطى الله الناموس بيد موسى المليء بوصايا مختلفة وكثيرة ومارس المخافة في كل واحدة منها. لأنه بدون مخافة لا تحفظ الوصايا، " **لا تقتل ومن يَقتل يُقتل** "[2]. فقد جعل المخافة دواء لكل داء، لكي لا يتمرس بالآثم. " **لا تزنِ والذي يزني يقتل** "[3]. فالمخافة حفظت الشريعة لكي لا ترذل. فبالمخافة ردعهم لكي لا يسيئوا

[1] تك 3: 3

[2] خر 20: 13

[3] خر 20: 14

لبعضهم البعض. لأنه وجدهم يحبون الشر، فردعهم عن أعمالهم بمخافـة الـديّان. فحيث لا توجد محبة، فإن المخافة هي التي تحفظ الوصـايا. بثلاثـة أمـور. إمـا بالخوف، أو بالمقابل (الثمن)، أو بالمحبة. ففي المقدمة هي المخافة، وبعدها الوعـد بالملكوت، وأخيراً هي المحبة الحقيقية. فالأولى للعبيد، والثانية للأجـراء، والثالثـة للروحانيين والأصدقاء. فأول طريق نحو معرفة المسيح هو المخافـة وهـي التـي تساعده، لأن كل من يبدأ بهذا التعليم يلزمه براءة الطفولة لكونها ملائمـة للمخافـة التي من شأنها الحث على المعرفة. ولأن الطفولـة لا تـستطيع أن تتـذوق طعـم المعرفة الحلو، لذلك يجب أن ترافقها المخافة. وما أن يتذوق معرفة المسيح ويشعر الإنسان بقوة الوصايا، فاللذة التي تذوقها تقوده لحفظ الوصايا. فما دام الإنـسان لـم يصل بعد إلى هذا الدرس، فإنه بحاجة إلى المخافة لكي تكون له مربيـة ومرشـدة ومذكرة بكل الوصايا. فكما يقبل الطفل العلم من المعلمين، بهذا العلم ذاتـه يحـاول المعلم أن يذكرهم باستمرار بكل ما سمعوه. وبنفس الطريقة يتقبـل الإنـسان علـم الوصايا من الله الذي هو المعلم والمدرس الحقيقي. والمخافة تكـون هنـا بمثابـة المرشدة والمذكرة للإنسان بالأشياء التي قبلها، فإن نسي تذكره، وإن تكاسل تشجعه، وإن نام توقظه، وإن ضعف وأغلق عينيه تصرخ به، وإن خرج وتشتت ترجعه إلى طريقه، وإن استهان تذكره بالسلطة، وإن تهاون تذكره بـالمؤدب. فالحيـاة التـي لا تساعدها المخافة فهي تظل في مختلف الشرور. فالذي يسعى إلى الـتعلم تلزمـه المخافة لتذكره بكل ما تعلمه. فبدونها لا يكتمل العلم، وإن أكتمل بدونها فلا يقبـل، وإن قبل بدونها فلا يحفظ. ويشهد نبي الله على أولئك " **كسروا نيره وخنقوا مخافـة الله** "[1]. وأيضاً يشهد في مكان آخر على بني إسرائيل، الذين طرحوا عن كتفهم نير الوصايا الإلهية، وأصبحوا مثل البقرة التي أفلتت من نيرها. فقد أفلت بنو إسـرائيل وملوكهم ورؤسائهم تمردوا إذ ليس لهم مخافة. داسوا الوصايا لأنهم لـم يتـذكروا السخط، واستهزءوا بالناموس لأنهم لم يتذكروا دينونة الذي وضعه. ولأن الله الـذي وضع الناموس بحكمة يعلّن لمن وضعه. فوضع مقابل الوصايا تهديده، فلو حاولـت

[1] أر 5: 5

الإرادة أن تدوس الناموس فالمخافة تشجعها على حفظها. ولأن الذي اقتبل الناموس هو عبد متمرد فأخضعه بالقوة للعبودية عن طريق الخوف من العذاب فقد وضع أمامه شتى أنواع العقوبات فبمقدار ما ينظر إليها ينتبه ويتمسك بوصايا الله.

فإذاً لنتشجع ونضع في فكرنا مخافة الله، ونتأمل بها في الليل والنهار. وإن اشتعلت بنا نار الشهوة فلنتصور أمامها نار جهنم. وإذا خطفتنا شراهة البطن فلنتذكر الدود الذي لا يموت، وإن أغرانا جمال الوجوه فلنتذكر الظلمة البرانية. وإن حاربتنا محبة المال فليخطر على ذهننا خسارة أنفسنا. وإن أغرتنا المكاسب المادية فلنخف لكي لا نخسر الملكوت الأبدي. وإن داهمنا الغضب العنيف فلننظر لتهديد الله على المغضوب عليهم. وإن أزعجنا مجد باطل فليخطر ببالنا الخوف والهوان أمام الديّان. فبالخوف نبطل الخوف، وبالموت ننتصر على الموت. فعلى من يريد أن يحفظ حياته ويكون حذراً من الخطايا، أن يذكر دائماً الموت. فالذي يتذكر يوم خروجه (من العالم) فهو يتذكر ساعة الموت. فلا يسرع نحو الآثم، ولا يتجاسر أن يقترب إلى عمل الخطية. فذكر الموت يلاشي كل الشهوات، ويشتت كل الشرور التي تتجمع على النفس والشهوات التي تتوجه نحو الجسد. فقبل موت جهنم ليكن لنا هذا الموت القريب معلماً ولنتمسك من كل الجهات بالحذر على حياتنا. ونتذكر إلهنا ونخاف من دينونته، ونحفظ وصاياه، ونتبرر من كل الشرور ونزين أنفسنا بكل الحسنات، فنستحق أن ننعم بتلك النعم السماوية مع القديسين، ومعهم نشكر الآب والابن والروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

المقال السابع
ويبين فيه بأن كل الآباء الأولين تمموا وصايا الله بمخافته

إن طريق معرفة السيد المسيح ممهد ومهيأ للذي يريد أن يسير به باستقامة على مثال القديسين الأولين. فإن آثار خطوات الذين سبقوا وساروا فيه قبلنا، تحثنا على السير فيه بصفاء، فكما يوجد علامات ولوحات على جانب الطريق مكتوب فيها إرشادات لسير المارة. كذلك في الطريق الذي نسير فيه توجد أمثلة القدماء مع وصايا ناموس الله يرشدان إلى كيفية السير في هذا الطريق. ولكي لا يتجاسر إنسان وينحرف عن هذا الطريق يسرى أو يمنى. فكما يستوجب علينا أن لا ننحرف عن الطريق الحق إلى أحد الجانبين لكي لا نتيه ونتعثر بإيماننا، هكذا يجب أن لا ننحرف عن ناموس التدبير الإلهي الذي سلم لنا إلى أحد الجانبين. ولكن كما في طريق الإيمان هكذا نسلك باستقامة في هذا المسلك الجيد. فنعرف بدايته ووسطه ونهايته، وننظر إلى الدرجات الكثيرة الموضوعة بانتظام الواحدة تلو الأخرى في هذا السلم المصعد إلى السماء. الذي أظهره الله كسر لرئيس الآباء (الطوباوي يعقوب). إذ سبق وأظهر له المسكن السماوي، والذين كانوا يصعدون وينزلون عليه الملائكة، ولكن أولئك الذين على السلم لم يكونوا ملائكة سماويين فقط، بل إن الكتاب بقوله عنهم إنهم ملائكة الله أي عن الذين كانوا يصعدون وينزلون عليه. فكان يشير بذلك أن كل إنسان يقترب إلى عقبه (السلم) ويبدأ يتدرج ويصعد به، فهو

يشبه رتيب الملائكة، ويعد من الروحانيين المختارين، ويكتب نفسه ضمن الجنود السماويين.

وكما إن الناس الذين يتقبلون منصباً دنيوياً ويجندون بإحدى الدرجات العالمية، يتغير اسمهم المعروف الذي كانوا يدعون به سابقاً فيدعون جنوداً. هكذا أيضاً الإنسان الذي يكتب نفسه بإرادته بين مختاري المسيح ويتجند بهذا النظام الروحي، فإنه يدعى من قبل الكتاب ملاكاً بدل إنسان. وطبيعياً وبما إنه بدأ يعمل عمل الملائكة فيجب أن يدعى باسمهم. فيدعى ملاكاً بدلاً من إنسان، لأجل عمله ومسلكه وليس من أجل طبيعته. ولذلك فإنه على ذاك السلم الذي شاهد عليه يعقوب الملائكة يصعدون وينزلون، فالذين كانون يصعدون هم أناس لأن الناس هم الذين يصعدون من الأرض إلى السماء، أما الذين كانوا ينزلون هم الملائكة لأن مكانهم في السماء فمن مكانهم العالي كانوا ينزلون، وهكذا كان يجتمع على ذاك السلم الملائكة والبشر. وبذلك علمنا الكتاب المقدس بأن صنع الحسنات هو أمر عام للروحانيين والجسديين، وبأن حفظ الوصايا هو واجب على كلا الطرفين. فالناس يحفظون الوصايا حين يصعدون من الأسفل إلى الأعلى بدرجات الوصايا، والملائكة أيضاً يكملون إرادة العلي حين يرسلون من الأعلى إلى الأسفل من أجل العتيدين أن يرثوا الحياة. فالذين هم في الأسفل وهم بطبيعتهم جسديين، فبتنفيذ الوصايا يصبحون علويين وروحيين، والعلويون والروحانيون الذي مسكنهم في السماء، تحثهم وصية الله إلى النزول إلى الأسفل ويجتمعوا مع الجسديين، لكي من كل الأجناس المختلفة عن بعضها البعض تتألف كنيسة واحدة باتحاد المحبة وترتل التقاديس لإرادة الله. ويتحركون كلهم مع بعضهم البعض بحركة حية وروحية، كالجسد الذي يتحرك بحياة النفس.

والآن قد ظهر لنا من كلام الكتاب بأن السلم المصعد إلى السماء يتألف من درجات كثيرة. والصعود عليه يجب أن يكون بترتيب، كما سلمه لنا الذين سبقونا وارتفعوا بهذا السلم. كما وقد أظهرنا بأن الدرجة الأولى فيه هو الإيمان، والثانية

هي البساطة والتي هي حركة طاهرة طبيعية، والتي منها يتولد الإيمان، كما إنها هي التي تحفظه. فكما إن المكر يهدم الإيمان، هكذا البساطة والطفولة تقيمان الإيمان. كما إنه من البساطة أيضاً تتولد مخافة الله، لأنه من الطبيعي أن المخافة تتبع الطفولة. فالأطفال يخافون منا لأنهم يحسبوننا عظماء، والبسطاء يخافون من سماع خبر العقاب. أما الماكرون فيعدون لأنفسهم مكاناً للهرب. وكما يساعد الخوف الأطفال العاديين (الأولاد)، ويشجعهم في دراسة كل الدروس، ويجذبهم ليتقبلوا العلوم والدروس. هكذا تتبع مخافة الله لطفولة النفس وتشجعها لكي تحفظ الوصايا وتتمم النواميس. ولا تقلل أو تستخف بكلام الله المسلم لها. فإلى أن يمتلك الإنسان القدرة على التمييز فالمخافة هي التي تقوده، وإلى أن يظهر فيه برّ الديّان ويعلم التلميذ بأنه واجب عليه أن يحفظ الوصايا، فالخوف والرعدة من واضع الناموس تسيطران عليه، ولكي يحفظ الناموس المعطى له بحرص. ولكن متى ظهر فيه البر الذاتي وأشرقت النعمة الموضوعة طبيعياً بداخله، فحينها تطالبه هي كمدين ليدفع دَينه بحفظ الوصايا. لأنه كما يلزم المطالبون في هذا العالم المدينين لهم، ويرغمونهم على أن يدفعوا ما قد استدانوه، هكذا أيضاً البر الذاتي الذي بداخلنا يجبرنا على أن ندفع لله دين وصاياه. فبهذا القدر تساعدنا مخافة الأطفال لنصل إليه. وبهذه المخافة كان يتجمل كل الأولين، لأن الذي ما يزال بمنزلة العبد، يلزمه أن يخاف، لأن الخوف يساعد في كافة أشكال العبودية. كما إنه موجود في الحب غير الكامل، لأن الكتاب يقول : في الحب الكامل لا يوجد خوف. فالخوف إذاً يلزم الذي أبتدأ بالمحبة ولم تكتمل لديه بعد.

فيوجد خوف من العقاب وهذا هو خوف العبيد. وهناك خوف من الخسارة وهذا هو خوف الأجير. ويوجد خوف من الحزن وهذا هو خوف المحبين، وهناك خوف من الحرمان وهذا هو خوف البنين. فاسم الخوف واحد ولكن يتضمن اختلافات كثيرة. فهناك خوف من الله، لدى الأنبياء القديسين ولدى الشعب اليهودي في بعض الأحيان. ولكن بأشكال مختلفة. فكان لدى الأنبياء كالمحبوبين الذين

يخافون أن يحزنوا حبيبهم الذي يحبهم. أما لدى اليهود فكالعبيد الذين يخـافون مـن عصا عقابه، ولذلك كان يكثر فيهم الخوف. وكان يجلب العقاب فـوراً علـى الفم الآثم، ولا يمنحهم فرصة لرجوع من بعد ارتكاب الجهالة وذلك لأن عبـوديتهم لـم تكن تستحق أن يطيل أناته عليهم. ولذلك فعصا التأديب كانت دائماً فوق رؤوسـهم. فعند حماقتهم كان العقاب فورياً، وحين يأثمون كانوا يؤدبون فـي حينـه، وعنـدما يخطئون يأتيهم التوبيخ حالاً. لأن طول الأناة تعلم العبد الاستهانة. ولكي لا يستهين ذلك الشعب الجاهل، الذي كان بمثابة العبد الفاسق الجالس في بيت الله، منـع عنـه طول أناته وخصوصاً في زمن خروجه من أرض مصر. ويمكن أن نفهم بطريقـة أخرى هدف تلك الضربات القاسية التي لم يكن فيها طول أناة خلال سلوكهم طريق الخطيئة. لأنهم كالطفل انتزعهم الله المعلم من مربيتهم مصر لكي يسلمهم معرفتـه، ويعلمهم حكمته. فذاك الشعب كان ضالاً في طفولته (حداثته) وخسيساً عندما أسـلم له ذاك التعليم ولم يتمسك بذكر وصايا الله أبداً. لذلك استمرت عليه تلك الـضربات المؤلمة، لربما يكتسب المعرفة خوفاً من الضربات. فذاك الذي ألتقط حطباً في يـوم السبت رجم من الجميع. والآخر الذي دعي من موسى ولم يـأتِ انفتحـت الأرض وابتلعته، والآخرين الذين استهانوا بكهنوته وأرادوا أن يجعلوا لهم مجـداً، خرجـت فجأة نار وأحرقت أجسادهم. والذين كما للمجد أتوا بنار غريبة وفي غيـر وقتهـا، خرجت نار من خيمة الاجتماع بشكل ألسنة فاحترقوا وهلكوا، والذين أرادوا اللحـم وكرهوا خبز الملائكة، تألموا كثيراً من التخمة التي أصابتهم. والذين أشغفوا بالعجل ضربوا بسيوف اللاويين. والذين كانوا سبباً في الاضطراب، فُصلوا عن الحياة بماء الامتحان. والذين تذمروا على الله، أبيدوا بالأفاعي المميتة. وكل هؤلاء لأنهم ناقشوا في إمكانية دخولهم إلى أرض الموعد فهلكوا وتلاشوا في البرية. فبسبب هذه الأمور الغبية كانت هذه الضربات، ومع كل خطأ كان يصدر في الحال تأديب له. وكانـت الأخطاء تصفع من قبل التأديب، والحماقات من العقاب. وهكذا كان الشعب كالطفـل يخاف من المعلم الذي يعلمه، وكالعبد الفاسق يخاف من الديّان الذي يجلده. ولـذلك

كان موسى كالمؤدب يعلم الشعب باستمرار بأن يخافوا الله، أعملوا كذا وكذا، احفظوا الوصايا، أكملوا الناموس، أحبوا قريبكم، ساعدوا المساكين منكم، لا تستعبد أخيك غصباً، لا تشته ما لأخيك، أكرم أباك وأمك، لا تحلف باسم الله باطلاً، لا تدخل إلى حدود أخيك، لا تسرق وتقتل، لا ترغم من هو أضعف منك، وفي نهاية كل واحدة من هذه الوصايا كان يذكرهم بأن يخافوا الله. فالمعلم موسى كان يحذرهم لكونه يعرف أنه بالخوف تحفظ الوصايا. والخوف من الله يحفظ من الأثم، فمن الصعب على الشعب أن يحب الله، لذلك كان يشجعه على أن يخاف من الله. أما قوله : " **تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك** "[1]. فهذه الوصية هي للصالحين منهم. ولكن للعبيد فيهم والذين كانوا كالعبيد يخطئون باستمرار، فقد كان يأمرهم بأن يخافوا الله. فالخوف يوبخ الشر، والمحبة تكمل الخير. الخوف يقطع مسلك الخاطئين، والمحبة تجذب المحبين إلى السير في الطريق الصالحة.

خف من إلهك وأحببه كليهما متواجدان في الناموس الذي أعطي للشعب. فالذي يتسامى في وصية الخوف يجد أمامه وصية الحب التي هي أكمل منها. ولأجل ذلك عندما أراد بولس أن يظهر الفرق بيننا وبينهم قال لتلاميذ المسيح : " **إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف (أي لم تدعوا لتكونوا عبيداً لأنه من العبودية يتولد الخوف)بل أخذتم روح التبني (تلك التي تكتمل بالمحبة العظمة)** "[2]. فجيد إن الخوف يساعد جداً الأطفال، كما إن الاستقامة ضرورية في بداية التلمذة. لأنه كلما كان الخوف موجودة عند التلميذ، كلما ذكره بأن لا ينسَ دروسه. وعلى مثال ما كان يفعل موسى فيآمر بالمخافة أولئك الذين بدؤوا حديثاً في طريق التلمذة. هكذا هنا أيضاً يجب أن تكون المخافة عاملاً مساعداً لكل تلميذ بدأ السير في طريق البر. فالذي يخاف لا يستهين، ولا يتكاسل ولا يُحقر. فالخوف

[1] مت 22: 37

[2] رو 8: 15

ينبهه ليحفظ الوصايا. وإن حصل وتهاون، فذكر الخوف يفاجئه وفي الحال يتـذكر الله. وإن كان تذكر الله راسخاً فيه، فإنه يضطرب ويقلق ويمتلـئ خوفـاً ورعـدة، وتأخذه فجأة الحيرة بسبب تهاونه السابق. وكما قال النبي وهو يعرف أن يخـاف الله ويشعر ماذا فعلته مخافة الله في نفسه " **أذكر الله فأئن** " [1]. فيا نبي الله إن تـذكر الله ليس للأنين، فلماذا تئن ؟ ولماذا ذكره الحبيب يُخيفك ؟. لأني أخطأت لـه، تـذكرت جهالتي والديّان، وامتلأت خوفاً، ونظرت إلى خطاياي وإلـى انتقامـه، فـأفزعني تذكره. فالمستقيم والمتكل على الله، وثابت القلب لا يخاف، فصاحب القلـب الثابـت بالصالحات ذكر الله يكون له للفرح، والذي يحفظ في داخله بروح سليمة، فـذكر الله يبهجه. والذي يكون ضميره مضطرباً بسبب الخطايا، فتحل فيـه مخافـة الـديّان. فالخاطئ يخيفه ذكر الديّان، وتذكر المذنب للعقاب يملأه رعباً. ولذلك قال النبـي : " **أذكر الله فأئن. أناجي نفسي فيغشى على روحي. أمسكت أجفان عيني. انزعجت فلم أتكلم. تفكرت في أيام القدم السنين الدهرية. أذكر ترنمي في الليل. مع قلبـي أناجي وروحي تبحث. هل إلى الدهر يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد** " [2]. فبمثـل هذه الأفكار كان يقضي نبي الله لياليه ساهراً وكان يصلي على سريره وكأنـه فـي كنيسة القديسين، وعندما كان يتذكر ما هو مستوجب عليه ليدفعه لله، ويحسب الأيام والسنين التي مضت، ويتأمل في الرجال الصالحين وكيف كان كل واحد مـنهم قـد أرضى الله في زمانه، وبأي الأعمال أشتهر الذين كانوا قبله، فلهـذه الأمـور كـان النبي يتذكرها لكي يُذكر كل الذين سوف يأتون بعده ويعلمهم بأنه على هذا الـشكل يجب أن نخاف الله. وأن يحاسب كل إنسان نفسه، وأن يتأمل بمـن سـبقه، وبـأي حرص كانوا يديرون حياتهم. لأن النبي نفسه قال أنه كـان يفعـل كـلا الأمـرين " **تفكرت في أيام القدم وفي السنين الدهرية التي بها احسن القدماء** ". ومن تـذكر كليهما ملأه الخوف، فكم أرضى القدماء الله، وكم أغضبته أنا. فقضيت وقتـي فـي

[1] مز 77: 3

[2] مز 77: 3 – 9

المحاسبة وساعاتي في العد، وفكرت في الأيام الماضية، وفي السنوات التي عشت فيها في العالم، وتأملت بماذا أغضبت الله، وأي الحماقات صنعت، وأي الخطايا ارتكبت، وأي منها (الخطايا) من الفكر وأي من السمع وأي من اللسان. وإذ كنت أفكر في هذه قلت لا تدخل عبدك في الدينونة، لأنه لا يتبرر أمامك كل حي.

بهذه الصورة تدعونا كلمة النبي، وهذا التعليم أسلمه لنا، لنحسب الساعات والأوقات، ونفكر بماذا قد أغضبنا الله، فإن كان تجار هذا العالم، يحسبون مكاسب ونفقات كل يوم، وماذا ربحوا وماذا خسروا. فكم يجب أن يصنع بالأكثر تاجر الروح، الذي خرج ليطلب الغنى السماوي. فبحساب هذه الأمور يكتسب حسنتين : الأولى إنه يجمع فكره ليحسب هذه الأمور، والثانية يتشجع ليجمع مكاسبه. فإن يغضب الإنسان الله فهذا خوف كبير وخصوصاً عندما يتأمل بعظمته وبحبه ورحمته التي لا تحصى، وأي النعم التي أفاضها علي جنسنا. إذ لا نستحق أن ننال واحدة من أعماله، ولكن نعمته هي التي أعطتنا إياها. وإذ نظر الإنسان إلى نفسه وما هو عليه، وما وهب له، ومن هو واهب كل هذه الأمور، فحينئذ يجب أن يتذكر الله ويخاف، كما علمه النبي. ففي كلتا الحالتين يجب أن نخاف، إي إن كنا خاطئين، أو لكي لا نخطئ. فالذي يتذكر الحماقات التي فعلها، وينظر إلى خطاياه القديمة، يخاف من التأديب. والذي يظن نفسه طاهراً وليس له خطايا سابقة ليحسبها ويخاف من تذكرها، فمثل هذا ليخاف لكي لا يحزن الله بما سَيؤتيه من خطايا. فهكذا حفظ الصالحون أنفسهم من الخطايا، وتبرروا من العيوب التي كانت تصيبهم، وكانوا ينتبهون من الخطايا التي قد ترتكب مستقبلاً.

فعلى الإنسان أن يتخذ درساً من الضربة الأولى لكي لا يعاقب ثانية. وأن يحثه الألم الأول لكي ينتبه من ألم آخر. فمن الذي يتأمل بالله بفكر يقظ، وينظر إلى ربوبياته ويتأمل بخفاياه، ويرى بعين فكره ذاك الكيان الصافي القدوس، الذي لا يحتاج إلى شيء، ذاك الذي هو عظيم مكانه وعال مسكنه، ذاك الذي به تجتمع كل الكنوز والنعم والغنى، ذاك الذي هو بجملته نور وحياة ولذة، ذاك المسامح

والرحيم والطيب، ذاك الشفوق والحنون والممتلئ حباً، ذاك البهي والجميل والحسن، ذاك العارف والمطالب، والمشجع لكل إنسان لكي يعيش، ذاك الذي يجبرنا لنحيا، ويريد لنا حياة مريحة أكثر منا. ذاك الذي يطلب منا دائماً أن نأخذ من غناه ونسلب من خزانته، ونغتني من كنوزه ولا نفتقر، ذاك الذي لم يفرح بحياته كما بحياتنا، ذاك الذي لم يستطع ضعفنا أن يصعد إلى غناه فأنزل هو غناه إلى ضعفنا. ذاك الذي رآنا بأننا لا نريد أن نغتني فصار مسكيناً لكي يغنينا. ذاك الذي اسمه محبوب ولقبه حسن وذكره طيب الذي يطعم حلاوة الروح للنفس التي تشعر به. ذاك الذي يتعاظم بالغنى، الغني بأزليته، الذي لم يراه أحد من الناس ولا يستطيع حتى أن يره. ذاك الذي لا توصف طبيعته ولا يفسر غناه، الذي عطاياه أيضاً مثله لا تحدها معرفةً. ذاك الذي بمقدار ما نحن سيئون بمقدار ما هو جيد، وأكثر من سيئاتنا كرم نعمه. ذاك الذي بطبيعته فقط تُقدر نعمه، وبه فقط يقاس حبه. ذاك الذي هي كثيرة نعمه، وساتر عدله. وكبير حبه وقليل انتقامه. وغني بالغفران، ومتباطئ بالتأنيب. ذاك الذي هو قليل المعاقبة، وكثير المواهب. ذاك الذي حتى حين يؤدبنا يعتبر التأديب قوة لنا، لأنه يحب أن يمتلكنا لذاك يؤدبنا. ذاك الذي لا تصيبه خسارة إلا إذ هلكنا، ولا يصيبه ضيق إلا من أجلنا. ذاك الذي لبس آلامنا لكي يخلعها عنا، وتوشح مرضنا لكي يبطل مرضنا. ذاك الذي حزن ليسعدنا، وتضايق ليملأنا فرحاً. ذاك الذي أحتاج لكل شيء لكي لا نكون محتاجين لأي شيء. ذاك الذي علم بأننا قد صرنا مغضوب علينا، فأوجدنا كأبناء محبوبين ومحتاج إليهم. ذاك الذي علم بأننا قد كتبنا أنفسنا كعبيد للشيطان، فكتبنا وراثة للعالمَين (الأرضي والسماوي). ذاك الذي سبق ونظر وراء صورتنا بأنه مرسوم عليها صورة إرادة الشيطان، فقام ورسم علينا صورته الجميلة. ذاك الذي شعر بأننا لم نحفظ الأوليات، فأعد لنا أمور أخرى أكبر منها. ذاك المعطي الغني الذي خسارته هي أن لا نأخذ منه. ذاك الذي عندما يعطينا يحسبها بأنه نحن قد أعطيناه هذه النعمة، وعندما نأخذ نحن من خزانته يحسبها وكأنه نحن الذين نضع المال فيها. ذاك المحب للبشر، والمعطي باستمرار.

ذاك النقي الذي لا يتعكر الذي يعمل بنا بتعاليمه لكي يجعلنا أنقياء مثله. ذاك الغني الذي لا يفتقر الذي يحاول أن يستميلنا لكي نأخذ من غناه لكي نصبح أغنياء. ذاك الذي كلما كان هو المقتني يكون كالفقير، وحين نكون نحن المقتنين يكون هو الغني. ذاك الذي بدوننا لا يريد أن يقتني شيئاً. وإن أقتنى شيئاً بدوننا فلا يفرح به. ذاك الذي فرحنا هو له، وضيقنا يضايقه، وكل خسائرنا يعدها خسارة له. ذاك الذي يعطينا كل النعم ولا يشبع، ويهبنا كل الغنى ولا يكتفي إلى أن أعطانا نفسه بمحبته. فلهذا الطيب والغني، النقي والمعطي، الرؤوف والحنون، الرازق والمعيل، المسامح والغفور، الراحم والمليء بالحب، الغني والمغني، الطيب والواهب، الطويل الروح والهادئ، المحب لجنسنا ولطبيعتنا، طبيبنا ومعلمنا، أبونا بنعمته ومربينا بحنانه، فلهذا من لا يخشى ويرهب ويخاف أن يغضبه، ومن هو الإنسان الذي ينظر إلى كل هذه النعم التي أعطيت لنا وأيضاً يتأمل بالعظمة التي أعطيت لنا ولا يخاف عقله كلما تذكره. وأية نفس التي قد أخذت كل هذه النعم ولا تستحي من واهبها. فخوف عظيم إن لم يخش الإنسان من هذا الإله. ومن أن لا يرهب من كل هذا الحب الذي يصل إلى حد الموت، ولا يخجل كل الآخذين من هذا الغني بكل هذه المواهب.

فكل هذه الأمور وما يشابهها تذكرها النبي وأضطرب، وكل من يمتلك يقظة تلك النفس القديسة فسوف يضطرب كما أضطرب ذاك النبي بتذكر هذا الإله. وفي دخوله وخروجه وفي كل حركاته سيضطرب بتذكره. فالذي يخاف لا ينام، وإن نام فإنه يرى في حلمه سبباً ليخيفه، كما إنه لا يأكل ولا يشرب، وإن أجبرته حاجة طبيعته على ذلك، فإن طعامه وشرابه سيكون ممزوجين بالخوف. فكل فكر يقاوم الإنسان المليء بمخافة الله يظل خارجاً منه، لأن عقله وكل مداخل ومخارج نفسه تحرسها مخافة الله. لأنه كما يحرس الحراس مداخل المدينة، هكذا أيضاً تحرس مخافة الله مداخل ومخارج النفس، ولا تسمح أن يدخل أو يخرج عمل ما أو فكر إلا وتفحصه. فلا تسمح أن يخرج أي فكر كان من الداخل إلى الخارج، ولا أن يدخل من الخارج إلى الداخل لأنه عمل غير لائق. كما يظهر أيضاً هذا النبي في أماكن

أخرى " **قد أقشعر لحمي من رعبك ومن أحكامك جزعت** "[1]. وأيضاً قال : " **لأني قد صرت كزق في الدخان أما فرائضك فلم أنسها** "[2]. وأيضاً قال : " **إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. وإلى متى تحجب وجهك عني. وإلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم** "[3]. وأيضاً قال : " **ارحمني يا رب لأن نفسي ضعفت. أشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت. ونفسي قد ارتاعت جداً. تعبت في تنهدي. أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي. ساخت من الغم عيني** "[4]. ومعروف بأن كل هذه الأمور هي من مخافة الله. وأيضاً قال : " **وانسحقت إلى الغاية كنت أئن من زفير قلبي** "[5]. وأيضاً قال : " **بمخافتك يا رب أهدني وببرك** "[6]. وقال أيضاً : " **ليست في جسدي صحة من جهة غضبك. ليست في عظامي سلامة من جهة خطئي. لأن آثامي قد طَمت فوق رأسي. كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل. قد نتنت جراحي وقيحت يا رب بسبب حماقتي. انحنيت والتويت كثيراً اليوم كله ذهبت حزيناً. لأن خاصرتي قد امتلأت احتراقاً وليست في جسدي صحة. خدرت وانسحقت إلى الغاية** "[7]. وأيضاً قال : " **قلبي خافق قوتي فارقتني ونور عيني أيضاً ليس معي** "[8]. وأيضاً قال : "**صمت صمتاً سكت عن الخير فتحرك وجعي. وحمي قلبي في جوفي. عند لهجي اشتعلت النار** "[9]. وقال أيضاً : "**صمت لا أفتح فمي لأنك أنت فعلت** "[10]. وأيضاً في أماكن أخرى يعطي النبي

---

[1] مز 119: 120

[2] مز 119: 83

[3] مز 13: 1 – 2

[4] مز 6: 2 – 7

[5] مز 38: 8

[6] مز 5: 8

[7] مز 38: 3 – 7

[8] مز 38: 10

[9] مز 39: 3 – 4

[10] مز 39: 9

الطوبى للذي يخاف الله ويظهر له النعم التي تصنعها به تلك المخافة. " **طوبى للرجل المتقي الرب** "[1]. فهنا التطويب قد أعطي لمن يخاف الله. وإذ كان الرب قد جعل التطويب لأمور أخرى فالنبي داود قد نسبها لمن يخاف الله. " **طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف** "[2]. ومعروف ذلك لأنه يخاف الله لا يسير في طريق الخطاة. وأيضاً قال : " **طوبى للرجل الذي تؤدبه يا رب وتعلمه من شريعتك** "[3]. وواضح بأن مخافة الله تعلم الشريعة، والإنسان الذي يخاف يعترف بتأديبها (الشريعة). وأيضاً قال : " **طوبى للكاملين طريقاً والسالكين في شريعة الرب** "[4]. وهنا أيضاً المخافة تحفظ من العيوب وتشجع على المسير في طريق الناموس. وأيضاً قال : " **طوبى للذي غفر أثمه وسترت خطيته** "[5]. ومعروف هنا بأن مخافة الله تقود إلى التوبة التي تعطي الغفران. وبواسطة الألم والدموع اللذين يولدان من المخافة تختفي صور الخطيئة من أمام الإنسان. وأيضاً قال : " **طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طريقه** "[6]. وهنا أيضاً أظهر النبي بأن المخافة تُسير الإنسان في طريق وصايا الرب. وفي أماكن أخرى يقول على من يخاف الرب بأنه يحرص على الوصايا التي أعطيت من الرب. وأيضاً ينصح النبي كل إنسان بأن يقترب إلى الله بمخافة. ويرجو من كل المسكونة بأن تخاف الرب خالقها " **لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة** "[7]. فكلام النبي ألقى الرعب والخوف على كل ساكني الأرض، وعلمت كل الخلائق بأنه بهذه الطريقة يجب أن يتقدموا نحو الله. فكل مَن يشعر بعبوديته

[1] مز 122: 1
[2] مز 1: 1
[3] مز 94: 12
[4] مز 119: 1
[5] مز 32: 1
[6] مز 122: 1
[7] مز 33: 8

عليه أن يخاف من سيده الذي يعبده. ومن هنا يجب على كل مخلوق يمتلك تمييزاً أن يشعر بخالقه، وأن يقترب بخوف ورعدة نحوه. لأن الخوف من الله يليق بطبيعتنا. وأما أن نحبه فذلك من نعمته التي أعطانا إياها. فالإنسان لا يستحق أن يحب الرب، ولكن الرب هو الذي تنازل ليُحَب من الإنسان. وطبيعة المسكونة تستوجب مخافة الله. ولكن أن ترتفع إلى درجة الحب فليس باستطاعة طبيعتها ذلك. إلا أن النعمة تنازلت طلباً إياها وأصعدتها وأقامتها في العلاء بالمحبة الإلهية لتحب بواسطة نعمة لله، ذاك الذي يجب أن تخاف منه بالطبيعة. فها إنه حتى لملوك ورؤساء العالم لا يستطيع كل إنسان أن يظهر حبه لهم، أو أن يقوم أمامهم بحركات طائشة متكلاً على المحبة. بل إن كل الرتب التي هي تحت سلطانهم تظهر أمامهم الخوف والخضوع وليس فقط حب ورجاء الأحباء. فمن عادات عظماء العالم، اعتبار محبة الفقراء لهم شيئاً مخجلاً، ولذلك يطالبون من الجميع أن يخافوهم كأسياد لا أن يحبوهم كآباء. ولكن الله الذي بنعمته جعل نفسه أباً لنا، أعطانا سلطاناً أن نحبه. لكن يجب ألا نتعالى نحن بإرادتنا لهذه المحبة بل أن نظل كل أيام حياتنا خاضعين لمخافته. ومتى أراد هو حينئذ تدخلنا نعمته لمرتبة حبه. كما إنه لا يوجد قدرة لعقلنا بأن يحب الله، بل إن مستوى خلقتنا هي أن نخاف الله. ولذلك نرى في كل مكان من الكتب المقدسة بأنها تطالبنا بالمخافة أكثر من الحب، وذلك لأن المخافة تساعد على اليقظة أما الحب فعلى الرجاء، كما إن الحب يأتي من المخافة، فإلى أن يعمل الإنسان ويشتغل ويزرع بالمخافة لا يصل إلى أن يحب. فكما أن غلة المواسم في هذا العالم هي بيد الله، لكن زراعتها والعمل بها هي بإرادتهم. هكذا أيضاً عمل المخافة هي بإرادتنا، لكن أن نصل إلى مستوى الحب وأن نجمع غلته فذاك يكون بإرادة الله. لما أتى المسيح جلب الحب للعالم، وقبلاً كانت المخافة هي التي تعمل في كل الناس. وإلى أن يظهر المسيح في داخل الإنسان فبالمخافة يجب أن يلبث كل أيام حياته. ولئن من أجل نعمه لكي يُغنينا ويعظم من خلقتنا اسمانا أبناءه. ولكن حري بنا أن نمكث بتواضع في المخافة. فليس لنا أن ندعى أبناءً بل

هي النعمة الذي دعتنا بها. ليس لنا أن نطلب بوقاحة أجراً ، بل علينا أن نعمل بمخافة، أما أن يُعطى الحب أجراً لنا فهذا هو من خصوصية الله. كما إن المرء لا يكون مخطئاً إن دعا الحب بأنه أجرة المخافة، لأنه كما ينال الإنسان أجراً بعد عمله هكذا أيضاً بعد العمل في المخافة يطعمه المسيح حلاوة حبه، الذي ينشئ لنا فرحاً، ونقف بثبات كالبنين، ويتواجد إنساننا الداخلي بدالة أمام الله، ويتمتع عقلنا بفرحٍ روحيٍ دائمٍ، ويتنعم عقلنا الباطني بمشاهدة النور السماوي، ويتولد في النفس كره لكل الأشياء التي ترى، وكأننا نسكن منذ زمن بعيد في ملكوت السموات التي هي معدة للقديسين.

فهذه الأمور وأكثر منها معدة للنفس التي استطعمت الحب الإلهي. فالإنسان القائم في حب كامل، يكون في الله، وأي فرح يعادل هذا الفرح، أو أية راحة أو أية لذة تساوي هذه أن يكون الإنسان في الله. فإن يكون الإنسان قائماً في حب كامل فهذه طهارة من كل الشرور، وإتمام لكل الحسنات. فحتى السيد المسيح لا يعطي غنى الحب هذا إلا للإنسان الذي يعرف بأنه يستحقه. لأنه من الحب يتولد الرجاء، والرجاء يتبعه التهاون، ولا يوجد حسنة من الحسنات إلا وتتواجد لها ضربات تريد نهبها. أما المخافة فليس فيها تهاون بل يقظة وانتباه وسهر دائم يحفظ الحسنات من السارق (الشيطان). كما أن مخافة الله تشجع الإنسان ليجمع الفضائل وما أن يجمعها أيضاً حتى تزيده مخافتة ليعود ويزيد على مخافته حرصاً على فضائله لكي لا تسرق. فإنها تصرخ لكي تخاف (أنت)، وتتنبه على ممتلكاتها لكي تخاف من أن تسرق. فمن كل الجوانب لازم ولائق بالإنسان بأن يخاف من الله كل أيام حياته في هذا العالم. فأرض المخافة هي أرض الحياة الميتة. وأرض الحب هي ذاك العالم الأخر عالم الحياة التي لا تموت.

فلننظر إذاً بأرضنا ولتزداد بنا المخافة، ولنتأمل بالمسكن الذي نعيش فيه ولتكثر بنا الرعدة من الله ومن تذكر اسمه. ولنستيقظ كما من سبات عميق لنحفظ كل وصاياه فهذه هي طبيعة المخافة فهي لا تشجعنا على أمر ما ولا تشجعنا على

الأخر، بل توقظنا لعمل كل الوصايا. فلذلك شـاء روح الله بـأن يعلمنـا المخافـة بواسطة كل الأنبياء. فقد قال النبي داود : " **أكل وسجد كل سميني الأرض. قدامـه يجثو كل من أنحدر إلى التراب ومن لم يحي نفسه** "[1]. وأيضاً قال : " **دربني فـي حقك وعلمني** "[2]. ولأنه كان يعرف فائدة المخافة من الله كان يطلبها مـن الـرب كموهبة. والنفس التي تربيها مخافة الله تسير باستقامة في كل تصرفاتها. كما إنهـا تطلب (المخافة) من الله أن لا يذكر لها خطايا صباها. إذاً فالنبي من خوفه مـن الله تحركت به هذه الطلبة. كما قال أيضاً : " **رأس الحكمة مخافة الـرب** "[3]. لأن نهاية طريق الأعمال الصالحة هو الحب الروحي، ومن الحب تتولد حكمة الله. فجيـد أن النبي قد علمنا بأن بداية طريق الحكمة هي مخافة الله. فكما إنه لكل عمل من أعمال هذا العالم له بداية ونهاية. وأيضاً الطرقات المعدة باستقامة لمسير المارة لها بدايـة ونهاية. هكذا أيضاً لطريق الصالحات هناك بدايـة ونهايـة. فبـدايتها مخافـة الله، ونهايتها الحكمة التي تتولد من الحب. وهكذا يجب على من يريـد أن يـسير فـي طريق الأعمال المستقيمة أن يبدأ من مخافة الله كما علمنا الطوباوي داود. وأيـضاً نبي آخر يقول بأن مخافة الله قد فتحت لي أذناي. وأيضاً عن يونان قيـل : "**هـرب من وجه الرب فنزل إلى يافا** "[4]. وإن كانت مخافته قد ولدت من البـساطة لكنـه هرب كرجل خائف من الله لكي لا يقترب من عمل ظنه أكبر مـن قوتـه. وأيـضاً عندما سئل من الملاحين من أين هو ولمن من الآلهة يعبد قال : " **أنا عبراني أتقي الرب خالق السموات** "[5]. وأيضاً الذين كانوا معـه داخـل الـسفينة عنـدما رأوا المعجزات التي حدثت من الله في البحر الذي أستيقظ مثل القطن يطلب مـنهم ذاك العبد الهارب وحين أعطي له هدئ وسكن من هيجانه. ورأوا من خلال هذه الأمور

[1] مز 22: 29
[2] مز 25: 5
[3] مز 111: 10
[4] يون 1: 3
[5] يون 11: 9

التي حدثت قوة الله فقيل عنهم : " **فخاف الرجال الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً** " [1]. هذا كما طالب الرب المخافة منه من اليهود وذلك على يد أرميا إذ شهد عليهم بشهادات الطبائع الصامتة إذ وهم بطبيعتهم صامتين يخافون من كلامه. وأما هم (اليهود) فيستخفون بوصاياه. " **ألا تخافوني يقول الرب ألا ترتعدون من وجهي ؟ أنا جعلت الرمل حداً للبحر حاجزاً أبدياً لا يتعداه** " [2]. وهنا أيضاً يطالب الخالق المخلوقين بأن يخافوه، ولأنهم تركوا مخافته عَيرهم بالكائنات الصامتة التي تخاف وترتعد من عظمة الخالق، وأما من الناس فتستهان أوامره. لذلك يظهر عظمة طبيعته (الرب) في كل مكان على يد النبي لكي يدخل مخافته على السامعين أولئك إن أظهر لهم تواضعه، لكانوا استخفوا به، لذلك أظهر لهم عظمته ليخافوا منه. وأما الآخرون الذين بسماعهم عن تنازله يكثرون الحب، فهؤلاء قد أظهر تواضعه أمامهم. فالغبي معتاد أن يستخف بالذي يتواضع أمامه. أما الحكيم لأجل تواضعه يضاعف الحب له. فليس للغبي عين ليرى الحب بداخل التواضع فلذلك تُظهر له العظمة، والعنف يكتب عليه، والقسوة والمخافة تحتم عليه. لكي يخاف من هذه الأمور ويرتعد. ومن هذه الأمور وبهذه الشهادة ظهر سبب استخدام إرادة الله لهذه الكلمات نحو البشر " **ألا تخافوني يقول الرب ألا ترتعدون من وجهي ؟ أنا جعلت الرمل حداً للبحر، حاجزاً أبدياً لا يتعداه فأمواجه تلطم وتبقى عاجزة وتعج ولا تتجاوزه** " [3]. وأما أنتم فبإرادتكم استهنتم بهذا الرب المخيف. وأيضاً قال في أماكن أخرى أظهر بأنه قد استخدم معهم كل أشكال المساعدة وكل أسباب الخوف والمحبة قدمها لهم وأما هم فلم يحبوه أو يخافوه " **قال الرب القدير الابن يكرم آباه والعبد سيده. فإن كنت أباً فأين كرامتي ؟ وإن كنت سيداً فأين مهابتي** " [4]. ولذلك يذكر الرب في أماكن أخرى نعمه التي صنعها أمام

[1] يون 1: 16
[2] إر 5: 22
[3] إر 5: 22
[4] مل 1: 6

شعبه مثل الخروج المخيف من مصر، والنعم الكبيرة في البرية، والـدخول لأرض الموعد، وإخضاع الشعوب الغريبة، ونعمه التي كانت تفيض كل يوم على حياتهم. وبذكر هذه الأمور كان يريد (النبي) أن يوقظهم على حب الواهب. وفي أماكن أخرى يروي العظائم التي عملها والأعمال التي عملها بإرادته، والكون الذي هو قائم بقوة كلمته، والبحار التي لا تتعدى حدودها، والطبيعة الخاضعة لإرادته، **"من قاس السموات بالشبر ومن كال تراب الأرض وقبن الجبال بالقبان ووزن التلال بالميزان... وجميع الشعوب عنده كلَ شيء "** [1]. هذا قاله النبي ليظهر عظمة الرب لكي بسماعه يدخل الخوف على سامعها.

فالذين ما زالوا قائمين في درجة العبيد وسيظل الله يكلمهم عن عظائمه ومخافته، وللذين استحقوا درجة الحب المانح للمعرفة فإنه يتنازل ويترأف ويتواضع ويكلمهم، لأنهم لم يستهينوا بتنازله بل بالأكثر ازدادوا محبة له. فحيث لا يثق الله بالناس بسبب ضيق فكرهم وقلة معرفتهم فهناك يتكلم معهم بالرعب والمخافة ولا يعطيهم دالة ليقتربوا ويتكلوا على حبه، لكيما إذا شعروا برحمته وبأن أكثر ما يوجد لديه هو حبه ونعمه، فعندها سوف يستهينوا بطيب حبه ونعمه، ويستخفون بعمل كل الشرور. أما هذه (محبة الله) فهي تظهر لمن أمتلكوا وراثة اسم الأبناء مع النعم وأيضاً بسبب أعمالهم، لأنه بمقدار ما يتذوقون الحب بمقدار ما يزيدون من حبهم، وبمقدار ما يشعرون بجمال طبيعة الله بمقدار ما يصيرون أفضل، وبمقدار ما يظهر لهم تنازله وطيبته بمقدار ما يتشجعون ليتشبهوا بأبيهم في مثل هذه الأمور. فلذلك نجد بأن إعلانات الله الأولى كانت كلها للمخافة. وأما الأخيرة فهي للشركة والحب. ففي الأولى ظهر ليعلمنا إنه الله، وأما في الآخرة فظهر وبرهن على أنه أبونا. في ذاك الزمان كان يقرب الناس له ويحسبهم بمرتبة العبيد، أما اليوم فيدعوهم إلى ورثة الأبناء. وحينما أراد أن يجمع له عبيداً، كان يحمل معه الجلدات والقيود، والضربات والتأديبات، وعذاباً وعقاباً، خوفاً ورعدةً، شدةً وقسوةً، انتقاماً

[1] أش 40: 12

سريعاً، وعصاً ممدودةً دائماً فوق رؤوس المذنبين. فبيت القضاء مفتوح والقاضي مستعد. فهنا أعدوا الخشبة ليصلب عليها المجدف. وهناك جمعت الحجارة للرجم. هنا النار المعدة للإشعال. وهناك يعدون الجلدات للآثمين. وهنا يجهزون الأدوات ليأخذوا سناً بدل سن، وهناك ينزعون العيون. هنا يعدون لمجازاة الثائرين. وهناك يضربون بالكف، وهناك أيضاً يكتبون القصاص للمذنبين. فلهذه الأعمال أعدت العذابات. لكي لا يرفع رأسه ذلك العبد الآثم ويتعالى على واضع الناموس. فَكَسر رجليه لكي لا يرفس. وقطع يديه لكي لا يضرب. وقلع أسنانه لكي لا يعض. وقلع عينه لكي لا يرى ويشتهي ما ليس له، خَسِره لكي لا يخسر الآخرين أيضاً. فبالخوف من العذابات قمع (الله) شرور ذاك الشعب. لأنه لم يكن ليظهر من خلال مخافته (لله) بأن يتوقف عن شروره. ففي المكان الذي تتواجد فيه مخافة الله لا يحتاج الإنسان مخافة من هذا النوع ولا غيرها. لأن مخافة الديّان غير المنظور تكفي لتمنعه عن كل الشرور.

فمثل هذه المخافة أودع في ذهنك يا أيها التلميذ، ولا تخف من شيء آخر. لأن مخافة الله لا تخاف من العالم. ومخافة العالم لا تخاف من الله. فلذلك لنخف من هذا في كل حين فلا نغضب الرب. فلذلك وضعت بك المخافة لكي بها تخاف الله. فلا يوجد شيء في العالم يسمى خوف، بالنسبة إلى النفس التي شعرت بمخافة الله. كما لا يوجد خوف من عذاب ما، للإنسان الذي تتواجد فيه مخافة من عدالة الله. الرب أخذ واحدة وأقام واحدة. نزع عنا الخوف من الموت الزمني، ووضع فينا الخوف من الموت الأبدي. لا تخافوا من الموت، وخافوا من الموت. " **لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد،......... بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم** "[1]. لا تخافوا منهم لأنه عندما يقتلون يوجد من يحيي، بل خافوا مِن الذي حين يميت ليس من يحيي، وعندما يقتل ليس من يقيم. فالشيء الزائل مخافته زائلة معه. والذي لا يزول ولا يتغير فمخافته لا تزول. " **ينظر إلى**

[1] مت 10: 28

الأرض فترتعد ويمس الجبال فتدخن " [1]. وأيضاً قال : " **من انتهارك نهرب من صوت رعدك تفر "** [2]. فها إنه على الكائنات الصامتة قد دخلت مخافة خالقها كقول النبي. لأنه يجب على الكل أن يخافه حقاً. فإن كانت الكائنات الصامتة قد خافت منه فكم بالأحرى أن تخاف الكائنات المميزة (الناطقة). مخيفة هي نار هذا الزمان بالنسبة للناس، إن كان ذكر النار الأبدية بعيد عن الفكر. مخيفة ومرعبة هي مشاهدة العذابات المرئية عندما تكون العذابات الأبدية بعيدة عن رؤية النفس. مليء هو هذا الموت الحالي بالارتعاد، كلما كان الموت الأبدي بعيداً عن عيوننا.

لكن عندما نتذكر تلك الأمور المكتوبة تزول في الحال من قلبنا ذكرى الأمور الحالية. وكلما كان فكرنا لا يتحرك بصورة دائمة بمخافة الله، فإن كل مخافة تصادفنا ستخيفنا. ومهما كان الملك والديان المخيف بعيداً فعند ظهوره بسلطانه، ستبطل المخافة من كل الملوك، وليس فقط هذا بل إن الملوك أنفسهم وكل الذين هم تحت سلطانهم سيخضعون بخوف لسلطان ملكوته. وأولئك الذين كانوا مخيفين يصبحون خائفين. وتجتمع كل الأمور المخيفة وتُبتلع من مخافة واحدة (مخافة الله). وكل الرؤساء والآمرين التي كانت مخافتهم تخيم على كل الذين هم تحت سلطانهم، يجتمعون ويخضعون لمخافة واحدة هي سيدة كل المخاوف لكي يصير المخيف واحداً فقط (الله). وبسلطانه تُحل كل المخاوف. وتبطل كل المخاوف التي تأتي من ذوي السلطة. وينكس رأس كل رئيس، أمام رأس واحد هو رأس الملكوت الذي يملك على الكل. فبهذا الشكل عندما تبتعد مخافة الله عن النفس، فإنها تخاف من كل شيء: من السلاطين. والملوك. ومن الرؤساء. ومن أصحاب المراكز. ومن ذوي النفوذ. ومن الأغنياء. ومن الآمرين. ومن البسطاء والمساكين. ومن الصغار والضعفاء. ومع كل هذه الأمور تخاف أيضاً من الضيقات والخسارة. والعذابات والآلام. والأمراض والأوجاع. والفقر والضيق. والبعد عن أبناء الجنس

[1] مز 104: 32
[2] مز 104: 7

وعن الأقارب. والحرمان من الأحباء. والخروج من الأرض. ومن كل هذه الأمور يخاف الإنسان الذي لا يخاف الله. ولكن إن دخلت مخافة الله وحلت في النفس وجمعت كل الأفكار. فعندها لا تتخلى النفس عن مخافة الله لتخاف من غيرها. بل إن كل مخافة متى دخلت لتسكن في النفس ورأت بأن مخافة الله بداخلها فإنها تتركها وتبتعد عنها. لأن بيتها (النفس) لا يكفي ليسكن فيه ساكن أخر. فكما إن الوعاء الممتلئ بشيء ما لا يستطيع أن يقبل شيئاً آخر فيه إلا إذ أفرغ مما كان به. هكذا أيضاً النفس الممتلئة من مخافة الله لا تستطيع أن تقبل الخوف من العالم أو من الأشياء التي للعالم. لأنها خاضعة بشكل كلي لمخافة واحدة حقيقية من الله.

لذلك فلنملك كلنا ونقتني هذه المخافة. ولنزدري بكل شيء آخر. ولنكن مكتفين عن كل شيء. ولنتفرغ لعمل واحد الذي هو مخافة الله، وباسمه المخيف والمهيب نحفظ حياتنا بانتباه والمجد في كل أوان للأب والابن والروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

المقال الثامن

الذي يعلم به : بأنه لا يستطيع أحد أن يكون تلميذاً كاملاً للسيد المسيح إلا إذا تجرد أولاً عن كل ممتلكاته، وخرج من العالم علناً في الخفية والظاهر

إن الإنسان الذي يريد أن يسير في الطريق الواضح للكمال، يلزمه قانون جيد ومناسب لهذا الطريق لكي يجعل له بداية لسيره. فلا يبدأ طريق تلمذته بناموس يراه هو بأنه جيد، بل بناموس محدد والذي هو كلام السيد المسيح إلهنا الذي سلمه لتلاميذه. إذ إنه هو نفسه (المسيح) قد سار بطريق الكمال هذا، وصار لنا ناموساً وأعطانا مثالاً جيداً لنسير في إثره. فالسيد المسيح لم يكن لنا معلماً بالكلام فقط، بل بالأعمال الكاملة التي نفذها بنفسه. إذاً فهو بالحقيقة المعلم الجيد الذي علّم وعمِل، الذي تعليمه هو عمل، وعمله هو تعليمٌ. هكذا سيدنا عمل وأظهر لنا بعمله، إنه من بعد عمل كل واجبات البر وحفظ ناموس الوصايا التي تُكمل في العالم، ترك وخرج من العالم ليُعلم الكمال. فلست أقول أن الذين في العالم لا يستطيعوا أن يتبرروا. بل أنهم لا يستطيعوا أن يصلوا إلى الكمال. لأن العالم هو ضد الكمال. أي إنه ضد الاستقامة والبر اللذين يعملان فيه. فالإنسان لا يستطيع أن يعمل عملين ويكون كاملاً في كليهما وهو في العالم. ولذلك حُددت وميزت الوصايا للذين في العالم لكي يقتنوا بها حياتهم، ومهدت طريق أخرى للكمال الذي هو أسمى من العالم. فإرادة

المسيح الذي هو واضع الناموس هي بأن جميع الناس يسيرون في طريق الملائكة، ولا يمكث إنسان في ذلك المثال الموضوع في الوسط (العالم).

ولكن بما أنه ليس كل إنسان يستطيع ذلك، وبما إنه يشاء أن كل إنسان يخلص لذا أعطى وصايا مناسبة لكل إنسان لكي يخلص بها. وعمل مستويات ودرجات لتعاليمه. وهذا لا يعني أنه يوجد في تعاليمه اختلاف، ولكن بسبب اختلاف مستوى الذين يتقبلونها، ولأنهم هم الذين بحاجة إلى ذلك، وبدونها لا يستطيعوا أن يحيوا. فطريق العالم تناسبه أعمال البر. والطريق الذي هو خارج العالم يناسبه الكمال. إن نهاية طريق البر والاستقامة هو الزهد الكامل من المقتنيات. فكلما اقتنى الإنسان الغنى البشري قليلاً كان أم كثيراً، فإنه لا يستطيع أن يسير في طريق الكمال. لأن كل غنى مهما كان قدره هو قيد للفكر، ورباط لجناحي العقل الذي يمنعها عن الطيران إلى السماء. فالذي له أموال لا بد أنه سوف يفكر فيها، والذي يفكر في المال لا يفكر في الله. وإن خطر في فكره ذكر الله فإن ذكره لا يكون دائماً، فإنه لا يستطيع أن يذكر الله في الوقت الذي يفكر بأمواله. وإن ظن في نفسه بأنه يتذكره فإن ذكره يكون وهمياً وليس حقيقياً. فلا يمكن أن يحل هذان الأمران في النفس معاً. وإن سكنا فيها فمن الطبيعي إن واحد منهم سيكون وهمياً والآخر حقيقياً. وإن ظن إنسان بأنه في الحقيقة يفكر في الله ويخامره الفكر بالمال. ففكره بالله ليس من كل قوته، والأمر اللائق بنا هو أن نعطي الله كل فكرنا. فإنه لا يجوز أن نخدم الله بجزء منا والجزء الآخر نعمل به للعالم. ونفكر به حيناً وحيناً آخر نفكر بالمال. بل يجب أن نعطي كل قوتنا للعمل بوصاياه. وكل أوقاتنا مخصصة لتذكره والتي هي عضد لنا. ونكون هياكل له فقط بحيث نكون فارغين من أي فكر خارج عنه. وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يخدم الله كما يليق وهو في العالم، إذ يكون صاحب مال وغنى، وكلام سيدنا يشهد بذلك. " **لا تقدرون أن تخدموا الله والمال** "[1]. وربما يحسب السامع بأنه قد أغلق باب البر أمام كل الناس، لأنهم لا يستطيعوا أن يتحرروا بالكامل من التفكير بالمال !. كما قضى كلام السيد المسيح

[1] مت 6: 24

أنه من يفكر بالمال لا يستطيع أن يفكر بالله. ولكن هنا يلزمنا أن نفهم الكلام كما قيل، فإنه بالنسبة إلى مستوى الكاملين لا يستطيع الإنسان الذي يفكر بالمال أن يفكر بالله. أما المستوى الآخر الذي هو أعمال البر التي تعمل داخل العالم فبها يستطيع الإنسان أن يتبرر، وإن كان يملك المال، على أن لا يكون هو عبداً للمال بل سيداً عليه. فإنه يوجد أناس هم عبيد لأموالهم، ويوجد من هم سادة على أموالهم. يوجد إنسان ماله يخدمه، ويوجد آخر يخدم هو ماله. فكلام سيدنا قد قيل عن الذي هو عبد لماله بأنه لا يستطيع أن يكون خادماً لله. " **لا يقدر أحد أن يخدم سيدين** "[1]. أرأيت لقد أظهر سيدنا في كلامه سيدين. وعندما فسر كلامه عنهما قال : " **لا تقدرون أن تخدموا الله والمال** "[2]. فإذاً الذي جعل المال سيداً له لا يستطيع أن يعمل لله بل يعمل للسيد الذي أختاره بإرادته. إذ إن خدمته هي محبوبة له كثيراً وعزيزة عنده سيادته عليه، لأنه بإرادته قد خضع له. فالناس قد اعتادوا بأن يحبوا ما قد أختاره بإرادتهم، أكثر من ذاك الذي قد سيطر عليهم بالغصب وبشكل طبيعي.

فإن كان هناك بعض الناس قد أرضوا أو يرضون الله فذلك لأنهم أسياد على أموالهم. وكالعبد والخاضع كانا يرسلان (المال) لإنجاز أعمالهما. فحيناً لإطعام الجائعين، وآخر لإلباس العريانين، وآخر لإنقاذ المأسورين، وآخر للنذور والقرابين لله، وآخر لحرية الذين قد أصبحوا عبيداً بسبب الدين. وهكذا حيث شاءت إرادة السلطان عليه (المال) فإلى هناك كان يرسله كالعبد. فإن إبراهيم وأسحق ويعقوب وأيوب ويوسف وداود وحزقيا، فهؤلاء كان منهم أغنياء، ومنهم رؤساء، ومنهم ملوك، وبالإجماع كانوا جميعاً أصحاب أموال كثيرة. ولكنهم كانوا هم أسياد على أموالهم، وليس العكس. فهو (المال) كان يخدمهم في كل الأمور الصالحة التي كانوا يختاروها. وليس هم الذين كانوا يخدمون لديه في كل الشرور التي تتبع الغنى.

[1] مت 6: 24

[2] مت 6: 24

هناك تمييز في الوصايا، فيجب أن تعرف كل واحدة منها لماذا قيلت. فإن الوصية التي قيلت بأنكم لا تستطيعوا أن تخدموا سيدين (الله وللمال) فإن من الواضح من المعنى أنها قيلت للذين يرغبون في أن يصبحوا أبراراً وهم في العالم. ولهؤلاء نصح وأرشد، أن لا ييأسوا لأنهم لا يستطيعوا السير في طريق الكمال ويصيروا بالكامل عبيداً للمال، ويتركوا سيادة الله التي وضعت عليهم بشكل طبيعي. **" لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب السارقون ويسرقون "** [1]. فمن الواضح أن هذه الوصية لا تصلح للمتوحدين والكاملين. فكيف يقول لا تكنز لك كنوزاً في الأرض للذي قال له لا تهتم بما للغد ؟!. وكيف تناسب تلك التي قالها : اكنزوا لكم كنوزاً في السماء من صدقاتك، للذين قال لهم : **" لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزودة للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا "** [2]. فماذا يوجد للسارق حتى يسرقه أو للسوس ليفسده. ذاك الذي أمر بأن لا يمتلك أي شيء. فإذاً هذه العبارة التي قيلت لا تستطيعوا أن تخدموا الله والمال قد قيلت لأصحاب الأموال. لأن المعلم (المسيح) قد رأى أنهم لا يستطيعوا أن يرتفعوا إلى درجة الكمال، لذلك نزل هو بتعلمه إليهم ووضع لهم ناموساً يناسب المكان الذي يقيمون فيه وقال : فإذا كنت لا تستطيع أن تتزهد، فلا تصير عبداً للمال وتخدمه كمتسلط عليك، بل كن سيداً عليه في عمل كل الصالحات. ولكن متى صار هو سيداً عليك حينئذ يأخذك إلى حيث يشاء. فمرة إلى السلب، وأخرى إلى السرقة، وأخرى إلى شهادة الزور، وأخرى إلى الظلم والنهب، وأخرى إلى الكذب المعيب، وأحياناً إلى القتل، وأحياناً أخرى إلى الاشتراك مع الشياطين، حتى إنه لا يترك شراً إلا ويأمرك بأن تفعله مادمت عبده وهو سيدك. وكما إنه عندما تكون أنت سيده ترسله إلى إتمام كل عمل جيد. هكذا عندما يكون هو سيدك يرسلك إلى إتمام كل عمل شرير. فإن قانون السيد

[1] مت 6: 19

[2] مت 10: 10

إنه هو يأمر والعبد ينفذ. فكلما كان الإنسان سيداً فهو الآمر. وعندما يكون عبداً فهو المنفذ. وحيث يوجد الآمرين والمنفذين فهناك تنفذ الأعمال بحسب إرادة الآمرين.

إن السيد المسيح المعلم لم يضع حملاً ثقيلاً على أصحاب الأموال، إذ طلب منهم أن يكونوا أسياداً على أموالهم. بل إذ كانوا يشتهون ذلك ولا يعرفوا كيف يقتنونه علّمهم هو بهذا النظام. وكالذي يحب أن يكون حكيماً ولا يعرف كيف يجمع المعرفة، فيأتي إنسان آخر ويصير له معلماً ويعلمه كيفية اقتنائها. أو هناك من يحب أن يصبح غنياً ولا يعرف كيف يجمع المال. أو كالذي يحب الأبنية المنظمة ولا يعرف كيف تبنى وتنظم. فهكذا يشتهي الناس أن يكونوا أسياداً على أموالهم، وإذ هم بلا معرفة يجدون أموالهم قد أصبحت هي سيداً عليهم. وإذ ترحم عليهم المعلم علمهم بأن يصيروا أسياداً على أموالهم كما يشتهون. كما أظهر لهم أيضاً كيفية ذلك : فمحبة الأشياء شيء، ومعرفتها شيء آخر. فيوجد من يحب ولا يعرف كيف يجد ما يحبه. ويوجد من يعرف كيف يجد ويقتني الأشياء ولكنه لا يحبها. فللذين يريدون أن يكونوا أصحاب أموال، فما إن يقتنوها حتى تصير هي سيداً عليهم. فلهؤلاء علمهم السيد المسيح وأمرهم بأن يكونوا أسياداً على أموالهم لا عبيداً لهم. أما للكاملين فقد أمرهم أن لا يصيروا حتى ولا أسياداً له (للمال). إذ أوصاهم أن لا ينزلوا ويصيروا أسياداً لأشياء صامتة. فأصحاب الأموال حررهم من أن يكونوا عبيداً للأشياء التي لا حياة فيها. لكي لا يصيروا بخدمتهم لها كعابدي الأصنام. التي كتب عنها " **لها أفواه ولا تتكلم. لها عيون ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع** "[1]. ولذلك دعا بولس محبة الأموال بأنها عبادة للأصنام. لأنه كما يسجد الوثنيون للأشياء التي لا روح فيها ولا حياة ولا شعور، هكذا أيضاً محبي المال يعبدون الذهب الصامت، والفضة الخرساء مع باقي الممتلكات التي هي بلا روح ولا معرفة. فالسيد المسيح أمر واحداً (الغني) بأن لا يكون عبداً للمال. وللآخر (الكامل) وضع قانوناً كي لا يصير ولا حتى سيداً للمال. للأول قال : إن تخضع للذهب فهذه إهانة لحريتك. وللثاني قال : إن سيادتك مسيطرة على الطبائع فكيف

[1] مز 115: 5

تتنازل وتكون سيد على قشور الطبائع (المال). للذي ترك السلطان على الكل وأتى وصار سيداً على مقتنى صغير، قال له : فقط كن أنت مالكاً لمُلكك، ولا يكون مُلكك مالكاً عليك. وللآخر الذي وجده قد تعالى على أن يكون عبداً للمال، فهو أيضاً رفعه لمرتبة أعلى من ذاك (الأول) وقال له : لا تكن حتى سيداً عليه. لأنه كما إنه عار لذاك الذي أراد أن يكون سيداً على ماله، أن يصير عبدا له، هكذا أيضاً عار لذاك الذي تحرر من عبودية المال، أن تتواجد لديه حتى السيادة عليه. فالمسكين يقتني الأشياء البسيطة. أما الغني فيقتني الأشياء العظيمة والمعروفة للغنى. فبما أن الأغنياء هم مقتنيون بسطاء، لذلك يقتنون الأمور البسيطة التي هي : الغنى وممتلكات هذا الزمان. أما الزهاد الذين هم أغنياء (حقيقيون) فعار عليهم هذا الاسم، أن يكونوا مقتنني أشياء بسيطة كالذهب والفضة واللباس. ويبدلون الغنى الأبدي بأمور زمنية بسيط، والمقتنى السماوي بالمقتنيات البشرية. فلا تعبد الأموال قالها : لمحب المال، بل كن سيداً عليه، وليكن هو عبداً وخادماً لك. فهكذا ظهر أن هذه الوصية قد أمر بها الرب لأغنياء هذا العالم.

وأما للآخرين الذين يريدون أن يسيروا في طريق الكمال فقال لهم : **" لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم. ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا. لأن الفاعل مستحق طعامه "** [1]. فلهذا العمل تصلح له هذه الحرية. فقد عراهم من كل العالم ثم أخرجهم منه. أخرجوا واتركوا كل شيء مكانه في داخل العالم، ولا تُخرجوا معكم أشياء ميتة إلى عالم الحياة. فقد دعيتم لتلبسوا الأرجوان فاخلعوا عنكم أولاً الرقع الوسخة لهذا العالم. لكي بعدئذ تلبسون أرجوان الملكوت. فالذي يريد أن يلبس المجد الأبدي ليخلع عنه أولاً الألبسة التي تبلى، ثم ليلبس المجد الذي لا يبلى. والذي يريد أن يكون اسمه مكتوباً في أورشليم السماوية، فلا يكون له مسكناً في هذه الأرض ليكون حينئذ مسكنه في تلك المدينة. والذي يريد أن لا يُقبل هناك بإحسان، فليقبل هنا الإحسان من كل الناس. والذي يريد أن يكون مدعواً في العرس (السماوي)، فلا يمتلك هنا كيس ولا مزودة. فالذي يريد أن يقتني

[1] متى 10: 9 – 10

الله فلا يقتن نحاساً في كيسه. فعار كبير اقتناء الله مع النحاس. أو اقتناء أشياء هـذا الزمان، مع الأشياء الأبدية. فهو (الإنسان) لا يشعر بعظمة مقتنياته، فلذلك يـسعى ليقتني الفقر مع الغنى. فإنه من غير الممكن أن يوضع هذان المقتنيان فـي كـيس واحد. لأنه لم يضع إنسان قط النفاية مع الذهب في كيس واحد. أو أن يجمع القـش والحطب مع الحجارة الكريمة. فهذه الوصية أعطيت من المعلـم (الـسيد المـسيح) للتلاميذ حينما أرسلهم لكي يكونوا صيادي الناس إلى الحياة. فقد طرح عـنهم فـي البداية كل أربطة العالم، وحلهم من كل القيود البشرية ثم أرسلهم ليحلوا الآخـرين. فلا يستطيع المقيد أن يحل مقيداً آخر. فإن الممتلكات وأمور هذا العالم هي قيود لكل الأعضاء ورباط لكل الأحاسيس وكل إنسان بباطنه وظاهره يؤسر ويقيد بها. فجيـد أن الرب قد حل تلاميذه أولاً منها ثم أرسلهم ليحلوا المأسورين الآخرين. لكي ينظر المأسورون إلى الذين يحلون قيودهم، فيرونهم حاملين علامة الحريـة والملكـوت، فيؤمنون بإعتاقهم وخاصة عندما يشاهدون أن الذين يحلونهم من قيود العـالم هـم أحرار من هذه القيود. فقد وضع الرب هذا المثال بدلاً من هـذه الوصـية عنـدما أعطاها للرسل وأمرهم بأن لا يقتنوا شيئاً. وقد جردهم من كل شـيء ثـم أرسـلهم ليخدموا إرادته في تلمذة الآخرين. لكي نتعلم من هنا أن كل مـن يريـد أن يكـون خادماً لله، عليه أن يكون بعيداً عن كل مقتنيات العالم، ويتخلى عن كل شيء علـى مثال الرسل، حينئذ ليخرج ويصبح خادماً لإرادة الله الكاملة. فكلما كان الرسل مـع السيد المسيح ومعه كانوا يتحولون من مكان لآخر فإنهم لم يكونوا حـائزين علـى درجة الكمال بعد. ولذلك أبطل الرب يسوع عنهم هذه الوصايا حينما كـانوا معـه. وترك لهم الوصايا الأخرى ليعملوا بها تلك التي كانت تصلح مع وجـودهم الـدائم معه، وتناسب أيضاً للقادمين إليه، أو عندما كانوا ينظمون الجمع الجالس في البرية، أو عندما كان يرسل منهم إلى الأعمال المنظورة، كإرسال بطرس ليصطاد الـسمكة ويعطي الجزية. أو كما كانوا يدعون معه إلى وليمة ما. وتجوالهم معه مـن مدينـة إلى أخرى، فيصنعون له مجداً ظاهراً أمام الناس. ويبعدون عنه الازدحـام الكثيـر لكي لا يَدعوا أحداً يقترب منه، كما هو مكتوب أن بعـضهم قـدموا إليـه أطفـالاً

ليباركهم فمنعهم التلاميذ. وفي كل مكان كانوا يفعلون له مثل هذا الإكـرام وذلـك بحسب معرفتهم آنذاك. وأما هو (الرب) فقد كان يتنازل ويقبل منهم في بعض الأحيان ما يفعلونه لأنه كان يعرف مستوى معرفتهم، أي أن يقدموا له الإكرام الظاهري. وحتى وإن كانت خدمتهم بسيطة ولكن الرب كان ينظر إلى مستوى معرفتهم ويقبل منهم خدمتهم. فهذه هي عادة الرب يسوع. سواء حينذاك أو الآن، فإنه بقدر إمكانيتنا يطالبنا بالعمل. ولا يريد أن يكون العمل أكبر من طاقة عامله. لأنه إن وجد بأن العمل هو أكبر من الحد، فيكون واضع هذا العمل إما ناموساً أو عادةً أو فريضةً. فإرادة الرب يسوع لا تشاء هكذا، أي أن يتقبل عبادة الإنسان الناطق وكأنه إناء صامت. فإن تنازل ليأخذ من كافة المستويات طاقتهم وخدماتهم التي يقدمونها له، لكي يهذبهم بتعاليمه حتى يرتفعوا إلى الخدمة الأكثر كمالاً من الخدمة الأولية، ولكي يكون العمل الأول طريقاً للذي بعده، وتصير الحسنة الأولى تدريباً لحسنات أخرى أكمل منها. ومع الأعمال كان المعلم يمنح تعليمه ليس بالعمل فقط بل أيضاً بالكلام كما صنع مع مريم ومرتا عندما كانتا تخدمانه، فواحدة كانت تخدمه جسدياً والأخرى روحياً، أما الرب فقد قبل كلا العملين، وأعطى الطوبى للعمل الذي هو أعظم من الآخر " **فمريم اختارت النصيب الصالح ولن ينزعه أحد منها** "[1]. وكأنه يقول لها : وأنتِ أيضاً يا مرتا اتركي عملك البسيط وارتفعي بعملك إلى تلك المرتبة المفضلة. إن الرب يسوع لم يكره عمل مرتا، لأن عملها كان بقدر طاقتها ومعرفتها. لكنه رغب بأن تتقرب إلى الأمور الكبيرة بدلاً من الأمور الصغيرة، وإلى خدمة الروح بدلاً من خدمة الجسد.

إن خدمة مريم ومارتا تشبه إلى حد ما، خدمة الرسل الأطهار في بدايتها ونهايتها. فالعمل الجسدي الذي كانوا يقدمونه (ليسوع) بين الحين والآخر كان يشبه عمل مرتا، وأما العمل الآخر الذي علّمهم بأن يقدموه له، ألا وهو وصيته بأن لا يقتنوا شيئاً، فقد تشبهوا بعمل مريم الطوباوية. فيوجد الكثير مثل مرتا يتبررون،

---

[1] لو 10: 42

كزكريا والنساء اللواتي كّن يخدمنه بأموالهن. كما يوجد الكثيرون الذين أعمالهم روحية على مثال مريم والرسل.

وأما الرب يسوع فإنه يرغب ويشتهي بأن كل الناس يَصلون إلى درجة الكمال. لذلك جاء إلى العالم لكي يوصل هذا العمل الروحي إلى كل الناس. كما علّم بذلك أيضاً الرسول القديس رجل الله يجب أن يكون كاملاً في كل شيء " **ليكملكم في كل عمل صالح** " [1].

فهذا الكمال قد أسلمه الرب لتلاميذه في تلك الوصية التي أعطاهم إياها عن الزهد. حيث نزههم عن العالم وعن كل ما فيه، ليس فقط لهم بل لكل من يسعى وراء الكمال. ولئن جعل هذا الناموس للرسل لكنه جعله ناموساً عاماً ويجري على كل الجنس البشري.

فقد كان الرب يشجع على هذا العمل الجيد كل من كان يسمع له. كما إنه في بداية اختيارهم حين دعاهم، كُتب عنهم بأنهم تركوا كل شيء وتبعوه، فقد كانوا يرمون الشباك في البحر فرآهم ودعاهم فتركوا شباكهم وسفنهم وتبعوه. ورأى أيضاً يعقوب ويوحنا في السفينة مع زبدي والدهم فدعاهم ففي الحال تركوا الشباك وزبدي أباهم وذهبوا وراءه. فهذا هو ناموس اتباع الله، وهذا هو القانون الصحيح الذي دُوِن لنا في الكتب المقدسة.

فإذاً كل من أراد أن يتبع الله، فليفعل كما فعل الرسل ويمضي وهو مزدري وغير عابئ بكل ما يرى، وليكفر بالعالم كله. فالسيد المسيح قال : فالذي يريد أن يكون تلميذاً كاملاً للمسيح " **فليكفر حتى بنفسه** " [2]. فإن كفر الإنسان بحياته بحسب كلام فادينا فعندئذ يستطيع أن يكون تلميذاً له. وبدون هذه الطريقة لا سبيل للوصول إلى الكمال. فكيف سيصل إلى الكمال الذي أسلمه الرب يسوع وهو لم يكفر بالعالم ويستهين بكل غناه الذي يُرى وبالراحة الجسدية. إن هذا الكلام ليس من عندي

[1] عب 13: 21

[2] مت 16: 24

ولكني أذهب وراء ما " **قالته الكتب** "[1] وأقف على الناموس الذي وضعه الملك (يسوع). فبداية تلمذة الرسل الأطهار كانت هكذا كما كتب عنها بأنهم حين دعوا " **تركوا في الحال كل شيء وذهبوا وراءه** "[2].

والذي يرغب في أن يكون تلميذاً فليتأمل بهذا المثال. ولينظر إلى هذا الهدف بكل أفكاره، أي بأن يزهد بكل شيء في باطنه وظاهره ثم يبدأ بالسير في طريق السماء هذا. فإنه حتماً لن يصل إليه إن لم يزهد في البداية. كما لن يضع يده على الغنى السماوي إلا إذا ترك هذا العوز الذي يتمسك به. فلا يستطيع أن يمسك الواحدة إلا إذا ترك الأخرى ولا سيما إذا كانتا ضد بعضهما البعض، كما إن كل واحدة منها، متى تقدمت أبطلت الأخرى. وإن لم نزهد بكل شيء ونتفرغ فقط لحفظ الوصايا، فلا تزال خدمتنا لله غير لائقة. لأنه كيف وقدرتنا منقسمة (بين الله والعالم) بحيث نأخذ جزء منها لمحبة أمور العالم، ونستطيع بعد ذلك أن نُقرب إلى الله عمل محبة. فالوصية ثقيلة على المأسور بمحبة المال. وإن كانت الحرية من العالم هي أجمل بكثير، ولكن بالنسبة للمأسورين بالعالم هي أمر صعب جداً، لأنهم وهم مأسورون يحبون أسرهم، ومقيدون وقيودهم لذيذة عليهم. الذين بإرادتهم وضعوا قيود الغلال على كل أعضائهم، وفضلوا أن يكونوا خاضعين للعالم على أن يكونوا عبيداً للمسيح.

فالمسيح قد قدم لك الحرية، أما العالم فيقدم لك العبودية. فإن راقت لك عبودية العالم، فإن هذا ليس أمراً طبيعياً، لكن لأن شهوتك ولدت واشتهت شراً. فحين يشتهي الإنسان شيئاً من العالم فإن شهوته لا تكون سليمة، ولكنه كالمريض يشتهي ما لا ينفعه. فالشهوة التي تكون كلها ضرراً فإنها على الأغلب قانون للمرضى الذين يريدون ما هو لضررهم أكثر مما هو لفائدتهم، والشيء الذي هو ضد شفائهم أكثر مما هو دواء لمرضهم. لأن صحتهم قد تحولت إلى مرض، وقوة

---

[1] متى 16: 24 ــ مر 8: 34 ــ لو 9: 23

[2] مت 4: 22

الشهوة الطبيعية التي لهم قد تغيرت عن نظامها الطبيعي. فبِاتزان النظام وبصحة الجسد تحفظ صحة الشهوة. وحين يختل الجسد فمعه تختل الشهوات الجسدية. فحين يكون مريض بالحمى يشتهي شيئاً بارداً، في حين إنه يضره، ويغضب على الذين لا يعطوه ما يريده، ولكن الطبيب الحكيم لا يبالي به، لأنه يعرف بأن الشهوة العمياء التي به هي تطلب ما يضر بصحته. فعلى هذا المثال قد صار غنى العالم محبوباً ومقتنياته شهية للذين هم مرضى بأنفسهم، ومحرومون من عافية المعرفة الإلهية، إذ يسألون ما هو لضررهم. لكن الطبيب السماوي بزوادته المساعدة يمنع عنا المضرات، ويأمرنا بأن لا نعمل ما يطيب لنا ونرتاح له، بل الشيء الذي يساعدنا، وإن كنا لا نرتاح لعمله. لأن الطبيب لا يسير بحسب رغبة المرضى، ولا ينقاد لشهواتهم التي تخسرهم صحتهم، بل يقودهم إلى الناموس المساعد لشفائهم، ويعلمهم أن يقاوموا شهواتهم لكي ينالوا الشفاء.

فلنتقبل إذاً نير الزهد كما يأمرنا سيدنا وإن كان ثقيلاً علينا. فالمسيح لم يدعونا إلى وصايا ثقيلة، لأنه لا يوجد إنسان لا يشتهي أن يتحرر من نير العبودية ويكون حراً. وكل إنسان يفضل اسم الحر على اسم العبد. وربنا عندما أمرنا بأن نكون مبتعدين عن العالم كان يمنحنا بذلك الحرية الحقيقة التي كان يسير هو بها وهو في العالم. ولكونه بطبيعته إلهاً، كان حراً. إلا أنه حتى عندما لبس شبه العبد سلك بحرية. وكان أعلى من كل قيود العالم. فمكتوب " **لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس** "[1]. فاشترك معنا بما كنا عليه نحن بالحقيقة ولكن بما هو خارج عنا (أمور العالم) فلم يشترك هو بها. فنحن نمتلك في الأرض غنىً ومواشياً وأموالاً وممتلكات وأبنية وحقولاً وكروماً، أما المسيح لم يقتن شيئاً لكي يعلم خاصته أن لا يقتنوها هم أيضاً. كما إن ذلك الحر لم يهتم بها (بالمقتنيات)، وذلك لكي يحررنا من الاهتمام بها. ولم يخضع تحت نير عبودية العالم، لكي ينزع عنّا نير عبودية العالم الثقيل. ولم يتقيد بالأمور الإنسانية، لكي يحل عنّا أيضاً رباطها. ولم تقيده الأفكار الهدامة، لكي يرفع عن تلاميذه الأفكار والهواجس نحو

[1] في 2: 7

كل الأشياء التي ترى. فالحر عاش بحرية في العالم، ليعلمنا بالعمل أنـــه يجــب أن نسلك نحن أيضاً بحرية.

فمن يرغب بأن يكون تلميذاً لذاك المعلم، فلير كيف عاش معلمه في العـــالم ويتمثل به. فسيد العالم كان غريباً وضيفاً في العالم، وكالسيد يجب أن يكون عبيـــده أيضاً. فأنظر كم كان زاهداً بالأمور البشرية، ذاك الذي به يجتمع كل الكمال. حتـــى إنه لم يقتن في العالم شيئاً حتى ولا وكر كالذي تقتنيه الحيوانات والطيور " **فللثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه** "[1].

فها إن مسلكك أيها التلميذ مرسوم من خلال كلام معلمك. فالشيء الذي لـــم يكن له، فلا يكن لك أيضاً. والذي لم يكن يقتنيه فلا تقتنه أنـــت أيـــضاً. فالتلاميـــذ لا يعرفوا من زيهم الخارجي بل من استقامة ونهاية أعمالهم، ومن سيرهم على آثار معلمهم، وسلوكهم في الطريق الذي أعده لهم. فإن لم تكن الطريق معدة وآثار إلهنـــا ترى بها، لربما كان هناك مناص (مخرج) للكسالى أولئك المحبـــوب لـــديهم قيـــود العالم. وإن لم تكن الطريق واضحة ومعروفة وخطواته (المسيح) منظورة من قبـــل كل الناس بواسطة نوره الحقيقي. فإن لم يرها الإنسان ويضع قدميـــه عليهـــا فهـــذا محروم من نور الإيمان. ولئن كان يظن بأنه يسير في الطريق، لكنه بالحقيقة قد تاه وخرج عنها. وحيث إن المسيح قال لك بأنه لا مكان له ليسند رأسه عليـــه، فلكـــي يعلمك أن لا يكون لك ذلك. وقوله أيضاً بأن للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكـــار فإن اقتنيت لك بيتاً فقد تشبهت بها (بالحيوانات)، وإن صار لك مكان في العالم فقـــد صرت على مثال الحيوانات والطيور. فهكذا تعلم هذه الكلمات بشكل واضح. ولكـــن عندما تتزهد بكل ما في العالم ولا مكان لك في الأرض تسند عليه رأسك، فحينهـــا ستتشبه بالله.

فما أراد المعلم أن يكون عليه التلاميذ، قدمه لهم بنفسه. ورسخ فينا تعاليمـــه بأعماله. كما كتب الكتاب عنه بأنه بدأ بالعمل والتعليم من معمودية يوحنا إلى يـــوم

[1] مت 8: 20

صعوده. فهذه الأعمال الجيدة هي أعمال الفضيلة التي أظهرها بشخصه. لكنــه وإن كانت إقامة الموتى، وتطهير البرص، وفتح عيون العميان، وجعل الأعرج يــركض ويوسع خطواته، وجعل الكفيف يسير بشكل مستقيم، وطرد الشياطين، وسيره علــى المياه، وإسكاته الرياح. هي أعمال عظيمة لأنها عجائب ومعجزات. إلا أن الكاتــب قصد بالأعمال، تلك التي تبعت التعاليم التدبيرية الروحية التــي كانــت تُــرى فــي شخص المسيح. فإن كان مجيئه من أجل الأمور الحسنة فقط وليس العِبَر. لما كانت تعاليمه عن التدابير الروحية ولما أقرن التعاليم بالعمل لكي يظهر نفسه لنا مثالاً في الكمال. فقد ترك العالم والاختلاط بالناس فور اعتماده من يوحنا وخرج إلى البرية. لأنه حتى معمودية يوحنا كان يكمل عملاً آخر، ويحفظ كل مــا يتعلــق بالنــاموس الأول، وذلك ليدفع ثمن الخطيئة التي من أجلها خضع جنسنا إلى عبوديــة المــوت والخطيئة والناموس. وكل الأمور التي كان يجب أن يقوم بها كل السالكين بطريــق البر، حفظها يسوع بشخصه. فقد كتب عنه " **إنه صعد إلى الهيكل** "[1]، وكان يقرب الذبائح، ويخضع للكهنة، ويكمل كل ما كان مكتوب في الناموس. وكان يقــوم بكــل هذه الأعمال لسببين : الأول لكي يدفع ثمن الخطيئة، والثاني لكي يعلم كل من هــو في العالم بأنه يجب عليه أن يحرص على الناموس وأن يعبد الله بحفــظ النــاموس. كما إنه لم يترك واحداً من أمور الناموس بدون أن يحفظها ليعلم من في العالم بــأن يكون كالعبد ينفذ كل ما يؤمر به. لأن كل من لا يــزال خاضــعاً لأعمــال العــالم ومأسوراً بالأخذ والعطاء مع الناس. فهو إلى الآن تحت الناموس. أما الــذي زهــد وخرج من العالم فهو بالضرورة فوق الناموس. لأن الناموس لــيس لــه ســلطان ليخضع الذين هم أسمى من العالم. أما الذي ما يزال قائماً في أرض العبودية فهــو المقتاد من قبل الناموس. أما القائم في أرض الحرية فهو حر في كــل تــصرفاته، وبإرادته يصنع الأمور الصالحة بسلطان كالإنسان الحر. وليس كمن هو مجبر على ذلك بسبب نير الناموس.

[1] مر 11: 11

وبالإيجاز في كل مكان تصنع فيه الشرور فهناك يتسلط الناموس ليبكت ويظهر تلك الشرور. كما يشهد بذلك الرسول بولس " **عالماً هذا أن الناموس لم يوضع للبار بل للآثمة والمتمردين وللفجار والخطاة وللدنسين والمستبيحين ولقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات لقاتلي الناس للزناة لمضاجعي الذكور لسارقي الناس للكاذبين للحانثين وكل شيء آخر يقاوم التعليم الصحيح** "[1]. فعلى هؤلاء يتسلط الناموس.

وهكذا نريد أن نظهر من خلال كلامنا بأن الكاملين الذين يسلكون بالروح هم فقط أعلى من الناموس. كما إن بولس الرسول يعلم أيضاً بأن الصالحين الذين هم أقل درجة من الكاملين هم أيضاً متحررون من الناموس. لأنهم لا يصنعوا الحسنات بسبب خوفهم من الناموس كالباقين بل يصنعونها كمن يكمل الناموس. فالقاتل لا يَقتل لكي لا يعاقب بالموت، إلا أن فكرة القتل موجودة في ذهنه فذاك هو قاتل. والذي لا يزني مع إنه يشتهي أن يزني ولكن لا يفعل خوفاً من أن يُدان من قبل الديّان ويسلم إلى الناموس فهو أيضاً زانٍ. والذي يفكر بالأذية ولكن خوفاً من ردع الناموس. فإن تُرك لإرادته فإنه سوف يقدم على كل الشرور. أما الصالحون الذين لا يأتوا الشرور لا يفعلوا ذلك خوفاً من الناموس، بل لكي لا يغضبوا الله الذي لا يُسر بفعلها. إذاً يوجد من يمتنعون عن الشرور لخوفهم من الناموس. ويوجد من يمتنعون عنها لكي يقوموا بعمل الحسنات. لأنه لا يستطيع أي إنسان أن يصنع الحسنات إن لم يمتنع عن صنع الشرور.

حتى معمودية يوحنا كان الرب يسوع يُسلم للناس أعمال البر لكي يصنعوا الأمور الحسنة المدونة في الناموس، ويقدموا قرابين لله من مقتنياتهم، وينذروا النذور ويوفوا بها، ويداوموا على الارتياد إلى هيكل الله، ويقبلوا البركة من الكهنة بإيمان، ويخضع الأبناء للآباء، ويستمعون لهم ويطلبون سماع كلمة الحياة (العهد القديم)، ويسألون ويتعلمون من المعلمين كل ما يلزم لصنع الصالحات، كما يسمعون

[1] 1 تيمو 1: 9

ويخضعون للأنبياء، فهكذا أسلم الرب في بشارته منذ البدء حتى المعمودية كل هذه الأمور وما شابهها وكل الأمور المستقيمة التي تليق بالمؤمنين أن يقتنوها من ممتلكاتهم وهم ضمن العالم. وكل ما عمله كان ليعلمنا أن نعمل مثله. فقد تطهر كما يأمر الناموس وذلك لكي يعلم المؤمنين أن يتطهروا من الأثم، وختن لكي يختتنوا هم أيضاً ويطرحوا عنهم غرلة القلب، ويطرحون عنهم عبادة الشهوات. صعد إلى الهيكل وهو حامل القرابين لكي يهيئ لهم الطريق لكي يسعوا إلى بيت الرب و هم حاملون نذورهم وقرابينهم. أقترب إلى الكاهن لكي يباركه ويصلي عليه، رغم إنه كاهن بالروح. كما أكمل أموراً أخرى أرفع من هذه لكي يعلم المؤمنين أن يسألوا الصلاة من الكهنة، ويحنون رؤوسهم ورؤوس أبنائهم لنيل بركتهم. كان يصعد كل سنة إلى الهيكل كما هو مكتوب عنه، ليعلم المؤمنين بأن يسعوا في كل حين إلى هيكل الرب. صنع العيد حسب طقوسهم لكي يشجعك لتصنع أعياد الكنيسة وتكمل كل واجبات هذه الأعياد. جلس وسط المعلمين وسمع منهم وسألهم، وأنصت بأذنه وسمع تعاليمهم، لتسمع أنت أيضاً ولتسأل ولتصغي دائماً لسماع الوصايا الإلهية. وتسأل وتتعلم الأمور المفيدة لحياتك وإن كان ذلك ممن هم أقل منك معرفة. وذلك كما صنع الرب بسؤاله من هم أقل منه معرفة. وأخذ تعليمه من أولئك الذين جمعوا تعاليمهم من الناموس الذي أعطاه هو لهم. وحين شاهد الخطاة ذاهبين إلى معمودية يوحنا نبي الله ذهب هو أيضاً معهم وأحنى رأسه أمام يد كاروزه ورضي أن يعتمد منه كمن هو محتاج إلى ذلك، مع أن يوحنا هو الذي كان بحاجة إلى أن يعتمد منه. ترك مساكن الناس وذهب مع الجمع إلى يوحنا في البرية، وكل ذلك من أجل ماذا ؟ لا شيء سوى أن يعلم أصحاب الأموال وسكان هذا العالم الذهاب إلى القديسين، والسعي إلى المتوحدين، وتكريم الأنبياء والصالحين، وأن ينصتوا إلى كلام إرشادهم الواضح من إيمانهم. فالرب يسوع أسلم هذه الأمور الصالحة لنا، وأظهر هذا المسلك للمؤمنين في ذاك الزمان إلى المعمودية. وأرشد أصحاب المقتنيات لأن يقتنوا هذه الحسنات.

لكن هذا المسلك لم يعطه للمتوحدين ولم يسلمه للكاملين. فـإلى أي هيكـل يذهب الإنسان الروحاني ؟ وهو بذاته هيكل الله. ومن أي مسكن يخرج ليذهب لبيت الله، وهو ولا يملك مأوى في العالم ليسكن فيه. ومن أين يقـرب القـرابين ويكمـل النذور ؟، وهو لا يملك شيئاً في الدنيا. وكيف يكسو العراة ويضيف الغرباء ؟، وهو غريب وعارٍ. وأي الشرور يُلقي عنه ذاك الكامل ومكمل كل الحـسنات ؟. وممـن يسأل ويتعلم الذي لا يخالط الناس ؟ فإن كان بحاجـة لأن يـتعلم فهنـاك روح الله ليعلمه بدلاً من الناس.

فإذاً هذا هو التعليم الذي أسلم للمؤمنين الصالحين وإلى الأبرار، وإلى الذين لم يخرجوا بالكامل من العالم حتى المعمودية. ولكي لا يمتنعوا عن صنع الصالحات التي تناسب المكان الذي يسكنون فيه. ولأن المسيح هو كل شيء، والكل به وبيـده، والكل لأجله. لذلك أظهر المسيح هذا العمل بنفسه وإن كان أقل من درجة الكمال إلا أنه أتمه بنفسه، لكي يعطي ويعلم كل إنسان أن يعمل بحسب طاقته، وبحسب درجـة قدرته يقترب إلى العمل الصالح. فبدون الأعمال الجيدة لا يمكن أن يعيش الإنسان.

إن الصالحات مختلفة عن بعـضها الـبعض، والوصـايا التـي أعطيـت بخصوصها (للصالحات) مختلفة الواحدة عن الأخرى. فقد كتب عنه (المسيح) قبـل المعمودية بأنه كان خاضعاً لأبويه " **ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهم** "[1]. ولكن أنظر ماذا بعد المعمودية حين كان يسلم التعليم الأسمى للنـاس، لـم يكن حتى ليهتم بأقربائه الجسديين " **فأجاب وقال للقائل له. من هي أمي ومن هـم إخوتي** "[2]. فكان قبل العماد خاضعاً لأبويه، ولكن حين بدأ يسلم الطريقة للروحانيين قال أنه لا يعرفهم. نادوه ليخرج لهم فلم يرض، أمرته أمه فلم يسمع لها، لأنـه الآن يكمل إرادة أبيه الذي أرسله، ولا يكمل الأوامر المتواضعة، لأنه إن صنع ذلك قبـل العماد حين كان يتمم الناموس فلو طلبت منه أمه ولم يستجب لها لكان بذلك قد كسر

[1] لو 2: 51

[2] مت 12: 48

الناموس، أما الآن فلا، بل أعلن أنه يستمع إلى أبيه بالطبيعة وليس إلى أبويه بالنعمة. وذلك ليعلم الكاملين بأن يطيعوا آبائهم بالنعمة أكثر من آبائهم بالطبيعة " **لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني** "[1]. لأني نزلت من السماء ليس لأصنع مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. هذا الكلام قاله حين كان يُسلم طريق الكمال. فمن هنا ليتعلم الروحانيين الذين هم خارج العالم بأنهم لا يسمعوا ويخضعوا للأباء الطبيعيين فقط بل ولا إلى إرادتهم. ولا لحاجتهم ولراحة أنفسهم بل يكفروا بأنفسهم كما قال فادينا " **من لا يبغض حتى نفسه لا يقدر أن يكون لي تلميذاً** "[2] وبعد ثلاثة أيام من رجوعه من البرية كتب عنه بأنه " **دعي أيضاً يسوع وتلميذه إلى العرس** "[3]. وكان هو وأمه وتلاميذه هناك ولما فرغت الخمر قالت له أمه ليس لهم خمر وبدأت تتكلم معه هنا بسلطان كأم مثل عادتها السابقة، أما يسوع فقد أبطل تلك الدالة، إذ أظهر بأنه قد أوفى احترامه لأبويه ولن يخضع بعدلهم كالسابق. وانظر كيف أبطل ذاك السلطان منها بقوله " **مالي ولك يا امرأة** "[4]. كلمة مليئة بالزجر والانتهار وهذا جيد لأنه أعطى مثالاً للكاملين بهذا الكلام لكي لا يسيروا بناموس الآباء الطبيعيين بعد أن أصبحوا خارج العالم الذي يسكنه آبائهم. فمريم العذراء كانت في مسلك، والمسيح في مسلك آخر. إي هي بالمسلك الناموسي وهو بالروحي. وليس جيداً أن يؤمر ذاك الذي يقف في المسلك الروحي من قبل من هو في المسلك الناموسي. فقد أمرت مريم كمتسلطة، وأجابها المسيح كالحر. ليس لهم خمر وهذا كلام متسلطٌ وكأم تكلمت بسلطان. فأعطى جوابه كإنسان حر غير خاضع، ما لي ولك يا امرأة. وتكلم معها وكأنه يتكلم مع امرأة غريبة. فلم يقل الرب ما لي ولك يا أمي بل ما لي ولك يا امرأة. أنتِ صرت لي أماً بالنعمة، فقط ولأجل التدبير ولدتُ منك، وسمعت وخضعت لك، وليس لأني ملزم على ذلك.

[1] يو 5: 30
[2] لو 14: 26
[3] يو 2: 2
[4] يو 2: 4

فبدايتي ليست منك، بل قبلتِ نعمة لكي بسببك أوجد أنا (جسدياً). فلم تحبلي بي بالأوجاع، ولا بالآلام ولدتني. ولم تربيني كمن هو محتاج لذلك، لكي أعطيك أجراً لتوفيرك حاجاتي. فكل شيء قد أعطيتني، أنا قد أعطيتك إياه. فإن كنتِ قد حملتني وولدتني وأخذتني وربيتني، فكل هذه الأمور تمت بواسطة القوة التي أُعطيت مني لكِ. وإن كنت قد سمعت وخضعت لكِ، فذلك ليس لأوفي حقك علي، فأنا لست مديناً لكِ. ولكني أدفع الثمن بدل كل الأبناء الذين عصوا آبائهم، وأيضاً أتمم الناموس. وأما الآن فقد دفعت الثمن وأكملت التدابير الناموسية. أما عبارة (ما لي ولكِ يا امرأة) فتشبه عبارة (من هي أمي) وأيضاً حين قال : " **ليوحنا هوذا أمك، ولمريم هوذا ابنك** "[1]. وأيضاً عندما أرادوا (أمه والرسل) أن يصعد معهم إلى العيد في أورشليم كعادتهم السابقة قبل العماد، أما المسيح فأبطل منهم هذه العادة قال لهم : " **أصعدوا أنتم إلى العيد أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد** "[2]. وبعد أن صرفهم ولم يصعد معهم رجع وصعد بعد ذلك في منتصف العيد. وصعوده إلى العيد لا يخالف قوله بأنه لن يصعد، ولكن قال لن أصعد كخاضع، لأنهم صعدوا إلى العيد كخاضعين للناموس ليصنعوا أعمال الناموس، وأما يسوع فقد صعد كمتسلط ليجمع له مدعوين إلى عيده الجديد. وبقوله لن أصعد أظهر أمرين : عدم خضوعه لأبويه، وللناموس. لأن الذي يخضع لأبويه ينفذ ما يأمرون به. كما إن الذي هو تحت الناموس يحفظ كل وصاياه وأعماله أيضاً. فيجب عليه أن يحضر العيد منذ بدئه لأن كل اليهود في هذا العيد يصعدون إلى الهيكل بل ويحضرون إليه قبل عدة أيام وذلك لكي يتطهروا حتى حين يصلون إلى اليوم الأول للعيد يكونون طاهرين. أما يسوع فلم ينفذ أياً من هذه الأمور، كما إنه لم يصعد معهم لكي يظهر لهم أنه غير خاضع لهم، ولم يصعد في بداية العيد لُيعلم بأنه لا يحفظ العيد، بل صعد في منتصفه ليظهر إنه بإرادته قد صعد للعيد. وكما فعل في عرس قانا فبعد قوله لمريم ما لي ولكِ يا امرأة هذه العبارة التي تدل على إنه لا يستمع إلى مريم أو يستجيب طلبها، ثم

---

[1] يو 19: 26

[2] يو 7: 8

عاد وعمل كما قالت له ليس لأنها أمرته بل لأجل سلطانه. وبأن زمنه قد بدأ ليصنع العجائب وليظهر هويته ويكشف لهم عن مجده ويجمع له تلاميذاً. ليظهر بأنه حر وبسلطانه يصنع كل ما يريد، وليس هو الضعيف بشرياً أو كمن يخضع للآباء أو لوصايا الناموس.

كل ما قلته أنا (الكاتب) قد استندت به على الكتاب المقدس. فيجب على من يقرأ كتابنا هذا أن يتأمل في الكتاب المقدس ويرى بأنه هكذا تفهم هذه الأمور في أماكنها، وهكذا ترسم لنا معانيها. فالأقوال منفصلة الواحدة عن الأخرى، والأعمال تختلف الواحد عن الأخر.

فهذا السر أسلمه الرب في تدبيره الذي قبل العماد، والذي من العماد إلى الصلب. لأن البر كله قد حصر في هذين النظامين. فإما أن يعمل الإنسان (بحسب الناموس) أو أن يعمل (بحسب ما أعطاه المسيح من وصايا). فالعمل بحسب الناموس هو بر خارج عنه، وأما العمل بحسب نظام الرب فهو كمال لنفسه. فبر الناموس شيء، وبر الرب شيء آخر. فالناموس ساد إلى زمن العماد، وأما الذي للمسيح فهو من العماد إلى الصلب. ومن ذاك الحين إلى الآن، غدت لذة الحياة أسمى من العالم.

وأخيراً فإن السيد المسيح أنهى بر الناموس حتى العماد، ومن العماد إلى الصلب قام بإتمام الكمال الروح بالنعمة الكاملة الذي أتى بها إلى العالم.

فمن هنا يجب أن نفهم بأن كل الناس ما داموا في العالم فإنهم يصنعون الحسنات على مثال الصالحين الأولين كإبراهيم وأسحق ويعقوب مع باقي الأنبياء والصالحين الأولين. وهذا يسمى بر الناموس يصنعه الإنسان ما دام في العالم. كأن يلبس العراة، ويريح المتعبين، ويستضيف الغرباء، ويخدم المرضى، ويسعى إلى القديسين والمتوحدين والرهبان، وأن يخصص له وقتاً للصلاة، وأن يداوم على الارتياد لهيكل الرب، ولا يعطي أمواله بالربا ولا يشتهي ما لقريبه، ويخضع لأبويه، وأن يسمع ويحترم الكهنة والمعلمين، وأن يصنع الحسنات لكل الناس،

وأخيراً أن يصنع للناس ما يريد أن يصنعوا هم له. فهذا البر الذي يعلمه النـــاموس الأولي، أكمله السيد المسيح حتى وقت العماد، وله يجب أن يخضع كـــل المـــؤمنين الذين لم يزهدوا بعد بكل ممتلكاتهم. وأما التدبير الروحي للكمال فقد أسلمه لنا الرب يسوع من العماد إلى الصلب، لنستحق أن نكمله جميعنا. له المجد إلى أبد الآبـــدين آمين.

المقال التاسع
وهو أيضاً عن الزهد استناداً إلى شهادات الكتاب المقدس
ومن أمثلة التلاميذ الأولين
والذي يعلم فيه بأن الإنسان لا يستطيع
أن يصير تلميذاً كاملاً للرب
إن لم يترك العالم بالكامل

ليكن خروج الرب يسوع إلى البرية مثالاً مفيداً لنا لـتَعلم الزهد. وبتلك الصورة التي خرج بها (الرب) من العيش بين الناس إلى مقاتلة القوى المضادة. نخرج نحن أيضاً من العالم إلى الحرب ضد الشيطان، بحيث لا نُخرِج ومعنا شيء من العالم، إلا سلاحنا الروحي الذي ليس منه.

فقد خرج الرب يسوع مباشرة بعد العماد وترك العالم وكل ما فيه. إذ ترك الجلوس مع الناس، كما ترك كل شيء بداخل العالم، وخرج لوحده وبقوته لكي يصنع حرباً مع الشيطان. فقد كتب بأن الروح القدس كان معه وهو الذي أخرجه إلى البرية. وليس لكونه محتاجاً إلى قوة الروح الذي هو معادل له، وهو الذي يعطيه للآخرين لكي ينتصروا به. لكن لتشجيع الذين يخرجون من العالم سعياً وراء الكمال، وتعليمهم بأن قوة الروح ستساعدهم في خروجهم وهي أيضاً ستساعدهم في حروبهم وتثبتهم في التجارب التي تحدث لهم.

فالتلاميذ الذين تركوا مساعدة العالم أتتهم في الحال مساعدة الروح القـدس. وما أن استهانوا بالمساعدات البشرية حتى أتتهم المساعدة من السماء. وحين يمقتون القوة الجسدية تساندهم في الحال قوة الروح. ففي المعمودية أنهى الرب طريق بِـر الناموس، ومن الأردن بدأ طريق تدبيره. فإلى الأردن كانت العبودية، وهو كالعبـد كان خاضعاً للناموس. ومنه فما بعد كان تدبيره بحرية تـسليمه، ولـيس بوصـايا الناموس. فقد ولد المسيح من جديد بالمعمودية، ومن رحم النـاموس قبلتـه أرض الروح وذلك كما قال هو : " **الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد مـن فـوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله** "[1]. ولذلك من بعد العماد بدأ يبشر بملكوت السماء.

وهكذا كل من أراد أن يصبح تلميذاً كاملاً للمـسيح يجـب أن يتبـع هـذا الترتيب، فحين يترك العالم ويصبح خارجاً عنه يولد من جديد، ينتقـل مـن عـالم الجسد إلى عالم الروح، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الراحة إلى التعب، ومن الأهـل إلى التيتم، ومن كثرة الأحباء إلى الوحدة، ومن الهناء إلى الـضيق، ومـن التـدبير الجسدي إلى التدبير الروحي، ومن التكلم مع الناس إلى التكلم مع الله، ومن معرفـة إلى معرفة، ومن سعي إلى سعي، وأخيراً فإن الإنسان يولد من شيء إلى شيء آخر حينما يترك تدابير العالم ويتجه نحو تلمذة المسيح، ومن أن يكون صـاحب أمـوال إلى الزهد الذي أوصى به الله.

فكما يكون الإنسان مطالباً بأن يصنع تدبير العالم الذي يحيا فيه، هكذا أيضاً عندما يترك الإنسان العالم ويتبع يسوع فإنه مطالب بأن يصنع كل التدابير الروحية بحسب النظام الخاص بالمكان الذي أتى إليه.

فخلع العالم شيء، وخلع الإنسان العتيق شيء آخر، وآخر أن نخلـع عنـا الأفكار النفسية، وآخر أن نخلع الضلالة، وآخر أن نخلع الحماقة. فإنه يقـال عـن الإنسان بأنه قد خلع العالم حينما يبتعد عن كل ما فيه ويوزع أمواله وغناه بالكامـل على الفقراء، ويترك العالم ويخرج عارياً بنفسه فقط بنفس الحالة التي خـرج منهـا

[1] يو 3: 3

حينما ولد. لأنه كما هو الرحم الطبيعي للجنين الذي به، هكذا هو مسكن العالم للإنسان، وكما هو الجنين داخل الرحم المظلم وداخل أرض معتمة ورطبة، وهو لا يشعر بواحدة مما في العالم ولا يخطر في باله عما يوجد في الدنيا وفي العالم الذي هو خارج الرحم. هكذا حال الإنسان السجين في داخل التدبير الجسدي للعالم وكأنه في الرحم وعقله مستتر بظلمة أفكاره، وذهنه محتجب بعتمة الاهتمامات البشرية، ولا يستطيع أن يشعر بالنعم والغنى الموجود في تدبير المسيح. كما إن الروحيات لا تظهر له كلما كان عقله مستتر بالأفكار الجسدية. وكما إن الجنين إلى أن يولد من الرحم لا يدخل إلى العالم، هكذا أيضاً هنا إن لم يترك الإنسان العالم بالكامل لا يستطيع أن يأتي إلى التدبير الروحي. كما إنه هناك يترك الرحم ويصير خارجاً عنها، هكذا هنا أيضاً يجب أن يترك العالم ويصير خارجاً عنه. لأن العالم هو على مثال الرحم، وكما يخلع الجنين الرحم، هكذا يخلع الإنسان العالم. وكما إن الجنين حينما يولد ويكون سليماً وكامل الأعضاء والاحساسات، لا يستعمل هذه الأعضاء في وظيفتها الطبيعية، لأنه لم يتقبل بعد النمو والقوة. ولكن ما أن يولد في العالم حينئذ يتقبل جسده وكل أحاسيسه وأعضاؤه النمو من العالم. وكلما نمت أعضائه وأحاسيسه وازداد عمراً، كلما تقبل اللذات والأسقام الموجودة في العالم. كما سيستخدم كل أعضائه بشكل جيد في وظائفها : فالعين للمشاهدة، والأذن للسمع، والفم للتذوق، والأنف للشم، واللسان للتكلم، واليد للعمل، والرجل للسير، كما سيمتلئ الجسد احساسات : فالقلب للتمييز، والكبد للغضب، والمرارة للاستثارة، والكلى للتأمل، والطحال للتقوى، والذهن للفهم، مع كل ما تبقى من الأعضاء التي في العالم. فإنها ستنمو شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى المستوى الكامل. ويكملون أعمالهم في كل شيء بقوة، فيكتمل الإنسان جسدياً في العالم، إذ يولد من الرحم ويقتبل ويكتمل بمعرفة العالم. وعلى هذا المثال يحدث مع الإنسان الروحي. الذي يبدأ بصورة جنين وقليلاً قليلاً يكتمل ويصبح رجلاً بالغاً بالقامة الكاملة للمسيح. وهكذا كما هو مكتوب سابقاً، أنه في بداية الحمل به يكون على مثال الجنين الطبيعي. فكما إن الجنين يجبل من الزرع (البشري) والدم، هكذا أيضاً يجبل هذا

من النار والروح خلال المعمودية. وكما يولد الجنين الطبيعي وينتقل من اللاوجـود إلى الوجود، هكذا أيضاً يصير الجنين الروحي من عدم كونه ابن إلى أن يُعَد ابناً لله وروحانياً. وكما إنه هناك صورّ حيث إنه لم يكن بموجود، فجبل قليلاً قليلاً وأخذت أعضاءه بالنمو بحسب الإمكانية التي أعطيت لها لتنمو خلال وجودها فـي الـرحم. هكذا أيضاً هذا الإنسان الذي يولد من المعمودية يصير ابناً لله. ومن حيث إنه كـان عبداً وجسدياً. فيبدأ شيئاً فشيئاً بالنمو في العالم كما في الرحم بكل الصالحات التـي تليق بأن يصنعها المؤمنين الموجدين في العالم. وما أن ينمو ويكتمـل صـباه فـي العالم كما في الرحم، عندئذ يولد ولادة جديدة من العالم إلى خارجه، على مثال تلك التي يولد بها الجنين من الرحم إلى العالم. وحينما يولد ويقف على مـسلك المـسيح كما في العالم الآخر، فمن هناك يبدأ بتقبل نمو آخر، ويكتمل ليس بالبر الذي تقبلـه في العالم، بل بالروح التي بها سيصل إلى كمال غاية المسيح.

فالمعمودية شبهت بالرحم، والذي يصير بواسطتها ابن الله، في حين إنه لـم يكن ابن له، وبالجنين الطبيعي الذي لمن يكن بموجود إلى أن يخلق ويوجد. والـذي تلده المعمودية هو جنين روحي، ومع كونه جسدياً يصير روحانيـاً. فعلـى مثـال الجنين الذي يتكون من الزرع البشري والدم ويتقبل النمو الذي يحدث لكل أعضائه، يولد هنا أيضاً هذا الجنين من المعمودية حيث تنمو بـه كـل أعـضاء وأحاسـيس الروح. وكما إنه هناك بعد أن يُكون ويُصور وينمو شـيئاً فـشيئاً بكـل أعـضائه وأحاسيسه إلى أن يُتمم مستوى الجنين الذي حُدد له أثناء وجوده في الرحم، ثم بعدئذ يولد من الرحم. هكذا يولد هنا أيضاً الجنين الروحي داخل العالم من بعد ولادته من المعمودية إلى أن يصل إلى المستوى المحدد للأجنة الروحية. وكما أن الجنين وهو في داخل الرحم لا يستطيع أن يتقبل النمو الذي يحدث له خارج الـرحم، ويـصير رجلاً بالغاً وهو في داخل الرحم، لكن هذا (النمو) يحدث له في العالم مـن بعـد أن يولد. هكذا أيضاً لا يستطيع الإنسان أن يكتمل بالكمال الروحـي ويقـوم بأعمـال الرجل الكامل (روحياً) وهو ما زال في العالم، أي كالجنين الساكن في الرحم. بـل

يلزمه في البداية أن يولد، ثم يخلع عنه العالم كله، كالجنين للرحم. حينئذ يبدأ بتقبل النمو الجديد الذي يُحضر إلى الروحانيات والكمال.

فإذاً بر الإنسان كله الذي يصنعه في العالم وكل الأعضاء الجيدة التي تصير له بداخله (العالم) هي بمثابة ما يحدث للجنين في الرحم. ومهما نما وتقوى في هذا البر داخل العالم فهو إلى الآن ما يزال قائماً في مرتبة الجنين. لأنه كالجنين سجين في داخل الرحم. وكما إن الجنين لا يستطيع أن يصبح رجلاً وهو داخل الرحم، هكذا ولا الإنسان يستطيع أن يصير كاملاً داخل العالم. وكما إنه مهما نمى الجنين داخل الرحم فإن نموه يكون محدوداً بسبب المكان الذي هو به (الرحم)، هكذا في داخل رحم كياننا (العالم) مهما تبرر الإنسان فإن برارته تكون محدودة وذلك بسبب العالم الذي يعيش فيه. وكما إن ذاك الذي مازال بداخل الرحم يدعى جنيناً، ولكن بعد أن يولد من الرحم حينئذ يبدأ ليدعى بأسماء مختلفة : كمولوداً، وولداً وصبياً وغلاماً وشاباً ثم رجلاً بالغاً. هكذا أيضاً بالنسبة للجنين الروحي، الذي بما إنه ما يزال في داخل العالم، وتنمو به كل أعمال البر، فكلما تقوى وتشدد ورسخ ونما، فسوف يدعى بهذه الأسماء : صالحاً وباراً ورحوماً ومعطاءً وغيرها من الأسماء التي تناسب هذا العمل الجيد الذي يتم داخل العالم. وما أن يولد في العالم مِن بعد أن يكتمل نموه بهذه الأعضاء الأولى التي ذكرناها سابقاً، ويخرج إلى أرض أخرى أي إلى أرض تدبير المسيح، كالجنين الذي يخرج من الرحم، فإنه سيدعى بهذه الألقاب والأسماء الأخرى التي تناسب المكان الذي خرج إليه. أما هذه الأسماء فهي : الزاهد، الحر، والناسك والمجتهد، وحامل الشدائد وصالب العالم، والصبور وطويل الروح والروحاني، وشبيه المسيح، والرجل الكامل، ورجل الله، والابن المحبوب، ووارث ممتلكات أبيه، وشريك المسيح، وحامل الصليب على كتفه، والميت عن العالم والحي بالله، ولابس المسيح، والإنسان الروحاني، والملاك الجسدي، والعالِم بأسرار المسيح، والحكيم الإلهي، فكل هذه الأسماء وما شابهها تناسب الإنسان الذي خرج من العالم لينمو بأرض معرفة المسيح. وكما إن الجنين الطبيعي عندما يولد من الرحم فإنه ولو قد تعرى من الرحم لكن المشيمة التي كانت معه في الرحم

وكانت تساعده، تخرج معه أيضاً. ولكن عندما يولد تقطع وتلقى عنــه مــع بــاقي الأشياء الزائدة التي تلتصق به. وعندها يُرى الإنسان بذاته حيث يكون متحرراً مــن كل الأشياء التي ليست منه، مع إنها كانت منه وله (المشيمة). هكذا أيضاً الإنــسان الذي يخرج من العالم وإن كان قد تعرى من العالم كالجنين من الرحم إلا أنــه مــا يزال يحتفظ بميوله وشهوات جسده، كاحتفاظ الجنين بالمشيمة. وكمــا أن المــشيمة لا تفصل عن الجنين ما دام في الرحم، هكذا لا يستطيع الإنسان أن ينفــصل عــن ميوله القديمة التي كان يرتديها كالمشيمة وهو ما يزال داخل رحم العالم. وكمــا إن الجنين حينما يولد تفصل المشيمة عنه، هكذا الإنسان عندما ينفصل مــن الأعمــال الجسدية للعالم ويصير في عالم آخر روحي خارج العالم، فهناك يستطيع أن يتحرر من الأهواء السيئة لإنسانه القديم على مثال تحرر الجنين من المــشيمة. وكمــا إن الطفل لا يستطيع أن يصبح رجلاً وهو ما يزال محاط بالمشيمة، ولكن ما أن تفصل عنه ويرى متحرراً منها حينئذ يبدأ بتقبل النمو الطبيعي، هكذا الإنسان الذي مــازال يرتدي الميول السيئة لا يستطيع أن ينمو بالقامة الروحية إلى أن يخلع ويلقــي عنــه هذه الميول ويقطع منه كل أصول الخطيئة التي هي الشهوات الرديئة. حينئــذ تبــدأ قامته بالنمو وتنشأ أعضاء جديدة للإنسان الروحي الجديد مكــان تلــك الأعــضاء القديمة التي طرحت عنه، لأن مكان الأعضاء القديمة التي طرحت تنمو الأعــضاء الروحية الجديدة. وكلما تلاشى الإنسان القديم كلما ظهر نور الإنسان الجديــد. وإن كنا قد خلعنا عنا الإنسان القديم في المعمودية ولبسنا الإنسان الجديد عوضــاً عنــه كتعليم الرسول بولس. لكننا لم نشعر بذلك لا عندما خلعنــا ولا عنــدما لبــسنا لأن النعمة صنعت كليهما : خلعت عنا الإنسان القديم وألبستنا الجديد. وهذا الــسر قــد قبلناه في ذاك الزمان باسم الإيمان فقط، ولكن متى أردنا أن نخلع عنا الإنسان القديم بالأتعاب والضيقات، فحينئذ نشعر بأننا قد انفصلنا عنه، ليس بالإيمــان فقــط بــل بالأعمال وبواسطة الدموع والآلام ومحبة الله، وبالــصلوات الطــاهرة والطلبــات الدائمة، والعجب في عظمة مجد الله والاندهاش الدائم به، والسعي المواظب للإنسان الباطني بالتوجه نحو الله، فبهذه الأمور وغيرهــا إذا اجتهــدنا نــستطيع أن نلــبس

الإنسان الجديد، ليس من سماع الآذن بل بشعورنا وبالاختبار الحقيقي لمعرفة الروح.

إذاً في هذا المكان يبدأ الإنسان بالنمو بالمعرفة التي هي أسمى من العالم حيث إنه المكان المناسب لننمو ونصل إلى الوعد الكبير لعظمته. لأنه كلما كانت هذه الأهواء الرديئة تحيط بالإنسان كالمشيمة (للجنين)، وتأسر أعضاء الإنسان الجديد، فإن النمو سوف يعاق ولا يستطيع الإنسان أن يصل إلى مستوى القامة المعطاة له من قبل المسيح. تلك التي قال عنها بولس : " **إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح** "[1]. فالإنسان لا يستطيع أن يصل لهذا المستوى إن لم يخرج من العالم، وإن لم يخلع عنه كل الأعمال الجسدية، لا يستطيع أن يصل إلى هذه المعرفة ويشعر بعظمة هذه المواهب التي تعطى من قبل السيد المسيح بالسر، فالأشكال التي خلعناها ولبسناها. هذه هي : فبالمعمودية خلعنا الإنسان العتيق ولبسنا الجديد، وخلعنا العبودية ولبسنا الحرية، خلعنا الجسدية ولبسنا الروحية، خلعنا الخطيئة ولبسنا الاستقامة، وكل هذه الأمور قد حدثت بالإيمان. وإذ كانت كل هذه الأمور قد حصلت لنا بالفعل بواسطة الولادة من المعمودية ولكننا لم نشعر بها. ولكن متى وصلنا إلى مستوى قامة الجسد يستطيع بها أن يميز الخير من الشر.عندئذ نبدأ بإرادة جيدة وبتشجيع داخلي بخلع الشرور وارتداء الحسنات، وبخلع الغش وارتداء الحق، ومن ظالمين نصبح واهبين، ومن شديدين نصبح مترحمين، ومن قساة نصبح طيبين، ومن ناهبين نصير شفوقين، فكل هذه الأمور وأكثر تحدث من قِبل الإرادة التي تخشى الله والتي تحارب العالم، لكي شيئاً فشيئاً ينمو الإنسان بهذه الأمور إلى أن يخلع العالم بالكامل، ويزهد بكل ما به، ويقف متحرراً منه. فُيرى آنذاك في العالم الآخر الذي هو تدبير المسيح. على مثال الجنين الذي صار خارج الرحم. فمتى خلع الإنسان هذا العالم بهذه الطريقة التي قلت عنها، فإنه يكون قد زهد بشكل كامل بكل ما يُرى. وعندئذ يبدأ بخلع الميول الشريرة التي به كالفسق والزنى

[1] أف 4: 13

والنميمة والشره والطمع والسكر هذه الأمور التي هي مخربة الفضائل. وما أن نخلع هذه الأمور بالفعل من أعضاء الجسد، حتى يبدأ بخلع اضطراب الأفكار، وكما أبعدها عن الجسد كذلك سيبعدها أيضاً عن النفس. لا لكي تمتنع الأعضاء الخارجية فقط عن القيام بها (بالأمور الرديئة) بل أيضاً الأفكار الداخلية للنفس. ومن بعد أن يخلع من النفس ميول الأفكار الشريرة حينئذ يبدأ يخلع عنه أيضاً : سخافة المعرفة والضلالة والظنون هذه الأمور التي تتولد من ممارسة الشهوات أي عند امتلاء القلب من النعم والملذات. أما عندما يخلع الإنسان عنه شهوات الجسد، فإنه يسير بتوجه طاهر نحو الله ويسعى في تقليل حتى حاجات الجسد. لأنه ليس فقط بممارسة الشهوات يغلظ القلب بل أيضاً عندما يحصل على حاجاته فعندها يكون قد امتلأ بالكامل، ولم يتطهر ويتنقى من الجسديات، فحصوله على احتياجه يجعله يحافظ على المستوى المتوسط، وكلما كان الجسد قائماً بالمستوى المتوسط للعافية فإنه لا يخضع بشكل كامل لإرادة النفس. لأن الشيء المتوسط يظهر التساوي بين الطرفين كالحلقة التي توضع في وسط الميزان لتظهر تساوي كلا الطرفين. هكذا حينما يقوم الجسد في الوسط يحسب مساوياً للنفس، وحينما يكون في نفس مستواها فإنه لا يكون عندئذ خاضعاً لإرادتها. فإذاً يلزم أن نضعف قوة الجسد بتقليل الطعام وهكذا سوف يخضع للنفس. وهنا سوف أتوقف عن التكلم عن إقلال الطعام لأن الفصل الذي يلي هذا الفصل هو على إقلال الطعام.

أما هنا فيجب علينا أن نفهم بأن الإنسان إن لم يخلع فلن يلبس فإذاً لنتشجع كلنا لكي نخلع عنا الأعمال الجسدية وهكذا سنلبس الأعمال الروحية. ولنخلع العالم وكل اهتماماته لكي نسير بلا عائق في طريق الكمال. فالزهد خفيف على مقتنيه، فإن دعا إنسان الفقر بأنه غنى من أجل الله فقد قال فيه الحقيقة. لأجل ذلك نزع الرب هذا النير الثقيل عن تلاميذه حيث جعلهم زاهدين عن غنى العالم " **تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم** "[1]. ومن هم هؤلاء إلا أولئك الذين يتعبون بوراثة الغنى ويحملون النير الثقيل بأمور العالم واهتماماته. فأي تعب أتعس

[1] مت 11: 28

من هذا حينما تأتي لترتاح تتعب بالأكثر. فالطريق الذي ليس له نهاية، هو طريق اهتمامات الغنى البشري. فكلما يسير به الإنسان تزداد أمامه الخطوات ولا يفصله شيء عنه سوى الموت. وحينما يجمع الإنسان الغنى والأموال لكي يرتاح ويتنعم ويتلذذ، فإن راحته تكون تعب له. فإن كانت راحة العالم تعب فتعبه ماذا يسمى. وإن كانت ملذته ونعمه أحمال ثقيلة فتعبه ماذا يدعى. فالعالم ثقيل بكل أعماله ولكن أولئك الذين يحملون أثقاله لا يشعروا بذلك لمحبتهم إياه. فإنهم يعثرون به كالعميان ولا يميزوا، ويحملون أحمالاً ثقيلة وهي خفيفة عليهم، ويتعبون ويشقون في تجارة خاسرة ولا يعرفوا، ولأن الرب رآهم في هذا التعب الباطل دعاهم قائلاً : تعالوا إليَّ وأنا أريحكم. فتعبكم لا راحة له لأن التعب يلد تعباً، والعمل ينشى عملاً، وحتى غناكم يجمع لكم فقراً، وراحتكم تعباً، ولذتكم ضيقاً، وفرحكم حسرة، فطريق شهوة الغنى الذي سرتم به بإرادتكم لا يوجد له نهاية. وأما إن أتيتم إليَّ فإنه سوف ينتهي. وكما تذوقتم ما للعالم فتذوقوا طريقي أيضاً وأن لم يرق لكم فحيدوا عنه. حملتم الأحمال الثقيلة للعالم وشعرتم كم هي ثقيلة فامتثلوا وخذوا حملي عليكم وتعلموا من التجارب كم هو مريح وخفيف. فأنا لن أجعلكم أغنياء محتاجين إلى أمور كثيرة، بل سأجعلكم أغنياء حقيقيين لا يحتاجوا إلى أي شيء. لأنه ليس الذي يقتني الكثير هو غني بل الذي لا يحتاج إلى شيء هو الغني. فمهما امتلكتم في العالم فسوف تظلون محتاجين، وأما عندي فحين تكونون زاهدين بكل شيء ستكونون أغنياء. فإنك عندما ستتمم الاحتياج الأول ستجد احتياجاً ثانياً، وحينما يُمتلك الشيء الذي أراد الإنسان أن يجده فسوف يبحث بعد ذلك عن شيء آخر ليمتلكه. وحين تتم الشهوة الأولى سيقتنى معها كيساً كبيراً يسع شهوات أكبر منها، لأن الشبع من الشهوات يولد الجوع، وكلما أكلت شهوة (مارستها) فإنك ستجوع بالأكثر. وكلما يغنى الغني يصير فقيراً، وكلما جُمعت الأموال فإنها تريد أن تمتلك رفاقها أيضاً، وكلما زاد الإنسان في المقتنيات والتلذذ فإنه يريد أن يقتني أشياءً أخرى، وإن حدث وأمتلك الإنسان نصف العالم فإن شهوته لا تكتمل بهذا الامتلاك ولكنه يشتهي أن يمتلكه كله إن استطاع ذلك. وإن أمتلكه كله وإن لم يستطع ذلك ولكنه مع هذا أيضاً لا تقف

شهوته في هذا الحد أي امتلاك العالم كله. بل أيضاً يشتهي أن يمتلك عالماً آخر غير موجود مشابهاً له، مع العلم بأنه سوف يتعذب بطلب أشياء لم توجد بعد. فمن الذي لا يبكي على مثل هذا التفكير أي يستهزئ به إذ أنه يأسر نفسه بأمور غير موجودة.

تعالوا إذاً إليَّ كلكم يا أيها المتعبين بالغنى واستريحوا بالفقر، تعالوا يا أصحاب المقتنيات والممتلكات وتلذذوا بالزهد، تعالوا يا محبي العالم الوقتي واستطعموا لذة العالم الأبدي. فقد جربتم ما لكم فجربوا ما هو لي. لقد احتملتم اختبار غنى العالم فاختبروا فقري. فغناكم هو بالنسبة لكم غنى وأما بالنسبة لي فالفقر هو الغنى. فليس أمر عظيم أن يدعى الغنى غنى، ولكن متى دعي الفقر غنى فهنا أُظهرت العظمة بالضد. فمتى اختبرتم أموري هذه فإن لم تجدوها ألذ وأخف ممّا لكم فعندها ارجعوا إلى أحمالكم الأولى.

فهنا أيضاً قد أظهر لنا الرب إنه إن لم يطرح الإنسان عنه أحمال العالم فلن يستطيع أن يحمل نير المسيح. لأن النيرين هما الواحد ضد الآخر. فالبر يمكن أن يقتنى مع الغنى، ولكن الكمال يقتنى بالزهد عن المقتنيات. وكل من يسعى وراء الكمال إن كان في الماضي أو الحاضر فيجب إن يزهد أولاً بالغنى ثم يبدأ بطريق الكمال.

فالرسل عندما دعوا من قبل الرب زهدوا بالعالم كله ثم خرجوا وراء من دعاهم. وأيضاً الرب أظهر لنا بنفسه نهاية الطريق (الناموس) وبداية طريق (الكمال) حيث جعل الأردن حداً بينهما. ففي الطرف الأول أكمل طريق الناموس الذي كان يسير به، حيث أنه كان يحفظ الناموس، ومنه بدأ طريق الكمال. وقد أظهر ذلك بنفسه ليعلم الذين يحبون الكمال، بأنه من بعد أن ينتصروا على العالم ويطرحوا ويكرهوا كل ما به حينئذ يخرجون ليتقاتلوا مع إله هذا العالم (إبليس). وكما قمع مسكن العدو (العالم) هكذا أيضاً ليقمع نفسه. فها إن الأردن قد صار له جسراً من عالم إلى عالم آخر : من العالم الجسدي إلى العالم الروحي، ومن أعمال

الناموس إلى أعمال العهد الجديد. فعلى مثال البحر للعبرانيين الذي به أنهوا عبودية مصر، وبه زال خوفهم من المصريين، ومنه خرجوا إلى أرض الحرية، فلا تسود عليهم سيادة الآخرين، ولا يصنعوا إرادة غيرهم سوى إرادة الله وحده. هكذا يسوع أيضاً أنهى في الأردن عبودية الناموس وبدأ منه بحرية الأعمال. وكما استقبلت البرية لليهود من البحر، هكذا أُستقبل المسيح من الأردن. إذ إنه لم يعد ينفذ إرادة الناموس الضعيفة بل إرادة أبيه الكاملة، بأن يعطي وصايا صحيحة ويظهر أعمال الروح الكاملة الذي يرغب هو فيها.

فأفهم بأن الرب حينما خرج إلى البرية خرج لوحده بدون مساعدة وبدون وداع الأحباء، وبدون غنى ومقتنيات، وبدون ملابس وأغراض، ولم يكتب بأنه أخرج معه إي شيء من العالم. بل إنه خرج لوحده فقط وكان الروح القدس يساعده.

فخذ من خروج سيدك مثالاً لخروجك من العالم. ولتخرج أنت أيضاً مثله ولا يكون معك شيء منه، وهكذا سوف يساعدك الروح القدس. فأنظر إلى هذه الحرية التي خرج بها الرب يسوع وأخرج أنت أيضاً على مثالها، أنظر إلى أين أحضر معه الأعمال البشرية وأين تركها وأترك أنت أيضاً أعمال العالم في المكان الذي ترك فيه سيدك أعمال الناموس. وأخرج معه إلى محاربة قوة الضلال أي لمحاربة العالم. فمتى خرجت منه فإنه سيحاربك ذاك لأن عادته هي محاربة كل من يخرج منه ويتركه. فأخرج لمحاربته فها إن الصليب أيضاً هو ضده وتذكر ما قاله بولس : " **وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم** " [1]. فأرح منك ثقل العالم لكي يسهل عليك الحرب التي أعدتها ضده. واغتسل بماء المعرفة بدل ماء الأردن ومن بعد اغتسالك أكمل طريقك بأعمال الروح.

[1] غلا 6: 14

وأنظر إلى ما حدث لليهود فهو مثال لتلك الأمور التي ستحدث لـك. فكما بطلت كل شرور المصريين من العبرانيين، هكذا ستبطل منك كـل شـرور العـالم وفضلاته وأثقاله واهتماماته وأفكاره. فحتـى البحـر كـان العبرانيـون يعبـدون المصريين ومن هناك فما بعد فُرزوا لعبادة الله حسب كلمته. فعبوديـة العبـرانيين التي كانت داخل مصر هي مثال لعبوديتك للعالم. والحرية التي نالوها فـي البريـة هي مثال للحرية التي ستنالها حين خروجك من العالم. فبطين وبقش وظلم وأعمـال قاسية كانت مصر تسخر العبرانيين، والعالم يشغلك بأفكار واهتمامـات وضـيقات وتنهدات. فاليهود غُسلوا من طين المصريين عندما عبروا البحر، وأنت أيضاً لـك عمادين الأول من النعمة بالماء، والثاني بإرادتك حين تُغتسل من العالم برحمـة الله وتخرج منه. وكما إن العبرانيين حصلوا على عمل آخـر بعـد عبـورهم البحـر، واستحقوا طعاماً آخر، وماءً جديداً جرى لشربهم، وسلموا وصايا أخرى ونـاموس لكي يحفظوه، ونالوا الظهورات السماوية، واستحقوا الـرؤى الروحيـة، وسـمعوا صوت الله عن قرب وهو يتكلم معهم، وحتى إنهم اختلطوا مع الملائكـة، ووصـلوا إلى الانضمام ومشاركة القوات الروحية، وخيمة الاجتماع نـصبت فـي وسـطهم وظهر تمييز الخدمة فيها، وحية الصليب نصبت لهم في البريـة لتطبيـب وشـفاء لدغات الأفاعي اللعينة. وكأنهم بدؤوا يسلكون كما في العالم الآخر الذي هـو بعيـد عن كل عادات هذا العالم منذ زمن طويل. وبهذا المثال ما أن تخرج من العالم كمـا من مصر، وتعبر بحر الضيقات فإنك ستخاف وتتألم، لأن حتى العبـرانيين كـانوا مملوءين خوفاً وهم بجانب البحر وفيه من المصريين، وهول البحر كـان يخـيفهم. فإنهم لم يمتلئوا فرحاً إلى أن نزلوا إلى البحر وصعدوا منه ورأوا جثث المصريين طائفة على الأمواج.

فهكذا أيضاً التلميذ لدى خروجه من العالم ورغبة منه فـي التحـرر مـن عبوديته فلن يمتلك السعادة مباشرة أو يستحق التلذذ بالملذات الروحية. لأنه حتى هم لم ينالوا السعادة فور خروجهم من مـصر أو اسـتحقوا الملـذات الروحيـة. بـل ستصادفك أولاً أيها التلميذ بعد خروجك من العالم مخاوف وضيقات وأفكار مزعجة

وندم لخروجك من العالم، ولتبذيرك لما كان لك، أو لأنك تركت ميراثك وخرجت من مسكن أبويك، فتجتمع عليك الأبالسة خفية كالمصريين والشيطان رئيسهم كفرعون. وبمثل هذه الأفكار سوف يثيرونك ويدسون لك آراء واهتمامات تظلم النفس، ويبعدوك عن رؤية نور معرفة المسيح. ويبدؤون بإثارة مثل هذه الأمور في فكرك : لماذا تركت العالم الذي كان أسهل لتصير إنساناً صالحاً ؟. لماذا أضعت غناك الذي به كنت سترى رحيماً أكثر، ولأنك أسرعت في توزيعه، فلربما يكون قد وزع للذين لا يستحقونه، فإنه لو حفظ عندك ووزع من قبلك بحكمة لكنت خدمت به المحتاجين، واستقبلت به الغرباء، وكسوت العراة، ولكان خدم من عطاياك الرهبان والمتوحدين، ولسندت به الأرامل والأيتام، ولصار مسكنك ميناء الحسنات، وبطول أناتك كلما كان غناك معك كنت استرحت به وأرحت به كثيرين غيرك، ولصار صلاحك مثل إبراهيم وأيوب وباقي المؤمنين الذين أصبحوا صالحين على مثالهم ولربما أصبحت صالحاً أكثر منهم. وبأعمال الرحمة هذه كنت ستشبه الله بحسب قول سيدك، وأيضاً لكان لك اسم طيب بين الناس. ولسميت أباً لكل الأيتام، وكل من سمع ورأى كان سوف يعطيك الطوبى لإحسانك. وكلما زها صلاحك أمام الله هكذا سيظهر أيضاً (صلاحك) في نظر الناس، وأيضاً لأصبحت مثالاً جيداً للآخرين ليتشبهوا بك، فعندما سيشاهدك الأغنياء الذين على مثالك بأنك توزع غناك على الفقراء فلسوف يتشجعون مثلك ويصبحون معطائين. وهكذا كنت ستجمع براً مضاعفاً : لك من خلال عطاياك، وآخر للآخرين إذ أصبحت لهم مثالاً في الرحمة، فأصبحوا هم أيضاً معطائين مثلك. وأيضاً إن كنت ترغب في أن تصوم لكن من السهل عليك وأنت في العالم كباقي الصائمين الذين تراهم في العالم، وبهذا كان قد تعظم صومك أكثر حينما تكون الأطعمة قريبة لك وشهوات البطن مصفوفة أمامك، فتتغلب على كل هذه الأمور بصبرك وبهذا تكون أفضل بكثير من المتوحد. لأن الذي ينتصر على الأشياء القريبة الاستخدام منه ولم يستخدمها فذاك اصلح بكثير من الذي لا يوجد لديه شيء ويصبر لأنه حتى إذا أراد أن يرتاح ويتلذذ فليس لديه ما يتلذذ به. وإذا كنت تحب أن تصلي فهذا أيضاً سهل عليك أن تصلي داخل بيتك

بالخفاء وأن تذهب في كل وقت إلى هيكل الله مع الآخرين. كما إنه لا يوجد شيء حسن ترغب في صنعه إلا وكان العالم أسهل لك بذلك. فمن الذي يكره الراحة مع الملكوت، ومن يعتذر من أن يتلذذ هنا إن كان التلذذ في العالم الآخر أيضاً معد له. فهذه معدّ لك بسبب رحمتك وصلاحك نحو المساكين. فمثل هذه الأمور سيجمع الشياطين مع رئيسهم عليك وهم يصورون أمام عينيك أعمال الزهد والأوجاع التي تحدث للصائمين والأمراض المريرة التي تتولد عن التقشف في الطعام، وهذه الأمراض ليس من السهل علاجها كما إنه ليس من السهل عليك الشفاء منها لأنك لا تستطيع أن تستخدم الأشياء التي تشفي هذه الأمراض. فإن تنازلت وقبلت أن تسند من قبل الناس في ضيقات أمراضك فقد صرت بذلك عثرة للآخرين الذين يرونك. كما إن هذا العمل طريقه طويل ولا ينتهي إلا بالموت. وإن أردت أن تنهيه وأنت مازلت حياً وتتركه فإنك سوف تصير مضحكة وهزأ لكل معارفك. وإن ثبت فيه فسوف تحمل أثقال الضيقات وستزداد ضيقاتك من أمور كثيرة : فالأولى من ثقل أعمالك، والآخرة من طولها. وأيضاً من الأمراض التي تتولد من الأعمال، كما أنه لا تستطيع أن تعالجها، وإن أردت أن ترتاح من ضيقاتك بواسطة الراحة التي ستقربها لها (للضيقات) فإنك سوف تصير أضحوكة لمن يراك، كما ستصبح غريباً بالنسبة لجنسك ولأحبائك. كما إن الكلام والمعاشرة معهم هو غير مسموح بحسب قوانين تدبيركم. كما إنك بحاجة لأن تأخذ صدقة من الآخرين أنت الذي كنت واهب الصدقات للآخرين. وإن تنازلت وأخذت فقد صرت رهينة لإحسان الذين أخذت منهم، وإن لم تأخذ فإنك مجبر على ذلك وخصوصاً بسبب الحاجة.

فمثل هذه الأمور تحاول الشياطين جمعها في فكر التلميذ مباشرة من بعد خرجه من العالم. فيجعلوه في خوف ومهابة، ويقلقون أفكاره، ويرمونه بالحيرة، فلا يعرف ماذا يفعل ؟. كما يغرقونه بالكآبة ويجعلونه حائراً بين أمرين : تذكر ما قد تركه، والتفكير بما سيأتي. فيتبصر بما قاله (الشياطين له) في فكره وكأنهم مقنعين وخاصة بتلك الأفكار التي حركوها به في البداية لا أقصد الأمور الفاحشة والفاسدة والأعمال الشريرة، بل بأعمال الرحمة والصدقات مع شتى الأمور الجيدة

التي يستطيع الإنسان أن يصنعها وهو في العالم. وهذه الأمور لا يحركوها بـداخلك لأنهم يحبون صنع الحسنات لكن لكي ينزلوك من المرتبة العالية للبر إلى مرتبة أقل منها. فما أن تسمح وتنزل معهم حتى ينزلوك إلى مرتبة أقل من تلك أيضاً وهكـذا شيئاً فشيئاً يقومون بسحبك وإنزالك إلى أن يدمروك ويغرقوك في بحر الشرور، فهم ماكرون بنصائحهم. فبالأمور التي يروك متمسكاً بها يبدؤون بتنميته فـي فكـرك. ولا يقربون لك نصائحهم، أولاً في الأمور التي تكرهها، بل بما هي محبوبة لـديك. وهكذا يبدؤون بإقناعك لكي تتراخى قليلاً عن تمسكك بتدبيرك. فتقوى كـل هـذه الأفكار عليك وتتجدد الكآبة والضجيج في داخل عقلك، إذ تبتعد عنك السعادة، سعادة العالم لأنك تركتها، وسعادة المسيح لأنك لم تصلها. وهكذا تظل نفسك في وسط هذه الأمواج، كالسفينة التي قبطانها نائم وهي تلاطمها الأمواج من هنا وهناك، فتطـوف وتُضرب من كل جانب، ويـصيبها الاضـطراب، وتحطمهـا كـل الانقـسامات، فيضطرب مسلك العقل، وتختفي من أمامك إشارات طريق مسلكك، وتتراكم عليـك الأثقال، ويتسلط عليك نوم الجسد والنفس وتغرق في نوم الكسل الثقيل. وكما يـزداد الخوف في الليل على من هم فيه (الليل)، هكذا يزداد الخوف عليك لأن نفـسك قـد أظلمت من نور المعرفة. لأنه بدل نور العالم هناك المعرفة التي في النفس والتـي منها تتولد السعادة. وكما إنه بغياب النور تتولد الظلمة داخل العالم، هكـذا باختفـاء معرفة النفس ينتشر ظلام الكآبة والضيق في داخل النفس. ومن هنا يبدأ يتولد فيـه الخوف مِمَا ذهب ومِمَا سيأتي، وضيق وخوف وضعف وفزع وصغر فكر وعـذاب الأفكار، وضيق دائم منه وبه (الخوف) يتجدد في كل وقت. ويحدث بـأن يتـضايق حينما لا يكون هناك سبباً للتضايق ، ويضطرب تفكيره وهو لا يعرف علـة ذلـك الاضطراب، ولا يروق له شيء أبداً من كل تصرفاته (التلميذ).

فيا أيها التلميذ الذي خرج من العالم يمكنك أن تعبر من هذا الطريق. وكمـا دعي اليهود من مصر هكذا دعيت أنت أيضاً وخرجت وراء الله. وكما أحاط البحر بالعبرانيين من الأمام والمصريين يطاردونهم من الخلف. هكذا قد جُعل أمامك عمق المخافة من الشدائد والآلام والبلايا والضيقات والعذاب والحاجة والفقر والأمـراض

والاحتجاب عن الأحباء والبعد عن أبناء الجنس وعن الأبوين. والصمت والهدوء والحبس والضيق واللباس المتواضع وطعام التقشف والزهد والنسك والإهانة والحسد إن تراخيت، وعناء وصعوبة إن اجتهدت، والسهر المذيب، والعطش المعذب والسجود المؤلم. فكل هذه الأمور هي كالبحر المخيف الذي يحيط أمام خروجك، كما يطاردك الشياطين من وراءك مثل المصريين.

لكن لا تخف ولا ترتعب : لأنه بدل موسى معك المسيح. وكما كان موسى ملتصقاً بالجماعة هكذا المسيح ملتصق بنفسك خفيةً. وقل أيضاً لأفكارك المتعبة ما قيل من قبل موسى لليهود " **الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون** "[1]. فلا تخف كما خاف ذاك الشعب، بل استيقظ واسهر مثل موسى وأصرخ إلى الرب كما صرخ هو. فإنه مكتوب بأن موسى صلى كل الليل بصراخ شديد وبألم وعند الصباح " **قال الرب لموسى ما لك تصرخ إليَّ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا. ارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة وها أن أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم لأتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه** "[2]. فالأعداء الذين هم الشياطين الأشرار الذين يجتمعون على نفسك هم كالمصريين الذين اجتمعوا على اليهود وطاردوهم من الخلف. ولكن مثلما لم يبال موسى ويرهب المصريين بل بدأ بالصلاة والصراخ إلى الله. فلا تبال أنت أيضاً بالأفكار التي يحركها فيك أعداؤك الشياطين وانصرف إلى الصلاة باجتهاد واصرخ بألم من قلبك ومن أعماق نفسك، ليصعد صراخك (إلى الله). ففي الحال سوف يقال لك كما لموسى : ما لك تصرخ إليَّ مد يدك على البحر وشقه. فحالاً سوف تزول الضيقات وتنقشع غلبة الكآبة التي كانت قد وضعت أمامك، ويزول الخوف من عمق الضيقات. والذي كنت تظن بأنه لا يمكن أن يداس بالرجل قد دست أعماقه، وصارت لك الأمور الصعبة سهلة، والجدار الذي كنت تظن بأنه لا يتزعزع قد هدم فور عبور صلاتك عمق الشرور التي اجتمعت عليك. وكما

---

[1] خر 14: 14

[2] خر 14: 15

تحول هناك عامود النار من أمام العبرانيين وأصبح وراءهم، فصار ظلام بينهم وبين المصريين. فهكذا أيضاً هنا سيشرق أمامك نور الخلاص فيحدث ظلام بينك وبين أعدائك. وفي الطريق الذي ستعبر به سيغرقون هم به. والضيقات التي تحررت منها ترجع وتصير للشياطين أعدائك. والكآبة والصعوبات أيضاً ترجع عليهم. والسعادة التي كانت لديهم بمثابة العامود (النار) حيث ظنوا أنهم سوف ينتصرون عليك، أُخذت (السعادة) من أمامهم ووضعت أمامك، كما أُخذ العامود من أمام المصريين ووضع أمام العبرانيين. وكما غرق فرعون وكل المصريين في البحر هكذا سوف يغرق الشيطان وكل جنوده في عمق الضيقات التي كنت غارقاً فيها. إذاً كرر أنت في فكرك كلام موسى " **الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون** "[1]. وكما عبر العبرانيون مع موسى هكذا سوف تعبر معك كل فضائلك.

في الليل كان الرعب يسيطر على العبرانيين، فلتكن هذه مثالاً لك، فكلما شعرت بأن الخوف مازال يسيطر عليك فأعلم بأن حياتك مازالت ليلاً. وكما حدث هناك إنه بمشاهدة الصباح زال الليل وانتهى الخوف، هكذا هنا حينما يشرق لك نور الخلاص في نهاية صلاتك ففي الحال تزول ضيقاتك وتهدى أفكارك كما في الصباح، وتتلاشى سحابة الكآبة ويشرق في نفسك صفاء الفرح، فيُعبر بالرجل بحر الضيقات، ويهدم جدار الصعوبات الذي بُنيا أمامك، فتسير بثقة داخل الأرض المخيفة، وتعبر العمق الذي لم تعبره من قبل، وتطئ الأرض التي لم يطأها الطبع (الإنسان) القديم وتَخلُص من نير الخضوع وتدخل إلى أرض الحرية، وتترك أرض مصر مع كل قسوتها. فتقبلك أرض البرية المليئة بالخيرات السماوية. فتُحبل وتُولد من البداية لعالم جديد الذي هو عالم التدابير الروحية. وفي الأرض التي حبلتك وولدتك فهناك تُربط عجلت أعدائك، وتبطل حدة مطاردتهم، ويبطل قدومهم، ويهدأ ويصمت هدير أصواتهم. فترجع عليم الضيقات كالأمواج ويختنقون بأمواج البحر أولئك الذين كانوا يرغبون في أن يخوفوك بها.

[1] خر 14: 14

فأنت يا من وقفت على ضفة بحر الضيقات والـصعوبات مـن بعـد ذاك العبور الممجد، رجعت فرأيت أعداءك وهم يغرقون في وسط البحر، والأهواء مـع الشياطين يغرقون فيه مع كل أعمال الإنسان القديم. فعندما تراها وترتاح بانـدحار مبغضيك، وتحققت من موت أعدائك، عندئذ ترجع وتنظر إلـى جبـل الله المقـدس وتبدأ بالسير في أرض لم تسر فيها من قبل، وتسير في عالم الـروح أي بالأعمـال الروحية. ومن هنا تستحق أن ترى الأمور التي هي أسمى من العالم، وتأكـل مـن المن الروحي الذي لم يأكل منه آباؤك وتشرب من المياه الحلوة والطيبة التي تجري لك من صخرة المسيح، وتجلس داخل سحابة النور، ويضيء لك عامود الروح فترى الأشياء التي لم ترها، وتسمع أقوالاً لم تسمعها بها من قبل، وبمسير يوم بعـد يـوم تقترب من الوصول إلى صهيون الجبل المقدس حيث نُصب هناك مـسكن أزليتـه الخفي. وتصير مشاركاً لمعرفة الملائكة وتشعر بالروحانيات التي هي أسـمى مـن العالم. وهكذا مع نمو قامتك ينمو أيضاً لباسك وحذاءك. أي مع نمو إنسانك الجديـد يوم بعد يوم تظهر لك أمور لباسك الذي هو المسيح وينمو معك حذاءك الـذي هـو خبر إنجيل السلام. وتثبت بأسرار الروح، وتشترك في كمال معرفة المسيح. بحيـث تدهش باستمرار بحركات حية، وتخطف بعجب عظمة الله التي لا ينطق به. وذلـك حينما تكون قد غُسلت من كل العالم الذي يرى وأصبح مسلكك كامـل فـي عـالم الروح. بحيث تُرى من قبل الناس بصورة الجسد فقط، وأما حركات إنسانك الداخلي فتكون سالكة في السماء، وسعيدة في الأماكن التي ليس لها حدود وتعـداد وحيـث لا يوجد صور جسدية، ولا تركيب جسدي، وحيث لا يوجد اختلاف فـي الطبـائع، وحيث لا يوجد اجتهاد مادي، بل يوجد فقط الهدوء والسكون. وكـل سـكانه هـم روحانيون، وبترتيل غير مركب يرتلون تقاديس للأزلية المسجود لها. حيث تستطعم ما لا يستطيع الفم الجسدي أن يستطعمه. وتشعر بما لا يشعر به إحساسك الجسدي. فتعرف بأنك تتلذذ فقط، ولكن لا تستطيع أن تفسر ذلك. وكيف بدل معاشرتك الناس تعاشر روحياً السيد المسيح. وإذ أصابتك أتعاب فإنك لا تشعر بهـا، لأن إحـساسك بالمسيح لا يدعك تشعر بصعوبتها، واختطاف ذهنك لعند الله لا يدعك تـشعر بكـل

الاحساسات البشرية. فعندما رأيت وشعرت واستطعمت وتنشقت بكل احساسات إنسانك الخفي فحينها تكون قد استطعمت عالم الله. وكطبيعة العالم (الروحي) هكذا أيضاً إحساسك يستطعمه روحياً وستلاقيك الظهورات الإلهية وجهاً لوجه كما موسى، وستتقبل الرؤى والعجب في داخل قدس الأقداس حيث الرب ثابت هناك وليس الإنسان، وسيشرق مجد الله الخفي على أفكارك، وبين الطغمات الروحية يصير مسلكك بعقل الروح (حيث توجد نفسك) ولن تتلقى معرفتك بعد ذلك سرياً كما كان الحال في خيمة الدلائل الروحية والمعارف الإلهية (خيمة الاجتماع)، بل ستلقى المعرفة الحقيقة بدون أن يتوسطها شيء ما. حيث لا يوجد هناك مذبح ذهب يتصاعد منه بخور مادي بل مذبحاً آخر روحياً يتصاعد منه بخوراً طاهراً الذي هو أحاسيس مقدسة وكاملة. وحيث لا توجد جرة المن التي وضعت كالرمز، والطعام (المن) المحفوظ الذي أعطيا بتوسط الملائكة، بل هناك الطعام الحي الذي هو جسد المسيح. الذي تأخذ الأعضاء الروحية منه الغذاء الروحي كما تأخذ الأعضاء الطعام من الجسم. وحيث لا توجد العصا التي هي دليل اختيار هارون المحفوظة للذكرى، بل هناك شخص المسيح رئيس الأحبار الذي يقرب أمام أبيه أشخاص حية ناطقة. فعندما تغتسل من كل هذه الاحساسات التي ترى، ولا تعد تسمع أي شيء من الأمور المركبة التي تقال وتُحس. وحينها تموت كل أعضاء إنسانك القديم وتلبس الإنسان الجديد المتجدد بالمعرفة على مثال خالقه.

فبهذا التدبير ليكن مسلكك أيها التلميذ من بعد خروجك من العالم الجسدي. وحينما تدخل إلى هذه الأرض شرعياً فيجب أن تعمل فيها كما تتطلب شريعته. فلا تدخل معك إلى أرض الحياة أعضاء ميتة من العالم الميت. لأن الخروج من العالم ليس هو الخروج بالشكل الظاهري، بل بأن يخلع العالم بكل أعماله. كما في الظاهر كذلك في الباطن أيضاً، وأن يبتعد كلياً عن تذكره. وكما طرح ورمى عنه الأعمال الجسدية، هكذا يطرح عنه الأحاسيس الميتة التي تفكر بالأمور الميتة.

كما إن العقل يكون بالضرورة مرتبطاً بطبيعة الجسد، وهكذا تكون أفكار ذاك العقل. فحينما يفكر العقل بأمور العالم فإن كل حركاته (العقل) تكون ميتة.

وعندما يتأمل بالأمور الروحية فحينها يتحرك كالحي بأمور حية وروحية. فخذ لــك مثال من جسدك، ومن العقل الروحي الذي فيه تتحرك أفكارك، فكما إن الجسد كلما كان ساكناً في العالم فإنه يكون جسدياً في كل تصرفاته وأعماله. وعندما يأتي زمن الانتقال إلى عالم الروح عندها يتجدد ويصير روحياً، ثم يدخل بعد ذلك إلـــى عـــالم الروح. هكذا الفكر أيضاً كلما كان في العالم فبه سيكون تأملـــه واهتمامـــه، وذلـــك بسبب المكان الذي يسكن به. كما إنه لو سكن في عالم الـــروح فـــسيكون تفكيـــره بحسب ذاك المكان، أي سيكون روحياً كنظام ذاك المكان الذي سعى إليه.

فوراء هذا النوع (من الخروج) يجب أن يسعى التلميذ الذي خرج من العالم لأن في هذا النوع ستكون وراثتنا وبهذا المكان أيضاً (الروحـــي) ســـيكون مـــسلكنا كقول الرسول بولس : " **فإن سيرتنا نحن هي في السماء التي منها أيـــضاً ننتظـــر مخلصنا الرب يسوع المسيح الذي سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جـــسد مجده بحسب عمل استطاعه أن يخضع لنفسه كل شيء** "[1].

ولكن كما قلت إن الإنسان ما دام حبيساً في رحم العالم فإنه لن يشعر بهـــذا التدبير، كما إنه لن يستطيع أيضاً أن يشعر به، إن خرج من العالم بظـــاهره ولـــيس بداخله. لأن ليس الجسد هو الذي يتذوق هذا التدبير بل العقل هـــو الـــذي يتذوقـــه روحياً، متى تطهر من أفكار وأحاسيس الجسد. وكما قلت فإن بداية هذا الطريق هو نهاية طريق العالم. لأنه إلى أن ينهي الإنسان من طريق الجسد لا يسير في طريـــق الروح هذه. ونهاية طريق العالم هي الزهد الكامل بكل ما يوجد به. بحيث لا يزهـــد بشيء وفي آخر لا، يترك واحدة ويتمسك بأخرى، بل يُحرر ويُخلص كل أعـــضائه من جسديات العالم تلك التي تبقي بالإنسان لديها. فيوجد من يكون مأسوراً بالعـــالم بكل أعضائه، ويوجد من يؤسر به باثنين من أعضائه، ويوجد مـــن يكـــون نـــصفه خاضع والنصف الآخر حر، ويوجد من يكون حراً بعضو واحد ومأسوراً بـــاثنين، ويوجد من يكون قليلاً منه خاضعاً وباقي أعضائه متحررة، ويوجد من هو مأســـور

[1] في 3: 20 - 21

بعضو واحد فقط وباقي أعضائه متحركة ولكنه مازال قائماً في مكانه. ولكن حتى الذي يكون مأسوراً بالعالم بعضو واحد فقط فإنه ما يزال مأسوراً بالعالم. كالطائر الذي يكون ظفره فقط عالقاً في الفخ وجناحاه متحرران تماماً من الفخ فيحركه رغبة في الطيران لكن لا يدعه القيد الممسك بظفره، وإن أرتفع جسده قليلاً في الهواء يسقط مجدداً في مكانه متخبطاً في الأرض، تكابد نفسه وجناحاه ثقل التراب. هكذا هو الإنسان الذي يكون متحرراً بكل أعضائه من العالم ومأسوراً فقط بعضو واحد به، فذاك العضو الذي أسر به أسره بشكل كامل بالعالم. وإن كان مقيداً بقيودٌ قليلة لكنه مقيد بالكامل بقيود قوية. فإذاً يجب على كل من يرغب في أن يُحل من قيود العالم أن يُخرج نفسه بالكامل من العالم ويرمي الثياب العتيقة ويلبس الجديدة التي هي أعمال المسيح. فلباس الملكوت هو ما يتواجد فيه كل الأعمال المفيدة. والذي يريد أن يغير لباسه فيجب عليه أن يخلع القديم بالكامل ويلبس الجديد بالكامل أيضاً. وهذه الأمثلة وضعتها لك نموذجاً للأمور التي أوصيتك بها.

فمن الجسديات تعلم الروحيات. فالذي يرغب في أن يضع شيئاً في إناء ما فهو لا يضعه فيه ما لم يفرغ أولاً ذاك الإناء مما فيه. فإن كانت تلك الأشياء التي أُفرغت من الإناء والأشياء التي سوف توضع فيه لا يتوافقان مع بعضهما البعض فإنه يغسل ذاك الإناء وينظفه من رائحة وطعم الأشياء الأولى لكي لا تتغير لذة وطعم الأشياء الأخرى التي سوف توضع فيه. وأيضاً إذا أراد الفلاح أن يزرع في أرضه زرعاً جيداً ويرى في تلك الأرض أشواكاً وحسكاً فإنه يستأصلهما أولاً ثم يبذر الزرع الجيد في حقله. وأيضاً الذي يريد أن يرتدي لباساً جديداً ففي البداية يخلع القديم ثم يرتدي الجديد. هكذا أيضاً في تطبيب الجرح فإنه بطريقة حكيمة تؤخذ الأوساخ التي تتواجد عليه بواسطة دواء لادغ وحاد ثم يوضع المرهم الذي ينمي اللحم الجديد. فكثيراً من هذه الأمور تصنع هكذا أي إن لم يؤخذ ويرمى القديم لا يضع الناس الجديد وخصوصاً إن كان الشيئان متضادين.

وهكذا هنا أيضاً يجب على التلميذ المسيح إن كان راغباً في أن يقترب من تدبير المسيح الكامل أي أن يطرح ويلقي عنه كل أعمال العالم القديم، حينئذ يتقدم

من العمل الجديد. ويخلع المعرفة السخيفة ويلبس معرفة الروح. لأن الارتباط بما لا ينفع يكون من عدم المعرفة، وتركها بسبب المعرفة. فالذي يخلع العالم يخلع سخافة المعرفة، والذي يلبس العالم يلبس الجهل. فالمعرفة الحقيقية هي التي لا تنخدع بما ليس موجوداً وتعتقد بوجوده، فأن يظن ويؤسر (الإنسان) بما لا يدوم وكأنه (دائم) وحقيقي فهذه تدعى عدم معرفة. فإذاً أولئك الذي يلبسون العالم يلبسونه على إنه شيء باقيّ، وفي الحقيقية إن هؤلاء لا يدعوا حكماء. لأنهم ظنوا الظل وكأنه جسم. أما الذين تغربوا عن العالم وشرعوا بخلع الرداء البالي قبل أن يخلعهم هو فهؤلاء يدعون بالحق حكماء. فالذي قد خلعه العالم، ليس له فضل في ذاك، لأن العالم قد هرب منه وكرهه ورماه كأنه شيء زائد. ولكن الذين يستحقون الثناء والتقدير هم الذين تغربوا عن العالم بإرادتهم وخرجوا منه لكي لا يكون عائقاً لمسيرتهم. كالستار الذي يمنع النظر هكذا هو اهتمام العالم أما بالنسبة إلى المناظر الإلهية. فنقول إن نظرنا لا يستطيع أن يخترق الأجسام الكثيفة أمامنا، أو الجبال أو الأبنية أو أي شيء كهذه الأشياء. فإلى أن يصعد الإنسان إلى فوقها أو أن يعبرها لا يستطيع أن يرى ما هو أعلى منه. هكذا لا يستطيع فكرنا أن يرى الأشياء الموجودة خارج العالم ما دام حائط العالم موضوعاً أمامنا وُسقوفه وجباله ومرتفعاته واهتماماته وأفكاره مجتمعةً بثقلها فوقنا. فإذا أراد الإنسان أن يرى التدبير الروحي الذي هو خارج العالم أو أن يتأمل بالسماويات التي هي أعلى منا فليخرج خارج العالم أو فليصعد فوقه، حينئذ سوف يظهر له هذين الأمرين : التدبير الروحي القائم في الأفكار الحية، وملكوت السموات الذي هو أعلى من العالم. فعندما يتحرر الإنسان من آلام العالم يكون مسكنه كملكوت السموات. فما هي لذة ملكوت السموات ؟ أليست بطلان كل الضيقات، وممارسة كل الحسنات. أليس هو هروب وفرار كل التأوهات والزفرات كما هو مكتوب، ونتلذذ [1] باستحالة الذوات الروحية وبالفرح ونعيم النعم المختومة والمحفوظة، حيث لا يوجد لنا ضيقات ولا خوف من خسارة ما هو عتيد أن يأتينا. لأن ذاك العالم كله فرح، وساكنوه يكونون دائم الفرح.

[1] تغير أجسادنا إلى هيئات روحية كيوم القيامة.

فهذا هو الفرح المحفوظ والتلذذ الدائم الذي يوجد في هذه الحياة للنفس التي قد تحررت من الأهواء وأبطلت منها ظلال الظنون. وحسن ما قاله أحد المعلمين الروحيين : (إن ملكوت السموات هو النفس الخالية من الأهواء، مع معرفة الحقائق التي هي الكلام والحركات غير الجسدية). فعندها تتحرر النفس من الأهواء الشريرة التي منها تتولد الضيقات والاهتمامات وعدم الاتكال، وتمتلئ في الحال بالشجاعة والرجاء والفرح والأفكار المفرحة.

فأي شيء يزعجه ؟، أو مِمَن سيخاف ذاك الذي طرح ورمى عنه كل أسباب الضيق والخوف. فسبب الضيق هو أن لا يبتعد عن العالم وراحته وأفراحه، والخوف هو أن لا يهجر الحياة الجسدية الوقتية. فعندما يخلع الإنسان بحسب فلسفة المسيح لهذان الأمران : أي محبة العالم ومحبة الحياة، فإنه سيتحرر من الخوف والضيق. هذين الأمرين (محبة العالم والحياة) هما الدينونة وجهنم، من قبل وقتهما (الدينونة وجهنم). فإن كان التحرر من الأهواء هو ملكوت السموات كما قال ذاك الحكيم الروحاني، فإذاً عبودية الأهواء هي الجهنم المهلكة والظلمة البرانية والدود الناخر للقلب والأحاسيس. فطعم كِلا الأمرين معد هنا، فملكوت الأحاسيس هي رمز للملكوت العتيد. والجهنم المهلكة للخوف والضيق هي عربون جهنم الأبدي. لأن العربون الذي يعطى عوضاً عن شيء ما يكون مماثل له. فكما إنه في هذا العالم عندما يعطون عربون عن شيء يكون العربون مماثلاً للشيء الذي أعطي عنه العربون. هكذا أيضاً الأسرار الروحية التي أسلمت لنا هنا هي عربون ولها مماثل كبير. فجسد المسيح الحقيقي أي جسده ودمه اللذان نتناولهما هنا ذلك ليكونا لنا عربوناً هناك فنتغذى من أقنوم المسيح روحياً، ونأخذ منه قوة وقواماً، كالأعضاء التي تأخذ من الجسد (قوة وقوام). فهذا العربون بشكله الروحي مماثل عند الأقنوم، فكذلك الجسد والدم يدعيان جسده ودمه. كما أننا ننال الروح القدس في المعمودية لكي يكون لنا بداية للاشتراك الكامل العتيد أن يكون لنا في أسرار الروح، وكم يكون هذا العربون (روح القدس في المعمودية) بسيطاً بالنسبة لذاك الكامل إلا أن أسمهما واحد ألا وهو الروح ويشهد بذلك الكتاب الذي يدعو كليهما روحاً. وأيضاً

مكتوب عن المسيح " **وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة** "[1] فالمسيح الذي هو الأصل له مماثل عندنا، وذلك لأنه صار إنساناً هكذا أيضاً بالنسبة للخيرات العتيدة لنا (التي هي المسيح) والتي هي معروفة بسابق علم الآب، وبما أن (المسيح) هو الله فقد أعد لنا هذه الخيرات مع الآب بعلمه غير السابق للآب. وعلى هذا المثال يوجد لنا مماثل لفرحنا هنا الذي يتولد من تحررنا من الأهواء لذاك الفرح العتيد أن يُعطى للذين يستحقونه. كما إن جهنم الضيقات والكآبة التي تتولد هنا نتيجة فعل الأهواء الشريرة هي مماثلة لجهنم العتيدة. فنتشجع إذاً لكي نخلع عنا العالم ونخلع معه الأهواء التي تجرحنا. كما لنخلع عنا أيضاً الأهواء الشريرة، ونلبس من بعدهم حياة المحبة والفرح.

فإن أردت أيها التلميذ أن تعرف هل تستطيع بدون الخروج من العالم أن تقترب إلى التدبير الكامل ؟، فتعلم هذا من الكتب المقدسة. وتذكر أعمال الناس الروحيين الذين كُتبوا في هذه الكتب المقدسة. ومَن مِن الأقدمين أستحق الموهبة العالية والعجيبة التي نالها يوحنا المعمدان، كشهادة السيد المسيح عليه إذ قال : " **بأنه أفضل من كل الأنبياء** "[2] كما قال أيضاً : " **الحق الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان** "[3] لنتأمل رجل المعجزة هذا الذي قد وصل إلى كل هذه العظمة. ولنرى كيف وأين كان تدبيره. ولماذا وصل إلى هذه الموهبة العظيمة ؟ وبأي نمو وأتعاب وزهد. وكم من الزمن ابتعد عن مخالطة الناس. فحينما نرى ونفهم هذه الأمور، ونشاهد العظمة التي صارت له. ونتأمل في البداية في إرادته ثم بعد ذاك في النعمة. لأنه إلى أن أظهر ثمار إرادته لم يُعطي له الروح الموهبة. فأنظر إلى تدبير رجل الموهبة هذا. فمنذ صغره أنفصل عن الإقامة في العالم وعن مخالطة الناس. ولم يتدنس أو ينحرف ثم أغتسل وتطهر، لكنه خرج بصباه وهو طاهر قبل أن يعرف أن يميز الخير من الشر. ونما في البرية، ولم يكن

[1] عب 9: 11

[2] مت 11: 9

[3] مت 11: 11

له أبداً فكر من أفكار العالم، فهو لم يذق هذه الأمور بالتجربة، ثم هرب من شـرور الناس. أو إنه في البداية أضطرب بالشهوات والأهواء ثم في أرض الحرية (البرية) وصل إلى سلام الأفكار. لأنه قبل أن يتذوق شرور العالم اعتزل عن شـروره، لأن صفاء النفس تساعد كثيراً للذين يستحقونها، لأن نفسه كانت قريبةً جداً لنفس آدم قبل أن يكسر الوصية. فهذا الإنسان الذي سار بهذا التدبير، أي يوحنا المعمَـدان كـان عتيداً أن يفرز لخدمة الأسرار الإلهية، وموهبة لم تعط من قبل لإنسان، كانت عتيدة أن تصله. فجيد إنه منذ صباه قد فرز وخرج إلى البرية، لكي لا يُجرب بالـشرور، ولا يغرق فكره بصور الذاكرة البشرية، ولا يـضطرب ويـشوش بأفكـار العـالم واهتماماته. لكي يقتبل بصفاء النفس الظهورات الإلهية، وتعلم الأسـرار الإلهيـة، ويشعر بالشيء الذي لم يصل إلى كل الجنس الميت (الجنس البشري). ولذلك نـال الروح القدس وهو ما يزال في بطن أمه لكي بتشجيع من الروح تتحـرك أفكـاره بشكل روحي. فأن يولد من دون زرع فهذا ليس صواباً لأن الرب يسوع وحده فقط ولد من غير زرع. وبما إنه كان عتيداً أن يتقبل المناظر والظهورات المتعالية فوق الكيان العتيق لذلك نال الروح القدس وهو في بطن أمه بعد أن حُبل به من الـزرع. كما كان من السهل على الرب أن يخلقه خليقة جديدة كآدم وحواء، لكن سيكون بذلك غريباً عن الجبلة القديمة. ولكن الرب لم يشاء أن يصنع ذلك لكي لا يُظن أنـه قـد كره الجبلة القديمة. إذاً أن يولد من الكيان القديم بدون زرع كما قلنـا فهـذه تليـق بالسيد المسيح فقط. وأن يتربى في العالم ويحتمل التجارب الشريرة ثم يستحق بعـد ذلك للنعمة الأسمى من العالم باختياره على مثال الرسل فهذا الأمـر سـيمنح بعـد الصلب ما أن يموت الكيان القديم وتموت معه الخطيئة وكل الأهواء الشريرة. ولأن يوحنا كان عتيداً أن يستحق وينال معرفة الرسل من قبل أن تزول اللعنـة وتبطـل الخطيئة ويتم عمل الصليب، فقد نال الروح من بطن أمه ونال التربية خارج العـالم لكي بهذه الوسائل يسير في صفاء الطبيعة الأولى قبل أن تُكسر الوصية. وبـصفاء النفس هذا يتقبل معرفة الأسرار الإلهية. وإذ كانت هذه الأمور العجيبـة قـد تمـت بالنعمة فقد كان ذلك لهذه الأسباب والأهداف. وحيث إنه من عمق محبـة الله التـي

لا توصف كان هذا العمل يتمم فقد قام الله المتسلط بذاته ككائن حر في الوسط وبه وبواسطته أبطل القديم وبدأ الجديد ومات الإنسان القديم على الصليب كقول بولس الرسول : " **عالمين إن إنساننا العتيق قد صلب معه** " [1]. وظهر وأبصِر وعرف الإنسان الجديد، الذي ليس فقط يستحق أن يسكن في الفردوس على مثال آدم الأول بل يستحق أن يسكن في السماء، ويكون بين الروحيين ويصير مثلهم في كل شيء. وهكذا بعد هذا (الخلاص) صارت النعمة تخطف كل الذين يجربون بالشدائد والعشارين والزناة والقتلة واللصوص والوثنيين وتجعلهم مستحقين لغنى الأسرار. وبالطبيعة الجديدة تصنع (النعمة) ما تريده لأن الإنسان العتيق قد صلب ومات حسب قول الرسول بولس. كما قال أيضاً بحسب الطبيعة البشرية " **ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت ؟** " [2]. وبعد أن قال هذا بصيغة سؤال (من يستطيع أن ينقذني) اظهر وعلَّم في كلامه من هو الذي سيخلصه من الطبيعة العتيقة والميتة " **أشكر الله بيسوع المسيح ربنا** " [3] هو الذي ينقذني من جسد هذا الموت. وهكذا صار معروفاً لنا بأنه بهذه الأمور قد صار موت وطرح وبطلان وفناء الإنسان العتيق، وقيامة وتجديد ورؤية وظهور الإنسان الجديد. فكل الأعاجيب والمعارف والأسرار والظهورات وكل تدابير الروح والعمل الذي هو فوق الطبيعة وكل ما ترغب في صنعه النعمة تقوم بصنعه بسلطان. فهذه الأمور القليلة التي قيلت منا هي لإظهار سبب خروج يوحنا إلى البرية. ولماذا قبل الروح وهو ما يزال في بطن أمه ؟. ولماذا منذ صغره تربى في البرية ؟.

وأما أنت أيها التلميذ فاسمع وتشجع واخلع العالم، وتقرب إلى التدبير النقي، وأحبب معاشرة الله الدائمة، واهرب من كلام الناس، وشاهد نِعَم هذا التدبير من خلال ما جرى مع يوحنا المعمدان. فإن كان من قبل الصليب الذي به أُبطل وأُهلك العتيق، وشوهد الجديد. وجد طريق التوحد والحرية والابتعاد عن العالم الذي أعطى

[1] رو 6: 6

[2] رو 7: 24

[3] رو 7: 25

ليوحنا المعمدان معرفة الرسل. وهذا التدبير جعل له حكمة أعلى من المستوى البشري. فكم بالأكثر سيقيمك الآن هذا التدبير الروحي بمعرفة أسرار المسيح، ويلذذك بحالة لا توصف، بالشعور بالظهورات الروحية. فأتخذ هذا البار قدوة وتعلم منه كيف إن الإنسان لا يستطيع أن يصير تلميذاً كاملاً للمسيح إن لم يبتعد عن العالم على مثال هذا الصالح. وكما قال السيد المسيح : " **إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته وحتى بنفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً** " [1]. كما قال في مكان آخر لذاك الذي كان يريد أن يخدم كليهما معاً أي واجب الأبوين والتلمذة له، فأوقفه عن ذاك قائلاً : " **لا يمكن أن يجتمع هذان الأمران** " [2] " **فقال يا سيد إئذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي** " [3] وأمي وبعد ذلك أتبعك وذلك لأنفذ وصيتك الأولى اكرم واستمع لأبويك، ثم أتي واتبعك وأخدمك. فأي جواب رد السيد المسيح عليه ؟ " دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله ". فلا يلزمك أن تحفظ الناموس لأنه قد حفظ وزال. ولا أن تخدم أبويك الطبيعيين (الجسديين). لأني أنا قد خدمت وسمعت لهم عوضاً عن الكل. فإذاً قد طرح عنك نير الناموس الطبيعي وأصبحت حر نفسك. إذ لم يعد ما يخضعك في العالم، لأنه قد مات العالم لك وأنت له. فالجثث (الموتى) لا يُخدموا بل فقط يُجنزوا ويقبروا. " **إذاً دع الموتى يدفنون أمواتهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله** " [4]. فمن هذه الشهادة تعلمنا إن الذي يتتلمذ للمسيح لا يحق له أن يخدم ولا أبويه الطبيعيين لأن له آب حقيقي، قد كتَبَه لنفسه ابناً بالنعمة، وفرزه ليخدم إرادته. واسمع أيضاً لهذا البرهان الآخر الذي يقربك لهذا التعليم، وعلى مثال هذه الشهادة التي تشجعك لتبتعد عن كل شيء وتتبع يسوع. وأقترب منه تلميذ آخر " **أتبعك يا سيدي ولكن ائذن لي أن أودع الذين في بيتي** " [5]. فاسمع ما أجاب

[1] لو 14: 26
[2] لو 16: 13
[3] لو 9: 59
[4] لو 9: 61
[5] لو 9: 62

المعلم للتلميذ وأقبلها وكأنها قد قيلت لك بواسطة ذاك التلميذ " **ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله** "[1]. لأنه من كان يكمل مثل هذا العمل الطبيعي : أي الذي يقود المحراث بواسطة ثورين لا يدع النظر إلى الأمام لينظر إلى الوراء، لأنه بهذه الحالة لا يكتمل العمل. كما إنه لا يستطيع أن يسير إلى الأمام وتكون خطوطه مستقيمة، ولا حتى الثوران يسيران إلى الأمام. فإن كان هذا العمل الجسدي والمرئي الذي يعمل في هذه الأرض يضطرب إذا نُظر إلى الوراء، فهنا في تلمذتي (المسيح) يختلف العمل (الجسدي) عن العمل (الروحي) كما يختلف العالم عن العالم والحياة عن الحياة وغير المائت عن المائت والله عن البشر. فإن أخذت نير تلمذتي على نفسك وجسدك وأكملت عمل وصاياي ولم تنظر إلى ورائك نحو العالم. ولم تجتهد لتصنع السلام مع كل الناس ولا أن تهتم لتوفيهم الاحترام الجسدي، وتكمل لهم ناموس العالم، ثم بعدئذ تأتي ورائي. فإن أوفيت واجبات العالم فواجباتي لا توفى بعد، وإن لم تجتهد لكي تُحزن العالم فكأنك قد أحزنتني، لا يكون لك سلام مع العالم لكي يكون لك سلام حقيقي معي. فليس لك بيت ولا أهل فلما تسعى لتُسالمهم، قد وضعت العداوة بينك وبينهم فلماذا تهتم بأن تكون محبوباً لهم. لم آتِ لألقي سلاماً على الأرض وأنت لماذا تسعى لكي يكون لك سلاماً مع أبناء الأرض، أنا دعوتك للقتال وأنت تسعى للسلام، أنا أكرز بالانشقاق وأنت تبادر إلى المصالحة، قد أتيتُ لأفرق الرجل عن أبيه، والابنة عن أمها، والكنة عن حماتها، وأنت تجري لتسالم أهل بيتك، وتخيط بجهالتك ما قد صنعته من تمزيق في العالم. فقد مزقت لباس السلام هذا لأنه كان مخيطاً بالمكر، وأبدلته بلباس سلام آخر سمائي. فبهذا اللباس خط أنت أيضاً ولا تسعَ لكي تخيط اللباس العتيق. فقد أبطلت السلام الذي ينمي الشرور في كل الناس، وأبدلتُ الصداقة التي كانت تجتمع للخطيئة، فلا تسعَ أنت لتصير صديقاً لفاعلي الآثام. فقد قال له : أذهب وأُسلم على أهل بيتي فقال له : ليس لك سلام معهم. لا تسلموا على أحد في الطريق فمعنى هذه العبارة أن يبعد السيد المسيح تلاميذه عن سلام العالم. فهذه الكلمات قد

---

[1] لو 9: 63

قيلت للكل باسم ذاك التلميذ أي لأولئك الذين يظهرون التلمذة، لأنه من الأفضل للإنسان أن لا يكون تلميذاً لله بالاسم وهو في الحقيقية للعالم. مستأجر عند واحد ويعمل عند الآخر. فالعالم لا يبتغي الكمال، ولا حتى شكل أعماله تظهر الكمال. فالتلميذ بعلامات شكله يظهر الكمال في نفسه، وبالأمور التي يظهر بها للناس كاملاً ليظهرها أيضاً لله في الخفاء.

فعلامات التلمذة التي تظهر عليك من الخارج هي لتشجعك لَتخط في نفسك كل الحسنات. وبالصورة التي تظهر فيها للناس من الخارج، تُطالب بأن تظهر أيضاً لله في أمورك المستترة.

قد خلعت عنك لباس اهتمامات العالم فأخلع أيضاً من نفسك المحبة المستترة لهذه الاهتمامات. قد ابتعدت عن الزواج الظاهر (الخارجي) ابتعد أيضاً عن الشهوة المستترة فبالأفكار. أنت ممتنع عن أكل اللحم وعن الراحة والملذات التي ترى. فامنع نفسك عن الرغبة التي تريد هذه المأكولات. قد نزعت الأعمال العالمية التي للعالم من رأسك فهذا دليل لكي لا تؤسر باهتمامه ولا تقيد بأفكاره ولا تتسلط عليك أهواؤه التي هي كثيرة ولا تعد. قد خرجت من العالم وصرت غريباً عنه بالظاهر فكن غريباً عنه حتى في الأفكار المستترة أيضاً. قد زهدت في الخارج من الغنى فكن كذلك في الخفاء بالنسبة لمحبة الغنى. كرهت أغاني وأفراح العالم فلذذ نفسك بدون كسل من أقوال وترانيم روح الله. فلتُعلم تلمذتك من الداخل أكثر من الخارج. وكما يميزك الناس بأنك تلميذ المسيح من الخارج، هكذا ليعرفك المسيح من داخلك بأنك تلميذه.

انتبه لكي لا تكون تلمذتك للتجارة. ولا من أجل المجد الباطل والراحة الزائلة تضع عليك حمل التلمذة الثقيل. فلا تشترِ بالروحيات الجسديات. ولا تبدل السماويات بالخزائن البالية الموضوعة في الأرض. فلذاك الذي وعدته، كن تلميذاً له فقط. فقد سبق وعلمك ورفع من أمامك خداع هذا الظن بأنه " **لا يقدر خادم أن**

يخدم سيدين " [1] وأيضاً بشهادة أخرى ينبهك بأنك إن لم تصر تلميذاً كاملاً فأمكث بحسب تدبير العالم فهذا خير لك، من أن تبدأ في بناء البرج ولا تستطيع أن تكمله. فحينئذ ستصير أضحوكة لكل الناس **"من منكم وهو يريد أن يبني برجاً ولا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيبدى جميع الناظرين يهزءون به قائلين هذا الإنسان أبتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل. وأي ملك إن ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب لا يجلس أولاً ويتشاور هل يستطيع أن يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي عليه بعشرين آلاف وإلا فما دام بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح "** [2]. فها إنه بهذه الأمثلة علمك الذي دعاك للتلمذة بأن لا تبدأ بهذا الطريق إن لم تنوي إتمامه، ولا تضع أساساً للبرج إن لم يكن في فكرك أن تكمله. ولا تخرج للقتال ضد الشيطان إن لم تجتمع عندك قوة الأفكار القوية. فربما في خروجك إلى البرية ينتصر عليك إبليس فتهان تلمذتك.

إن الذي لم يعد بشيء فإن العدالة لا تلزمه بأن يعمل ما لم يعد به. فإلى أن يعد هو حرّ، ولكن من الوعد وما بعده هو تحت الناموس. لأنه ما دام لم يوضع عليه نير الوعد فإنه يعمل بحريته، ولكن عندما تأخذ علامة التلمذة ووعد المسيح فحينها لن يكون عملك بإرادتك بل كما يتطلب الناموس (قانون التلمذة) الذي وضعته على نفسك بإرادتك. فإذا كنت وأنت في العالم تصنع ما للتلميذ فإن هذا العمل هو لمجدك. ولكن إن عملت في تلمذتك ما هو مسلم لك فإنك بهذا تقوم بما يتوجب عليك وتتمم ما قد وضع عليك.

فأنظر إلى أين سيصعد البرج ومن أي الحجارة والأساسات سيتركب بناؤه حينئذ ضع أساسه. ولا تبدأ ببناء سيجعلك سخرية للناظرين. ولا تهيئ لك علامة للاستخفاف والهزئ أمام الكثيرين. لا تعط للمارة علة لكي يتكلموا عليك. فإن كان لك أن تصير تلميذاً بحسب إرادة معلمك (الرب) فليكن وإلا فأمكث في العالم.

---

[1] لو 16: 13

[2] لو 14: 28

فلا تزاحم لكي تمجد باسم لا تستحقه، ولا تمسك جوهرة طاهرة بأيدي ملوثة. لا تلبس لباس التلمذة في حين إنك لا تملك معرفة لحفظها. فكر أولاً في نفسك بماذا تطالبك التلمذة أن تعمل حينئذ ضع عليك نيرها. فكثيرون يصيرون تلاميذ لكي يمجدوا باسم المسيح وليس ليتمجد المسيح بهم. وآخرون من أجل أن يرتاحوا يمكثون معه وليس ليحملوا ثقل وصاياه، وآخرون من أجل شهوة المال يقتربون لهذا التدبير الذي يوصي بالزهد، والأشياء التي لم يستطيعوا أن يحصلوا عليها في العالم يحصلون عليها خارج العالم. فبشخص ذاك التلميذ المتراخي الذي كتب عنه في بشارة فادينا وبخ الرب هذا التفكير الآثم أمام الجميع " **فقال له واحد يا سيد أتبعك أينما تمضي فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه** "[1] فاذهب عني يا أيها التلميذ الماكر فلن أعطيك ما تشتهيه لأنك لم تطلب ما أعطيه أنا. فأنا أعرف ماذا تريد إرادتك، فذاك الشيء الذي تريده لا أعطيه أنا. أنت بفكرك تريد الغنى لذلك أتيت ورائي. خرجت وراء النور لتطلب الظلمة، ووراء الغنى الحقيقي تريد الفقر، ومن الحياة تطلب الموت. فهذه الأمور التي أطالب كل الناس بأن يتركوها ويتبعوني أنت تبعتني لتقتنيها. وفي الباب الذي أريد أن أخرجك منه، به تريد أن تدخل إلي. ولذلك لن أقبلك، لأني في الظاهر مسكين فليس لي مظاهر أعطيها لك في هذا العالم الذي أتيت إليه. وأنا غريب كما ترى وليس لي بيت ولا سقف والذي يريد أن يكون لي تلميذاً سوف يرث مني الفقر. لماذا تريد أن تقتني مني، ما أريد أن أجعلك تزهد به.

إن الكثيرين بسبب محبة المال قد خرجوا وراء يسوع ولبسوا لباس التلمذة عليهم كصنعة ما. لذلك أظهر الرب بكلامه هذا الفكر الماكر وبواسطة واحد وبخ كل التلاميذ الكذبة وأوقفهم من تلمذته، بقوله لا املك ما تشتهون لكي أعطيكم هو فليس لي بيت ولا سقف، والذين بدؤوا بكسل وتقاعس إما لمحبتهم للراحة، أو بسبب مشقة البناء، فقد أعاقهم عن البناء إذ قال لهم إن لم يكن لديكم النفقات لإكمال البرج فخير لكم أن لا تبدؤوا من أن تبدؤوا ولا تكملوا. فالسيد المسيح قد أظهر هنا أنه

[1] لو 9: 58

يريد الكمال من كل التلاميذ الذين تبعوه، لأن هذا البرج الذي يصعد إلى السماء بالكمال يكتمل، ويتم بجمع كل المحاسن. قال السيد المسيح إن كنت تستطيع أن تكمله فأبدأ ببنائه وإلا فلا تبدأ. وكأنه يقول إن صرت تلميذاً فكن كاملاً بكل الفضائل، وإلا فأمكث في العالم وأعمل به في أمور صالحات أخرى التي هي أقل من الروحانيات.

فلكل واحد من أولئك الذين أرادوا ما لا يصلح لهم أوقفهم بكلام يناسب ما أرادوه. فذاك الذي لم يرغب في أن يضايق أقرباءه وأراد أن يكافئهم بالحب الإنساني وأراد منه أن يذهب ويودع أهل بيته أولاً ثم يتبعه، أجابه قائلاً : " **ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله** "[1]. والذي أراد أن يكرم أبويه ما داما أحياء وبعد موتهما يصير له تلميذاً قال له " **دع الموتى يدفنون موتاهم** "[2]. والذي أراد من خلال معرفة المسيح الكاملة أن يكمل شهوة طمعه أجابه الرب وقال له : من أقامني عليكم قاضياً. وللآخر الذي أراد أن يجمع الأموال بواسطته، ومن خلال معجزاته وعجائبه وبالقوات التي كان يصنعها (المسيح) فكر بأن يصبح صاحب أموال، فقال له إني مسكين وليس لي أين أسند رأسي. والذي كان يريد أن يقترب من هذا العمل من الخارج فقط قال له لا تبدأ في بناء البرج إن لم يكن لك نفقات إكماله. كما قال لذاك الضعيف الذي لم يسيطر بعد على طهارة الأفكار وصفاء النفس، ويريد أن يقاتل القوى المضادة (الشيطان)، قال لا يوجد ملك يخرج لمقاتلة ملك آخر إن لم يجمع حوله القوة التي تكفي لمجابهة عدوه. فبهذه العبارات وبخ السيد المسيح كل الأفكار المريضة، وأعطى للتلميذ الصحة الحقيقية للتلمذة، وجسد التدبير الروحي.

فإن كانت أمور العالم لا يمكن أن تتم بشكل جيد إن لم يترك الإنسان الأعمال الأخرى ويتفرغ لما يريد أن يعمله. فكم بالأكثر بالعمل الروحي إن لم

[1] لو 9: 62

[2] لو 9: 60

يترك الإنسان كل الأعمال التي ترى لا يستطيع أن يكمله وذلك كقول بولس الرسول " **وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء** "[1]. فعن أي جهاد قال الرسول : أليس عن الجهاد الجسدي الذي للعالم ؟ فإن كان الجهاد الجسدي هو ضد خدمة الأمور الجسدية. فكم بالأكثر يكون ضد الجهاد الروحي. فهناك في جهاد العالم هم مِن طبيعة واحدة (جسدية) وكلهم أبناء مكان واحد : أي جهاده (العالم) وحربه وانتصاره، وأيضاً الأمور التي تعيق نموه، فكل هذه الأمور تتضارب فيما بينها. وهكذا يصبح العالم في اهتماماته وأفكاره مضاداً للذين يجاهدون. وهنا في الجهاد والعمل الروحي وفي التدبير الأسمى من مستوى العالم كيف يستطيع الإنسان أن يتّممه (الجهاد) وهو مقيد ومأسور بأمور العالم. كقول الرسول بولس : " **ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنده. وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً** "[2]. فإن كان جنود ممالك العالم يتركون كل شيء ويتعلمون عملهم لكي يرضوا الملك الذي أختارهم. فمن هو التلميذ الذي أُختِير لهذا العمل الروحي يستطيع أن يكون الأول فيه وهو ما يزال مأسوراً بأمور العالم.

ولنر أيضاً كلام بطرس الرسول الذي قاله للرب ولنتعلم منه وهو التلميذ الأول كيف يجب أن نكون تلاميذ. " **ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا** "[3]. هل سمعت ما قاله هذا التلميذ وكيف أظهر لك حقيقية الزهد الكامل. أنه مع يسوع لم يقتنوا شيئاً آخر، قد تركنا كل شيء وتبعناك. فهذا هو الناموس المخصص للتلمذة. فلم يتركوا شيء وأخذوا شيئاً آخر، ولم يتمسكوا بشيء وتعلقوا بشيء آخر، بل تركوا كل شيء وتبعوا يسوع. فأترك أنت أيضاً كل شيء وأتبعه وأنظر كيف سيلبسك قوة الرسل في الحال. جرب ذلك بالعمل وتأكد من صحة كلامه. ولا تطالبه بأن يؤهلك لرؤية غنى الأمور الروحية الخفية وأنت لم تزهد بعد في كل ما يرى.

---

[1] 1 كور 9: 25

[2] 2 تيمو 2: 4

[3] مت 19: 27

فكلما كنت متمسكاً بما لك فلن يريك ما له. فأعط كل ما لك من أجل محبته فقط، وانتبه من عطيتك هذه من الفكر الذي يطلب تمجيد الناس، وأخرج وسر قليلاً في الطريق وأنت حامل الضيقات والأتعاب مع طهارة الأفكار، وأنظر في الحال إشراق مجده في داخلك، وامزجه إياك بروحه بحيث تبتلع كلك برحمته وتنسى ثقل ضيقاتك، ويجعلك في الحال إنساناً آخر إي من العتيق جديداً. ولكن إن كنت تريد أن تكون له تلميذاً وأن يسلطك على خزائن غناه، وكيسك بعد ممتلئ، وترغب بازدياد حظك، وأن تحتفظ بربواتك (أموالك الكثيرة) وتأكل من نعمه. فحاشا له أن يحل معرفة ظهوراته بداخل النفس التي لا تستحقه. فإن كان الذين يعملون بالتجارة والذين يفكرون بالغنى البشري، يعثرون بمعرفة العالم. فهل تريد أن تقتني أنت معرفة الروح مع أفكار الغنى داخل إنائك القديم (الجسد) والمثقوب بالأهواء والشهوات. وتريد أن يضع فيك الخمر الجديدة لمعرفة أسراره ولم ترم بعد تلك المعرفة التي بك إلى الأرض. فإنه حتى إنائك القديم لا يستطيع أن يتقبله لذلك سبق وأظهر الرب في تعليمه المنير " **ولا يجعلون خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديد فتحفظ جميعاً** "[1]. فما دامت الخطيئة تعمل بداخلك إن كان بالفكر أو بالفعل، والأفكار الجسدية ما تزال تؤثر بك. فأنت ما تزل إناءً عتيقاً ولا تستطيع أن تتقبل الخمر الجديدة لمعرفة المسيح. فجدد نفسك بأن تخلع أهواءك وفي الحال سوف تستطيع أن تؤهل لأن تتقبل في داخلك الخمرة الجديدة لمعرفة المسيح. أترك كل شيء كما تركه الرسل ثم أطلب بشجاعة أن تتسلط على خزائن الروح. لا تلتفت إلى الوراء فحينئذ سوف تستقيم الخطوط أمامك. قد وضعت يدك على محراث الأعمال والوصايا الصعبة والمتعبة فلا تلتفت إلى الوراء لكي تنظر إلى الراحة. هناك قد كفرت بالعالم فلا تعود تعترف بما كفرت به. فلا تنظر مرة للأمام وأخرى للخلف، بل ليكن لك نظر ثابت إلى الأمام. فالذي ينظر أمامه وخلفه يشبه إنساناً يراوح في مكانه بدون أن يتحرك، ولا يقال عن هذا الرجل بأنه يسير في الطريق

---

[1] مت 9: 17

أو إنه قد أكمل المسير فيه. وهكذا هو التلميذ الذي ينظر مرة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف. ومرة يكون ممتلئاً بالألم وأخرى بالضحك. مرة يطهر أفكاره وأخرى تتلوث بالخطايا. مرة يحمل ثقل الضيقات ومرة يتلذذ بالراحة. مرة يصوم كثيراً ومرة يأكل فوق العادة. مرة في صلاة وتأمل ومرة في كلام باطل. مرة في ذكر الله ومرة تموت نفسه عن ذكره. مرة يريد أن يخلع حياته ليكون مع المسيح وأخرى يرتدي الراحة الجسدية التي تطيب له. مرة تتحرك كل أفكاره بالروح وأخرى ينطق بأفكار باطلة. مرة يكون ممتلئاً عجباً في الله وأخرى يكون فكره مظلماً بأفكار الجسد. مرة يطهر فكره من حركات شهوة الزنى وأخرى يشتهي أن يقوم بفعل الخطيئة. مرة يصوم بلا مقدار ومرة يأكل بلا نظام. مرة يوزع ممتلكاته محبة بالله ومرة يتضايق بسبب هذا التوزيع. مرة يكون ممتلئاً حباً للناس وأخرى يعثر بسبب عدم قدرته على الثائر من أعدائه. مرة يشرق عليه نور المعرفة ومرة يظلم من معثرات هذا العالم. مرة يسير بشكل مستقيم إلى الأمام وأخرى يرجع إلى الوراء. مرة يتحرك كله بالروح وأخرى يتحرك بالجسد. فإذا كان الإنسان بهذه الأمور يذهب ويأتي، ويروح ويجيء، ويسير ويعود، ويصعد وينزل، ويرق ويتصلب، ويتطهر ويتلوث، وينتبه وينحرف، ويتنقى ويتلوث، ويحرص ويضطرب، يزهد ويشر، يكفر ويؤمن، يمتنع ويشتهي، فبهذه الحالة لا يمكن أن تكتمل طريق التلمذة. ولكن الذي يصنع هذه الأمور يكون ثابتاً في مكانه ولا يسير من المكان الذي هو واقف فيه، ولذلك لن يصل إلى المكان الذي يسعى إليه. فكيف يصل إن لم يسعَ ؟ فإن الذي خرج ليذهب ويسير إلى الأمام قد صرف نصف حياته في أعمال التلمذة لأنه كان يخدم اثنين (الله والعالم) ولم يستطع أن يمسك بأحدهما، لأنه لم يطلب النعمة بكل نفسه بل بالاسم فقط. وكيف يستطيع أن يجدها وهو لم يجرب هوى محبة المسيح ولو لوقت قصير ؟. وكيف يتسلط على محبته وهو ولئن وجد بالظاهر حياً إلا أنه بالحقيقة ميت ؟، وماذا يُنتفع من الميت ؟!.

قد تبعت المسيح فسر وراءه ولا تلتفت إلى وراءك، وتذكر امرأة لوط التي أجبرها حبها لعشيرتها وأصوات عذابات أحبائها فاستدارت " **ونظرت إلى الوراء**

فصارت عامود ملح "[1]. كما كتب عنها. ولأنه لم تُملح نفسها بالمخافة السامية صارت عامود ملح فاسد. فتذكر هذه التي انقسمت وهلكت ولا تكن منقسماً مثلها وتلتفت إلى ورائك. لربما مكثت في مكانك وحدث لك هكذا إن لم يكن لجسدك فسيكون لنفسك. فالذي يلتفت إلى ورائه من بعد خروجه للسير في هذا الطريق تصير نفسه عاموداً بلا حراك. وكما حدث هناك إذ صارت امرأة لوط عامود ملح وما عادت تشعر بالاحساسات الجسدية، هكذا هنا سوف لن تشعر النفس بالاحساسات الروحية. فالفكر الذي ينظر باستمرار إلى ورائه للأمور البالية بتذكر العالم، فإنه يملأ قلبه قساوة ويلوث صفاء ونقاء نفسه. وسيظلم بذاك الفكر الجسدي تلك البصيرة التي كانت تسحر العقل برؤية الله الدائمة. فإن كانت الأفكار الجسدية تبعدنا عن مشاهدة الروحانيات فكم بالأكثر إن اقتنيناها (الجسديات) بالفعل. وإن كان النظر إلى هذه الأمور وهي في يد الآخرين يأسرنا فكم بالأكثر إن صارت هذه الأشياء بأيدينا.

فأترك إذاً أيها التلميذ العالم كما تركه الرسل بالفعل وليس بالاسم، وبالفكر وليس بالإدعاء، وبالإرادة وليس بالشكل، وبلذة وليس بإغواء، وبتميز وليس بتسليم، وبتجربة وليس وفقاً للناموس، ولتجدد في داخلك يوماً بعد يوم لذة هذا العمل الروحي. وتذوق حياته (الطريق) بأن تميت منك كل الأمور الميتة، تشجع وأعبر هذا الطريق الموضوع في الوسط فهو مخيف وعميق وواد مليء بالوحوش المفترسة والسامة والقاتلة والمؤذية. فإن جعلت في ذهنك أن تعبر هذا الطريق المخيف وأعدت إرادتك بشكل كامل فإنه في الحال سوف توافيك النعمة وتتقبلك وتساعدك. فلا تنظر إلى أن الجسد والنفس يتبعان بعضهما ويختلطان الواحد بالآخر طبيعياً. لكن يوجد بينهما شقاً كبيراً وعمقاً مخيفاً ولا يستطيع كل إنسان أن يجسه ويعبره. فإن لجمت الجسد بشهواته ورافقك مع ذاك الألم والصلاة والرحمة فعندها تستطيع أن تعبر تلك الطريق المخيفة. ولكن بما أن كلامنا الآن هو عن الخروج من العالم وليس عن الخروج من الأهواء الداخلية. لذلك سوف نتكلم فقط عنه " **لقد**

[1] تك 19: 26

تركنا كل شيء وتبعناك " [1] إن هذه العبارة هي تعليم عام لكل التلاميذ. فاجعلها دائماً في نفسك والهج بها في بداية تلمذتك، وحينما تشجعك أخرج من العالم وسر في هذا الطريق وهي سوف تساعدك. وفكر بها في كل حين وإذا أغراك بعض المال ليبق عندك حب بالآخرين والأحباء، فتذكر كلام بطرس بأن تركنا كل شيء وتبعناك، فأترك كل شيء مثله. فيسوع قريب منك قربه لبطرس وربما هو أقرب إليك منه، لأنه عندما قال كلامه هذا لم يكن قد أخذ بعد هو والتلاميذ قوة لكي يمتزجوا بحب المسيح بشكل روحي. لكنهم تبعوه ببساطة الإيمان من بعد أن شاهدوا أعماله وطيب كلامه. قال تعالوا ورائي ففي الحال سمعوا كلامه وبدؤوا بالعمل. فليكن خروجك اليوم بالعمل لأنه قد مزجك بالروح القدس بواسطة العماد. وإذا كان قد تقدم التلاميذ منه آنذاك بمجرد كلمته، فأنت اليوم قد مزجك بالفعل بنفسه لأنه جعلك عضواً روحياً فيه عن طريق المعمودية فكلما خرجت أنت بأعمالك سيسبقك هو ويلاقيك بعمله. وإن سعيت نحوه فهو سوف يسبقك ويأتي إليك. ومهما اجتهدت أن تضع حبك وعملك، بمستوى حب وعمل الرسل فلن تستطيع بل ستبقى أقل منهم بكثير ولن تصل إلى حد حبهم وارتباطهم بالرب يسوع الذي لا يوَصل إليه، ولكن وأن لم توصلك أعمالك الكثيرة فهو سوف يوصلك بنعمته. لأن حب الرسل هو عجيب فالروح القدس لم يكن قد امتزجت فيهم بعد عند خروجهم وراء يسوع بكل تلك الجرأة، كما إنه لم يكن قد لاطفهم بعد واستمالهم كما يصنع معك اليوم في كل فرصة، بل كان يتكلم معهم من فوق (أي بتعالٍ) حتى كان يُظن في الظاهر بأنه يبعدهم عنه " **فقال يسوع للتلاميذ ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا** " [2] قال لهم هذا الكلام الذي من صعوبته تركه الكثيرون في ذاك الوقت " **فأجابه بطرس يا رب إلى من نذهب** " [3] لقد تبعناك مرة واحدة ولن نذهب بعدك إلى أي مكان آخر (فكلام

---

[1] لو 18: 28

[2] يو 6: 67

[3] يو 6: 68

الحياة الأبدية عندك) فكيف نترك كلام الحياة ونذهب وراء الموت. كل شيء قد تركنا وتبعناك (لأننا قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي).

فإذاً يا أيها التلميذ إن كنت قد أمنت به كإيمان بطرس فأخرج كما خرج هو وأترك كل شيء وأتبع ربك الغني. فلا يوجد ما يحتاج إليه حتى تأخذ له من هذا المكان الغريب زوادة الغنى. لأن غناه ليس بهذا المستوى لكي يحتاج إلى فتات غناك ليعينه. أما أنت فاجتهد بأن تترك كل شيء وهو سوف يعطيك كل شيء كما وعدك عن طريق بطرس. فهل تتلمذ بطرس لمعلم وأنت قد تتلمذت لمعلم آخر، لذلك لم تخرج كما خرج هو. فإن لم تخرج على مثاله فأعلم بأنك قد تتلمذت لمعلم آخر وأنت تظن نفسك بأنك تلميذ للمسيح. لقد وُضع لك أمرين الأول شكل خروجك والآخر أجره. فكيف تخرج فهذا تعلمه من (ها قد تركنا كل شيء وتبعناك). أما عن الأجر هذا الخروج فهو يظهر من كلام الرب يسوع " **الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على أثني عشر كرسياً وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر** "[1]. فهذا هو أجرك في اتباعك يسوع، الذي أشركك معه بالمجد السامي فقد أعد لتلميذه كرسياً قبالة كرسيه. وهذا الذي لا يمكن حدوثه طبيعياً، قد ظهر من خلال كلامه إنه ممكن الحدوث. فليس كعبيد ومتسلط عليهم قد وعد المسيح تلاميذه الذين أحبوا كلامه بل كأحباء ومساوين معه في المجد. فقد أعدهم للجلوس على كرسي العظمة فكم هو عجيب حبه هذا الذي لا يوصف. فقد كتب عن الملائكة بأن الآلاف يقفون أمامه وربوات تخدمه. " **والسرافيم واقفون فوقه ولكل منهم ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس** "[2]. وعن الكاروبيم في حزقيال قال :بأنهم كانوا تحت المركبة السماوية ووجوههم نحو الأسفل وأرواحهم تنتظر أوامر الرب كما كانوا هم أيضاً يصرخون ويقولون مبارك مجد الرب من مكانه. فالروحانيون يقومون بهذه الخدمة

---

[1] مت 1: 28

[2] أش 6: 3

والقوات والظغمات السماوية يستمعون لكلام الرب يسوع. كما يقول الرسول بولس بأن " **أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص** "[1]. وعن الرسل قد كتب بأنهم سوف يجلسون على كراسي العظمة والمجد متساوون معه بالوراثة. وبهذا أظهر لنا كما قال أيضاً بولس الرسول " **إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه** "[2] كما قال أيضاً "**فإن كنا أولاداً فإننا ورثة الله ووارثون مع المسيح أن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه** "[3]. وقال أيضاً " **الذي سيغير شكل تواضعنا ليكون على صورة مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء** "[4]. فإلى هذا الحد الكبير سيصل التلميذ إذ سار بشكل كامل على آثار معلمه، ولا تظن بأن التلاميذ فقط قد وصلوا إلى هذا الحد فقد قال الرسول بولس : " **إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه** ". كما إن الرب قال للرسل أيضاً ليس فقط أنتم ولكن كل من يترك بيوتاً وأهلاً وأخوة وأخوات وأبويه وأبناءه من أجل الإنجيل فإنه سينال مئة ضعف في هذا العالم وفي العالم الآخر ملكوت السموات. فمن هو النائم الذي لا يستيقظ على هذه المواعيد. ومن هو الميت الذي لا يحيا من عبق الحياة الروحية. ومن هو الذي لا يسرع ويترك تراخيه عند مشاهدته هذا الطريق الذي يصعد إلى السماء. ومن هو الذي لا يرغب في أن يهان ويحتقر (من أجل المسيح) عندما يسمع بهذا الوعد الذي لا يعادله أي شيء. ومن الذي لا يكفر بالعالم كله ولئن كان يمتلكه كله، وذلك لكي يصير جليس الله على الكرسي. ومن هو الذي لا يغير الأشياء الوقتية بالأشياء الأبدية. فإنه وإن كانت هذه الأمور التي تركناها تساوي الأشياء التي سوف تعطى لنا لكنه بما إن الله أمرنا بأن نتركها فيجب علينا أن نتركها.

---

[1] عب 1: 14

[2] 2 تيمو 2: 12

[3] رو 8: 17

[4] في 3: 21

فأترك إذاً هذه الأشياء البغيضة والمحتقرة، فإن لم تتركها عملاً بكلام الرب يسوع إلا أننا سوف نتركها بشكل طبيعي (الموت). فهذه الأمور الزائدة التي لا تصلح لأي شيء نبدلها بأمور جيدة فمن الذي لا يسعى إلى هذا الفرح الذي يتم فيه هذا التغير فها إن الرقع تبدل بالأرجوان. والحصى الحقير بالجواهر، والحجر البسيط بأحجار اللؤلؤ، والفقر غير المحدود بالغنى الذي لا يقدر، والذهب المخلوط بالذهب الجيد، والظلمة بالنور، والموت بالحياة، والمرارة بالحلاوة، والمرض بالصحة، والخضوع بالسلطة، والسذاجة بالرئاسة، والأشياء البالية بالأشياء التي لا تبلى، والشيء الزائل بالشيء الذي لا يزول، والظلال بالحقيقة، والجوع بالشبع، والجهالة بالمعرفة، والسلوك الحيواني بالسلوك الملائكة. والجسديات بالروحيات، والشقاء غير المتناهي بالسعادة غير المحدودة. ومع وجد المزيد لكن الكلمات تعجز على إيفاء هذه الأمور حقها. فمن لا يرغب في أن يبدل، ومن لا يريد أن يبدل كل هذا الفقر بغنى الملكوت. فإن الكلمة الروحية إن نطقت وإن كانت بسيطة فهي أعظم من كل حكمة العالم وبولس في سياق كلامه أظهر عظمة هذا التبديل كما أظهر مدى عظم ما لله وكم هي صغيرة الأمور التي تخصنا " **ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية** "[1]. فمن هو الذي لا يبدل الأمور الزمنية بالأمور الأبدية إلا نحن والجاهلون أمثالنا.

وأما أنت يا من كفرت بالأمور التي ترى لا تسأل كيف هو الغنى الذي أخذته بدل فقرك. بل اجتهد في أن تترك فقرك وتجري وراء اقتنائه (الغنى السماوي)، أما كيف هو وبماذا يشبه فهذه يشرحها لك بولس الرسول ليس كما هو لأنه ليس له شبيه، ولا عن مقداره لأنه لا يقاس " **ما لم تره عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه** "[2]. إن ربوات المكافئات تظهر في مثل هذه الأمور أما أنت فأسمع هذه الأقوال الإلهية التي تشجعك على

[1] 2 كو 4: 18

[2] 1 كور 2: 9

الخروج من العالم واتباع يسوع، وأن تكون زاهداً كاملاً لتصير بعدئذ تلميذاً كاملاً. فالذي لا يكفر بكل ما له لا يستطيع أن يكون تلميذاً له. فماذا لديك لتقوله بعد كل هذا وبماذا تجيب، فها إن كلمة واحدة قد أبطلت كل حججك وأوهامك، كلمة حقيقية وطريق عال تسير به، وفي مكان آخر يقول : " **إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني** " [1] وأيضاً عندما كان يعلم بأنه لا نترك المقتنيات فقط لأجل مجده، ولا نكفر بالعالم فقط من أجل الاعتراف به بل أن نكفر بحياتنا الزائلة أيضاً قال : (من لم يكفر بنفسه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً). وأيضاً قال : " **من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها** " [2]. وقال أيضاً : من يهلك نفسه يحفظها للحياة الأبدية. ومن يخدمني يحبه أبي وقال أيضاً : " **قوموا ننطلق من هنا** " [3] وبهذا أظهر بأن هذا المكان ليس مكانه

ولا مكان تلاميذه. إلى أين نذهب يا رب " **حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي** " [4]. فإن كان يسوع قد قال هلموا نذهب من هنا فمن هو الغبي الذي يرغب في أن يحيا مع الجثث في القبور ويكون مسكنه في المقابر.

فكلما أراد العالم أو أبناء جنسك أو عشيرتك أو أحبائك أن يتمسكوا بك فتذكر كلام السيد المسيح الذي قاله : قوموا ننطلق ومن هنا. فيكفيك هذا الصوت ليدهشك إذا كنت حياً. وكلما أردت أن تجلس لترتاح أو أن تنظر نفسك إلى محبة المكان الذي كنت فيه فتذكر هذا الصوت المشجع وقل لنفسك تعالي ننطلق من هنا.

بالطبع يمكنك أن تذهب ولكن اذهب حيث ذهب يسوع. اذهب لأنه طلب إليك ولا تتبع الطبيعة (الإنسانية) التي تأخذك حيث لا تشاء طبعاً إن كنت راغباً في ذلك وإلا فإنك واقف على طريق السفر فسافر من أجل كلام يسوع لا إكراهاً.

---

[1] لو 9: 23

[2] مت 16: 25

[3] يو 14: 31

[4] يو 12: 26

قوموا ننطلق من هنا هو صوت يوقظ النائمين. هو بوق الهتاف الذي يطـرد نـوم الكسل. هو قوة وليس كلاماً والذي يشعر به فقد لبس قوة جديدة منذ زمن تغيره من لا شيء إلى شيء بغمضة عين، وهكذا تتجي كلمة الله التلميذ لكي لا يضيع بـسبب تلك الراحة عند جلوسه.(قوموا لننطلق من هنا) ها إنه هو أيضاً سيذهب معك فلـم يقل لك قم اذهب من هنا بل قال قم لنذهب من هنا أنا وأنت سوية، فالله يدعوك لكي ترافقه. فمن الذي لا يتلهف ويسرع لكي لا يفقد مرافقته لله الذي دعاه. فلا يوجد في ذاك الطريق فزع ولا خوف ولا خسارة ولا ضرر ولا لصوص ولا سارقون. وإن وجدت بعض الموانع فبما إن الرب هو في معونتك فإنها سوف تهرب من أمامـك. فمن هو اللص الذي يتجاسر وهو في زي لصوصياته أن يظهر في الطريق الـذي يعبر به الملك، بل إن الأشرار حينما يسمعون بخبره فإما يفرون أو يختبئون. فهـا إنه من هذا المثال أيضاً لك أن تتعلم كيفية الانتقال من أعمال العالم إن كنت تـسمع وتميز قوة الكلمة. فذاك الذي كان يرغب في أن يسير في الطريق الكامـل بـشوق وراء يسوع، أظهر له الرب يسوع الصورة المناسبة للسير في هذا الطريق " **وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمـل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً ليس صـالحاً إلا واحـداً وهو الله أنت تعرف الوصايا. لا تقتل. لا تـزن. لا تـسرق. لا تـشهد بـالزور. لا تسلب** "[1]. فها إنه قد أوقفك عن صنع الشرور وأن تبعد رجلـك مـن طـرق الخطيئة. فإن أردت أن تتقدم أكثر في سيرك نحو الأمام، أي التوقـف عـن عمـل الشرور والقدوم إلى عمل الأمور الحسنات، وأن تحفظ وصايا الناموس وتكرم أباك وأمك وتحفظ كل ما شابه ذلك. أما إن أردت أن تسلك في ما هو أعلى مـن إلـزام الناموس، وأن تسير بحسب سلطان برك ومحض إرادتك تسلك في عمل الحـسنات التي هي أسمى من الخوف في يوم الدين. فأحبب الرب إلهك من كل نفسك ومن كل قوتك ومن كل فكرك، ولا تصنع لصديقك ما لا تريد أن يصنعه لك، فهذا هو تدبير الصالحين الذي هو أسمى من إلزام الناموس. ولهذا التدبير علَّم موسـى والأنبيـاء

---

[1] مر 10: 17

والذي يحفظ هذا لا يتسلط عليه الناموس بنظمه (اذهب واحفظ ما هو مكتوب) وأرتفع منه إلى محبة الله والقريب التي هي أسمى من مخافة الناموس لأنها المحبة. ومتى حفظت هذه الأمور أصبحت وارثاً للحياة الأبدية.

هذه الأمور علّمها الرب يسوع لذاك المعلم لكي يصنعها (الوصايا). وإن لم يقف هو عندها ليصنعها بل بفكر متكبر أراد ما هو أعظم منها، لكن وإن لم يتعلمها ذاك الإنسان لكن نحن كتلاميذ يجب أن يكون لنا علم حقيقي، ونتعلم من تلك الكلمة كيف ننتقل من الشرور شيئاً فشيئاً ونتدرج وننمو في عمل الصالحات. فحينما قال له : لا تقتل لا تسرق لا تزن لا تشهد بالزور. وذلك لأن هذه الأمور تنسب للفساد لذلك قال : " **اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر** "[1]. ولتلك التي قالها بولس : " **لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير** "[2]. أما أكرم أباك وأمك ولا تصنع لقريبك ما لا تريد أن يصنعه لك. فهي أيضاً مثل تلك أي أن تصنع الحسنات وتنتصر على الشر بالخير. وأما أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك. " **عالماً هذا أن الناموس لم يوضع للبار** "[3]. لأن هذه الوصايا هي أسمى من الناموس. فهذه المستويات في التدابير قد وضعها الرب يسوع في هذه الوصايا. لكي في البداية يبتعد الإنسان عن الشرور ويقف عن صنع كل السيئات. وثانياً يصنع تلك الوصايا الموضوعة تحت مخافة الناموس. وثالثاً أن يصنع الحسنات التي هي أسمى من مخافة الناموس. ورابعاً البدء بالسير بطريق تلمذة المسيح والذي هو ترك العالم بالكامل. وخامساً الأعمال والضيقات التي يضعف بها الإنسان العتيق. سادساً أن نحمل الصليب على كتفنا لنصل إلى ملء كمال المسيح. فبهذه الأمور صار لنا تدبيران وتعلمنا شكلين للاستقامة كل واحد فيهم يقوم على ثلاث مراتب أن نبتعد عن الشرور ونسمع ونخاف من الناموس، ونصنع الحسنات بإرادتنا لكي نكون

[1] أش 1: 16
[2] رو 12: 21
[3] 1 تيمو 1: 9

بعمل هذه الفضائل أسمى من الناموس. كما علمنا بولس بأن الناموس لم يوضع للبار. ولهذا السبب جعل صنعها (الفضائل) أسمى من سلطان الناموس. كما إن هذه المراتب الثلاث من الأعمال تُصنع في العالم والذين يقومون بها هم أناس صالحون وأبرار، وليس الروحانيون والكاملون. فاثنان منهم هم تحت مخافة الناموس أما المرتبة الثالثة فهي أعلى من مطالب ومخافة الناموس لأنها تكتمل داخل القلب والفكر الخفي حيث لا يراها الناموس لأن عين الناموس ترى الأعمال الظاهرة وليس الأفكار المستترة. فأن تحب الله من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. فهنا الحب مستتر. فقد قال تحب إلهك وقال ذلك لأن المحبة أعلى من الناموس، ولم يقل خف من إلهك لأن الناموس متسلط على المخافة وليس على المحبة. فالمحبة هي أسمى من وصايا الناموس، والذي يسلك في المحبة لا يتسلط عليه الناموس. فقد وضعت في الوسط هذه المرتبة الثالثة التي هي العليا في مراتب الناموس والدنيا في تدبير المسيح. فأنظر من هنا كم هو عظيم تعليم محيينا (المسيح). فالمرتبة التي هي العليا في الناموس هي في قاع تعليمه. فهذه الأمور الثلاثة علمها الرب للناس الصالحين الذين يسكنون في العالم لكي يصنعوها، والتي بها قد اجتمعت كل الحسنات والتي تصنع من قبل الرحمة، ومن ممتلكاتهم وغناهم يصنعونها للمحتاجين، وبهذه الأمور وضعت كل قوة تلك الوصية (كلما هو مكروه لك لا تصنعه لأخيك). وكما فسر ذلك المعلم بأن هذا هو الناموس والأنبياء.

أما البر الذي للمسيح والذي هو أسمى من الناموس فهو " **أدخلوا من الباب الضيق** "[1]. ففي الناموس مرة يتضايق ومرة ينشرح، ومرة يعمل وأخرى يرتاح، وعلى هذا المنوال تنسج كل حياة استقامتك. أما هنا في تدبير المسيح فمكتوب أدخل في الباب الضيق. فجيد ذلك بأن يدرج الرب كالمعلم الحكيم لتلاميذه من تلك النواميس القديمة إلى هذه الحديثة. فمرة ليظهر بأنه هو واهب الأمور القديمة والجديدة وأخرى لينتقل التلاميذ من الأمور الصغرى إلى العظمى. فمن أن تحب (قريبك) كنفسك إلى أن تحبه أكثر من نفسك. ومن أن تعطي مما عندك إلى أن

[1] مت 7: 13

تعطي كل ما تملك. ومن أن تعطي قليلاً مما لديك إلى أن توزع كل مالــك. وتلــك التي هي أسهل الأمور أن لا يصنع الإنسان الشرور جعلها في المقدمة. فالذي كــان يمتنع عن عمل الشرور بسبب العقاب الذي كان قد وضعه الناموس، كان من السهل عليه القيام بالأعمال الصالحة التي كان يوصي بها الناموس وذلك من جراء خوفــه من الناموس. والذي كان يجبر نفسه على عمل الحسنات ظاهرياً كان يقترب إلى أن يحب الله وقريبه من كل قلبه ليس لكي يشاهده الناس أو رياءً أو بسبب الخوف بــل لأنه من اللائق أن يحب الإنسان الله وابن جنسه. ومن بعد أن وضع لنا هذه الأمور وفسر لنا هذه الرتب من خلال بر الصالحين، أرتفع في كلامه لكي يعلمنــا الكمــال فقال لذاك الفريسي الذي سأله، ومن خلال جوابه للفريسي أراد أن يعلم كل التلاميذ **" إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء "** [1] فإلى الآن لم نبدأ بطريق البر لأن حمل الإنسان لصليبه والخروج واتباع يسوع هو تدبير آخر غير هذا، فكما إن العيش في الرحم شيء وخروج المولود منه شيء آخر، وأن يصير الإنسان في العالم من بعد خروجه من الرحم أيــضاً شــيء آخر. هكذا أيضاً أن ينشأ ويتكون ويتجسد الإنسان داخــل الــرحم بكــل إدراكاتــه وأعضائه هو شيء، وأن يولد فهذا شيء آخر، وآخر أن يصير داخل العالم.

فالبر داخل العالم هو كتكوين الجنين داخل الرحم. وأن تبيــع كــل مالــك وتعطي الفقراء فيكون لك كنز في السماء". فهذا هو الرحم الذي يولد منه الجنــين من البطن القديمة إلى العالم الجديد، وهو الباب الذي يخرج منه من عالم إلى عالم آخر. وأما خذ صليبك واتبعني فهذا هو التدبير الكامل وطريق الحياة الروحية.

قد يظن بأنه من المحال أن يبيع الإنسان كل ما له ويعطي للفقراء ويخــرج من العالم بلا شيء، ولكن في الحقيقة فإن هذا الشيء هو أمر طبيعــي لأنــه بهــذا الشكل قد دخلنا إلى العالم في ولادتنا الأولى، وهكذا أيــضاً خُلــق الإنــسان الأول. وبهذا الصدد عندما أ خذ من أيوب الصديق كل ما كان يملك وحرم مــن مقتنياتــه

---

[1] مت 19: 21

ومن ورثته ولكي لا يظن بأن شيئاً جديداً قد حصل له شجع آلامه بكلمته التي قالها " **عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك** "[1]. فما هو الشيء الجديد الذي حدث لي عدا ذاك الشيء الذي به خرجت من البطن.

فإذاً أن يبتعد الإنسان عن كل ما له ويُرى بلا شيء في العالم فهذا ما يزال أمراً طبيعياً. ولكن الأمر العظيم هو أن يخرج الإنسان من العالم بإرادته من أجل الله. وكما إن موتنا هو أمر طبيعي، لكن عندما نموت من أجل الله فهو استشهاد. هكذا إن وجد الإنسان لوحده في العالم وهو لا يقتني شيئاً فهذا أمر طبيعي لأن آدم أيضاً هكذا خلق وحواء هكذا كونت ولم يكونا فقط محرومين من الغنى بل حتى من اللباس والكسوة التي للعالم، فكانا كالجنين الذي خرج من الرحم عارياً إلى العالم كما قال أيوب : عرياناً خرجت وعرياناً أعود. وكما قال أيضاً بولس : " **لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء** "[2]. وكما إن المشيمة في داخل الرحم من بعد أن يخلق الجنين ويبدأ بالتكون تلتف عليه لتحافظ على حياته، لكن ما أن يولد الجنين حتى تقطع وتلقى بعيداً عنه لأنها ليست من أصله ولا تعد من أعضاء الإنسان. هكذا الغنى والممتلكات مع باقي الأمور البشرية من بعد أن يولد الإنسان تتبعه هذه الأمور على مثال المشيمة، وما أن يحين الوقت ليولد من عالم إلى عالم آخر بواسطة الموت حتى يُلقي عنه كل ممتلكاته كالمشيمة التي تلقى عن الجسد. وكما يرى الجنين وحده بدون المشيمة هكذا سيخرج الإنسان من الحياة وهو خالي من كل مقتنياته. وكما إنه من الطبيعي أن تستأصلوا المشيمة التي تحيط بالجنين عندما يخرج إلى العالم. هكذا من الطبيعي أن يخرج الإنسان عرياناً من العالم أو أن يحرم من مقتنياته وهو في العالم. ولكن هناك فضل للإنسان الذي يسبق هو فيتعرى من غناه من قبل أن يتعرى منه بشكل طبيعي فيسبق بذلك زمن خروجه بحريته.

[1] أيو 1: 21

[2] 1 تيمو 6: 7

فأين هي الصعوبة في هذه الوصية (أن يترك الإنسان كل ممتلكاته) إنه أمر طبيعي. فلينظر الإنسان إلى بدايته ونهايته وهكذا ليسير في الوسط، وكما دخل عارياً سيخرج عارياً أيضاً فليكن عارياً من كل ممتلكاته في زمن غربته في العالم، وليشكر الذي جعل هذا الأمر الذي سيحصل طبيعياً أن يحصل إرادياً.

جيد إن الرب لم يجعل الزهد من الغنى بداية طريق تلمذته لأنه أمر طبيعي، وطريق تدبيره (الرب) هو فوق الطبيعة. فكما إن موتنا الجسدي ليس بدايةً للعالم العتيد بل هو نهاية هذا العالم. وقيامتنا هي بداية طريق ملكوت السموات. هكذا أيضاً الزهد في الغنى والمقتنيات التي ترى هو نهاية طريق العالم وخلع اللباس الغريب الذي لبسناه في العالم بعد دخولنا إليه. وإن ظن أحد بأن هذا الأمر صعب فذاك ليس لأنه فوق الطبيعة، لأنه سهل على الذين لهم حرية. لكنه أمر صعب بالنسبة للخاضعين للأهواء وعلى الذين هم عبيد لشهواتهم : أي الذين يخدمون المال كسيد، الذين يخافون أن يكفروا به لأنهم جعلوه إلههم بإرادتهم. ولا يقف خوف الناس من هذا الهوى فقط، بل من كل هوى يُخضع الحرية تحت سلطانه، فيصبح سيداً ومخافته ملزمة، وليس من السهل خلعه. فخذ لك هذا المثال فليست الأهواء هي التي تخضعنا لها بالقوة بل إن حريتنا هي التي تخضع لهذه الأهواء فتصير أسياداً لها (لحريتنا).

ولو حاول أحد من الثابتين الذين هم قائمون بحريتهم وقد خلعوا عنهم اهتمامات الغنى، أن يجبرهم ليخضعوا للمال فأنهم سوف يخافون من امتلاك الأموال أكثر من خوف الأغنياء من ترك أموالهم. فإن كانت مخافتهم أمر طبيعي أو كان من الصعب أن يزهد الإنسان بممتلكاته، لكان خاف منها كل الناس ولكان سلطانها مالكاً على الكل، لكن أبناء الحرية هم أعلى من الخضوع له ويحسبونه عبودية مريرة لحريتهم المتسلطة.

فإذاً كل وصايا البر والرحمة التي يعملها الإنسان في العالم هي ما تزال في نطاق الطبيعة. وبالإجمال كل الناموس القديم مع وصاياه هو في نطاق الطبيعة. لأن

الناموس لا يمكن أن يكون أعلى من الطبيعــة. فــالرب عنــدما سُـئل مــن قبــل نيقوديموس الفريسي ما هو تعليمك فأجابه : إني أبشر بالولادة من جديد للناس. وإذ كان يشير من خلال كلامه بالأكثر للمعمودية، فإنه كان يشير أيضاً بشكل كبير إلــى هذا الموضوع أي عن ولادة الإنسان بنعمة الله وبإرادته من عالم إلى عــالم آخــر، وصار له الزهد بكل ما يُرى رحماً لهذه الولادة. وهكذا تظهر ثــلاث ولادات يولــد منها رجل الله : الأولى من الرحم إلى العالم، والثانية من العبودية إلى الحرية، ومن أن يكون إنسان لأن يصير ابن الله وهذه تحدث بواسطة النعمة من خلال المعمودية، والثالثة هي أن يولد الإنسان بإرادته من الأعمال البشرية إلى الأعمــال الروحيــة، ويصير له الزهد في كل الأمور التي تُرى رحماً لذلك. هذا بالإضــافة إلــى بــاقي الولادات التي تحدث من الزهد للإنسان بعد خروجه من العالم : مثل الــولادة مــن الجسديات إلى الروحيات، ومن الألم إلى عدم التألم، وبالابتعــاد الكلــي عــن كــل الاضطرابات التي كانت تحرك الإنسان العتيق إلى الحركات الحية لإنسان الــروح. هذه هي درجات ومستويات الولادات التي توجد في هذا التــدبير. ومهمــا يرغــب الإنسان في التقدم إلى الأمام فإنه سيجد مكاناً لخطواتــه لأن طريــق الروحانيــات طريق واسع ليس له نهاية. فإذا كان الإنسان في هذا العالم الجــسدي يجــد مكانــاً لسيره، وإن سار كل أيام حياته لا يستطيع أن ينهي العالم. فكم بــالأحرى لا يوجــد نهاية لسيرنا في عالم الروح. فمهما دخل الإنسان وتعالى وتسامى فإنه سيجد مكــان داخل مكان ودرجة فوق درجة تتقبله لأنه عالم بلا نهاية. فإن هــذا العــالم علــى أتساعه يخضع لحدود ونهاية، أما العالم فهو غير خاضع لحدود ولا لنهاية. وطوبى لمن أستحق ودخل إليه وذلك بتغير الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد، حيث يُميــت فيه كل الاحساسات الجسدية ويُحِل مكانها الاحساسات الحية والروحية. وجيــد أنــه قال : " **إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكــوت الله** "[1]. لأنه إن لــم يزهد الإنسان بكل شيء في هذا العالم ويخلع عنه كل تدابير الجسد الخفية والظاهرة على مثال الجنين الذي خلع عنه الرحم الطبيعي وولد لهذا العالم لا يستطيع أن يرى

[1] يو 3: 3

ملكوت الله. أما أن يشعر هؤلاء الموجودين داخل الاحساسات الجسدية باحساسات الروح الحية. فخذ لك هذا المثال فكما أن الجنين محبوس داخل الرحم في البطن هكذا الإنسان هو داخل العالم يكون محبوساً بشؤون العالم : بكل ثقلها وظلامها وتعبها واهتماماتها وأفكارها. وكما يولد الجنين من البطن عبر باب الرحم إلى نور هذا العالم، وعندما يولد يستطيع أن يشاهد أولاً بواسطة هذا النور كل أمور وجمال هذا العالم وكل أعماله المختلفة وكل ألوان الطبائع المركبة لهذا العالم إذا فهو سيتقبل رؤية كل هذه الأمور، وشيئاً فشيئاً سيشعر بهذه اللذات بواسطة النمو بقامته الجسدية. هكذا الذي يولد ثانية من أعمال العالم ويخرج بواسطة رحم الزهد إلى العالم الآخر عالم الروح، وما أن يولد ويتقبله ذلك العالم حتى يبدأ نور المعرفة بالظهور له. وكما ترى أمور هذا العالم بالنور الطبيعي، ويُميز كل شيء فيه من شبيهه. هكذا بمعرفة الروح التي يبدأ الإنسان بتقبلها يرى كل الأمور الروحية والحدود والأماكن و المنازل والطغمات وكل الأشياء التي لا يمكن للاحساسات الجسدية أن تشعر بها. لأنه كما يشعر الجسد بما هو من طبيعته وذلك لأن احساسات الجسد لها قدرة على الشعور بأمور العالم. هكذا تشعر النفس بمساعدة الروح بكل الأمور التي تناسب طبيعتها التي هي أعلى مستوى من العالم، إذاً فهذه هي الولادة من فوق مع المعمودية أيضاً التي قال عنه الرب لنيقوديموس. والآن لنر جواب الرب لذاك الشاب الذي اقترب إليه ليتعلم المعرفة الكاملة ولنتقبل نحن أيضاً تلك المعرفة الكاملة ونولد من تدبير إلى تدبير آخر : سأله ذاك الشاب " **أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية...... فقال له الرب لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور** "[1]. هذه الأمور التي هي الابتعاد عن الشرور ثم عمل الحسنات. وعندما قال له أكرم أباك وأمك ولا تصنع لقريبك ما تكرهه أنت. وإن صنع إنسان هذه الأمور يرث الحياة الأبدية. لأن وراثة الحياة الأبدية هي لكل الصالحين والأبرار والمترحمين وصانعي الحسنات الذين في العالم. أولئك الذين دعوا من قبل كلام الرب الحي المباركين : " **إذ قال تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد**

[1] مت 19: 16

لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني... "[1]. كل هذه الأمور التي قيلت من قبل الرب تناسب الأبرار الأولين الذين كانوا في العالم وللصالحين من أصحاب الأموال : فذاك الذي يكسو العراة ويستضيف الغرباء ويهيئ مائدة للجياع، ويقيت بالأمور الجسدية كل المحتاجين فهذا يكون من أصحاب الأموال. لأنه بدون أموال لا يمكن أن تتم هذه الأمور. فإن كان الفقراء الذين ليس لهم أموال لا يستطيعوا أن يصنعوا هذه الحسنات فكيف بالأكثر بالنسبة إلى الروحانيين والكاملين. فإذاً هذه النصيحة التي أعطاها الرب هنا ليست فقط لا تناسب الروحانيين والكاملين فقط بل الفقراء أيضاً لأنه هم أيضاً لا يملكوا المال ليصنعوا به هذه الحسنات. فكم هي عالية مرتبة الزهاد من مرتبة الصالحين !! وهذا الأمر معروف من كل الناس وإن كل إنسان يعترف بأن ذاك الذي لا يقتني شيئاً أبداً وقد زهد بماله كله لأنه كامل بحبه لله، هو أعظم من ذاك الذي ماله محفوظ لديه ويصنع به الحسنات. كما إن الروحانيين هم أعظم من الزهاد، والكاملين هم أعظم من الروحانيين. لأن الروحانية تناسب القوى الروحية، أما الكمال فهو مثال كمال المسيح الذي به يكتمل بالروح كل البالغين إلى معرفة كمال المسيح. وذاك كما قال بولس : كم هي عظيمة مرتبة الكاملين والروحانيين من مرتبة الصالحين والرحماء الذين هم في العالم. كما ولنا بالكفالة كلام فادينا الذي قيل لأصحاب المال في العالم " **وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية** "[2]. فها إن الكاملين هم مثل أصحاب الأرض وأبناء المدينة (السماوية) يقبلون الغرباء الصالحين الداخلين إلى عالمهم وذلك لأنهم هم ورثة مع المسيح ووارثي الآب السماوي كما قال بولس : " **فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح** "[3]. وعندما أشار إلى إنه بسبب حملنا لصليب

[1] مت 25: 24

[2] لو 16: 9

[3] رو 8: 17

المسيح قد وصلنا إلى ذلك، قال : **" إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه "** [1]. فإن الاشتراك بآلام المسيح ليس أن يصنع الإنسان الحسنات ولا تكون بإظهار الرحمة نحو المحتاجين. لكن بأن يموت بالكامل عن العالم وأن يموت جسده عن الشهوات والأهواء، وأن يصلب الإنسان العتيق مع كل شهواته، كما قال بولس عن نفسه : **" قد صلب لي العالم وأنا للعالم "** [2]. وبطلت منه كل احساسات العالم كما تبطل هذه الاحساسات من الموتى الطبيعيين، وكما إن الميت لا يشعر بأي شيء من الأشياء التي تقترب منه هكذا أيضاً الإنسان الذي صلب نفسه مع المسيح وأمات به الإنسان العتيق كله لم يعد يشعر بأي شيء من أشياء العالم. ولذلك أيضاً نرى بولس يدعو الذين يتبعون هذا التدبير، موتى. فإن الصالح الذي يسكن في العالم وله زوجة وأولاد وأموال وممتلكات لا يمكن أن يدعى ميتاً، لأن تدبيره كله هو كتدبير الحي : الميت لا يتزوج ولا ينجب أولاداً وأما هؤلاء فلهم شركاء (زوجات) وأولاد مع باقي الأمور التي تتبع ذلك. أما أنتم (الكاملون) فقد دعاكم بولس الرسول أمواتاً وحياتكم مستترة مع المسيح بالله. حيث قال أيضاً " **لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله** " [3]. وقال أيضاً " **كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح ربنا** " [4]. وقال أيضاً " **إن كنتم قد متم مع المسيح من أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض** " [5]. فإن الإنسان يصل إلى هذا التدبير من بعد أن يزهد بممتلكاته ويبدأ بعمل الحسنات بنفسه. لأنه ما دام له مقتنيات فإنه ستبرر بها ولن يكف عن اهتمامات العالم ليعمل لذاته (لبناء ذاته). وإن كان يظن بأنه يعمل في هذا التدبير وهو مازال غنياً فإن عمله هذا مضطرب (غير مستقر). فالذي يتقدم ثم يرجع إلى الوراء فهو وإن كان يعمل في عالم الجسديات إلا أنه لا يستطيع أن يصل إلى طهارة الأفكار التي هي

[1] رو 8: 17
[2] غلا 6: 14
[3] كو 3: 3
[4] رو 6: 11
[5] كو 2: 20

عدم تألم النفس، والتي منها يدخل الإنسان إلى الحب الروحي الذي منه تتولد المعرفة التي ترى كل الأمور. ثم من هناك يتدرج العقل ويصعد في الكلام الإلهي.

ولذلك يزهد بالغنى كل الذين يرغبون في التدرج إلى الكمال وذلك لكي يتفرغوا لذاتهم، وإذ أنهم تحرروا من أمور العالم يبدؤون بمحاربة شهوات الجسد. فيصبح المرء مهتماً بذاته وليس بما هو خارج عنه، وما أن تستأصل شهوات الجسد حتى تبدأ النفس بزرع المعرفة الجديدة في نفسه.

إذاً فالذي يرغب في أن يقترب إلى هذا التدبير يجب أن يزهد بالغنى ويولد من جديد ثم يدخل إلى هذا التدبير. وإلا فلن يستطيع إنسان ما أن يدخل إلى هذا التدبير وذلك كما شهد الرب المسيح " **إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وخذ صليبك واتبعني** "[1]. فانظر إلى كمال تعليم المسيح إذا لم يزهد الإنسان بكل ما له فإنه لا يكون قد بدأ بعد في طريق تعليمه (المسيح). لأن الزهد هي نهاية طريق البر الذي يُصنع في العالم، وأما خذ صليبك واتبعني فهي بداية طريق التدبير الروحي. أما الأجر فقد وضعه الرب يسوع في المنتصف بين الصالحين والكاملين " **اذهب وبع كل ما لك وأعط للفقراء فيكون لك كنز في السماء** " فهذا الأجر هو عوضٌ عن الإحسان وقد دعا هذه الأجر كنزاً وذلك لأن الذين يسعون لفعل الإحسان في العالم يكون لهم رجاء في الأجر لصنعهم هذه الحسنات. وجيد إن الرب يسوع قد وضع هذا الكنز في نهاية طريق الصلاح داخل العالم، بحيث يكون أجرهم أمامهم من قبل أن يبدأ بالمسير نحوه. مثل أولئك الذين يتبارون في السباق وقد وضع أمامهم إكليل انتصارهم. أما بالنسبة إلى الكمال فلم يضع الرب أجراً له، لأنه سيُعد إهانة للكاملين أن يعملوا في التدبير الروحي من أجل الأجر. فإن الروحانية التي يعيشها الكاملون هي أجر الصالحين والأبرار لأنهم حينما يصنعون الحسنات داخل العالم يكونون على رجاء أن يتغيروا ويصبحوا روحانيين ويتحرروا من الجسديات وأهواء

[1] مت 19: 21

وعبودية العالم. أما الكاملون فهذا هو تدبيرهم لأنهم بالروح يتحركون وبه يعملون لأنهم قد تغيروا منذ زمن من الجسديين إلى روحانيين وهم في العالم المرئي. فكيف إذاً ينتظرون أن يكون لهم أجر وأجرهم يعملون به الآن. فكما إن الملاك لا ينتظر أن يكون له أجر روحي الذي هو من طبيعته أو أن يُرسل ويخدم الإرادة الأزلية لأنه فيها وبها يعمل بشكل طبيعي. هكذا أيضاً ولا الكامل ينتظر أجراً وذلك لتحوله إلى روحي. لأنه قائم بهذا التغير الروحي، وكل حركاته هي مثل حركات القوى السماوية، وتدبيره كتدبيرهم، ويقدس بالروح ويرتل مثلهم، ويعبد لله بالروح والحق. وذلك كما قيل من كلام الله عن الكاملين، " **لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا** "[1]. فالله روح والروحانية هي عمل الكاملين فإذاً فهم عملوا بالإلهيات وهكذا قد ارتفعوا من مرتبة الروحانيات وأصبحوا يعملون على مثال الله لا بعبودية بل بسلطة وحرية تلك التي هي أسمى من الناموس والوصايا ولأنها على مثال حرية الله. أما أن نتكلم في حديثنا عن الاحساسات الحية للكاملين فهذا غير مستطاع لأنه إن لم يصل الإنسان إلى مستواهم فلن يستطيع أن يتكلم عن كمال عملهم. وحتى هم إذا أرادوا أن يتكلموا عن هذه الاحساسات الحية وعن أعمالهم الإلهية لا يستطيعوا ذلك، لأن عملهم هذا ليس جسدياً لكي يتكلموا عليه بلسان الجسد لكنهم يشعرون به فقط، ويعملون بالإلهيات في جسدهم الخفي. فإن لا عملهم ولا إحساسهم ولا شعورهم ولا اندهاشهم الدائم ولا الظهورات والرؤى يمكن أن توصف بالكلام.

هذه هي نهاية طريق المسيح يا أيها التلميذ، وعلى هذه الرؤية لتتكل عليها في سيرك إذا أردت السير، هذا هو تدبير المسيح الذي سلم لنا. فاخرج إذاً من العالم وازهد بكل ما فيه بجسدك ونفسك لكي تجد تلك الأمور التي هي أعلى من الوصف وبهم ترتاح مع جميع طغمات النور في العالم الحقيقي ليسوع المسيح الذي له المجد في كل أوان وإلى أبد الآبدين آمين.

---

[1] يو 4: 24

المقال العاشر
وهو ضد شهوة البطن التي تُذم به الشراهة
بحيث يُظهر ويَكشف عن كل أنواعها،
وينحي بالملامة على الذين يخضعوا لهذا الداء
ويظهر بأن الذين يستعبدون لشهواتهم
لا يستطيعوا أن يقتربوا من المعرفة
ولا لأي من مآثر الفضائل

ولئن كانت الأهواء الشريرة ومفعول الشهوات مكروهة وملامة من قبل كلام المعرفة الإلهية، إلا أن أكثرها كرةً ومذمةً هو هذا الداء الممقوت " **محبة البطن** " الذي يعيد الناس الذي يُستعبدون له ويجعلهم بمثابة الحيوانات. لأنه يسلب منهم حركات المعرفة التي تليق بالكائنات الناطقة. ويغرقهم ويظلم أفكارهم بثقل المأكولات. إن هذا الداء الممقوت والمكروه هو باب لكل الشرور. وحيثما يتسلط يصبح باباً كبيراً وواسعاً ومفتوحاً لدخول كل المكروهات، فهو مبطلٌ لكل الفضائل ومعيقٌ للبر كله، وهو بكل أشكاله، ضد كل الأعمال الإلهية.

إن الإنسان لا يستطيع أن يأخذ نير تلمذة المسيح وهو واقع تحت تأثير هذا الداء (الشهوة)، لأنه متى تصبح البطن هي سيدة الجسد فإنها تأمر وتُخضع لها كل إرادته. وبدلاً من الطريق الذي يؤدي إلى السماء تُريه طريقاً أخر ينزل به إلى

داخل الجحيم. وتملؤه بأثقال المأكولات وكثرتها وتثقله بكثرة المشروبات. وما إن يسقط تحت ثقل الأطعمة، وتبدأ خفته (جسده النحيل) بالانحدار إلى الأسفل، ويجمع على جسمه جسماً أخر هو جسم الشهوة فإنه آنذاك سوف ينزل ويهبط بسهولة في الطريق المؤدي إلى الجحيم.

إن داء محبة البطن هو أمقت من كل الأدواء الأخرى، والذي يستعبد له ولو مرة واحدة فقط ويحمل نيره الثقيل على كتفيه، فسوف لن يعطه مجالاً للراحة في خدمته له بل سيخدمه ليلاً ونهاراً. وكالعبد التعيس يرسله إلى حيث يريد، ولا يرسله في طرق ممهدة بل في طرق مليئة بالعثرات وإلى الأماكن التي يوجد فيها الخسارة. إن محب الشهوات ليس لديه عيون ليرى بها النور لأنها ولئن وجدت إلا أنها مظلمة بسبب ثقل المأكولات. فنهاره يغدو له ليلاً وليله موتاً ثانياً. كما إن عقله غارق بثقل النعاس، وأفكاره مشوشة من طياشة رطوبة جسده (امتلاؤه من الطعام والشراب)، وحتى حرارته الطبيعية قد بردت بسبب إخمادها من قبل هذه الرطوبة غير الطبيعية. وأظلمت أفكاره عن المعرفة بسبب انغلاق عين نفسه التي تتأمل بهذه المعرفة. وقد عَلِقَ به ثقل إضافي بسبب اقتران جسده بجسد أخر وهو جسد المأكولات.

إن محبة البطن هي ضد الأشياء كلها وهي عدوة لكل جهاد العزيمة ومبطلة للاسم الحسن، ومعوقة لكل الفضائل ليس فقط الفضائل الروحية، بل أيضاً الفضائل الجسدية. كما إن كل ما يصنع في العالم بجهد وعزيمة هو ضد شهوة البطن لأنه كل ما له اسمٌ ومجدٌ فالعزيمة تناسبه والصحة تلزمه، كما إنه بحاجة إلى خفة الجسد وإلى قوة صحيحة، وهذه الأمور كلها هي ضد محبة الشراهة. فعندما تضعف القوى من كثرة المأكولات وتزول عن الأعضاء قوتها، سوف لن تكون مستعدة للعمل ولا مسرعة لعمل البر.

إذاً كما قلت سابقاً لو تأمل الإنسان بعين المعرفة سيجد بأن كثرة المأكولات هي ضد كل الأشياء، فهي ضد قوة الجسد، وضد معرفة النفس، وأعمال البر،

وأعمال الرحمة، ومواهب الإحسان. إذاً فكل من يُستعبد لبطنه هو حيوان وسلوكه كسلوك الحيوانات. فإذاً كان قائماً بكل حركاته بأهواء الجسد، إلا إن نفسه ستكون باطلة بالكامل، فأعلم من هذه الأعمال بأن كل هذه الفضائل التي قلت عنها هي ضد محبة البطن : كتعلم المعرفة، جهاد العالم، أعمال البر، الرحمة نحو الناس، والحب، ومعرفة الله، كما إنها ضد العلم. حتى إن العالم يشهد بحسب المسلمات التي لديه بأن الأولاد الذين يفرزون ليتقبلوا العلم يمنعهم آباؤهم من كثرة الطعام، لأن الشراهة هي كحاجز بالنسبة للعلم، وذلك لأن الأعضاء التي تحمل ثقل الطعام لا تستطيع أن تحمل خفة العلم، لأن الخفة هي ضد الثقل. لذلك يتناول الأولاد الذين يتقبلون العلم نسبة خفيفة من الطعام لكي تكون أفكارهم منتبهة ومهيأة وذاكرتهم مصقولة لكي تتقبل وتحفظ. لأن الطعام هو مبطل لهذين الأمرين. وليس فقط الأطفال الذين يتقبلون العلم، هم وحدهم الذين يمنعون من كثرة الطعام بل أيضاً سائر الناس الذين يتعلمون مهنة من مهن العالم، إذ ينبههم رؤساؤهم ويشجعهم معلموهم : لينتبه كل منهم ويحفظ نفسه من كثرة الطعام ومن الشرب الزائد عن اللزوم. وأن يأكلوا ويشربوا بوزن. فإن المهن العالمية الباطلة التي يتعلمون فيها الرقص أو ركوب الخيل أو القتال أو الذين يتعلمون أمور الحرب أو الذين يتقبلون العلم من الكتب. فإن كانت هذه المهن التي تُصنع بالجسد، والمعرفة التي تعطى من قبل العالم هي محتاجة إلى التقليل من الطعام، وإن زاد الطعام فإن ذلك سينقلب ضدها. فكم بالأكثر تصير الزيادة في الطعام ضد الأعمال التي تعمل بالروح. كما إن أولئك الذين يزاولون أعمال العالم بجدية، وأيضاً الذين لهم معرفة العالم هم محتاجون أيضاً لهذا الأمر. فلا يوجد إنسان قد اقترب إلى علم ما أو تأليف أو خطاب وهو لا يعلم بأن زيادة الطعام هي ضد كل هذه الأمور. فرائحة الطعام الكثيفة عندما تكثر ولا تنظف فإنها تظلم القلب والعقل وتجعل الأفكار مضطربة وتغلق باب النطق، وتكون كغطاء مفروش على كل الاحساسات المعرفية، فتتوقف وتبطل قوة عملها. فلا يستطيع المتكلم أن يتكلم إن كان قد أكثر الطعام، ولا العارف سيعرف شيئاً، ولا الحكيم سيفهم، وباختصار فأن الإنسان يظلم بشكل كلي من عطر

الطعام الكثير. لأن الطبع الروحي يكون قليل الاختلاط بنا لأن الروحانية يلزمها قلة الطعام. وكلما أنتظم الجسد بقلة الطعام يصير له اشتراك مع الروحانية. وكلما لم يزد على نفسه ثقل زائد يصبح خفيفاً وبذلك تسرع النفس للاشتراك بأعمال الجهاد.

فبإدارة حكيمة قد وضعت النفس داخل الجسد، فكلما أزداد وزن الجسد بسبب الأطعمة فإنه سوف يجذبها نحوه ويرمي عليها بثقله، ويأسر أفكارها. ولكن إن كان (الجسد) دائماً قليل الطعام وخفيفاً وطاهراً ونقياً ووزنه بدأ ينقص، وأنار نفسه وجددها. فعندها سيصير مطيعاً ومستمعاً بسرعة لإرادتها (النفس) وذلك لأنه حينما يخف ويلطف فإن النفس سوف تجذبه حيثما تشاء، وهو لن يعاندها ولا ثخانته ستوقفها، بل ستوقفه في المكان الذي تريده.

إن كلٌ من الجسد والنفس يجذبان بعضهما البعض بحسب إرادتهما. لأنهما ضد بعضهم البعض في الطبيعة والإرادة كقول الرسول بولس : " **لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد** "[1]. فهما ضد بعضهما البعض. فإن كانت كل شهوات الجسد هي ضد النفس كقول الرسول الحكيم فإن أكثرها عداوة هي هذه الشهوة أي محبة البطن لأنها باب لكل الشهوات، ولا يوجد في جمعيها من هو أثقل منها. فكما يُعلق ثقل في شيء خفيف وطيار فيجذبه إلى الأسفل، هكذا هي هذه الشهوة محبة البطن لأنها قائمة على الرطوبة (الشُرب) والثقل (الأطعمة). وحيث إن الجسد هو ثقيل بطبيعته ولكن مع الطعام الكثير يزداد ثقلاً على ثقله. وما أن يزيد ثقلاً على ثقل وجسداً على جسد أي جسد الطعام على الجسد الطبيعي حتى يزداد الحمل على النفس فتتحول من سيدة إلى عبدة خاضعة، ولا تقود الجسد فيما بعد كحرة بل تحمل هي ذلك العبء كعبدة.

إن محبة البطن هي ضد الرحمة، لأن كلما تريد الرحمة أن توزعه تعيده هي لنفسها وتجعله ملكها. ولكن إن صادف وترحمت وهذا الأمر لن يحصل، إلا إذا امتلأت، ولكن فكرها لم تتحرك فيه أفكار الرحمة، لكن الشره بهذه الصورة يقدم

---

[1] غل 5: 17

عطاياه، وهذه لا تسمى رحمة. بل إنها على مثال الحيوانات التي حينما تملأ بطونها تترك الفضلات والأقسام (العظام). هكذا أيضاً الشره إلى أن تمتلئ بطنه من مائدة الشهوات لا يفكر أن ينظر بعين الرحمة نحو الآخر ولا يعطي مما هو موجود أمامه للمحتاج لأنه يظن كما توهمه شهوته أنه لا يوجد إنسان محتاج مثله، وهذه هي الحقيقة أنه ليس هناك محتاج مثل ذاك الخاضع لشهوته، لأنه مهما أعطى الإنسان لشهوته حاجاتها فإنها ستظل في حاجة ولن تمتلئ أبداً من جميع المأكولات. لأنه مهما أكل من الأطعمة فإنه ينجذب نحو طعام آخر، ومهما شرب من الخمر يزداد شرباً وشهوةً للشرب. حتى يصبح أكله جوعاً وشُربه عطشاً. ومهما أكل الشره فإنه يجوع بالأكثر، ومهما شرب فإنه سيظل عطشاً للشراب، وهكذا فلا نهاية لمحبة البطن. فما أن يمتلئ من الطعام الأول الذي لم يوضع لإتمام حاجته بل لكي يملأ شهوته حتى يطلب طعاماً آخر أكثر من الأول. وعندما يأكل من هذا الآخر ليلذذ شهوته فإنه ينظر إلى ما هو أطيب وألذ منه وهكذا شيئاً فشيئاً تمر شراهته على كل الأطعمة ولا تمتلئ من جميعها، وإن ظن بأنه قد شبع وسحب يده من الطعام فلا تكون شهوته هي التي قد شبعت بل إن بطنه هي التي قد امتلأت. كما إنه لم يرد أن يمسك عن الطعام بل كان يرغب في لو كانت بطنه واسعة كشهوته، ومعدته كعينه لكي يستطيع أن يجمع كل ما يشتهيه ويضعه في مخزنه المهدم. فالشره محب المقتنيات هو جاهل لأنه يجمع ويضع كنوز شهواته في بيت مشقق لا يحفظ ما يوضع فيه. وإن الخالق لكي يقمع شهوة الشرهين جعل حجماً محدداً للبطن لأنه وإن لم يرغبوا بالضرورة بالتوقف عن شهوتهم وأرادوا أن يحملوا البطن بالكثير من الأطعمة فإن حجمها لن يتقبل ذلك. فإنه لم يتوقف لأن الشهوة طلبت منه ذلك، بل إذ كان يرغب بالمزيد أوقفه هذا الحجم الصغير للبطن الذي ما عاد يتسع لشيء. فلو كان حجم البطن الذي يتقبل شهوات الشرهين كحجم إرادتهم فإن البحر واليابسة ما كان يكفهم ولا الجبال والهضاب، ولا الهواء والشمس ولا كل الكائنات تلبي طلب شهواتهم. فإذ كان قد أعطاهم إناءً صغيراً لإرادتهم الواسعة وإلا إن البحر واليابسة لا يكفيهم وكل الخلق لا يملؤهم، وكل اللذات لا تشبعهم، ويسألون

ويتعقبون عن كل الأطعمة البعيدة عنهم، فإن كان لها بطن كحجم إرادتها فماذا كانوا سيفعلون ؟!!!

إن الشره هو أسوأ من الحيوانات. لأن الحيوان عندما يملأ بطنه يترك ما فضل عنه من الطعام ولا يعرف أن يحفظه أو يبقيه لوقت آخر أو ليوم آخر. أما الشره فليس كذلك، لأن شهوته لا تمتلئ مع بطنه، فما أن يمتلئ البطن من الطعام بمقدار ما وضع لها طبيعياً، حتى تأخذ الشهوة ما تبقى من الطعام وتحفظه ليوم آخر أي لأيام وشهور. يجلس الشره على مائدة احتياجاته ويفكر بالأوقات القادمة، ولا يهتم أن يأكل فقط حاجته مما هو موجود، بل يفكر ماذا سيأكل غداً. يده على السلة وفكره على المائدة البعيدة، حامل بكلتا يديه اليمنى واليسرى ولا تكفيان لكي يقدما وقوداً للنار التي بداخله. لهذه السيدة القاسية خضع بإرادته وكل أعضائه تخدمها ولا تكفي لخدمتها. كلها تخدمها ولا تستطيع أن تفي خدمتها، العيون والأيدي والأرجل قد صارت لها عبيداً ولا توفي حقها، في باطنه يفكر بها وفي ظاهره يسعى نحوها، وهي تُخدم كالسيدة ولا تشبع، وكالهاوية التي تقبل النتانة ولا تمتلئ، وكالنار تتناول وقود الطعام ولا تقول كفى، وكالأرض التي تشرب ولا تشبع، وكالعين التي تشتهي كل شيء ولا تشبع من شيء.

إن الشره ليرغب في لو كان لديه أعضاء أخرى لكي تكفي لخدمة هذه السيدة الظالمة التي أفتتاها. أنظر إلى عين الشره حينما يجلس معه شخص على المائدة. كيف ينظر إليه بعين ماقتة فقد يكون أكل أكثر منه. ولربما إنه يحسب في فكره الفتات أيضاً أو يراقب لربما قد وضع أمامه طعام أكثر منه. وهكذا بطنه تتقبل الطعام وفكره يفكر بمن هو جالس معه. هكذا ترمي محبة البطن الكل بشرورها فالعين تسيء إلى من هو قريب منها وكيف لا وهو يقاسمها الطعام. فإن كانت تحفظ طعامها لأيام وشهور وتحسد الآخرين البعيدين عنها وتسأل كل واحد ما هو طعامه، وما هي الأطعمة التي رتبتها على مائدتها، وكم هو مقدار أكله. وما أن سأل وقاست شهوتها مع ما سمعت عنهم، فإن كان أكلها أكثر من أولئك فإنها تفرح بذلك، وإن كان العكس فإنها تمتلئ في الحال ضيقاً ومع الضيق حسداً ومع الحسد

صوتاً من الفكر يقول لها لماذا استطاع ذاك أن يأكل أكثر منك. فإن كـان الـشره يحسد أولئك البعيدين عنه، أفلا ينظر إلى من هو جالس معه على المائدة. ولئن لـم يقل له علانية لا تأكل من الطعام فذلك بسبب الخجل، لكن فكره تمنى أن لا يمد يده لكي يكفي ذاك الطعام الموضوع على المائدة لشراهته فقط. فكـم هـي مكروهـة وممقوتة محبة البطن من كل الشهوات. وليس لها مثيل بين كل الأهواء الأخـرى، إلا إنها أم ومربية لجميعها. وكالجذع الذي يحمل أغصان الشجر بكل ما فيها. هكذا أيضاً شراهة البطن هي الجذع التي تحمل كل الشرور، وكالأغصان تنبت الشهوات من هذا الجذع. فهي التي تلد وتربي وتغذي وتصنع وتكمل كـل الـشرور. ومنهـا أيضاً يبدأ الإنسان بالسير في الطريق اليساري وهي الخطوة الأولى التي تُخرج من طريق البر. فكما إن النسك أقصد الصوم عن كل المأكولات هو بداية طريق الجهاد من أجل البر. هكذا أيضاً محبة البطن هي بداية القيام بالأعمال المخجلة.

فإن نظرت بعين المعرفة يا أيها التلميذ لرأيت بأن كل الشرور الواحدة تلـو الأخرة تسير ورائها. ففي البداية تظلم العقل عن التفكير بالله، وتظلم الفكر عن تذكر المسيح، فإذا غاب ذكر الله من النفس فلا يوجد من يختلف على هذا الأمر، أن كون الإنسان سيفكر بعمل كل الشرور. لأنه كما إن بداية كل أمر في العالم يبدأ بـالفكر، وإلى أن تصبح الفكرة في عقلنا لا نبدأ بعملها. هكذا بداية كل الصالحات هي تـذكر الله. فعندما يتذكر الإنسان الله يميل إلى صنع الأمور الجيدة. وإن صـنع الإنـسان حسنة ما ولم يتذكر الله بفكره فإنه لم يصنع تلك الحسنة لله بل للذي فكـر بـه فـي فكره. إن محبة البطن هي ضد هذه الحسنة التي هي بداية الصالحات التي قلنا عنها وهي ذكر الله، كما إنها بداية كل الشرور. فكما إن ذكر الله هو قائم في بداية طريق الصالحات، هكذا أيضاً محبة البطن هي قائمة في بداية طريق كل الشرور. وبما إن كليهما قد أصبحتا بدايات مناهضة لبعضهما البعض فما أن تنتصر الواحـدة علـى الأخرى تنتصر معها كل ما يعقبها. فكما إنه لا يمكن أن يبنى البيت بدون أسـاس، هكذا لا يمكن أن تصنع الصالحات بدون ذكر الله. وكما إن البيت الذي لـم يوضـع

على أساس صحيح فإن سقوطه قريب، هكذا الصالحات التي لم تبنَ على ذكر الله فإنها معرضة لتغير قريب. ولن تبقى صامدة لأنه ليس لها أساس ثابت يحملها.

فالشراهة إذاً ومحبة البطن تبدأ باستئصال محبة الله من النفس وما أن يستأصل الأساس حتى تستأصل معه كل الصالحات. والشراهة أيضاً هي ضد الصوم، ومبطلة الصلاة، وملوثة طهارة الأفكار، ومظلمة العقل، ومبطلة العلم، ومفنية المعرفة، ومؤذية الحكمة، ومنسية التذكر، وممزقة الصور، وأم الأوهام، ومسكرة النفس، ومغرقة الفكر، مولدة النوم، مكثرة الأحلام المضطربة، مولدة الزنى، مدنسة الجسد، صانعة المسير الغريب، نار للشهوة، آمرة الزنى، محدثة الزنى بالأفكار من دون أجساد، هي عين تشتهي كل شيء، ومن جنس الملل، أم الكسل، وسبب لمحبة المال، كارهة الحكماء، ومبغضة المعلمين، جسر لكل الشرور، ومربية الحسد، هي مرض للصحة، ومضعفة القوة، مكدرة الجسد، دود للأعضاء، عفونة للجسد، مضعفة لقوة الاحساسات، المضللة بالأفكار الباطلة، من جنس الحيوانات، وشريكة الوحوش، كارهة للأقوياء، حاسدة للممجدين، مهدمة الأعمال، معثرة التدابير، محبة الأحاديث الباطلة، طالبة لاستمتاع كل ما يمكن سماعه، مسكتة التراتيل المقدسة، باطلة من كل الصالحات، وماهرة في كل الشرور، مثال للخسارة، هي كحجرة موضوعة في الوسط لتعثر الكثيرين، منظر للأذى، مسببة التراخي لكل من ينظر إليها، ملكة الشر، هاربة من الضيق، مُحبة للراحة، معقبة عن المآدب والموائد، هي مرض للجسد والنفس سويةً، وإناء للنتانة، ورائحة القذارة، مساعدة على زيادة وزن الجسم، محبة الظلام، ومن طائفة العتمة، هي ممن تأكل منفردة، عدوة لكل من لا يعطيها، شكل ممقوت، صورة بشعة لا ترسم، عدوة الله، مستأصلة الإيمان، بداية طريق الضلال، باب يؤدي إلى كل المنكرات، طالبة مرذولة من الكل، مخضعة الكل، مربية الخوف، ومبطلة الشجاعة، سبب للضيق والكآبة، غذاء لكثافة القلب، رفيقة الكلب الشره إذا عاد إلى قيه، مكثرة الأمراض، وبيت الأوجاع، سالبة الغلال من العمال، العلة الأولى للابتعاد عن الله، عابدة للأوثان، وهناك آلاف الأسماء مثل هذه إذا أراد الإنسان أن

يجمعها ويسمي بها محبة البطن. كما إن كل ما دعيت به من الأسماء هو ما يـزال قليل لما تستحقه من مسميات. فهي سيدة عدوة لله. وكمـا إن الله لـو دعـيَ بكـل الأسماء الممجدة والعظيمة فهي تظل قليلة عليه ولا تكفي لأن تصف جمال طبيعته، هكذا أيضاً محبة البطن إن سميت بكل المسميات لا تكفي لتظهر مُقتها وبـشاعتها. فما هي الحسنة التي لا تبطلها هذه الشريرة ؟ وبالحق دعاهـا أحـدهم بأنهـا شـر الشرور، وأثم الآثام، وخطيئة الخطايا.

إن الشره لا يتفرغ لشيء آخر إلا لأن يأكل فقط. وكل عمـل غيـر هـذا يحسبه باطلاً، ولا يظن بأن الإنسان قد خلق لشيء آخر إلا ليكمل شـهواته فقـط. فتفكير الشره كله في بطنه، وكل غرضه التكلم عنها. وكل قصة تُحدثه عنها، يترك تلك القصة ويعيدك إلى الكلام عن البطن. فقبل الآكل يحـب أن يتـذكر الأطعمـة. وقبل أن يجلس على المائدة يفكر بالمائدة. وقبل أن يأكل بالفعل ينتقل فكره وحديثـه عند الطعام. فبداية ونهاية كلامه تكون من بطنه، فبها يبدأ وبها ينتهي وهي سـبب كل كلامه. فإن تكلمت له عن العلم فإنه يحسب هذا الكلام بـاطلاً. وإن قـرأت أو تكلمت أمامه عن الروحانيات فإنه يحسب نفسه بأنه قد رأى حلماً. وإن سـمع عـن فضائل القديسين وأعمالهم وتدابيرهم فإنه لا يصدق بأنها حقيقية. وتفاسـير الكتـب المقدسة يحسبها قصصاً بغير فائدة. الموعظة تنعسه. وقـصص الأدب تجلـب لـه النوم. ولا يحسبه عملاً ما يقوم به القراء والمعلمون لأنه يظن بأنه لا يوجـد عمـل أفضل من عمله. كما أن القيامة الحقيقية يدعوها سفسطة. والكلام الذي عن الإيمان يعتبره تعقيباً، وإن تـأمل إنسان ما في الكتب فإنه يحسبه وقحـاً ومتجاسـراً. وإن رأى إنساناً دائم القراءة يقول له أليس لديك عمل. وإن وجد آخـر يـسعى ويـسأل ويرغب أن يدخر له معرفة المسيح فيحسب بأن حياة ذاك الإنسان باطلة. كما إنـه يجعل للأمور الجيدة أسماءً سيئة. وإذ يذم هذه الصالحات لكي يحرر نفسه من الذم. ولكي لا يذم بسبب عدم مواظبته على الأمور العظيمة فإنه يقلل من شأنها ويجعلهـا أموراً حقيرة. ولكي لا تنتقد صوره البشعة فإنه يُكرّه في كلامه جمال الـصالحات، ويوبخ الأعمال المجيدة وعاملها. ويزجر التعليم الإلهي ومتعلمه. ويسيء إلى حكمة

المسيح وإلى طالبها. ويصف المعرفة وتلاميذها بأشياء شريرة. وبما أنه ليس من السهل عليه أن يتكلم بالسوء عن الحكمة والمعرفة والقراءة والعلم والإيمان والقيامة الحقيقية والتأمل الدائم في الكلام الروحي والعشرة الروحية مع الكتب المقدسة والكلام المستتر مع الأسرار الإلهية لكلام الله التي هي غذاء الروح. ولأنه ليس من السهل عليه أن يوبخ كل هذه الأمور علانية لذلك يوبخ صانعيها لكي بتوبيخه لهم يكون قد ألقى الذم على هذه الأمور المستحبة. كما ينتقد هذه الأمور علانية بأن يدعو الكلام في أمور الإيمان تعقباً. وعن القيامة الحقيقية بسفسطة، وعن التعلم في الكتب المقدسة بأنه بحث زائد. هكذا أصبح معروفاً بأنه يدعو معرفة الصالحات شروراً والأمور الجيدة يسميها سيئات، والغيرة من أجل الله يجعلها خصاماً. والذي يقاتل من أجل الحق يحسبه صانع مشاكل، والإنسان الذي لا يجامل أخاه الإنسان من أجل الله فهذه عنده وقاحة، وإن نصحه إنسان بأن يظهر غيرة من أجل الله يصرخ ويقول لم أجعل لهذا ولست عازماً على مثل هذه الأمور، لأني أحسبها باطلة ولن ألقي بنفسي لأنجد الأباطيل. وإن سأله أحد عما يريده ؟ يجب بلا خجل أن نأكل ما وهبنا إياه الله ونصمت، أي إنه يعني بكلامه أن نخدم بطوننا ونترك الإيمان. فإنه وإن كان يلبس كلامه رداء التواضع إلا أنه لا يخجل من أن يطلب خبز الله وهو يكفر بحقه. وينتظر نعمه ويستخف بالإيمان به. يظهر نفسه بأنه يحب السلام ويهرب من المشاكل والإزعاج مع إنه ليس كذلك، بل إنه يخاف من أن يسيء بشيء ما إلى سيدة الشرور تلك التي يخدمها. ولا يبتعد بشكل من الأشكال عن الراحة الجسدية التي رهن نفسه لها مرة واحدة. كما إنه يدعو الابتعاد عن العلم حكمة. وأن يمتنع الإنسان عن معرفة الإيمان هي بالنسبة له إيمانٌ. كما يدّعي بأنه لا يلزمنا أن نتعلم شيئاً آخر فيكفينا هذا أن نؤمن ونصمت. ورغم أنه غير مؤمن يلجأ إلى الإيمان، ليس محبة به بل لأنه يحب بطنه وحياته. فيوقف سير الإيمان لكي تسير طلبات شهواته. في العلانية يكون كلامه مع الحق وفي الخفاء يكون ضده ولكي يدافع عن نفسه. ففي المكان الذي يجب أن نظهر فيه النشاط يظهر هو السكون. وفي المكان الذي يلزمه شجاعة وغيرة من أجل الإيمان يعلم وينصح بأن

يهدئ الجميع ويسكنوا، عندما يسمع كلاماً مساعداً يأتيه النعاس. وعندما تحضر القصص المفسدة يستيقظ. وعندما تأتي قصص التفسير ينام وإن أثيرت حكايات وأمثال سخيفة التي للعالم أو كلام المسنين الباطل فإنه يكون مستعداً ليكون أول المتكلمين. قصص كان يا ما كان يجب أن يقصها هو في البداية. ولا يعرف شيئاً ما يمكن أن يسيطر على شهوته إلا كلام الخرافات فقط. فنفسه خالية من الثمار ومليئة بأغصان الحكايات السخيفة. وعندما يسمع حديثاً عن الحق يسرع ويلجأ إلى البساطة. وإذ هو مستتر بالشرور وماكر للعدالة، يسمي عدم معرفة الإنسان للحق بساطة. وأن يفوض إنسان إيمانه للضالين فهذا يحسبه إيمان. يأمر كل واحد أن يمتنع عن الروحانيات ويعطي مجالاً لنفسه لكي يفسح لها المجال لتتحدث بالأباطيل التي يحبها. في كل مكان حديثه في شهوات البطن والراحة الجسدية. فهو لا يعرف أو يشعر بأنه يوجد شيء آخر إلا خدمة بطنه. وهكذا قد أخذ الشره صورة الحيوانات بكل تصرفاته، بل ذل وحقر نفسه أكثر منها. فالحيوانات قد وضع لها هذين الأمرين من الخالق وبهما تستمر حياتها وهما أن تقوم بعمل وخدمة الناس. أما الشره فيأكل ولا يعمل وإذ هو نشيط للموائد لكنه كسول في الأعمال التي يلزمها نشاط. فالنفس التي تعمل لبطنها لا تشعر بالله لأنها نائمة عن كل أفكار المعرفة ومن التفكير بالله. وذلك لأن المعرفة تنمو من خفة أحاسيس وأعضاء الجسد. وخفة الجسد تأتي من قلة الطعام. وأما الشره فمعروف بأنه مأسور من الاثنين بظلام الأفكار وبثقل الجسد. فلذلك من الثقيل عليه السماع عن أعمال الممجدين لأن سلوكه معاكس لها، وإن صادف وسمع عن أحدهم بأنه قد حل صومه حباً لأخيه، أو كإنسان حر بسبب المرض حل صومه، أو بسبب ضعفه الشديد، أو إنه من شدة تعبه اتكأ بجسده قليلاً مما يؤدي إلى التخفيف قليلاً من نسكه وأبدله ببعض الراحة. فإنه يتمسك بهذه الأمور ويقصها بشكل دائم بأن فلان الفلاني قد أكل (وحل صومه)، ويتكلم بهذه أمام الجميع فتصبح له حجة لإهماله وسبباً للقضاء عليه من قِبَل شهواته الدنيئة.

أيها الشره ليس الأمر كما فكرت به، وليس للغاية التي تأكل أنت بها، يأكل أيضاً الصالحون. كما إنهم لا يكملون بأكلهم شهواتهم، ولم يجعلوا من أنفسهم عبيداً لبطونهم مثلك. ولكنهم كأحرار يأكلون لاحتياج الجسد فقط. ولا تنظر إلى تنازلهم للطعام بسبب الحاجة، بل أنظر إلى نسكهم وتأمل بالوقت الطويل الذي يقضونه بالصوم، وعندما يأكلون لا يأكلوا للشهوات بل للحاجة. فإن يأكل الإنسان لمجرد الشهوة شيء وإن يأكل من أجل الحاجة شيء آخر. فالذي يأكل من أجل الحاجة فذاك لا يغذِ جسده بل يغذي روحه وإذ هو يغذي جسده يجعله جاهزاً ومعداً للروح في أي وقت تطلبه. أما الذي يأكل للشهوة فذاك يأكل للجسد وليس للروح، حتى إنه لا يفكر إذا كان فيه طبع روحي، لكنه يسمع من بعيد من قبل الآخرين إن به روحٌ. ولكن روح الشره ميتةٌ، وإذ هي فيه وكأنها ليست فيه. وبما أنها لا تتحرك أو تعمل بأي عضو فيه بل هي ميتة عن كل نبضات المعرفة. لأن كل تدابيره هي جسدية فقط. ولذلك وإن وجدت لكنها غير موجودة وإذ كانت تسكن في الجسد لكنها لا تحسب بأنها فيه.

إن الجسد يدرك من أمرين من مشاهدته ومن عمله، أما الروح فتدرك فقط من عملها، لأنه طبيعتها لا تُرى. ومن هنا إن كان في الشره روح وضعها فيه الخالق لكنه بإرادته يجعلها غير موجودة. لأنها من الأعمال تدرك بأنها موجودة وهذه الأعمال لا توجد عنده. هكذا تتذمر وتشتكي النفس على الشره وإن كان لا يشعر بشكواها لأنها كالميتة بالنسبة له. وكالجسد الحي الذي يتبع الميت ولا يشعر به الميت هكذا تتبع النفس لجسد الشره وهو لا يشعر بها. فإنها تحمل جثة وتسير بها وهذه الجثة حية فقط بالشهوات وليست حية لها. وكما قلت بأن كل الأهواء تستحق اللوم بالحقيقة لكن أكثرها مستحقة اللوم بالضرورة هو هذا الداء. ليس فقط لأنه ضد المعرفة بل لأنه عدو الله. لأن الإنسان الذي ينحط تحت حياة باطلة في محبة البطن فإنه لا العالم ولا الله يحسبه شيئاً. ولا واحد منهم يقبله. لأن العالم يلزمه نشاط، والله أيضاً يريد من الإنسان نشاطاً وجهاداً وطهارة نفس وخلا الإنسان من هذه الأمور فلا يكون مقبولاً لديه. أما الشراهة فهي ضد هذه الأمور

لأنها تهرب من الأعمال ومن الضيقات. ولا أظن بأن الإنسان يستطيع أن يُعَبِرّ عن محبة البطن بالكلام وخاصة إن لم يجرب آلامها. فالصوم هو عدوها، والسماع عن النسك والزهد يرهبها ويجعلها مضطربة. فالشره لا يحيا إلا ليسلك كالحيوانات فقط. ورغم أنه كذلك لكن إن دعاه شخص ما بهذا الاسم فإنه يغضب عليه وهو لا يفهم معناه. فما قاله له ذاك الشخص بالكلام (تشبيهه بالحيوان) هو موجود عنده بالفعل، وبذاك لم يشتمه بل هو قد جعل نفسه شتيمة. فإن كانت الشتائم تُأخذ منه وهو بذاته أصل الشتائم فلماذا إذاً ينزعج ذاك المجنون. وكيف يلوم الذين يتكلمون عليه وهو الذي قد وضع نفسه في المنتصف ليصير حديثاً للآخرين. فالناس كلهم يهزؤون به ويتكلمون عليه. فواحد يعّبر بشفتيه وآخر يغمز بعينه وآخر يشير بإصبعه وآخر يتكلم عن إهماله. ومع هذا فالشره لا يهتم لكل هذه الافتراضات، ورغم حدوث كل هذه الأمور له لكنه يحتمل ويفرح إذ له عزاء وحيد ألا وهو راحة البطن. ولا يفهم هذا الغبي بأنه ستصادفه أعمال وأتعاب من كل جانب (أي من جانب الشراهة أو النسك).

فإذاً ليقبل بأن يحمل أتعاب النسك خيرٌ له من أن يحمل هزء محبة البطن. فإن الحال واحد إن كان في النسك أو التراخي، فمن كل جانب يلقى الإنسان التعب فخير له أن يحتمل الأتعاب مع التمجيد على أن يتحملها مع الاستهزاء والإهانة مع الشراهة. لا بل إن الشره يتحمل أكثر من الناسك. ليس في ضبط شهواته بل في خدمتها. وليس في اقتناء الصبر بل في أن يكون عبداً لبطنه. ليس في الاجتهاد في الضيقات اللائقة للثبات بل في الخدمة الصعبة لشهوات الرخاوة، أو عندما يجمع ويهيئ لها جميع الشهوات كالوقود الذي يُجمع للحرق. أو عندما يحمل ثقل الأطعمة من بعد أن يتناولها، لأن الطعام على البطن أثقل من الحجرة على ريشة. فحالاً عندما يأكل الإنسان أكثر من اللازم يتكوم الثقل عليه فتفتر كل أعضائه. وتضعف قوة أحاسيسه وتظلم العين من كثرة الهزل. ويُكف كلام اللسان. ويظلم الفكر ينبوع الكلام. ويضطرب العقل قبطان الحكمة. ويتعثر ويزل الكلام. وتتحرك المفاصل من

مكانها. وترجف الركب وترتعد الأيدي. وكل جسده يتخلخل ويبلى في غير أوانه من كثرة الأطعمة التي يحملها.

كثيرة هي ولا تعد الأمراض التي تتولد من كثرة الأطعمة. وأما النسك فلا يولّد في الجسم مرض واحد مما تولده الشراهة. يقول الشرهون أنهم تجنبٌ للمرض يغذون أجسادهم، حيث إن الأغبياء لا يشعروا بأن الشيء الذي يهربون منه سيلاقونه. وفي المكان الذي يسعون ليأخذوا منه الصحة فيه سيجدون المرض أمامهم. وحيث يريدون أن يبتعدوا عن المرض فهناك تجتمع عليهم الأمراض. فمن لا يعلم بأن قلة الطعام مع كونه بسيطاً يعطي صحة للجسم وبالأكثر حينما يرافقه عمل بقدر المستطاع. وعلى هذا الكلام يشهد أيضاً الأطباء أولئك الذين يعرفون أكثر من أصحاب باقي المهن في صحة ومرض الجسم. لأن مهنتهم وجدت لصحة الجسد. فهؤلاء إن سألوا في كل الأوقات فسوف ينصحون بقلة الطعام مع أن يكون الطعام المتناول بسيطاً. كما ينبهون خصوصاً من كثرة شرب الخمر، وإن أوصوا بالشرب فذلك من أجل الحاجة على أن يخلط معه ماء كثير ثم يعطى للشرب. وعن البطالة يحذرون الإنسان ويوصونه بأن يحب التعب وينتقي له عمل ما. وهكذا بواسطة التدريبات التي تأتي من العمل تُحفظ سلامة جسم الإنسان. ولكي لا تمتلئ شرايين الجسم باعثة الحياة، هذه التي تحدث من كثرة الطعام فتنغلق ولا تعود الطاقة الحية للطعام تسير بها أبداً تلك التي تقوي الجسم كله. كما إنه موجود في كتبهم أيضاً بأن علة الأمراض كلها في الجسم هي الطعام. وإن صادف وكان المرض من سبب آخر فإن الطعام سوف يكون المربي لهذا المرض ويشل كل المساعدات التي يمكن أن يمنحها الطب. وبالإضافة إلى كلام الطب يجب علينا نحن كحكماء أن نفهم من خلال التجارب بأن علة كل الشرور والأمراض الجسدية هي كثرة الطعام. وإن كنت تشاء فتأمل بالأغنياء والفقراء، بالمترفين والمساكين، بالباطلين والعاملين، وأنظر مَن منهم الذي قد حافظ على صحة جسمه. ومن هم الذين فيهم أمراض كثيرة وخطيرة ومع كثرتها فإن حياتهم تكون صعبة. أليس هم الأغنياء أو أليس هم الذين تكاد بطونهم تتمزق من كثرة الأكل. أليس هم أولئك

الذين قبل أن ينهوا طعامهم الأول يبدؤون بآخر نظراً لشراهتهم. وهـذه الأمـراض الصعبة والتي لا علاج لها، ما هي إلا الأجر الذي أعطتهم إياه هذه الشراهة. كما إنهم يستحقون أن ينالوا هذا الأجر من تلك السيدة التـي يخـدمونها، ألا وهـو آلام اليدين والرجلين، وأيضاً الأورام والقروح التي تحدث من زيادة الوزن. وارتجـاف الأعضاء واضطراب الرأس. والأمراض الداخلية مع باقي الأمراض الأخرى. فمن هذه الأرض تنبت لهم هذه الأشواك. كما يصيبهم النعاس المستمر والنوم الدائم فـي كل حين. وأيضاً يصيبهم ثقل في الجسم والعطاس والتثاؤب المتواتر. كما إن كلمـة شره قد جاءت من الأعضاء الثقيلة ومن فكر الغارق بالجسديات. فكل هذه الأمـور تحصل للشرهين مع إنهم يقدمون لأجسادهم مجالات كثيـرة للراحـة : كالنظافـة والطهارة وأشياء أخرى تساعد الجسد وهذا عدا مئات الأدوية المطهرة والغـسلات المستمرة في كل حين. رغم هذه الوسائل المساعدة إلا أن كثرة الطعام تنتصر عليها وتخلق لهم الأمراض الصعبة والمستعصية في أجسادهم حتى إنه يـصعب شـفاؤها حتى على أفضل العلاجات.

أما المسكين الذي يتدبر حياته بالعمل والتعب فإنه يقتني صحة لجسده. وإن جسد الإنسان العامل هو خفيف وليس فيه ثقل وإن صادف وأكل بدون معرفته أكثر من العادة فإن عمله يزيل ثقل الطعام في حينه، ويصير هـو الـدواء الـدائم لـه. وبواسطته بالتأكيد وبدون دواء يأخذ عافية. فمن هو الطبيب الذي يعرف أن يـداوي الجسم مثلما يداويه العمل، مع هذا كله فهو بدون خسارة (مال) وبدون دواء. وليس كالطبيب يعطي دواءً ليس منه بل إنه هو (العمل) الطبيب وهو الدواء. وهو المعالج وهو العلاج. وهو الشافي وهو الشفاء. ومنه وبه تكـون المـساعدة، وبـه تجتمـع الصحة لكل الأعضاء. فمنه يهرب الكسل الذي يحب الراحة، وبه يأخـذ المـسكين صحة. وأنا لا أقول بأن المساكين لا يـصابون بـأمراض. ولا يـصيب المـرض أصحاب العمل والكد. ولكن أكثر الأمراض التي يـصيب الأغنيـاء والتـي هـي مستعصية على الأطباء هي بسبب بطالتهم من العمل في حياتهم وجعل أنفسهم عبيداً لجسدهم المدلل. وذلك إما بسبب خدمتهم لشهواتهم، أو عندما يكونون فاقدي الخفـة،

أو عندما يكونون منشغلين بمداواة أمراضهم التي تولدت لديهم من التخمة. فهم يقضون حياتهم في هذه البطالة ولا يعرفون شيئاً خارجها. أما مرض المسكين فهو سهل على الطب وزيادة وزنهم هي ضئيلة وقليلة. وبسرعة ينال الشفاء بواسطة الدواء الذي يعطى له. وذلك لأنه خالٍ من المسببات التي تولد السمنة في الجسم. فإن كانت الأمور هكذا فمن هو الذي لا يحب قلة الطعام أو الصحة. ولكنني أعلم بأن هذه الأمور هي باطلة بالنسبة للشرهين لأن أذنهم مغلقة من الشهوة ولا تستطيع سماع التعليم الصحيح. كما إن الطعام يصبح كباب أمام كل الحواس يبطلها ويوقفها عن عملها الطبيعي. فمن الذي لا يبكِ على من يفسد بدنائته عمل الله الجيد. فهذا بالحقيقة يستحق العقاب. ليس فقط لأنه يخدم شهواته ويغضب الله بشهوته، بل لأنه يفسد بشراهته الأعضاء السليمة المخلوقة بإتقان من الخالق. فالذي يفسد بشراهته أعضاء جسده فهذا هو شريك القاتل، ومن جنس المخربين، ويطبق عليه ما جاء في الكتاب " **كل من قتل نفساً فعلى فم شهود يقتل القاتل** "[1]. والذي يقطع أعضاء قريبه تقطع أعضاؤه. فالشره يفسد أعضاء جسده، وشيئاً فشيئاً يضيع قوة جسده وأعضائه ويفسد خلقة الله الجيدة. ويهدم بناء الجسد من دون إرادة مهندسه. وفي كل أموره يجلب لنفسه عقوبات كما حدث عندما كسر وصية الله الأولى التي أمر بها أن لا يصير الإنسان عبداً لشهواته. كما يعاق أيضاً عن صنع الأمور الجيدة والصالحات التي تشجعنا دائماً على صنعها الكتب المقدسة. كما إنه بإرادته يسحق من نفسه ذكر الروحانيات. كما تسلب منه الرحمة نحو المساكين. وتجذبه الشراهة نحو الطمع. ومع كل هذه الأمور فهو بيده يفسد صلاحه الجيد ويخرب الأعضاء البهية التي خلقها الله بنعمته لخدمة إرادته.

فتأمل أيها الشره الغاية من خلقك وخف من الله ولا تفسد كيانك. فهناك رجاء آخر لا يُرى فلماذا تعقد رجاءك ببطنك. هناك طعام آخر روحي فلماذا تسعى أنت وراء طعام يفنى. هناك مائدة المسيح التي وعد بها أحباءه فلماذا تربط أملك وتنظر إلى موعد الطعام. هناك عالم آخر مع نعمه السماوية فلماذا تحبس رجاء

[1] عد 35: 30

حياتك في العالم الذي يُرى وتُحسب عليك خسائره مربحاً. فلم يخلقك الخالق لكي تأكل كالحيوانات بل أن تأكل كالإنسان العاقل وتسبحه كالحي. ولم يخلقك لتأكل، بل أعطاك ما يكفيك من الطعام لتحيى به. فإن حياتك لم تخلق أيها الغبي للطعام بل لتستمر من خلال الغذاء الذي يكفي حاجتها. فأفصل حياتك عن حياة الحيوانات ولا تصبح عبداً لبطنك وتتقرب لخدمة الشهوات المهدمة. فأنت إنسان حكيم فلا تلزم نفسك بإرادتك تحت نير الحيوانات. أنت صورة خالقك الجميلة فلماذا ترسم لنفسك صورة الحيوانات. أنت مدعو للاشتراك مع الروحيين بحسب قول من دعاك فإلى أي مدى أنت متعرقل ونازل مع الخنازير تتمرغ في وحل الشهوات. لقد جعلت لترنم مع السرافيم فلماذا بجهالتك تساوي نفسك مع الحيوانات الصامتة. أنت سيد الخلائق بحسب إرادة خالقك فلماذا تجعل نفسك عبداً لبطنك بحريتك. لقد أخضع لك الخالق كل العالم فلماذا تستعبدك بطن صغيرة. كل الطبائع خضعت لنير سلطانك وأنت وضعت على كتفك نير تلك السيدة الزائلة، كل الأجناس والخلائق تستمع لأوامرك وأنت جعلت نفسك عبداً لشهوة زائفة. لقد جُعلت إلهاً من الله الحقيقي وأنت جعلت بطنك إلهاً. أنت رئيس ممجد على كل أعماله ولكنك تنازلت بغباتك لهذه الشهوة. كل شيء خلق لتعظيمك وأنت أبدلت هذا المجد ببطنك. الله دعاك لعشرته وأما أنت ففكرك مأسور بالمائدة. لقد خلقت إناء ناطقاً بتسابيح مقدسة. وأما أنت فبليت نفسك ورميت عنك كنارك. لقد أحبك سيدك هذا حتى جعل نفسه طعاماً لك وأنت من أجل محبته لم تصم عن هذا الأطعمة الحقيرة. الحي مات لكي يحييك وأنت جعلت ذاتك قبراً للطعام. هو لم يترأف على حياته بل بذلها للموت من أجلك، وأنت لا تريد أن تقتني قناعة بسيطة لفائدتك من أجل محبته. أنظر للحياة الموعود بها أيها الجاهل، وأنظر إلى الحياة التي تحياها في هذا العالم وأخجل على الأقل من نفسك. ولا تصبح في حياتك قبر لذاتك، فتفسد نفسك بنفسك قبل أن تُفسد في القبر الطبيعي. فها إن نفسك مدفونة في جسدك كالجسد المدفون في القبر. إن الجسد قد خلق ممجداً من قبل الخالق ليكون للنفس شريكاً في كل النعم. فلماذا جعلته قبراً لها فتحسب وهي في داخله وكأنها في مكان نتن. فالجسد الشره يفسده الطعام الذي يأكله

قبل أن يفسده الموت الطبيعي. وهو يبلى ويزول قبل أن يُبليه سكنه في الجحيم. أمراض الشره تنتج من إرادته وليس من أمور طبيعية. لأنها وإن كانت تنشأ من جسمه لكن إرادته هي المسببة لها، كما تتولد فيه من حريته بسبب كثرة أكله. فالحياة هي كعثرة لمحبي شهواتهم. كما إن الشره لا يسيء إلى نفسه فقط بل يتسبب بالضرر للذي يراه أيضاً. فهو حجر موضوع في الوسط وكل من يعبر عليه يعثر به : المتهاونون والأقوياء. الوقحون والخجلون. المترفهون والزهاد. المحبوِ للأكل والصائمون. فهؤلاء يتعثرون (الأقوياء والزهاد...)، والآخرون (كالضعفاء والوقحين...) يزيدون على ضعفهم ضعفاً. فالشره ينظر إلى صاحبه (المتهاون) فيزاد في تهاونه. وينظر المتهاون إليه (الشره) فيلبس على تهاونه تهاوناً كرداءٍ فوق رداء. ويراه المصاب بحب البطن فيظل متمسكاً بحبه بالأكثر. والذين هم أقوياء والزهاد أيضاً يسقطون بسببه لأنهم يتعثرون به إذ يقودهم كلامه لما لا يحبونه. فهو إذاً يثير عليهم حروباً من كل جانب. فإما أن لا يتنازلوا ويشاهدوا ضعفه ويصبحوا على مثاله. أو أن لا تمنعهم أحاديث ضعفه عن محادثة الله. أو أن (يرتفعوا) بقوتهم بحيث يقارنون حياتهم المستقيمة بضعفه. وكما يساعد الأقوياء أنفسهم وأصدقاءهم هكذا أيضاً المتراخون ومحبو الشهوات يضرون أنفسهم والذين يتقيدون بهم. وهكذا تصبح حياتهم بكل أشكالها في العالم سبباً لضرر الآخرين. فطفولة الشره مكروهة، وشبيبته مضحكة، وشيخوخته قابلة للسخرية. مما يؤدي إلى طفولة رخوة، وشبيبة فاسدة، وشيخوخة (معذبة). فالشره في طفولته هو كثير اللعب، وفي شبيبته كثير الزنى، وفي شيخوخته كثير الأكل والصحبة البطالة. كما إنه لا يكره أعمال الصالحات فقط بل يكره حتى سماع أحاديثها. وليس عملها فقط ثقيل عليه بل حتى إن سمع حديثاً عنها.

فإن كلّمه إنسان عن فضائل القديسين يغلبه النعاس والتثاؤب في الحال، ويصبح جسمه مثقلاً من الكسل، وهكذا يظهر علامات موت نفسه بإشارات أعضائه وبتصرفات جسده. وإن تمكن من الانصراف يترك ويذهب وإلا فإنه ينام في مكانه، وهكذا أصبحت نفس الشره كنفس الكلب وبالحقيقة يجب أن يسمى باسمه وذلك لأنه

يشابهه بكل تصرفاته. فمعاشرة وكلام الناس غريبة على سمعه (الكلب) ولا يوقظه إلا سماع صوت إعداد المائدة ورؤية الأطعمة. هكذا أيضاً الشره فهو غارق بالنوم مثله وكل القصص المفيدة يحسبها بلا فائدة، والكلمات الإلهية في أذنيه كسكب الماء على الصخر. وحينما يقص إنسان أمامه حديثاً ما عن البطن أو كلام عن الأطعمة ففي الحال تستيقظ نفسه وتنتبه حواسه، ويسرع جسده في الحال ويجري نحو الكلام الذي يحبه كالكلب نحو ما يرمى له. بهكذا أسماء يجب أن يسمى بها الشره لكي يسمع أسماءه ويخجل من شهوته. ولأنه قد أصبح كالخنزير يتمرغ في وحل الشهوات فلذلك يجب أن يدعى باسمه. وكالكلب الذي يستيقظ على صوت الطعام هكذا هو يستيقظ على قصص البطن فلائق به أن يسمى كلباً. ولأنه كالبهيمة التي تسرع للمزودة هكذا يسرع هو أيضاً للمائدة فبالحقيقة يجب أن يدعى بهيمة. ولأنه كالحيوانات بعيد عن الحكمة والمعرفة ويحيا فقط لجسده فمن الواجب أن يدعى بالاسم الذي يليق بأفعاله أيضاً. كما يوجد أسماء أخرى كثيرة مرذولة ومحتقرة تليق بأن يسمى بها. ونحن لا نكون بهذه الأسماء التي أطلقناها عليه قد شتمناه لأن شتيمته هي من عنده، وذلك كالأسماء التي تأخذ من الأشياء وبتلك الأسماء التي أخذت منها تدعى بها. هكذا أيضاً هذه الأسماء التي تؤخذ من الشره، ولائق أن يسمى بهذه الأسماء التي أخذت منه. فالذي يسب نفسه من يحترمه. والذي يسعى لهوانه فمن يمجده. والذي يجلب لنفسه السخرية والكلام البشع فمن هو الأكثر حرصاً منه على اسمه الجيد. كما يجب علي مع كل ما قلته أن أظهر صور الشرهين التي منها يعرفون من قبل كل من يراهم. لكي يهانوا ويذموا عدلاً من قبل الذين يرونهم. وهذه هي نواميس الذين يخضعون لبطونهم.

فالشره لا يوجد عنده محبة حقيقية نحو الآخرين، وإن صادف وأحب فهو سيحب من يكون له عبداً وخادماً لشهوته. ولهذا أيضاً يحبه كلما كان يتمم له راحته. ولكن إن صادف وتغير لأي سبب كان وأهمل وأقلل من تعظيمه ففي الحال يتغير هو أيضاً من حبه وتعود رغبته نحو الأطعمة لأن حبه مأسور ببطنه. فكل من يخدمه صار له حبيباً، وكل من نبذه صار مكروهاً في نظره. كما إنه يتبع

ويريد أحباءه المناسبين له الذين يصيرون خدماً لشهوته. أما للمستقيمون فلا يحـــبهم ولا يود القنوعين. فالذين يشتغلون يحسبهم حمقى، ويعد الصالحين أغبياء. والــذين يداومون على الصلاة يقول عنهم ليس لهم أعمال. يرى غريباً فيقول قد جار عليـــه الزمن. ولا يسمع سوى أخبار مَن يظنهم بأنهم سيعولون شهوته. يهب مسرعاً نحـــو محبة بطنه وتكون بطنه هي التي تحمل رجليه وتتجول بهما في كل مكان. يجعـــل نفسه محباً للأغنياء، وعبداً وخادماً للعظماء. فمعاشرتهم يحسبها افتخـــاراً والكـــلام معهم تنعماً. أما سماع الإنجيل فليس محبوباً لديه كعشرة ذاك الذي يظنه قد أحـــضر ما يحقق به شهوته. ولربما كانت سرعة ابراهيم حينما ذهب بدافع محبته ليحـــضر عجلاً للملائكة أقل سرعة من سرعة الشره عندما يسعى نحو من لديه الطعام. فحبه كله في الأخذ وإن صادف وأعطى فذلك لكي يرجع عليه بالأكثر. كما إنه لا يعرف أن يقتني مُحباً غير بطنه. وبالصورة التي يريدها هو، ويحاول أن يحـــب الآخـــرين بنفس الصورة أيضاً. فإن حدثت له مشاجرة يظن بأنه بهدية للـــبطن يتـــصالح. وإن أغضب إنساناً ما فبجهالته وغبائه يجري ليصالحه بالطعام. فرجاؤه كله عليه وبـــه يظن بأنه سيحل كل مشاكله. فالإله الذي يعبده هذا المجنون يعتقد بأن كـــل إنـــساناً يجب أن يخضع له على مثاله وإلهه الذي هو بطنه.

فهو ينتظر ويتوق لرؤية المحبوب فإن أتى ولم يحضر له شيئاً معه فعنـــدها يتغير رجاؤه ومنظره. طويلة هي يد الشره على الأخذ، وقصيرة هي للعطـــاء. وإن أعطى فلكي تكون له فرصة ليأخذ أكثر. ففي المكان الذي يعرف بأن به وبحـــسب العادة ستُمنح له العطايا فهناك لا يهمه بأن يوقر أحد لأنه يعرف بأنه وإن لم يـــدفع شيئاً فإن عادة ذاك المكان سوف تدبر له العطايا، فهو يعطي عنـــدما يعـــرف بأنـــه سيعطى أيضاً، ويضع المحب في المكان الذي لا يوجد فيه ذاك الناموس. فهو يقص أمام أحبائه الجدد قصصه مع أحبائه القدامى، ويذكر هداياهم التي أعطيت لـــه مـــن قبلهم، ففلان أرسل وفلان أعطاني وفلان أجبرني وإذ كنت غير راغب في الأخـــذ أجبرني بالحلفان فأخذتها. وهكذا يعلم لأحبائه الجدد أعمال أحبائه القدماء. فـــيجعلهم تلاميذ لنواميس القدماء.

كما إنه يبطل كل الأحاديث لكي يكون حديثه في المقدمة، وإن صادف وفتح أي حديث آخر، أو أي عمل ما، أو علم إلهي فإنه بمهارة يجبره ويخرجه إلى الخارج ويدخل إلى الوسط حديثه عن البطن. فهو لا يحيا لشيء آخر لا بكلامه ولا بعشرته ولا بتصرفاته ولا بأعماله ولا بتفكيره ولا بأحاسيسه، بل يظن إن طوبى التطويبات هي محبة البطن. أسئلته كلها تتمحور حول بطنه. فهو يعرف اختلاف الأطعمة، ويفهم في لذة الأماكن، وأي حديقة ذات ورود أجمل، وعند أي نهر يطيب الطعام، ومن يعرف أن يعد الأطعمة اللذيذة. فهذه هي كل أسئلته وشروحاته. وكلها محبوبة لديه أكثر من العهد القديم والجديد. فسماعه عن السهر يرهبه، والصلاة الطويلة تعذيب له، فإن سجد يتذمر، وإن طالت الصلاة يتنهد، نظره كله موجه نحو النافذة يراقب مسير الشمس ويجعل له حدوداً ويرسم له ساعات، فاليوم يحسب بنظره اثنين، صلاته قصيرة، ووقت أكله كثير. فليس شيء مرضي عنده سوى أن يتمم شهوة بطنه. وكل شيء عدا ذلك يحسبه غير لازم كالقراءة والصوم والعلم والزهد والصلاة والترتيل والسجود. وإن صادف وقام بهذه الأمور بسبب الناموس أو العادة أو الخجل، فهو يضجر منها ويتذمر من الأمور التي تصنع منه، فهو يبحث عن الأسباب التي تعيقه عن الصلاة وينشد معاشرة الناس ويأتي أعمالاً تؤدي إلى منعه عن الخدمة والترتيل وكل هذه الأمور التي هي لله تقترن بإهمال. وأما ما يصنعه للشهوات فتصنع من قبله بكل حماس وحب. إن كان في جسمه قرح (خرّاج) صغير، يظنه جرحاً عميقاً. وأن أصابه بعض الكسل فيحسبه مرضاً صعباً وعسيراً.

كل شيء فيه مفيد يجد له عذراً ليتهرب منه عدا تلك الأمور التي فيها استمرار حياته (الطعام). فهو شاطر في كل شيء إلا في عبادة الله. حتى إن لم يكن مريضاً يحاول أن يظهر نفسه مريضاً لكيما لا يلام إن أمتنع عن الصوم. ويحكي مرضه أمام الجميع وإذ كان مرضه بسيط وتافه يكبره ويعظمه كثيراً ويشهد الله على كلامه لكي يثبت كلامه للسامعين له وبأنه قد أجبر نفسه بالقيام بعمل ما لأجل الدير. يتحجج الشره بمرض جسده مع أنه قادر على إغلاق منبع أمراضه بأن يقلل

من شراهته إلا أنه يجول ويبحث له عن حل آخر، فإن نصحته بأن يحفظ نفسه وينقص من طعامه ومن الدهن والخمر. فإنه سيعتبرك كمن يكمن له الكره. ويقول المرض أفضل لي من أن أمنع بطني عن أي شيء، وأقبل على نفسي أمراضاً مستعصية، فقط لأتمم شهواتي. وإن كان ممكناً للدواء أن يشفيني مع استمراري في الأكل فجيد وإلا فخير لي أن لا أتعافى.

كثيرون هم أحباء الشره الجسديين (الذين يحبون أجسادهم) ومن كل مكان يجتمعون إليه الذين يلبون له متطلبات شهوته. وهذا الماكر والمحتال يعرف من يختار ويجعل منه حبيبه. وهو في مكره لا يريد أن يقتني له محباً كواحد من الناس الصالحين أو من الزهاد أو من الذين يشتغلون أو من الأصدقاء المفيدين أو من الناس الذين يقتنون معرفة المسيح. فلمثل هؤلاء لا بالشكل ولا بالاسم يريد أن يحبهم. وليس هذا فقط بل إنه عدوهم أيضاً في الخفاء، وذلك لأنهم بهيئتهم وكلامهم وأفعالهم يوبخون شراهته، فلذلك ينتهرهم ويكرههم. وإن شاهدته يوقر أحد الحكماء أو الناس الصالحين ففي الظاهر فقط لكي لا يلام من المؤمنين الذين يحبون هذه الأمور الجيدة. وأيضاً لكي يقلل عنه تذمر الكثير وينفى عنه هجمات الذين يحبون الصالحات.

وإن رأى أحد التلاميذ حديث التلمذة ووجده لابساً ثوب غيرة الإيمان، فكالمترئف يسأله وكالمتحنن عليه ينصحه قائلاً : أهدأ ولا تسب جنسك، ولا تترك سكينتك فكن هادئاً ورحيماً واهتم فقط بالصلاة والصوم، ولا تقترب إلى ما لا يعنيك. فهو ينصحه الآن ليُهدأ من غيرته وليس ليحثه على عمل الصالحات. وحين ينزله من هذه النعمة التي يحارب بها الإنسان من أجل الله. فحينئذ يبدأ ويهدم الأمور الجيدة التي تليها كالأعمال والصعوبات التي من أجل الله والأصوام والزهد والصلوات الطويلة. ويقول بأن هذه الأمور ليست بنافعة لكن أن يطهر الإنسان نفسه ويمتلك فكراً جيداً.

وهكذا يتمسك (الشره) بمبادئ خفية ليكف عن الظاهرية، ويبرر نفسه بأمور ليست ضرورية لأن رخاوته ستظهر أعماله الظاهرة، فحيث لا يستطيع الناس أن ينظروا هناك يظهر نفسه بأنه إنسان صالح، وحيث يجب أن تظهر الصعوبات والأعمال فإنه يجد طريقة لهدمها ويعطي لها مبررات وتفاسير أخرى، بحيث أعتاد على أن يقول إن الله لم يطلب منا هذا الأمر : أن نقتل أنفسنا ونحمّل أجسادنا فوق طاقتها، بل أن نكون صالحين في داخلنا وبأفكارنا نتطهر من الشرور. وإذ هو أقل درجة من الحيوانات وسلوكه كالأغبياء يجعل نفسه كاملاً ويتكلم بالروحانيات بتفاسير طويلة. وإن سمع كلام من الكتاب يناسبه فإنه يتمسك به بكل انتباه ليستخدمه في وقت الشدة ضد من يوبخوه على شراهته ويعارضونه. فعندما يرغب في أن يأكل ما يريد ولا يوقف نفسه بالصبر من أي نوع من الأطعمة. يبدأ ويتكلم عما قاله الرب في الكتاب : " **ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان** "[1]. فهذه العبارة فقط ثقبت آذنه ليسمع هذه الأمور التي يظنها تساعد شهوته، أما الأمور الأخرى فيسد آذنه عن سماعها فلا يرغب في أن يسمع الأخرى، مثل " **إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني** "[2]. أو أن يسمع " **فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها** "[3]. ولا ما قاله لتلاميذه " **في العالم سيكون لكم ضيق** "[4]. وحينما قال متى رفع العريس حينئذ يصوم أبناء العرس. ولربما حينما أكل الرب وذلك كما كتب عنه بأنه صنع العيد وأكل الفصح أو في المكان الذي كتب " **فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد العسل** "[5]. أو حيث كتب أيضاً " **وهنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان** "[6]. فإن الشره يفرح كثيراً بهذه الأمور ليقيمها شهوداً عندما يريد أن يأكل كل ما يريد ببساطة. وهو يجعل

[1] مت 15: 11

[2] مت 16: 24

[3] مت 16: 25

[4] يو 16: 33

[5] لو 24: 42

[6] يو 6: 9

بذلك سلوك السيد المسيح الذي هو الله نفسه وهو أعلى من الناموس والوصايا عثرة لنفسه. ولا يتبين سبب هذا السلوك ولا ينتبه للأمثلة الأخرى التي وضعت هناك في الكتب. وحينما يسمع الرسول يقول " **لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلام الله والصلاة** "[1]. أو عندما يقول " **الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة** "[2]. أو عندما يقول " **لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل** "[3]. فهذه الأمور التي كتبها الرسول تسره ويقبلها. وهو لا يفهم لماذا قيلت هذه الأقوال. كما إنه لا يريد أن يسمع عن الأمور الأخرى التي كتبت من قبل الرسول عن الاجتهاد والزهد. أو عندما يتكلم عن الأصوام الكثيرة، أو عندما يقول لتلاميذه بأنكم قد متم عن العالم. أو عندما يكتب " **حسن أن لا نأكل لحماً ولا نشرب خمراً** "[4]. وعندما كانوا " **يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله** "[5] أو عندما قال : " **الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سوف سيبيد هذا وتلك** "[6]. فالشره يعبر بشكل سطحي لدى قراءته لهذه الآيات ومثيلاتها، وهو ولئن كان لا يرغب في سماعها.

فهكذا تقوم حياة محبي الشهوات. وكمال إن ذكر الله قريباً دائماً من الكاملين، هكذا أيضاً التفكير بالبطن قريبٌ دائماً من الشره. فهو يردد ويفكر بها في صلاته وخدمته. وذكرها دائماً معه. فيها يفكر لأنه ليس له حياة أخرى خارجاً عنها. فذكرها يقلل صلاته وتفكيره الدائم بها يبطل كل أعماله، وليس له أوقات للأكل بل يأكل في الليل والنهار، وإن كان لا يأكل فهو يأكل : ولا تنتظر بأن يكون له موعد أو أثنين للأكل بل في كل حين إن كان في الليل أو النهار يفكر بها فإن كان جسده لا يأكل فإن فكره هو الذي يأكل. فهو كالحيوانات لا يميز مواعيد

[1] 1 تيمو 4: 4

[2] 1 كو 6: 13

[3] رو 14: 3

[4] رو 14: 21

[5] اع 14: 22

[6] 1 كور 6: 13

الطعام. ولكن وإن كانت الحيوانات تأكل في الليل والنهار وليس لها وقت محدد لكنها لا تفكر فيها دائماً. أما الشره فهو في كل الأوقات يأكل لأنه في كل حين يفكر في بطنه. ولربما وهو نائم أيضاً يرى الطعام في نومه.

إن الحياء قد زال من وجه الشره لأنه قد وضع على وجهه خزفاً لكي لا يخجل. فهو يسمع الشتائم فيتغافل، والإهانة لا تأتي على باله. فحبه لبطنه ينتصر على كل المصاعب التي تلاقيه. قد ابتعد عن الروحانيات حتى إنه لا يعرف إن كانت بموجودة أم لا. فهو يختار الدهن الفاخر، ويريد الخمر النقي، كما يسأل عن الأطعمة اللذيذة، وليس له عمل آخر في العالم إلا هذا. كما إنه مهما قصصنا قصصه فإنها لا تنتهي، وكل ما قلناه عن أشكال رخاوته فإنه قليل عليه وهذه يعرفها الذين يشاهدونه.

أما أنت أيها التلميذ فأهرب من أمثال هؤلاء بجدية، ولا تتراخ في سلوكك عند مشاهدته. واعرف نفسك لماذا تتلمذت ولتكن تلمذتك هي سبب سعيك. ولا تتشبه بالجهلاء بل بالممجدين. ولا يكون لك الإنسان الذي يشابه الحيوانات قدوة لك. ولا تحسبه أمراً جيداً أن يأكل الإنسان ويشرب ويتمم شهواته بل احسب إنها شر الشرور. واسمع كلام النبوة والويل المعطى للشرهين " **ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر. للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون** "[1]. فها إن الروح يعلمك بأنه لا يستطيع الذي يعبد شهواته أن يفهم أعمال الله. كما إننا نحن لا نستطيع أن نتكلم ونعمل في نومنا مثل الإنسان اليقظ. هكذا لا يستطيع الإنسان الغارق في شهواته أن يفهم الأعمال الحية لله، وأن يعرف كيف ينظر لسلوكه (الله)، ويعجب بعنايته الإلهية، ويعرف بأنه عجيب في عظمة مجده. فيظل مستيقظاً لمعرفته، ومتهيئاً لجواب حكمته. إن هذه الأمور لا يشعر بها الغارق في شهواته. لأن هذه الأمور هي لليقظين والأحياء فقط. وقد أعطيت الطوبى لمن يفهمها. فإن كان قد أعطى

---

[1] أش 5: 11

الويل للذين يأكلون ويشربون ولا يفهمون أعمال الله. فإنه بالمقابل ستعطى الطوبى للزهاد والصائمين والذين يتأملون في أعمال الله في كل حين.

فأنت أيها التلميذ أسعى لتنال الطوبى وأهرب من الويل الموعود به للشرهين. وأتخذ لك الناجحين مثالاً للصالحات وليس العاجزون. والصائمون وليس الذين يأكلون. والزهاد وليس الشرهين. والقنوعين وليس الطماعين. والذين يعبدون الله وليس الذين يعبدون بطونهم. والنشيطون وليس الرخوبين. والجيدون وليس السيئون. فما زال العالم يضم الناس الجيدين ليكونوا قدوة لك في الصالحات ولا تقتد بالسيئين. فلا تتأمل بمن هم أقل منك بل أرفع عينيك وأنظر إلى الأعلى بالذين هم أرفع منك وأصعد نحوهم. فكما في أمور العالم يختار الإنسان له ما هو أعظم منه، هكذا أيضاً في الأمور الإلهية لنختار لنا ما هو أعظم وأكبر منا. فليس إنسان في العالم يفضل الفقر على الغنى، لكن كل إنسان يتجنبه ويسعى نحو الغنى، ويهرب من الأمراض ويجري وراء صحة الجسد. وهكذا هنا أيضاً على هذا المثال يجب أن نتبع الروحانيات ونحب غنى النشاط وليس فقر الشراهة. ونحب صحة الروح والأفكار أكثر من مرض الشهوات. فالنفس التي تصنع الشهوات هي مريضة دوماً. وليس فيها قوة وصحة للروح. فكما أن الإنسان المصاب بمرض في جسده لا يستطيع أن يأكل ما يريد، كما إنه ليس له قوة ليصنع ما يشاء. هكذا أيضاً الذي نفسه مريضة بالشراهة ليس له صحة وقوة في نفسه، ولا يتصرف بأعماله كما يريد ويشاء. وكما إن أعضاء الإنسان المريض لا تستجيب له إذا أراد أن يحركها لعمل ما، هكذا لا تستجيب أفكار الشره له إذا أراد أن يصنع واحدة من الصالحات. فإن كل الأمور الجيدة هي صعبة على الإنسان الخاضع لبطنه لأنه عبد لكل شهواته. فإن تحركت فيه شهوة الأكل فليس من السهل أن ينتصر عليها لأنه خاضع لها. وهكذا شهوة الزنى إن تحركت في أعضائه. والغضب والحسد والشر أو أي واحدة من الشهوات السيئة يستطيع أن ينتصر عليها، لأنه عبد وخاضع لجميعها ومن الصعب أن يذلها وخصوصاً وإنها كثيرة. فإن تسلط علينا داء واحد وخضعنا تحت عبوديته وقت طويل يكون من الصعب أن ننتصر عليه، فكم بالأكثر ننتصر

على أسياد (أهواء) كثيرين. كما إنه مع الشراهة كما قلت سابقاً تدخل الأهواء الأخرى لأنها هي المدخل لكل الشهوات. كما إن الرب يسوع قال في بشارته " **لا تقدرون أن تخدموا الله والمال** "[1] فإن كان الخضوع لسيد واحد أي المال فقط لا نستطيع أن نخدم معه الله. فكيف لو كان لنا أسياد كثيرين نخضع لهم وكل واحد فيهم يرغمنا على السير بحسب إرادته، فكيف سنخدم الله وهو لا يقبل أن يَخدِم الإنسان معه إلهاً آخر. وإن كانت هذه الخطايا مجتمعة هي ضد عدالة الرب وكل واحدة منها (الخطايا) هي ضد الأخرى بحسب عملها فكيف لا يكونون في ممارستهم معثرة لوصايا الله. إن هذه الأعمال هي مختلفة عن بعضها بالعمل، وإرادة الله هي ضدها جميعاً وخصوصاً شهوة الشراهة هذه التي منها تأتي وتعبر الشهوات الأخرى متتالية. فعندما يخضع الإنسان ليخدم ويعبد البطن فإنها تطرحه في العالم ليجمع لها احتياجاتها من كل جانب. لأنها لا تريد أن تأكل فقط بل كيف تأكل لأنه لو كانت غايتها أن تكمل حاجته فقط ولئن بشيء زهيد يمكن إكماله، وبأشياء بسيطة وحقيرة وقليلة الثمن. لأنه مرارٌ كثيرةٌ من الجذوع والأعشاب تمم الكثيرون حاجتهم لأنهم كانوا يريدون أن يتمموها وليس أن يتمموا شهواتهم. وإن كان الله كخالق غني قد أعطانا بسخاء كل شيء، لكننا يجب أن ننظر إلى مشيئته وهكذا نسلك. فهو قد كثرة في العالم الأطعمة والمآكل المختلفة، لكي تكون لنا كاختبار للشهوة، وليتأمل بها فكر الناس ويعرفوا ماذا يشتهون ووراء ماذا يسعون، فعندما لا يوجد أشياء تُشتهي لا يوجد امتحان للشهوة. لكن بالنسبة للتلميذ يجب أن يعرف نفسه ولا يُستعبد لشهوة جسده. ولا يفتح على نفسه الباب الذي يدخل منه الحيوانات المفترسة. لكن كالباب القوي والمتماسك الذي تقف خارجه الحيوانات الشريرة والطيور المؤذية. لكن إن صادف وفتح الباب لأي سبب كان. فإنها ستدخل كلها إلى الداخل وتفسد الساكنين في ذاك المكان. هكذا أيضاً كلما كان باب شهوة البطن مغلقاً فإن كل الأهواء القاتلة، والشهوات المفسدة للنفس تظل في الخارج. ولا تدخل وتفسد الطبيعة الروحية للنفس. ولكن إن فتح ذاك الباب أمامهم بسبب

---

[1] مت 6: 24

الرخاوة، وخضعنا لإرادة البطن بكل ما تشتهيه، فإنه في الحال سوف تجتمع وتدخل علينا كل هذه الشرور، وتفسد ما بداخلنا من أفكار جيدة. وعندما تفتح لهـا البـاب سوف تدخل كل وحوش الزنى المفسدة، تلك التي تفسد وتفني الجسد والنفس معـاً. وبعدها تأتي محبة البطن التي تعتمد عليه شهوتان هما شهوة الزنى وشهوة الـبطن، وهي أيضاً تتولد منهما. ثم محبة المال التي تولد الكآبة إما لأننا لا نملـك شـيئاً، أو لأننا أضعنا كل ما كنا نمتلكه أو جزءاً منه. ثم من هنا يتولد فينا الغضب إذ نغضب وننزعج على الذين لا يعطونا بحسب إرادتنا فيظلمون من قبلنا، أو نغـضب علـى الذين لم يخضعوا ليتمم لنا حاجتنا. وأحياناً نغضب على العبيد أو علـى الأجـراء، وأحيانا على من هم أقل منا شأناً. إذاً فالغضب والانزعاج يحدث لنـا بـسبب مـا يصادفنا من هذه الأهواء. كما إننا نحسد وننهب ونطمع في من هم أعظـم وأغنـى منا، وكثيراً ما ننجر إلى القتل بسبب هذه العلة (الشراهة). كما إنه بسبب الغنى قـد يصيبنا التكبر والمجد الباطل بسبب أبهة الغنى والناس الـذين يمـدحوننا. كمـا إن الوشاية نتعلمها من هنا ونتقبلها ممن هم أصغر منا ونحن نصنعها أمام من هم أكبر منا إذ نشي بالآخرين. كما إنه نتعلم الكذب والحلفان الدائم، والتجديف على الله. وما أن ينقطع من النفس تذكر الدينونة بالكامل حتى تصنع بلا خوف كل الشرور.

إذاً إن السبب الرئيسي لكل ما ذكرنه هو الشراهة. فمن هو الذي لا يعـرف بأن الجسد الذي يأكل ويشرب ويتلذذ تشتعل فيه شـهوة الزنـى. وإن لـم تـصنع بالظاهر ولم تُر للناس، لكنها تُشعل دائماً الأفكار، ولكي يخرج الإنسان النار التي به يتلفت ويشتهي كل جمال ويتعثر بكل حسن يراه. فكلما تزال نار هذه الشهوة قائمـة في أعضائه فإن أفكاره تطير فوق كل الأشخاص، وتزن بكل ما تراه خفية. وإن لم يقم بارتكاب الزنى بالظاهر لكنه دائم الزنى بالخفاء. وإن لم يزن بجسده لكنه يفعـل ذلك في نفسه في كل ساعة وحين.

إذاً فالطعام والشراب هما وقود للشهوة. والذي يريد أن يطفئ هـذه النـار المختفية في جسده، فليوقف عنه هذا الوقود وهي تنطفئ من نفسها. فالصوم والنسك والزهد هي المياه التي تطفئ نار الشهوة هذه. فكالزيت للنـار هكـذا هـي الخمـر

للشهوة. وكالروث الذي يشجع الأرض لتعطي الثمار هكذا الأطعمة الزفرة تحـرك الأعضاء على الشهوات السيئة. حجاب للعقل هي كثرة الأطعمة. والطعام يأتي قبل أفكار الزنى. ومنه وبسببه يظلم العقل كلما اضطربت أمواج الشهوات في الأفكـار النقية. ولذلك ليس هناك شك في هذا الأمر، كما إنه معروف بـالأكثر عنـد الـذين جربوه. ولكن قبل هذه الشهوة (الزنى) هناك شهوة محبة البطن التي هـي مظلمـة العقل وستار على الفكر الحاذق. وعتمة على الأفكار المالكـة لنـور المعرفـة. إذاً فرائحة الطعام تُظلم العقل، وكما تعكر غمامة الدخان المكان الطاهر النقـي، هكـذا رائحة الطعام تجعل العقل مضطرباً.

إذاً فيجب على تلميذ المسيح لا أن يمتنع عن الطعام الدسم فقط بل أيضاً أن يتناول من الطعام البسيط ما يكفيه. فالطعام ليس لكونه غير ثقيل (دسـم) لا يظلـم العقل بل السبب هو كثرته. وهذه الخسارة موجودة في الطعام البـسيط، كمـا إنهـا موجودة في الطعام الثقيل. فجيد إن الكتب المقدسة تحذر باستمرار الناس من كبـر البطن. وذلك كقول الرسول بولس : " **لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة لن ينتفع بها الذين تعاطوها** "[1]. فإنهم ليس فقط لم يجنوا فائدة منها لكنهم قد جلبوا على أنفسهم خسائراً وأضراراً كبيرة. فإنه لا الفاسقون ولا السكريون يرثون ملكوت الله.

فأقرأ أيها التلميذ في نفس المكان وانظر مع أي مستوى يضع الرسول هـذه الشهوة السيئة. مع السحرة والمفسدين وسواهم من الأشرار. وإن كانت محبة البطن ليست من ضمن هؤلاء لكنها هي التي تجلبنا نحوهم. فعندما يمتلئ الجوف بالطعام، ففي الحال يبتعد عنه ذكر الله، وعندما يبتعد ذكر الله عن الإنسان فما هي الخطيئـة التي لا يفعلها، وأي أثم لا يتهيج به. حتى إن النبي موسى علمنا السبب الذي جعـل الناس ينسون الله، فمن محبة البطن أتبعوا عبادة الأوثان. ومن الطعام انقـادوا إلـى التجديف. ومن اللذة امتلؤوا من كل الشرور " **أركبه على مرتفعـات الأرض فأكـل**

[1] عب 13: 9

ثمار الصحراء وأرضعه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب وشربته خمراً. فسمن يشورون (إسرائيل) ورفس " [1]. فأي شهوة من هذه الشهوات، أصابته (لإسرائيل)، وإلى أين وصل بسبب هذه اللذات التي تمرغوا فيها. وبأي الأمراض أصيبوا من جراء كثرة الأطعمة وكبر الجوف. ففسر لنا موسى وأظهر الخفايا : ماذا كسب الشعب من تلك المقتنيات. فقد نسوا الله خالقهم. وأهانوا القوي الذي خلصهم، وأغاضوه بالغرباء. وبالأصنام أغضبوه. وذبحوا للشياطين وهم ليسوا آلهة وللآلهة التي لم يعرفوها. فهذه الأمور هي التي أقتناها الشعب. وهذه الوراثة التي ورثوها من عبادة الشياطين، من سمنة أجسادهم ومن الموائد الغنية بالأطعمة. فقد انقادوا إلى ولائم الأوثان ومن التلذذ خرجوا ليذبحوا للأصنام, ومن تلك الشهوة التي أخذوا منها قوة للجسد وصلوا إلى أفكار دنيسة وغريبة عن طبعهم.

فانظر أيها التلميذ من أين وإلى أين خرج ذاك الشعب. واستأصل منك بالصبر الجذر الذي ينبت عبادة الأوثان. والشتلة التي تبدأ من البطن وتنتهي إلى عبادة الشياطين. فلم يقل لك النبي ببساطة بأن الشعب سجد للأوثان. بل أظهر لك في البداية سبب هذا السجود، ولم يحدثك عن هذا المرض الصعب والمستعصي (عبادة الأوثان)، قبل أن يريك علة هذا المرض. أكل وشرب وتلذذ (الشعب) ومن هنا نسيا الله خالقه. لأن النسيان وَلَدَ التجديف والإهانة " **والصخر الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبداك** " [2]. ولم يقف عند هذا الحد بل جعل له آلهة بدل الله وعوض الواحد جعل له آلهة كثيرة. " **أغاروه بالأجانب وأغاضوه بالأرجاس** " [3]. وهنا نرى من خلال الآية العمل أيضاً. فمن أين آتاه أن يمجد (يتعبد) العجل في

[1] تث 32: 13
[2] تث 32: 18
[3] تث 32: 16

البرية " **وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب** "[1]. فقبل أن يأتي الطعام لم يكن هناك تجديف. وإلى أن سُكب الخمر لم يتلبسه الزنى ضد الله. فكل هذه الخسائر ولدتها الأطعمة، فمن هو الذي لا يهرب من كثرتها. فذاك الذي حُتم عليه أن يكون فاسداً هو الإنسان الأكول. إن الإنسان الشره قبل أن يقترب إلى الأطعمة اللذيذة يكون حاملاً في نفسه أفكاراً باطلة. ومن محبة الجسد يقاد ليكون عبداً لبطنه. من الواضح أن الذي يحب الشهوة يكره مجد المسيح. فشهوة الجسد هي ضد شهوة الروح. وعندما تكون واحدة منها حية فالأخرى لا تستطيع أن تحيا. فالذي تحيا فيه شهوة الجسد تموت فيه شهوة الروح. وكما تختفي من الجسد كل شهواته عندما ينكر ذاته. هكذا تختفي من النفس كل الصالحات عندما تختفي منها شهوة الروح. لأن شهوة الروح هي المدخل إلى كل المكاسب. وشهوة الجسد هي المدخل إلى كل الشرور. فيجب علينا وإن كانت شهوة البطن لا تعثرنا من أي حسنة أن نبطلها من أجلها فقط (شهوة البطن) لكي لا تجعلنا كالحيوانات. فكم بالأكثر إن كانت مدخلاً إلى الشرور وحقلاً معتاداً بأن ينبت الشوك والحسك.

فإن كان الذين يحبون مجد العالم ويرغبون في أن يكونوا مشهورين في مهن الجسد يعتمدون في حياتهم على الطعام القليل. فكم بالأكثر المجتهدون في الروحانيات يلزمهم هذا الأمر. والذي به يقتنون القوة ويستمرون في طريق أعمالهم. فإن كان الجسد الذي تقوم حياته الطبيعية على الطعام، فمتى أراد أن يصبح مشهوراً في إحدى الفضائل الجسدية يتخذ له قانون الزهد (ليبلغ إلى غايته). فكم بالأكثر تحتاج النفس لهذا القانون الذي يجعل الجسد يقلل من وزنه ويصبح خفيفاً وخاضعاً للنفس التي تسكن فيه. فكلما كان الجسد مثقلاً بكثرة اللحم هكذا تكون النفس معطلة عن حركتها. ومتى قلل وأنقص من (شراهته) حينئذ تعمل به النفس بحرية تامة. لأن الخفة تجعلها تمتد. وكلما كان الجسد ثقيلاً وثخيناً يكون ضدها. لأنها لطيفة وعاقلة. وكم هو محبوب لديها المكان العالي الذي يناسب روحانيتها. هكذا أيضاً الجسد يحب ثخانة الأرض وثقل التراب. فكلما تبدأ هي بالصعود إلى

[1] خر 32: 6

فوق يسحبها بواسطة ثقله لينزلها إلى تحت، لكي تدب معه كالحشرة على أرض الشهوات. فالجسد الأكول يجعل النفس غير عاقلة ويأخذ منها كل اختلاجات الحكمة. لأن إناء أفكار النفس وتميزاتها هو القلب، فعندما يثخن من كثرة الطعام فحينئذ تثخن معه كل أفكار النفس التي تتحرك بواسطته. ولأنه أثقلها وأبرد تلك النار التي مزجت به طبيعياً لذلك تقل حرارة معرفة النفس، وتبطل خفة حركات أفكارها. لأنه وإن كانت موهبة الكمال تبدأ من النفس ولكن أعمالها تظهر بواسطة أعضاء الجسد، وكل أعضاؤها تحتاج إلى كل أعضاء الجسد. فها إننا نرى أنه عندما تشاء أن تتطلع إلى العالم فإنها تنظره بواسطة عين الجسد، وعندما تريد أن تسمع صوتاً جسدياً فتسمعه بواسطة الأذن، وإن أرادت أن ترسل إلى الخارج كلامها فإنها ترسله نحونا بواسطة الفم الذي هو جسر الكلام. وباختصار كلما أرادت أن تشعر بشيء من العالم فإنه بواسطة الحواس الجسدية تخرج أو تدخل ذاك الشيء. وعندما تريد أن تُشَاهَد في عالم الروحانيات أو أن تسمع كلاماً حياً روحياً وتتأمل بالمناظر التي هي فوق الطبيعة فإنها آنذاك لا تحتاج مطلقاً إلى هذه الحواس. بل إنها تقوم بخلعها عنها. وتتحرك بأعضائها وحدهم بحركات حية فوق الطبيعة. فإذاً كما تعلمنا فإن النفس هي بحاجة إلى الحواس الخارجية وإلى أعضائها الداخلية، وبجميعها تتحرك إن كان للحكمة أو للنصح، أو للنور أو للظلمة، أو للتمييز والتفكير والمعرفة، أو مخافة الله. فكل هذه الأمور تُصنع بواسطة هذه الأعضاء. فكلما كانت خفيفة ولم يوضع عليها ثقل الأطعمة ولم تتعكر بعطر الطعام الزائد. هكذا تتأثر فيهم النفس بسهولة. وكما أن النور عندما يختلط بنور آخر وباختلاطهما يضيئان بالأكثر. هكذا تختلط النفس النيرة بالأعضاء النيرة عندما تكون خفيفة وطاهرة من كدَر الأطعمة. فإن كانت ثخينة وثقيلة فإنها تصير كالجسد الثخين وكستار موضوع أمام نورها (النفس). وبدل من أن تأخذ منهم عوناً تصير لها الأعضاء أذية وموقفة لها لدى عملها الخفيف. فكل هذه الأمور وما شابهها معروفة عن أصحاب الرؤية الدقيقة للمعرفة الطبيعية.

فإن كنت راغباً أيها التلميذ في أن تكون مشاركاً في هذه المعرفة الطبيعية. ومنها تتعالى إلى المعرفة الروحية. فاحفظ نفسك من ثقل الأطعمة ويكفيك الثقل الطبيعي لجسدك، فلا تملؤه وتثقله بالأطعمة الكثيرة. وإن ظن أحد بأنه بكثرة الطعام يزيد الجسم صحة فقد ضل كل من يظن هكذا. فالطعام الزائد لا يجلب صحة، بل يولد في الجسم أمراضاً وأوجاعاً. لكنه (الطعام الزائد) يمنح فقط صحة لجسد الشهوة. فإنه كلما كانت الأعضاء مريضة وخالية من القوة. كلما تتعافى وتتقوى شهوة الأهواء في الجسد والنفس. ومع الشهوة يتقوى أيضاً الجهل. فإن هذا الداء أي الجهل يقوي شهوة البطن أكثر من كل الشهوات. لأن الجهل هو مظلم النفس، والمعرفة هي نور طبيعتها. وكما يُطفأ السراج من قبل الرياح والعواصف، أو يظلم (السراج) ولا يشتعل بشكل جيد في البيت الذي فيه رياح ورطوبة. هكذا يظلم نور معرفة النفس بداخل القلب المظلم بسبب ثقل ورطوبة الطعام. ها إن الشمس التي نورها ينبثق من طبيعتها وليس من أسباب أخرى خارج عنها، هي على مثال السراج يظلم نورها في الهواء المضطرب والثائر. فإن كان في الطبائع الكونية الذي يكون فيها النور في كماله يظلم داخل العالم. كذلك النفس عندما يجتمع فيها نور المعرفة بالنور الطبيعي للشمس، فعندما يتعكر القلب مثل الهواء وتضطرب كل الأعضاء الداخلية بسبب رائحة الطعام، تظلم أنوار معرفة النفس. ولا تشتعل بالكامل في كل أعضاء الجسم. وتتحرك كل احساسات الإنسان إن كانت الخارجية أو الداخلية بتشويش واضطراب. فمعرفة النفس هي القبطان الخفي لكل الجسم، وهي ضابط العين للعفة والترتيب، والأذن للحفظ، واليد للأمانة، واللسان مقياس صحيح، وللأرجل للسير الموقر. وكالمروض الذي يلجم الخيل، هكذا النفس تمسك بزمام المعرفة وتدبر كل الحواس. وكمروض الخيل هكذا النفس ترتب الحواس وتدبر الأعضاء الداخلية، ولكن هذه النعمة التي هي نور الجسم ومرتبة كل الأعضاء تضيع بسبب الشراهة عند ذاك غير المستيقظ وغير المنتبه.

فلنهرب إذاً من هذا الداء الذميم. ولا يصير تلميذ المسيح عبداً لبطنه. فإن كنا لا نستطيع أن نعبد الله والمال معاً كما قال السيد المسيح. فواضح أيضاً بأننا

لا نستطيع أن نعبد الله والبطن لأنها هي أيضاً دعيت إلهاً على مثال المـال. وكمـا دعا السيد المسيح المال سيداً. هكذا دعى رسول الله (بولس) البطن إلهـاً. " **الـذين إلههم بطونهم ومجدهم في خزيهم** " [1]. فإنه يسخر من أولئك الذين اتخذوا كلمة الله كحرفة، ولأجل بطونهم أجروا أنفسهم للمسيح وليس لمحبته. كما يوجد منهم الكثيـر اليوم الذين قد لبسوا زي التلمذة الثقيل ويظهرون أنفسهم معلمين وعبيد صالحين لله، ليس من أجل محبته، وليس عن حكمة ومخافة، لكن فقط ليخـدموا بطـونهم التـي خلقها لهم الله ويعبدونها. وهكذا يعلم الرسول بوضوح بأن ثقل البطن ينـزل نظـر النفس من السماء إلى الأرض. " **الذين تفكيرهم كله في الأرضيات** ". إذاً جعل فـي البداية بطونهم آلهتهم ومجدهم خزيهم، ثم قال أن تفكيرهم كله في الأرضيات ليظهر بأن سبب ارتباطهم بالأرض وتمرغ أفكارهم بالتراب هي شهوة البطن. وكما أسرت محبة أولئك في الأرض هكذا ستأسر الذين يخدمونها. فماذا يمتـاز الـذي يتمـرغ بشهوات بطنه عن الدود الذي يزحف في النتانة. أو عن الخنازير التي تتقلـب فـي الوحل. فهنا أيضاً يجب أن تمارس هذه الشهوة الممقوتة بالنتانة والوحل والخـزي. فإن كان الرسول بولس قد دعاها بهذه الأسماء فكيف لا ندعوها نحن.

ونستطيع أن نرى كيف إنها كانت بداية كل الشرور. إذا نظرنا إلى خطيئـة آدم التي بها تجاوز وصية الله. واستخف وطرح عنه الناموس المعطى لـه. ذهـب إبليس لمعونته لأنه رآها أقوى بكثير من كل الشهوات. ومن بابها يستطيع أن يَدخل إلى باقي الشرور. فإنه لا بالزنى ولا بمحبة المال ولا بالمجد الباطل ولا بـالملابس الأنيقة ولا بالحسد ولا بالكبرياء ولا بداء آخر يقتل هذا العدو فهو رئيس جنسنا. بل قاتله فقط بشهوة البطن. لأنه رآها تكفيه لتكون مساعدة ومعينـة لممارسـة بـاقي الشهوات. وبما أن المجرب خبيث ففتش عن الشهوة الأقدم والأقوى فينـا فـاقترب وهيجها فينا، ومن ورائها زرع الرخاوة فينا. ومن بعد سقوطهم في هـذه الـشهوة دخلت شهوة الزنى، لأنه في الحال عندما أكلوا فتحت أعينهم وعرفوا بأنهم عـراة. فواضح بأن شهوة الزواج (الزنى) تحركت بأعضاء المعاشرة فشعروا بها فخجلـوا

[1] في 3: 19

من رؤية بعضهم البعض (عراة). فإلى أن أكلوا لم تستيقظ الشهوة فيهم، وإلى أن استيقظت الشهوة لم يتسلط الخجل والخوف عليهما. فإذاً بداية الشعور بالخجل هي شهوة البطن. وجيد أنه دعاها ذاك الطوباوي خجلاً " **فرأت المرأة إن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل** "[1].

فتأمل أنت في الخطيئة العامة (الأبوية) وإلى كسر الوصية الأولى. فمن البداية كانت شهوة البطن ومنها دخلت إلينا كل الخطايا والعقوبات. فكما إنه بالنسبة للشيطان كان الحسد هو بداية للشر. هكذا بالنسبة لآدم كانت البطن هي بداية لكسر الوصية والتي منها دخلت باقي الخطايا وبها جازت كل العقوبات. هي كانت بداية الأوجاع والأمراض ومنها دخل الفساد للبشرية. وبسببها لعنت الأرض وأخرجت شوكاً وحسكاً. هي التي أبعدتنا عن نعم الفردوس، وهي التي طردتنا كالمنفيين إلى أرض اللعنة. وبسببها أصبحنا عبيداً للشياطين. وبسيادتها علينا جعلتنا نستعبد لإبليس. وبسببها استهزأت وضحكت علينا الأرواح الشريرة. هي التي أدخلت الموت الأول وأهلكت تركيبتنا. وبها كُرهت ومُقتت هذه الصورة الجميلة والرائعة. وهي أطعمتنا خبز المشقة. وهي التي سببت أن نأكل طعامنا بعرق جبيننا. غبية هي وعمياء شهوة البطن هذه، أردت أن تأكل، فمنعت عن الأكل. رغبة في الراحة فأضعت الراحة ولذة الفردوس. وإذ أرادت أن تأكل ولم تعرف كيف تأكل، ولم تصبر لأنها هذه هي طبيعة الشهوة فهي قليلة الصبر. استعجلت وقطفت ثمرة واحدة، فمنعت عن جميع الثمار التي في الفردوس. فشهوة آدم هي مثال لشهوتنا. وكما إنه من أجل ثمرة واحدة منعوا من جميع ثمار الفردوس. هكذا المائدة المليئة هنا تمنعنا عن المائدة السماوية. وكلما كانت البطن مليئة ومثقلة بالطعام كلما بطل من فكرها تذكر النعم العتيدة. وكلما تتأمل العين بهذه الأطعمة وتشتهيها كلما تنطفئ عين فكرها من رؤية النعم الروحية. فإن كان آدم بسبب ثمرة واحدة أضاع التلذذ بجميع ثمار الفردوس فكم بالأكثر ذاك المثقل بشهوة الأطعمة الكثيرة يمنع من مائدة

[1] تك 3: 6

الملكوت. فآدم من أجل أكله أضاع الفردوس، وورث الموت مع جميع اللعنات. وعيسو من أجل أكلة خلع البكورية مع البركات وصار عبداً للخطيئة وخضع لأخيه. والشعب من أجل الطعام نسي الله وبدلاً منه عبدوا شبه حيوان أصم. وأيضاً من أجل الطعام صعد عليهم غضب الله. وبسببه زنوا مع بنات مديان. ومنها تسلط عليهم الوباء فجأة. " **وإذ كان اللحم بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمي غضب الرب على الشعب** " [1]. وأيضاً من أجل الطعام والتلذذ عذب السدوميون بهذا الفعل الدنس، ولهذه الفعلة النكراء (شهوة البطن) هي التي أوصلتهم إليها كما تنبأ عنهم نبي الله " **هذه كان إثم أختك سدوم الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان** " [2]. فمن الشبع من الخبز والراحة تنجسوا بهذه الشهوة غير الطبيعية.

فلتكن كل هذه الأمور والتي على شاكلتها مثالاً لك يا أيها الراغب بالسير في الطريق السماوي. فانزع عنك ثقل البطن الذي هو كالرياح التي تغرق النفس بعمق الشرور. ولا تظن فقط بأنه بالأطعمة الزفرة تحسب شراهة. فها إن شراهة عيسو ظهرت بأكلة عدس، وليس بلحم كثير ولا بخمر وفير ولا بباقي الأطعمة اللذيذة. لكن فقط لأنه شره بأكلة العدس، ولذلك كرهته ونبذته كلمة الله. فأي طعام يقدم لك أظهر فيه صبراً، وتصارع مع الشيء القريب لك. ولتكن لك حرب مع الأطعمة البسيطة والمزينة أمامك. ولا تستخدمها لتملأ بطنك. فلا يوجد إنسان يترك الأعداء القريبين ويتحارب مع البعيدين. ولا يوجد من يترك المرض القريب منه والذي يتألم منه ويذهب ويعالج المرض الذي لم يصب به بعد. وبما أنه لم تقدم لك تلك الأطعمة اللذيذة التي يتناولها الأغنياء ومترفهو العالم. لذا أضبط نفسك ضد هذه الأطعمة البسيطة الموضوعة أمامك. فإن انتصرت على هذه الأطعمة البسيطة فكن على ثقة بأنك سوف تنتصر على الأطعمة الفاخرة. وستنال نصرة أيضاً أمام الأطعمة الثقيلة (الدسمة).

---

[1] عد 11: 33

[2] حز 16: 49

فالبطن المليئة (بالطعام) لا تولد صلاة طاهرة. والمعدة المحشوة بالأطعمة الكثيرة لا ترتل بيقظة. لكن كل الخسارة موجودة في البطن الكبيرة. وربما ليست هذه الشهوة مذمومة بحد ذاتها لكن بسبب ما ينبع منها من شرور.

فيجب على التلميذ أن يحترز منها. لأن الأكول (الشره) نومه كثير، أحلامه مضطربة رؤياه مزعجة. يسير بشهوته سريعاً، نومه مُغرِق وليس نوماً عادياً، فإن قام ليرتل فاحسبه بأنه لم يقم، وكما يكون غارقاً في نومه، هكذا هو غارق في يقظته. يتكئ على الجدران. يتمسك بالحبال المعلقة ويسند نفسه على العصا لكي تحمل معه جسمه الثقيل أي لتحمل معه ثقل الأطعمة. وكثيراً ما أن يبدأ عملاً وينهيه وهو لا يعرف أين هو. يصرخون في أذنيه بأصوات عالية ولكن نومه العميق يتغلب على كل تلك الأصوات، مغلقة آذانه بثقل الأطعمة، وغامضة عينه من النوم، وجسده متعب ومنهار لأنه لم يأكل كفاية. يقف الأحياء عن جانبه وينظرونه وكأنه ميت. ينظر إليه اليقظون فيسخرون ويهزؤون به وهو لا يعرف من الذي يهزأ به. يغضب على الذي يوقظه من غرقه، ويمتلئ غيضاً عليه. ويحدث أن يسقط وهو واقف وفي سقوطه يفسد العمل. في ساعة الهدوء يصنع ضوضاء. وفي الساعة التي بها يرتل الأحياء واليقظون لله يقف هو كالجثة التي بلا روح. متعجب كيف إنه لا يخجل ويستحي ؟ ولكن كيف يخجل وهو لا يشعر بنفسه أين هو. فهو يُهين الله بيقظته، يغضب على الذين يرونه. يشتم الذين يوقظوه، وقد صار عثرة للذين هم بجواره حيث إنهم يتركون ترتيلهم ويتكلمون عليه. ويغضبون بسبب رؤيته غارقاً. فإن نام الشره فهو غارق وإن استيقظ فهو نائم، وإن رتل فهو أخرس، وإن وقف فسيَسقط.

فانظر إلى هذه الخسائر يا محب المكاسب الروحية. وأبتعد عن هذه السيئة لكي لا تنسى الله بسببها وتنسى أيضاً نفسك معها. ويظلم تميزك عن كل أعمالك. وتذكر مع هذا تلك التي قيلت من موسى النبي إلى اليهود " **فإن أكلت وشبعت**

فأحترز من أن تنسى الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر " [1]. ها إن روح الله قد علمك بوضوح بأنه من الشبع يتولد النسيان. وما أن ينسى الله حتى يمتد إلى كل الشرور بلا خوف ويختلط بكل الآثام. وكما أن منظر السيد ثقيل على العبيد الثائرين، هكذا ذكر الله يخجل تشوش الأفكار وفي الحال عندما يقع ذكره في الفكر يسرع لينظم بخوف كل الحركات الثائرة. فتصير النفس ساكنة ومكان سلام وهيكل مزين ومسكن طاهر بيتٌ مقدسٌ للثالوث. فالذي يريد أن يسير في طريق السماء فلينزع ثقل الشهوات من رجليه ويأخذ الحمل عن أجنحة فكره. وإذ كان جسمه خفيف فسوف يسير إلى وعد الله ويسمع نصيحة القديس بولس عندما كان ينبهنا ويرشدنا " **لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع البكورية فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع** " [2]. فلتكن كل هذه الأمور مذكرة إيانا، وهذه الآيات يجب أن تكتب على قلوبنا. ونكون خفيفين لنصير روحانيين. ولنغلق باب شهوة البطن لتقف كل الشهوات خارجها. ولتُمت فينا شهوة الجسد لتحيا فينا شهوة الروح. ونقلل من الأكل حتى في ما هو كفاف الحياة. لنستحق بالنعمة حياة المجد. ولنكفر بسيدة الجهل ونعترف بالكامل بالأزلية المقدسة. ونحرر أنفسنا من الثقل فتخف أعضاؤنا في الصلاة الطاهرة. ونخرج خارج كلام الشهوة فتنتقى أعيننا لرؤية المعرفة. فلا نشتهِ الموائد المليئة بالأطعمة، لكي يقبلونا كالجياع في مائدة الملكوت. فلنكره ولنستخف بصحة الجسد لكي نستطيع أن نقتني صحة إنساننا الخفي. لا يجعلنا الخوف من المرض قريبين إلى الطعام لكي لا نكثر أصدقاءه (المرض) على أنفسنا. ولنشكر المانح على طعامنا القليل لكي نظهر كبنين وليس كعبيد يخدمون بطونهم. ولننتصر بالصبر على الشهوة الأولى فنتقوى من هنا على كل الشهوات. ونقول لبعضنا تلك التي قيلت من قبل الرسول " **الأطعمة للجوف**

---

[1] تث 6: 11

[2] عب 12: 16 ـ 17

والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك ولكن الجسد ليس للزنى بل للرب والـــرب للجسد " [1]. الذي له المجد إلى الأبد آمين.

[1] 1 كو 6: 13

المقال الحادي عشر
ويتحدث عن النسك وضبط الجسد
والذي يبين فيه بأنه بضيقات كثيرة ينبغي للإنسان أن يدخل إلى أرض نعِم معرفة المسيح الروحية

" **أدخلوا من الباب الضيق** "[1]. هذا ما نادت به كلمة الفادي لكل التلاميذ الموالين لبشارته. فبدون هذا الباب لا يستطيع أي إنسان أن يدخل إلى ملكوت الله. فلا يستحق الإنسان أن يتذوق بشكل كامل لذة تدبير المسيح إلى أن يبطل منه كل إحساس بلذات العالم. ولا يستطيع أن يقطع ويطرح عنه هذا الإحساس إلا إذا قطع بقوة الصبر لذة كل الشهوات. وعندما يطرح الإنسان الشر من نفسه عندئذ ينبت مكانه الخير والحسنات. ففي المكان الذي يستأصل منه الشر ينبت حالاً الخير بدل منه. وكما كان اتجاه قوة النفس في سقي وتربية شتلة الشر. هكذا تعود بشكل كامل قوة العزيمة لكي تنمي شجرة الخير التي نصبت داخل النفس بعد أن استأصل منها الشر. لأن إن لم يستأصل الشر أولاً لا ينبت الخير. وإن لم نطرح ونرمي منا العادات الشريرة، لا تثبت فينا الأعمال الحسنة. وإن لم نترك الرخاوة لن نتمسك بالنشاط. وإن لم تمت فينا الشراهة فلن يحيا النسك. فإن الموت والحياة يعملان فينا بكليهما (الشراهة والنسك). فيموت الإنسان العتيق الذي هو الشهوات الشريرة، فيحيا الإنسان الجديد الذي هو الأعمال المستقيمة. لأن الموت هو عقوبة الإنسان

---

[1] مت 7: 13

الذي قد مات بحسب الوصية. فموت الشهوة هذا، تنشده إرادة كل واحد فينا وهي التي تدعوه في كل حين. لأنه منذ البدء بإرادتنا دخل موت الخطيئة إلينا، ثم بعد ذلك أتى موت العقوبة بإرادة الله. هكذا أيضاً هنا من قبل أن تبطل طبيعة الجسد (بموته) تلك التي أبطلتها العقوبة، يستطيع كل واحد فينا بإرادته أن يبدد تركيبة الإنسان العتيق الشهواني (أي أن يميته). وما أن يحل هذا الموت (إماتة) فلن يكون لذلك الموت الطبيعي ثبات. لأن موت الخطيئة هو الذي أدخل الموت الطبيعي، فمع إبطال ذلك يبطل الآخر أيضاً. والذين لا يسبقون ويموتون (عن الخطيئة) فسيصيبهم الموت الطبيعي، أما الذين يميتون منهم بإرادتهم الإنسان الشهواني، فالموت الطبيعي لن يكون له تأثير عليهم. فجيد أن نموت قبل الموت، لكي نحيا من قبل أن نحيا. لأنه عندما يسبق الموت الإرادي (الموت الطبيعي) عندئذ يبطل الموت الطبيعي، وعندما يبطل هذا الموت الطبيعي بسلطان الحرية، فإنه سيسبق ويحيا ذاك الحي الذي مات. وبما أن هذه المبطلات والأفراح التي ستسبق وتحدث لنا بكل الأشكال، فمن اللائق بنا أن نسبق ونستأصل منا الشرور، ثم بعدئذ نضع فينا أساساً لعمل الصالحات. ونتقبل صخرة لأساسنا كما هو مكتوب، وحجراً ثابتاً لبنائنا كما قيل. فنكون بذلك مشابهين للأطباء الذين إلى أن يطهروا ويزيلوا النتن من الجرح لا يضعون المرهم الذي ينمي ويبني اللحم الحي. هكذا نحن عندما نستأصل منا نتانة شهوة البطن، وننبذ عنا كل أشكالها القذرة والممقوتة.

سنظهر الآن من خلال كلامنا فائدة النسك، ونشجع بتعليمنا المساعد للتلاميذ. لكي نضع فيهم هذا الصبر الذي يظن بأن القيام به أمر صعب جداً، لكن ميراثه الذي يهبه لنا هو لذة نعَم المسيح. فكما إن الجنين يولد للعالم بواسطة آلام والدته، هكذا بواسطة آلام العالم وتحمل الضيقات يولد الإنسان لعالم معرفة المسيح. وإن دعا الإنسان النسك بأنه مطهر شهوات الجسد فإنه لا يلام بذلك. لأنه كما أن الجسم يطهر بالغسل من كل الأمور التي دنسته وأخفت منظره ولونه الطبيعي. هكذا بواسطة النسك تتطهر وتتنقى خطايا الإنسان العتيق. ويظهر طهارة ونقاء جمال

الإنسان الجديد. ولدى ظهوره بصورته الطبيعية سيكون من السهل أن يرى وُيرى بجمال النفس، وهنا يتقبل لباس المعرفة.

إن البدء بالنسك هو صعب ومرير لكن نهايته هي لذيذة وحلوة. كما إن حمله ثقيل على الذين لم يشعروا بخفته. وصعب حمله على الذين لم يتبصروا في الغنى الروحي الذي بداخله. فهو الباب الضيق المؤدي إلى المكان الواسع للروحيات. وكما إن نهاية طريق المعرفة هو الزهد من المقتنيات، هكذا النسك هو بداية طريق تدبير الإنجيل. وجيد أننا بعد أن تكلمنا عن الزهد دخلنا في الكلام عن النسك. لأنه كلما أقتنى الإنسان ما هو خارج عنه، فعلى أساسه وبه ومنه يجمع الغلال. وإن انطلق في عمل الرحمة والإحسان إرادياً، ولكن لكونه قد أخذ الزرع من خارجه (أي من العالم) وألقى بحقل المحتاجين. كما يقول قائل من العالم أخذ وله أعطى. وإن كانت ثمار هذا العمل تحسب براً لذاك الإنسان لكن عملها هو خارج عنه. فما هو الضيق الذي حصل لهذا الجسد الذي صنع حسناته من الغنى الذي هو خارج عنه. إلا أنه عصى فكر شهوة الغنى وأخضعه تحت إرادة الرحمة. لكنه متى زهد بكل شيء وصار حراً داخل العالم. حينئذ يصير له حقل خاص به ألا وهو ذاته، فيكون هو الذي يعمل بها وهو الذي يزرعها. ومنه تبدأ الضيقات وبه تنتهي. إذا لم يعد يزرع في حقول غريبة زرع البر بل في حقل نفسه العاقلة. ومنها (النفس) يبدأ بعمل أعمال البر. والعمل الأول لهذا الحقل هو الصوم والزهد. وبدون هذا الأمر فإن كل حسناته ستصنع بضعف. وعندما تكون قوة هذين الأمرين ضعيفة وهزيلة بنا، فإن صلاتنا لا تكون طاهرة. ولا الترتيل أيضاً. ولا أفكارنا مقدسة. ولا تنموا فينا المعرفة. ولا يتطهر عقلنا. ولا يحلق فكرنا. ولا يتجدد الإنسان الخفي بعجب عظمة مجد الله. بدون الصوم والزهد. فبهما ندخل إلى كل هذه الأمور. ومن هذه الدرجة نترفع إلى درجات أخرى أعظم منها. ومن خلال الإمساك عن الطعام نصل إلى مثال الملائكة. وعوضاً عن الملائكة الذين لا يأكلون إطلاقاً، نمتنع نحن بإرادتنا عن أطعمة الشهوة، ونقلل من حاجات الجسد. وبهذا نظهر بأنه لدينا شوق لنتشبه بالروحانيين. ولذلك أيضاً أتى المسيح ليفدينا. لأنه كان

يستطيع بسلطانه أن يخلقنا منذ البدء على مثال الملائكة، وهي الحالة التــي ســوف يهبها لنا في النهاية بحسب غنى نعمته. ولكنه لم يخلقنا كذلك بل علمنا كيف يمكــن أن يتشبه الإنسان بالملائكة وترك هذا الأمر لإرادتنا لكي نسعى وراء التشبه بهــم. ونحن بقوة حريتنا نخلع عنا إنسانيتنا العتيقة، ونلبس جديدة شبه الملائكــة. ونبــدل طعاماً بطعام. وشهوة بشهوة. ومائدة بمائدة. وغذاء بغذاء. وصنف بصنف. وطعماً بطعم. لأننا لدينا بطن وبطن أخرى، اللتان تتقبلان مختلف الأطعمة، فبعد أن يغلــق الإنسان الباب في وجه إحداها حينئذ يستطيع أن يفتح الباب للأخرى لتتقبل الطعــام الروحي وتتلذذ وتفرح بالأصناف الروحية التي هي فوق الطبيعة. وبما أن طبيعتنــا ضعيفة ولا تقوى على أن تطرح وترمي عنها هذه الأمور بقوتها فقط، لــذلك أتــت لمساعدتنا نعمة الروح، حيث إن الأمور التي لا تستطيع طبيعتنا أن تعملها بمفردها تساعدها النعمة على إكمالها.

فتصارع أيها التلميذ مع شهوات جسدك بكل قوتك، وأصنع حسنات في حقل نفسك، بما بقي لك من الزمان لأنه أنت الوحيد من كل ما هو في العالم تــستطيع أن تجد حياة لك. فالعرس مفتوح لك والمائدة معدة، والمتكأ مفروش والأماكن مجهــزة. والطعام اللذيذ معد في تلك العزيمة الحية. والله قد جعل نفسه خادماً كما نادى هــو بكلمته الحقَة " **الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكئهم ويتقــدم ويخــدمهم** "[1]. هــذه المائدة تذكرها دائماً ومن ذكرها خذ لك قوة لتستطيع أن تستحقر الطعــام العــادي. فلا يوجد إنسان يبدل طعام الملكوت اللذيذ بخبز الشعير البسيط والزائل. أو بــالأكثر من ينزل ويقارن هذا الطعام الجسدي بذاك الطعام الروحي. فاستيقظ إذاً وكن منتبهاً لنفسك عندما تبدأ هذه التجربة (شهوة البطن) بمحاربتك، وأجمع كل أفكارك عنــدما يقوم كبيرهم ذلك الذهن اليقظ الذي يشبه رئيس اللصوص وهو هوى شهوة الــبطن. ولأن هذه الشهوة تُرى ضعيفة إذا ما حاربت القناعة، لذلك تُحضر معها الجوع لكي يساعدها، وكأنها تُظهر لك بأنك لن تذنب إذا أكلت بسبب الجوع. وبمثل هذه الحجج تظهر لك بأن الخالق قد خلق فيك هذا الاحتياج. وأن الجوع يسيطر علــى جــسدك

[1] لو 12: 37

بشكل طبيعي، وإن استمرار حياتك يتم بالطعام وبدونه ليس لك أن تستمر في العالم، وإن خالفت هذا الأمر فإنك تعصي إرادة الخالق الذي يريد استمرار حياتك الجسدية. فالطعام الذي يأخذ بقدر الحاجة ليس بمذموم، ولا الشراب الذي يُأخذ بنظام. وعندما تستدرجك هذه الشهوة بهذه الأمور، وتأتي بك من الانقطاع عن الأكل إلى تناول الطعام، حينئذ تأتي بك من هذه الأخيرة إلى : كيف تأكل، وماذا تأكل... فهي لا تنصحك من البداية أن تأكل بشهوة، بل أن تأكل من أجل الحاجة. ثم بعد ذلك تقودك من الحاجة إلى الشهوة. إن الإنسان يجب أن يتحلى بقوة الاحتمال عندما يحارب الجوع الطبيعي لكي ينتصر عليه، فإن تسلط عليه الضعف في وقت قوته فإنه سيهزم بسهولة ويذل.

فانظر أنت بتمييز وأعلم بأنه ليس كل جوع هو جوع طبيعي. وليس كل طعام هو من أجل إتمام الحاجة. انظر إلى أنواع الجوع وميز وأخرج منها جوعك بمعرفة. فيوجد جوع يكون بسبب الغباوة. ويوجد بسبب الضعف. ويوجد بسبب المرض. ويوجد بسبب الفراغ الزائد. ويوجد بسبب العادة. ويوجد بسبب بطالة الأفكار وعدم وجود ما يفكرون به. ويوجد من ضعف الأفكار. ويوجد بسبب الضجر الذي يحدث في الظهيرة للجسد. ويوجد من يطلب الطعام بسبب برودة الجسم ليتدفئ به. ويوجد ما يتولد بسبب العمل الكثير. فمن هذه الأسباب وغيرها يحدث الجوع.

كما يوجد آخرون لا يكون جوعهم حقيقياً لذلك تجد كثيرين يجوعون في بداية اليوم، ويوجد بعد ساعتين منه، ويوجد بعد أربع ساعات، ويوجد بعد ست ساعات، ويوجد بعد تسع ساعات وآخرون في المساء، ويوجد من يستطيعون أن يتحملوا الجوع لنهاية اليوم. ويوجد من يستمرون في الصوم لثلاثة أيام. وعندما يصلون إلى أن يطووا الأيام في الصوم حينئذ يبطل عنهم الجوع الطبيعي كلياً. لأن بدل الطعام تصير الحرارة الطبيعية التي تثار في الجسم غذاءً لهم. فمن هنا يجب أن تعلم باختلاف أنواع الجوع التي تتولد بك، فميز أنت جوع الحاجة من بين كل

هذه الأنواع. كما يجب أن تقهر هذا الجوع أيضاً في بعض الأحيان لكي تُظهر احتمالك لضيقاتك، وبه تُعرَف محبتك نحو الله.

فانتبه لكي لا يضلك جوع الشهوة وتظنه الجوع الطبيعي. فالجوع الحقيقي ليس خلو البطن من الطعام، بل هو خلو قوته من كل الأعضاء. فعندما تتجرد الأعضاء من قوة الطعام وتلبس عوضاً عنها الوهن، وعندما تدعوها لتلبية خدمة ما تريدها منها ولا تستجيب لك فهذا هو الجوع الحقيقي. ومن هنا يجب أن تعطيها بانتباه الغذاء الذي يعيد القوة لها بحيث تكون منتبهاً لكي لا تشارك أفكارك جسدك في الطعام. وأمت الشهوة التي فيك لكي لا تتهيج عليك، فيكون طعامك لا لسد الحاجة، بل لإثارة الشهوة. فإن حدث ذلك وصار طعامك زلة لك ولئن كنت تأكل بسبب الجوع وكان طعامك بسيط.

إذاً فليكن فكرك دائماً مراقباً لكل أعمالك، إن كانت الجسدية أو ما تصنعه في العالم، مع باقي الأعمال التي تصنع من قبل النفس. فالإنسان ليس كالحيوان يأكل كلما جاع. لكن يجب عليه كمخلوق عاقل في حالة إظهار جسده جوعاً طبيعياً تظهر نفسه صبراً مناسباً لها (للنفس) وتستخدم هي أيضاً ما لها، كما يستخدم الجسد ما لطبيعته. ويصير لها جوع الجسد كمذكر لجوعها. وتأخذ من حاجته كعلامة لحاجتها إلى الروحانية. فالنفس العاقلة ليست مضطرة لأن تخضع لأفكار الجسد بل أن تتأهب للحرب ضدها، وتُخضعها وتقيدها وتقوى وتنتصر عليها. وتُولد فيها غنى وتدابير ضد تلك الشهوات التي تصعد من الأسفل إلى الأعلى التي تذل عظمتها، وتدنس حسن جمالها. فعندما يحاربك الجسد باحتياجاته أو بجوع الشهوة في أي وقت كان، يجب أن تنتصر عليه بالاحتمال. فعندما تُولد فيك جوعاً آخر ضد الجوع (الطبيعي). وترد فكرك من التفكير بالجوع الجسدي إلى التأمل والتحدث مع الله. فحينئذ تستطيع أن تنتصر على هوى الجوع.

فإن كان الجوع الطبيعي يستحوذ على كل منا، لكنّا جميعاً نجوع في نفس الوقت أو أقل بقليل أو أكثر بقليل. وبما أنه من هوى الشهوة يتولد الجوع أيضاً لذلك

نجوع بأوقات مختلفة. فمن هو الذي لا يعرف بأن الجوع الذي يحدث في أول اليوم أو في الساعة التاسعة أو لربما حتى الذي يحدث في الثانية عشرة أيضاً ليس جوعاً طبيعياً. لأنه كما قلت إن الجوع الطبيعي هو خلو الشرايين من قوة الطعام. كما يتضح بالأكثر بأن الجوع الذي يُنتصر عليه بقوة الاحتمال ليس جوعاً طبيعياً. وإن كان جوعاً طبيعياً فإنه يجب هنا أيضاً أن نحتمل لأن مسلكنا هو فوق الطبيعة، وصراعنا هو ضد الطبيعة. فإن الحياة البشرية التي فينا ليست أهواء طبيعية، ولكنها حتى ولو كانت طبيعية فإنه من أجل الحق يجب أن نصارع حتى ضد الحياة البشرية. وقد جعل لهذه الأمور حدود. فإنه إلى حد الموت لنا صراع من أجل البر ضد هذه الشهوات. أما الصراع لأجل الإيمان فإنه إزاء الحياة الطبيعة. ألم نأمر من قبل فادينا أن نحتمل من أجل أعمال البر وأن نقتل أنفسنا بإرادتنا من أجلها ؟ فعلاً من أجل الحق قد أمرنا أن نموت. فإذاً يجب أيضاً في الأعمال التي هي دون الإيمان أن نتصارع ضد كل حاجات الطبيعة. أما من أجل الحق فيجب أن نتصارع ضد الحياة الطبيعية. فقاوم هوى جوعك عندما تستيقظ عليك هذه الشهوة. وأعدد كل أفكارك لمحاربتها. فإنها إن هزمت من قبل واحدة من هذه الأفكار فسوف تهزم من الكل. وكيف لا تهزم (الشهوة) من قوة كل هذه الأفكار الكثيرة. وهي تندحر أمام حركة واحدة حية لأجل الله. وإن كانت (الحركة) سليمة ومن قِبَل طبع سليم وقوي. فلتكن فينا هذه الحركة. فإنه من قوة اليد تكون قوة الحجرة المقذوفة منها. ومن قوة القوس تكون قوة السهم الذي رمي منه. ومن قوة وسلامة النفس تكون قوة الحركة المرسلة منها لتحارب الشهوة. فلا تستطيع الشهوة أن تصمد أمامها ولو كانت هذه الشهوة قد سيطرت علينا زمناً طويلاً. وعلى هذا المثال أيضاً الحاجة، فانظر إلى الاحتياجات، فإنه يوجد اختلاف فيما بينها. لأنه يوجد احتياج للشهوة، ويوجد من أجل الصحة. يوجد احتياج من أجل القوة، ويوجد من أجل الحياة. فلنترك الاحتياجات الأولى ونستخدم الاحتياج الأخير. فإن أجبرنا على إتمام الحاجة فلا تكون هذه الحاجة، حاجة الشهوة ولا حاجة الصحة، ولا حاجة القوة بل حاجة الحياة. فكما تعلمنا من شهادة الصالحين الأولين. بأنه ولا واحدة من هذه الحاجات

الثلاث كانوا يتممون. بل منهم من كان يصبر ويصوم أربعين يوماً ومـــنهم ثلاثـــة أسابيع. ويفعلون كل ذلك من أجل المحافظة على الحياة فقط. كما نرى هذا الأمـــر أيضاً في نهاية صوم فادينا عندما أعطى جوابه لإبليس " **مكتوب أنه ليس بـــالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان** "[1]. وهكـــذا قـــال يحيا ولم يقل من أجل أن يصح أو يتقوى أو يتمم حاجة الشهوة. فهذه الكلمة صغيرة بقراءتها ولكنه يظهر فيها تمييز كبير. فقد علمنا من خلال هذه الكلمة (ليس بـــالخبز وحده يحيا الإنسان) إنه من أجل أن نحيا يجب أن نأكل. وليس من أجل الـــشهوة أو من أجل القوة، أو من أجل الصحة. لأن مثل هذه الحياة (في الشهوة وغيرها) تغـــدو سلسلة من الأمراض يكون فيها الإنسان ضعيفاً داخل العـــالم. فكمـــا أن الـــشخص المصاب بمرض صعب في جسده : أي في الأعضاء التي فيها يتقبل الأطعمة، فإن الأطعمة التي يتناولها تكون مغذية لمرضه وليست لإنعاش المريض. كذلك الأمـــر بالنسبة للذي يتغذى من أجل الشهوة فيكون طعامه غذاءً لشهوته ولـــيس للمحافظـــة على حياته. ومعروف إن الذي يأكل من أجل الشهوة يولد الشهوات. لأنه كطبيعـــة الأرض يكون طعم الأشجار التي تنمو فيها. فلا تأكل أنت كالعبد لكن تغذ كالإنسان الحر. ولا يكون طعامك لغيرك بل لك. وبدل أن تخدم وتتعبد لشهوتك، أخدم نفسك. فمن هو ذاك المليء حماقة الذي ينقص من فمه ويجعله في فم الآخر، ويا ليته يكون محباً بل هو عدو ومحارب لحياتك المستقيمة. فالشهوة ليس فيها قوة لكي تـــستعبدك لكنها من قوتك تأخذ قوة لتخضعك. فلا تدعها تأخذ من قوتك لكـــي تتـــصارع بهـــا ضدك، ولا تلبس عدوك السلاح الذي به تحاربه. لا تنقسم على ذاتك، أي لا تصبح بكُلّيتك مع عدوك. وتعود فتتصارع ضد نفسك. فإن هذه الشهوة هي مرض إن كنت تشاء ولكنها ليست كذلك في الأصل. فإنها من دونك لا توجد. فإن أوجـــدتها أنـــت فلأنك أضعف منها. فإنها وإن ابتدأت منك لكنها ستأخذ منك قوة وتقوى بها عليـــك. كمثل الإله على العبيد هكذا أنت إله على شهوتك. وكإرادة الخالق يكون المخلـــوق فإن أراد أن لا يوجدوا، (فلن يوجدوا) هكذا بإرادتك توجد شهواتك وبإرادتك تنتهـــي

[1] تث 8: 3 - لو 4: 4

إلى لا شيء. فالله دعا الأمور غير الموجودة كأنهم موجودة. هكذا أنت بإرادتك توجد الشهوات غير الموجودة لتصبح موجودة. ينظر الله في كل الأشياء فتصير كِلا شيء، هكذا بإرادتك تنظر لكل الأهواء ففي الحال تختفي وتنتهي إلى لا شيء. فإن أردت فإنهم أهواؤك وإن لم ترد فهي ليست لك. منك تنمو أسباب شهوتك ومنك تصدر أسباب إبطالها. فإن كنت تحيا لها فأنت ميت بها، وإن كانت الشهوة تعيش بك فقد أماتت حياتك مع الله. فإن يحيا الإنسان مع الله ومع الشهوة فهذا غير ممكن ؟!. كما إنه لا يمكن أن يحيا مع إبليس ومع المسيح !. فشهوة الجسد هي ضد الإنسان الروحي، كما إن إبليس هو ضد كيانك كله. فالميول الحسنة تنبع من النفس بمساعدة النعمة. وأما الشهوات السيئة فسببها الجسد، بتشجيع من الشيطان.

فانتصر على من يجب أن تنتصر عليه ولتنتصر بك من لها النصرة (النفس). تصارع وانتصر على الشهوة الأولى فيسهل عليك بعد ذلك أن تنتصر على باقي الشهوات. فإن انتصرت عليك واحدة منها فكم بالأكثر ستنتصر عليك باقي الشهوات مجتمعةً. فإنه ولو اجتمعت عليك كل الشهوات فهي ما تزال بعد ضعيفة فكم تضعف بالأكثر عندما تنتصر عليها الواحدة تلو الأخرى بالصبر والاحتمال. كما يجب عليك أن تفصلهم الواحدة عن الأخرى لكي يسهل عليك الانتصار عليها. فعندما تريد الشهوات أن تجتمع سوية على احتمالك فلا تعطيها ما تريده، وتقف لمحاربتها سوية. بل فرقها كل واحدة عن الأخرى وتصارع مع كل واحدة منها على حِدا وعندها ستنال الانتصار عليها. فلا تعطها أن تكمل فيك إرادتها، ليس فقط بالانتصار عليك، بل في أن تأتي عليك مجتمعة. فها إنه بمجيئها سوية يظهر ضعفها، فإن كان باجتماعها يظهر لك عجزها، فكم بالأكثر يظهر ضعفها العميق عند مجيء كل واحدة منهم على حدا.

لكن انتبه للشهوة الصالحة الموجودة بك والتي تتوق للحياة وتشتاق للنعم. وتشتهي شهوة سليمة لا شهوة هدامة. فالشهوة الهدامة هي موضوعة للهلاك. وبسهولة يستطيع الذي يشاء أن يهدمها بقوة الاحتمال. أما الشهوة الصالحة فإنه عندما يظن أعداؤها بأنهم سينتصرون عليها فإنها عن ثباتها الحقيقي لا تنفصل. وإن

ظُن بأنه يمكن الانتصار عليها فإنه لم يُنتصر عليها بل إنها قد أبعدت منهـا فكـر لا يليق بها، هذا الفكر الذي وهو متحد بها كان يحارب الشهوة الرديئة.

فجيد لنا أن ننتصر على كل الشهوات وبالأخص على الشهوة الأولى هـذه. فإنه عندما ننتصر عليها سنسكب قوة الانتصار على باقي الشهوات الأخرى. فإذا ما تُغلبت هذه الشهوة منا فإن باقي الشهوات أيضاً سيصيبها العجز من بعدها. وهكـذا كلما نرى عظم عملنا والذي من خلال انتصارنا على شهوة واحدة قد انتصرنا على باقي الشهوات الكثيرة، نتشجع في عملنا هذا. لأنه إن تهاونا لن نهـزم فـي هـذه المعركة فقط بل سنهزم في باقي المعارك التي ستلي هـذه المعركـة. فإنـه كمـا بانتصارنا الأول ننتصر في باقي الحروب، هكذا بهزيمتنا في المرة الأولى سـننهزم في باقي المرات أيضاً. فيجب علينا أن نكون من المنتصرين فـي كـل حـين لأن الانتصار هو من طبيعتنا، أما العجز فهو خارج عن طبيعتنا، تسببه إرادتنا وأغـواء إبليس.

فلنسلم إرادتنا إلى إرادة الله خالقنا الذي سيقيمنا منتصرين دائماً في حربنـا. ولا نُخجل الملك الذي اختارنا لنكون منتصرين، فيلام بأنه اختار فعلـة متكاسـلين ومزجهم بشعبه، فإن هزيمتنا تظهر عدم معرفة الذي اختارنا فلنكن منتصرين لكـي لا يعتبر الحكيم ساذجاً.

فتأمل بحربك كلما ضايقتك شهوة البطن هذه، وانظر بأي الأفكار يمكـن أن تُهزم. وبهذه العادة كلما وجهت ضدك هذه الشهوة حرباً، توجه أنت ضـدها بهـذه الأفكار. وهكذا من بعد الانتصار ستقابلك فرحة الانتصار. لأنه كلما كنت قلقاً بسبب هيجان الشهوة فلن تشعر بطعم حلاوة الانتصار، ولكن بعد قليل أي عندما سـتلبس سلاح الاحتمال وتخرج من الحرب منتصراً عندئذ ستلاقيك فرحة الانتصار. لأنـه لا يمكن أن تصادفك الراحة بهذا العالم إلا عندما تتولد هذه الراحة من بعد التعـب. ولا تستطيع أن تحصل على غلال، والزرع ما يزال في يدك. لكـن عنـدما تلقـي الزرع فعندها تستطيع أن تجمع الغلال. وأيضاً عندما لا تزال في الحرب ولم تظهر

بعد لمن هي النصرة لن يذاع ظفرك في المدن، لكن بعد انتهاء الحرب وبيان الانتصار عندئذ سيذاع خبر نصرتك في كل الأماكن. فخذ لك كمثل هذه الأمثلة في حربك الروحية التي تخوضه. فإن اضطربت في وقت الحرب فأعلم بأن هذا لائق لك وإن تعبت وعرقت فإن هذه الأمور تابعة لعملك. فإن كان حرباً فالحرب تعب، وإن كان جهاداً فإنه بتعب وعرق يدخله الذين يسعون للدخول فيه.

فأنت لا تنظر للأمور القريبة، لكن اسبق وتأمل في الراحة من بعد الضيقات. ولا يربط عقلك في الجسد لكن أسعَ وأنظر لما هو عتيد. فتقوي بذكر الانتصار الأعضاء التي ما تزال قائمة في الحرب. فأنت روحاني وحربك هي مع شهوة الجسد، فعار للروحاني أن يهزم من الجسد. وخزي للمدعو إلى السماء أن تحاربه شهوة البطن وتنتصر عليه. فإن كنت قد أعطيت بالنعمة أن تنتصر على الرئاسات والسلاطين الروحية أي تلك القوات والجند المضادة لنا، فكم يجب عليك بالأحرى أن تنتصر على (شهوة) البطن. فها إن شكلك يظهر هذا الأمر، وتدبيرك يأذن لك بأن تنتصر على القوى التي تقف ضدك. فمن الذي لا يهزأ بذلك الذي قد أعد لهذه الأمور عندما يجده قد هزم من قبل (شهوة) البطن. وخصوصاً عندما لا تكون حاجة الحياة هي التي قد أجبرتك على الأكل إنما شهوة بطنك التي تتولد من ضعف إرادتك. فالطفل (الشهوة) الذي ولد منك، ثار حرباً ضدك وهزئ بك. ويا ليته كان قوياً بل ما يزال طفلاً وولداً. ومن السهل عليك أن تسحقه تحت عقبك. فانظر كيف إن الروح أيضاً تنصحك : " **طوبى لم يمسك أطفالك (بابل) ويضرب بهم الصخرة** "[1]. جيد تسمية هذه الأهواء أولاداً في كلام النبوة وذلك لكي تُظهر ضعفها ولكي تشجعك للانتصار عليها. ولم تقل بأنها أولادك لكي لا تهينك بأنك قد ولدت مثل هؤلاء الأولاد. بل دعتها أولاد بابل أي الذين يولدوا من العبودية وليس من الحرية. لأن الأم التي تلد الشهوات هي العبودية. وقد مثلتها كامات النبوة ببابل الناهبة. لأنها تخطف مثل الناهبة قوة الإنسان الروحي وغناه.

[1] مز 137: 9

إذاً في الوقت الذي تمتزج فيه الشهوة مع الجوع لمحاربتك، أمزج أنت أيضاً أفكارك مع النعمة وقم للصلاة كمن يستهين بتلك الشهوة. حتى لا تلتفت بذهنك لها. وأقول أيضاً وإن كان أمراً عظيماً أن تحارب وتنتصر، إلا أن انتصارك ما يزال قاصراً، لأنك احتجت لأن تحارب لكي تنتصر على شهوة البطن. تلك التي يجب أن تكون مستصغرة ومحتقرة في عينيك، حتى أن فكرك يجب أن لا يلتفت إليها. بل تستهين بها كما يستهين القوي بالضعيف، وكالجبار والعظيم بالمحتقر والمهان. فهذه هي عادة المجاهدين الأقوياء فإنهم عندما يرون إن الضعفاء يأتون ليحاربونهم يستخفون ويستهزئون بقدومهم. كما كُتِب على ذاك الجبار الكافر الذي كان يفتخر بقوة جسده فعندما شاهد داود استهزأ به. فإن كان ذاك المتكل على جسده قد استهزأ كل هذا الاستهزاء بداود. فكيف أنت بقوة الروح التي بك لا تستهين وتستخف بشهوة البطن. فهذه الشهوة لا تنتصر إلا على الرضع والأطفال والأولاد، الذين عندما تجبرهم هذه الشهوة بحاجة الطعام يركضون إلى والديهم طالبين منهم حاجتهم وهم لم يصلوا بعد إلى مستوى الذي به يتولد فيهم الصبر من ذواتهم. أما أنت فقد وصلت إلى مستوى الرجولة. وقد تجلى لك احتمال نفسك إذا رغبت في استخدامه، فلماذا تغلب من البطن كالطفل. وتصبح أضحوكة ويستهزأ بك هوى الطفولة. فإنه بنفس المستوى الذي تنتصر به شهوة البطن على الأطفال، تستطيع أن تنتصر به عليها. وإذا كانت الطفولة مغلوبة بسبب ضعفها، فأنت لإكمال قامتك ترافقك النصرة. فأفهم من هذا ضعف شهوة البطن، إذ إن حربها هو على مستوى الأطفال. أما باقي الشهوات فبعد اكتمالها تتجدد عليها. أما شهوة البطن فتتحرك في الطفولة وذلك بسبب ضعفها تتحارب مع الأطفال. ولكنها عندما تأتي لمحاربتك فهي تأتي لاختبارك وليس للانتصار عليك. فانتصر أنت عليها بقوة احتمالك وإن لم يكن انتصارك عليها بالشيء العظيم لأنها حرب للأطفال. ولكن ليس كضعفها يكون ضعف المساعدة التي تتولد منها، فلكونها بسيطة ومستحقرة إذا هُزمت فهذا ليس شيئاً عجيباً بقدر ما هو فتح بابٍ أمام كل الفضائل لتنتصر على الأهواء. وعندما

تشاهد بقية الشهوات ذلك تضعف ولا تتقدم لمحاربتنا. وإن اقتربت فبخوف ورعدة وهكذا يكون تقدمها بضعف وليس بكل قوتها، لأن الخوف يقلل وينقص من القوة.

فحارب إذاً أيها التلميذ وانتصر كالجبار، وتكلل بجدارة كالرجل الشجاع. فلا تخطئ فأنت لم تُختر لذلك، لا تسقط لأنه ليس لذلك أُخترت. لا تستسلم لأنه يوجد يد قوية معك، فيد المسيح هي معك بكل الحروب التي تخوضها، وإذا ما كنت تشعر بتلك اليمين التي تسند يمينك، وبالذراع القوية التي تمسك بذراعك الضعيفة. وبما أنه واجب علي أن أعلمك الأشكال الأولية لهذا الانتصار فاسمع ما أقوله لك : لا تحسبه انتصاراً ذاك الذي يكون على شهوة الأطعمة الدسمة والفاخرة فقط، بل احسبه انتصاراً أعظم عندما تنتصر على الأطعمة البسيطة والخفيفة. فليس عن أكل اللحم وشرب الخمر فقط يجب أن يبتعد التلميذ، بل عن كل ما يشتهيه. فالحرب ليست ضد الطعام بل ضد الشهوة. فإن كنت تحارب ضد الطعام فإنه عندما تنتصر على نوع منه سوف يحاربك نوع آخر. أما إن كنت تحارب ضد الشهوة فإنه بمحاربتك الواحدة تنتصر على الكثيرين. ومع ذلك فهناك أطعمة تُظهر نفسها (تشجع على تناولها) إذا أراد المتوحد أو الراهب أن يتناولها، وهنا تساعدك في حربك الخجل من الكثيرين وقد تمتنع أحياناً عديدة بسبب خجلك ممن يروك فلا تأكل منها. ولأنه قد صار لك مساعد من الخارج فإن انتصارك بسيط. ولكن أنت كحكيم بالمكاسب وحاذق بالفوائد حارب ضد هذه الأطعمة التي تثير الشهوة وأقم حرب ضدها وباختصار ليكن لك هنا عزم بأن لا تفكر بكل ما يوضع على مائدتك وتنظر له عينك وتشتهيه، بل قل لبطنك كمتسلط عليه : بما أنك اشتهيته فلن تذوقيه. فعندما تتقبل منك هذا الناموس فإنها سوف تزهد باحتياجاتها ولا تعد تلقي عين الشهوة على الطعام. وسأقول لك شيئاً ربما يظن بأنه شيء غريب وليس كل إنسان يقبله. فقط قلة من الناس يفهمونه وهم بناء على هذه الأمور يجزمون. على أنه خير لك أن تأكل لحماً بدون شهوة، على أن تأكل أكلة العدس بشهوة. ولماذا ؟ لأنه بأكل اللحم لم يتولد لك هوى. لكن الأكلة البسيطة هذه قد سبقتها الشهوة. ونمت الأكلة من أجل الشهوة وليس من أجل الأكلة نفسها. أم هل نسيت ما قاله بولس ؟

" **لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر** "[1]. لكن انتبـه لـي هنا !. لا تأخذ هذه الكلمة الحرة لأكل اللحم، وتستخدمها لخدمـة شـهواتك. فهـذه الكلمات قد كتبت للأحرار. فإن اختبرت نفسك ووجدت إنها قائمة في قمـة حريـة المسيح، وأخضعت باحتمالك العبودية التي بك، فاستخدم هذه الكلمات، وإن شـعرت بأنك عندما تأكل كأنك لم تأكل وعندما تشرب لا تـستطعم بـشرابك، أي إن كنـت كميت تأكل فكل ما تشاء. لكن إن كنت تأكل كإنسان حي فانتبه لكي لا تستطعم لأن شعورك بطعم ما تأكله هو يشهد عليك بأن الشهوة ما تزال حية بك. لأنك من أجـل الطعام أكلت وليس من أجل حاجة الحياة. فبولس الرسول عندما وقف في قمة هـذه الحرية قال : " **لا يدين من لا يأكل من يأكل** "[2]. ولا الذي يأكل من أجـل الحريـة يزدري بالذي لا يأكل من أجل الناموس لأن الناموس هو الذي يقوده، لأنه ما يـزال عبد ولم يصل إلى الحرية الكاملة التي للمسيح.

فانظر إذاً ولا تظن نفسك بأنك قائم في أرض الحرية وأنت ما تزال عبـداً. وتأكل كل شيء وهو غير مسموح به لك فقد نبهك لذلك الرسول لكي لا تـضطرم بأفكار الحرية وأنت ما تزال عبداً. فإنه للحرية قد دعيتم يا إخوتي لكـن لا تكـون حريتكم لأجسادكم. فإن كنت عبداً فلا تقودك فقط النواميس الخارجة عنك بل أيـضاً نواميس إفرازك. فإن النواميس تَحفظ الخارج، لأسباب كثيرة : كالمشاهدة، والخوف والمجد ومحبة الإكرام والتقدير ولكي يربي أهواء أخرى ولكي يهزم الإنسان عـدوه ولكي يظهر نفسه أمام الآخرين الضعفاء الذين هم على مثال شروره. ويوجد الكثير من هذه الأسباب التي تحفظ الناموس الخارجي. أما أنت فليكن لك ناموس الإفـراز فإن اشتهيت شيئاً ما فأوقف نفسك ولا تستخدمه. فإنه بما أنك ما تزال تشتهي فأعلم بأنك مازلت عبداً. وعندما تشعر بعبوديتك هذه فأعلم بأنك بحاجة إلـى النـاموس. ومن هنا يجب عليك أن تحيط كل أفكارك بالناموس. وكل فكر يتحرك بك ويـشتهي شيئاً ما أوقفه أنت بمخافة الناموس. كما يجب عليك أن تتأمل بهذه الحركات سـواء

---

[1] 1 تيمو 4: 4

[2] رو 14: 3

كانت طبيعية أم شهوانية. فإن كانت طبيعية فأقمعها، وإن كانت شهوانية فاستأصلها. فلك السلطة أن تستأصل الشهوة وللحركات الطبيعية أن تقمعها وتمنعها. لأن الشهوة أيضاً من الطبيعة تأخذ حركتها. فهي تستعد وتنتظر الكيان ليتحرك (نحو الشهوة) فعندها تتحرك وتأخذ حركته وتجعلها لها. ثم تخرجها وتعطيها لإرادتك لكي تتممها بالفعل.

أما أنت فأفهم وكن مراقباً لأهوائك هل فيها شيء ممزوج من هذه الشهوة. وقل إنني أقبل ما هو طبيعي من أجل سد احتياجاته من الجوع، أما الذي للشهوة فهذا أمنعه لكي لا أخطئ بسببه. فانتصر إذاً على الأطعمة النباتية لكي تنتصر بها على شهوة الزنى. لا يجذبك الطعام البسيط لكي لا تهيج هذا الكيان البهي. ازدر بالأطعمة البسيطة لكي لا تجتمع عليك شهوة الأطعمة الدسمة. فالشهوة لا تقدم لك شيئاً إلا ما (يناسب) تدبيرك. ولأنك مبتعد عن أطعمة العالم : أي عن الأطعمة الشهية، وعن أكل اللحم وشرب الخمور النقية. فلذلك اترك هذه الأمور لعلمك بأنها بعيدة عنك كثيراً. ولا يمكنها أن تقترب منك وتتناول منها بسبب نذورك. وهي ممنوعة عنك بحسب العادة والناموس والمسكن والتدبير. فعندما ترى الشهوة إنه يوجد ما يقف ضدها تترك تلك الحرب وتذهب لتحارب حروباً أخرى، ألا وهي الأطعمة العادية، كشهوة أكل الحبوب وشهوة الأطعمة النباتية والسوائل الباردة بدل شرب الخمر النقي. أي تحاربك بالأمور التي تظن نفسك بأنك لن تلام كثيراً بأكلها. فكلما كانت الأطعمة بسيطة كلما كان هذا سبب للشهوة لكي تحرضك على أكلها : كُل فإنك لا تلام، اشرب فإنك لن تذم، إن هذه الأشياء هي من الاحتياجات الضرورية، ولا يجب عليك أن تمتنع عن الاحتياجات وخصوصاً في المساء. وإن كنت صائماً لمدة يومين فتقول لك كل ما وضع أمامك، كل إلى أن تشبع ليتقوى جسدك ليستطيع أن يحمل عبء الأعمال. فتتخذ من الأمور الصالحة سبباً لتتصحك بالرخاوة، وذلك لأنها قد رأتك مراراً كثيرة تضطرب عندما تتصحك بالرخاوة بشكل علني. أما أنت فلا تنخدع بهذه الأمور ولا حتى بالشكل. ولا تستخف ببساطة هذا الأطعمة ولا تظن بأن الطعام نفسه هو المذموم بل يذم عندما يأكله الإنسان

بشهوة. فإن أكل الإنسان اللحم أو الأطعمة النباتية بشهوة فقد صار النوعان متماثلين ومذمومين لأن الشهوة هي التي أكلتهما. فليست الثمرة التي أكلتها حواء هي التي ولدت الموت بل اشتهاء الثمرة هو الذي ولد الموت. فلو حفظت الناموس ولم تأكل منها حينذاك بشهوة فإنها كانت ستأكل منها بعد ذلك مهما شاءت دون أن تلام، ولو كانت قد تقدمت منها ببساطة كباقي الأشجار ولما حدث شيء لكنه مكتوب بأنها **اشتهت ثم أكلت لذلك أخطأت** [1]. فما هو نوع تلك الثمرة حتى تولد الموت !!! ها إن الكثيرين وحتى الكتاب أيضاً نادراً ما يشير إلى أن تلك الثمرة هي ثمرة التين وطبيعة التين كما هو معروف لا تسبب الموت. فإذاً الشهوة هي التي ولدت الموت وهي التي تولده في كل الأجيال وفي كل الناس. فأصل الموت هو الشهوة، وأصل الشهوة هو الزواج ولذلك كل الذين يولدون بالزواج يولدون بشهوة ويكونون خاضعين للموت. إلا واحد لم يولد بالزواج ولذلك كان متحرراً حتى من حركات الشهوة. ولهذا وجد أسمى من طبيعة الموت وإذ كان قد قبل الموت فذاك ليس موتاً طبيعياً بل إرادياً.

فإذاً ليس الطعام بطبعه ملام، لكن عندما تأكله الشهوة حينئذ يكون ملاماً. وتلك الأطعمة التي ميزت عن الأخرى في الناموس لهذا السبب بعينه قد مُيزت ووضعت لليهود. وذلك ليعلمهم بأن يضبطوا شهواتهم بأشياء وأشياء. فأن يوقفهم بواسطة الناموس من كل الأطعمة فهذا الأمر صعب جداً عليهم ولن يقبلوا به. وأن يتركهم ولا يمنعهم عن أي نوع من الأطعمة فإنهم كانوا سيتصرفون كالحيوانات التي لا تميز الشهوات وليس لها أن تتعلم. فجيد للإنسان العاقل أن ينتصر على شهوته ولذلك سمح للناس بأن يأكلوا بسبب ضعفهم، وأوقفهم عن تناول الكثير من الأطعمة. وذلك لكي يظهر تمييز عقولهم ويتعلموا أن يضبطوا شهواتهم. ولأنه إرادياً لن يرضوا أن يحاربوا الشهوة لذلك دنس الأطعمة الأولى. فلأجل نجاستها يمتنعون عن أكلها. أما بالنسبة لك فلم يصنع هكذا بل طهر وقدس كل شيء كما هو مكتوب " **لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس**

[1] تك 3: 6

بكلمة الله والصلاة " [1]. ولكي يظهر من هنا صبر تمييزك أي إنه ليس لأجل نجاستها تمتنع عن أكلها بل لأنه قيل " **حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب شيئاً يصطدم به أخوك أو يضعف** " [2]. وأيضاً لكي تنتصر على الشهوة بإرادتك وليس بسبب نجاسة تلك المأكولات. وبما أن الشهوة لا تتحرك ضد ما هو نجس بطبيعته. لذلك قدس كل شيء لكي تظهر من كل الجوانب الأشياء التي توقظ شهوتك. (ومع ذلك) فأنت تستطيع أن تنتصر على جميعها بمحبة الله. ولكي تظهر بأنك صبور، عليك أن تميز الأطعمة، فكلُ ما تشتهيه ليكن لك نجساً. وكل ما تقترب له بدون شهوة من أجل الحاجة فكل منه بلا ملامة. وهكذا فالناموس الذي يوقفك ويعلمك ليس هو خارجي منك كأولئك (اليهود) بل هو مكتوب على قلبك ويشهد عليه ضميرك، وهو معلن لك فقط بينما لا يرى من قبل الآخرين. حتى إن حريتك ليست كالناموس بحيث توقفك من أن تأكل. بل هي أعلى من الناموس لذلك سيان عندك أكلت أم لم تأكل، كقول الرسول بولس عن حرية الروح هذه " **الذي يهتم لليوم فللرب يهتم والذي لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم. والذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله** " [3]. فهكذا الحرية لها أن نأكل أو أن لا نأكل لذلك وبما أن (الرسول) لم يميز لنا أطعمة من الناموس لنأكلها. فعلينا نحن أن نميز الأطعمة، كتلك التي بشهوة أو بدون شهوة. فالشيء الذي نشتهيه نبتعد عن أكله وكأنه نجس إن كان بسيطاً أو دسماً، وإن كان يؤكل بشكل اعتيادي فحسن وإلا فالشيء الذي لا نشتهيه نأكله كطعام طاهر بحيث لا يؤنبنا ضميرنا، فإن تأنيب الضمير يدل على مخالفة الناموس كقول الرسول : " **إن الذي يشك ويأكل فهو مجرم** " [4]. فاليهود أكلوا اللحم في البرية فكتب عنهم " **وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن يقطع حمي غضب الرب على الشعب** " [5]. ليس لأنه أكلوا اللحم بل لأنهم طلبوا أكله بشهوة. لأنه لو

---

[1] تيمو 4: 4 – 5

[2] رو 14: 21

[3] رو 14: 6

[4] كور 11: 27 – 29

[5] عد 11: 33

كان أكل اللحم وحده فيه غضب، لكان حل مثل هذا العقاب بالكهنة الذين يأكلون اللحم بشكل دائم في الهيكل. ولكانوا استحقوا مثل هذا العقاب. لكن لم يرد في أي مكان أن غضباً مثل هذا تسلط عليهم بسبب أكل اللحم. إلا في هذا المكان فقط الذي طلبوا فيه أن يأكلوا اللحم بشهوة. كما يشهد عليهم داود قائلاً : " **بل اشتهوا شهوة في البرية وجربوا الله في القفر فأعطاهم سؤلهم وأرسل هزلاً في أنفسهم** "[1]. وفي المكان الذي طلبوا فيه اللحم مكتوب " **فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع** "[2]. " **وموسى عندما رآهم يشتهون وقد تنجسوا بشهوتهم قال لهم " تقدسوا للغد فتأكلون لحماً** "[3]. وكأنه يقول لهم بما إنكم قد دنستم أنفسكم بشهواتكم ولأن نعم الله لا تقترب من الدنسين لذلك تقدسوا لكي تستحقوا أن " **تأكلوا اللحم لا يوم ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً بل شهر من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرب الذي في وسطكم** "[4] وقلتم من يطعمنا لحماً. إذاً فكل من أكل بشهوة من اليهود بحسب كلام موسى فقد رفض الرب واتكل على إرادة شهوته، فجيد أنه وضع حداً لتخمة تلك الأكلة التي طلبت بشهوة. إذاً فمن أجل الحاجة وضع حداً، لكن لا يوجد للشهوة حدود وتخوم. أفهم من جانب آخر لأنهم اشتهوا أخطئوا، وليس بسبب أكل اللحم. فها إن أيليا عندما لم يطلب بشهوة كانت الغربان تطعمه لحماً وخبزاً في الصباح والمساء وكان يشرب الماء من الوادي. فإذ كان الله يرسل لحماً للنبي ليأكل، كان هو بحكم حريته يتقبلها كأكلة نباتية. وأيضاً بصورة أخرى ظهرت بأن الشهوة هي الملامة. فإنه في كل صباح " **كانوا يلتقطونه صباحاً، فصباحاً كل واحد على حسب أكله** "[5] فكلما كانوا يسيرون بحسب الوصية

---

[1] مز 106: 14

[2] خر 16: 3

[3] عد 11: 18

[4] عد 11: 19 – 20

[5] خر 16: 21

لم يلاموا أو يخطئوا. لكن عندما اشتهوا أن يلتقطوا أكثر من الحاجة أفسده الدود ونتن، وذلك لإخجال شهوة ملتقطيه. وعندما كانوا يأكلونه كان طعمه يتغير في أفواههم إلى أنواع المأكولات فإذاً كان معروفاً بأن طعم اللحم كان حقيقياً لأنه مكتوب " **وكان طعمه كطعم قطائف بزيت** " [1]. وإذاً كانت طعمته تتغير وتتحول إلى كل هذه الأنواع ومع ذلك لم يخطأ أولئك الذين كانوا يأكلونه لأن ذلك كان نعمة لهم وليست طلبة شهواتهم. ولتفهم أن كل ما يأكل بشهوة هو الملام حتى إن كان بسيطاً. وضع أيضاً أمامك هذين الأمرين أكلة عيسو وأكلة إيليا فعيسو من أجل أكلة عدس أخطأ ولذلك دعاه الرسول بولس زانياً ومستبيحاً " **لئلا يكون أحد زانياً ومستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته** " [2] وإيليا بالرغم من أكله للحم كان طاهراً وقديساً وروحانياً ولذلك كروحاني أنتقل إلى أرض الروحيين. إذاً من هذه الدلائل التي لإيليا وعيسو تعلّم بأن الشهوة هي التي تجلب الخطأ وليس الأكل. فهل تريد أن تأكل كل شيء ولا تكون مخطئاً، فكن أرفع من الشهوة وكل ما تشاء. ولكن إن لم تكن أرفع من الشهوة فكل ما ستأكله ستخطأ به وإن كان بسيطاً. وكما أخطأت حواء بأكلها الثمرة، وذم اليهود بقطف المن، وأذنب عيسو بأكل العدس، وضل الشعب عندما أكل وشرب بشهوة أمام العجل. بل حتى شرب الماء البارد يذم إن شرب بشهوة وبرهن عليه داود الحكيم وذلك عندما اشتهى أن يشرب من ماء بئر بيت لحم " **فتأوه داود وقال من يسقني ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب فشق الأبطال الثلاثة محلة الفلسطينيين واستقوا ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب وحملوه وأتوا به إلى داود فلم يشأ أن يشربه بل سكبه للرب** " [3]. وكأنه بصورة الماء طرح الشهوة التي به. فطبيعة الماء لم تكن لتجعله يخطئ بل طريقة استخدامه للشرب. وليس لأنه كان بارداً ولذيذاً بل لأنه شعر بنفسه بأنه طلبه بشهوة. فتغلب

[1] عد 11: 7
[2] عب 12: 16
[3] 2 صمو 12: 16

على شهوته ولم يلبِ طلبها. وأيضاً ليغم أولئك الذين خضعوا لشهوته إذ رد علـيهم فضلهم، ليعلمنا جميعاً بأن لا نخضع للشهوة ولا نبتسم للذين يخدمون شهواتنا.

كما إن الله سمح لنوح أن يأكل كل شيء كعشب الحقل. وإذ أخطأ آدم لأكله من الثمرة كان نوح كما بوعد النعمة مسلط ليأكل من كل الأطعمة. ولكـن عنـدما استخدمها بشهوة أخطأ هو أيضاً إذ تقبل طعم الخمر بشهوة، ولأنه شرب منه فـوق مستوى حاجته لذلك وقع تحت اللوم. فالله سمح له أن يأكل كل ما تشتهيه نفـسه وإذ كانت الأطعمة الدسمة تعطى للمختارين : فلنوح أعطيت له بوعد، وإيليا أرسلت لـه عن طريق النعمة، وإبراهيم بها استضاف الله وملائكته، وأسحق بـشيخوخته فـرح بها وأعطى البكورية ليعقوب، وصموئيل سبق فاستضافه شاول كملك، وداود وكل الملوك الصالحين استخدموا مثل هذا الطعام. بالنـسبة لكـل الـصالحين الكثيـرين استخدموا مثل هذه الأطعمة ولم يلاموا بها لأنهم كانوا أعلى من مـستوى الـشهوة. ولم يكونوا يأكلون كعبيد لشهواتهم لكن كأحرار لهم سلطان بـأن يـستخدموا كـل الأشياء وإذ كانوا يأكلون كانوا يحسبون كالعظماء. والآخرون عندما كانوا يتناولون الأطعمة البسيطة كانوا يرفضون ويكرهون. وإذ كان بـولس ينـادي " **لا تـسكروا بالخمر** "[1] أي لا تثقلوا قلوبكم بالأطعمة وشرب الخمر فإنما كان ذلك ليعلمنا بـأن هذه الأطعمة تثقل القلب. لكن هم أكلوا ولم يُثقلوا وربما لذلك أكلوا ليظهـروا بـأن خفتهم هي أقوى من ثقله (الخمر). وذاك الذي يثقل القلب كانوا هـم يـزدادون بـه طهارة. والشيء الذي كان يثقل الجسد ويظلم الأفكار به كانت تستنير عقولهم. فلـم يكن لتحسب لهم شيء ذات أهمية إذ وهم صائمون أن يـصبحوا أطهـاراً وأنقيـاء وقديسين رغم تناولهم تلك الأطعمة التي تثقل القلب، أي بالأشياء التي هـي عكـس الطهارة يتطهرون، وكالأقوياء ينتصرون بالأشياء المضادة، وكالمتسلطين والأحرار لا يتأثرون بالأشياء المضرة.

[1] أف 5: 18

أما أنت (التلميذ) فلم تصل إلى هذا الحد، ولم تترفع لهذه المرتبة. ولذلك يلزمك أن تكون زاهداً بكل شيء. وتتغذى بمقدار، وتتطهر وتأكل وتشرب بالكيل والوزن. لأنه كما وعدت يجب أن تسعى وراء صفاء النفس. وأن تجتهد لتصل إلى شبه الملائكة، فإنه لن تستطيع أن تقف في حرية الروحانيين إلى أن تخلع عنك بالكامل عبودية الجسدين، ومتى خلعت عنك هذه العبودية كالروحانيين والأحرار، فعندها ستأكل كل شيء بدون أن تلام. لأن قلبك لن يُثقل بأكل اللحم ولن تظلم أفكارك بشرب الخمر " **كما ذكر عن الملائكة الذين أكلوا اللحم وشربوا الخمر في بيت إبراهيم** "[1]. ولم تُثقل أرواحهم من هذه الأطعمة وعلى مثالهم أيضاً أكل كل الصالحين المكتوبين في الكتاب ولم يثقلوا ولا يثخنوا لأنهم لم يأكلوا لشهواتهم، فكن غير شهواني وكل كالملائكة في بيت إبراهيم وكمثل جميع الأبرار في العهد القديم. وعندها لن تلام. كما إنه يجب عليك في هذه أيضاً أن تحفظ عفة تدبيرك لأن ذلك لائق بوعدك لأجل فائدة الآخرين. لأنه لا يجب أن نقترب إلى كل ما لنا عليه سلطان وحرية، وإن كانت الحرية متسلطة على كل شيء ولكن لا تستخدم في كل شيء، لكي لا تضيع حريتها. فالإنسان الحر ليس مقيداً بشهوة شيء ما وبهذه يظهر حريته سواء إذ له سلطان أن يفعل ما يشاء أو لا يفعله. وأيضاً يضاعف حريته ويحفظها لكي لا تضيع كما كتب عن هذه الحرية الرسول بولس : " **كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء توافق** "[2]. ولكي تعلم إن هناك غير هذه الأمور إلا أنه خص بالأكثر على هذا الشيء أي لنا الحرية في أن نأكل ولا نأكل. لذلك قال بعدها مباشرة " **الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وذاك** "[3].

فأحفظ إذاً أيها التلميذ ناموس النسك لكي تصل إلى سلطان الحرية. وأمنع نفسك ولا تأكل لكي تصل إلى تلك المرحلة التي حين تأكل فيها لا تشعر بأنك تأكل.

---

[1] تك 18: 8

[2] 1 كور 6: 12

[3] 1 كور 6: 13

كن متزهداً في طعامك بسلطان نفسك لكي تسحق الشهوات الممزوجة بأعضائك. لا تأكل لكي لا تخطئ، لا تشرب لكي لا تنسى. داوم على الصوم لكي بواسطته تصل إلى الصلاة الطاهرة. قلل من أكلك عندما تستطعم به لكي يحلق عقلك سريعاً نحو الله. حاسب جسدك على كل الأشياء الصغيرة لكي تستحق نفسك لغنى علم الإلهيات ولا يحاسبك ذاك الذي أظهر لك كنوز حكمته ومعرفته. أغمض عينيك قليلاً عن الشهوات، فستجد نفسك قد عبرت الطريق الضيقة. لأن زمن الآلام يعد صغيراً إذا ما قيس بذاك الزمان الذي لا توجد فيه آلام إذ لا نهاية له. لا تضعف في زمن الانتصار واخطف الحرب من الشهوة كمن يخطف كنزاً ما ليكون لنفسك عمل ما. لأنه كلما كان عمل الشهوة كاملاً بك فلن يوجد لنفسك عمل بك. وإذ هي فيك وكأنها ليست بك، لأنها خالية وباطلة من أعمالها الطبيعية. فاترك جسدك الذي يحرك بك شهواته وقم وسر وكن ضد شهواتك مثل الإنسان الذي لا عمل له فوجد له عملاً. وقل لنفسك لماذا أنت مضطربة يا نفسي ولماذا أنت حزينة هل لأنك بعيدة عن المكاسب ها قد وضع العمل بين يديك فاجتهدي به. ها إن الشهوة قد تهيأت لقتالك فأظهري شجاعتك ومهارتك وقوة ساعديك. ها إن المكاسب أمامك لأنك تحبينها. ها إن الأعداء قد اجتمعوا في ساحة الحرب فاهجمي عليهم بصوتك القوي واصرخي وبددي قوى الشهوات التي لم تُوفق في هذا المكان بل مُنيت بالخسائر. أما أنتِ فكممجدة اجمعي المكاسب لكي تعلني انتصاراتك بالأكثر إذ في المكان الذي انهزم فيه الآخرين أنت انتصرت. ذلك إن الشهوة هي سبب لانهزام المتراخين أما أنتِ فلأنك مجتهدة فهي سبب لاكتسابك الفضائل.

فكالجبار المتكل على قوته والمعتمد على مهنته يفرح بقدوم الأعداء. هكذا أنت أيضاً أفرح بقدوم الشهوات لأنه من دونها سوف تبطل فضائلك ولن يكون لك فرص للحرب التي منها يولد النصر. فلتردد هذه الأقوال بينك وبين نفسك كلما ثارت عليك الشهوات وخصوصاً هذه الشهوة الحمقاء شهوة البطن. هذه التي اعتادت أن تنمو مع الطفولة، وهي تأتي منفردة لأنها تحب أن تظهر لوحدها، فتبدأ

بوضع أساس الرخاوة من بداية نمو القامة وعندما تضع لها هذا الأساس تبدأ في التواجد مع كل الشهوات وبكل المستويات لتكون مساعدة لها.

فهي الشهوة الأولى التي انتصرت على العالم، وبسببها كسرت الوصية الأولى. ولربما بسببها أيضاً قتل قايين أخاه ليرث الأرض وحده [1]. وأيضاً هي التي جعلت عيباً في نوح الصديق [2]. وهي التي اخلعت عن عيسو بكوريته وبركته [3]. وهي التي قدمت أعمال النجاسة لأهل سدوم [4]. وبمساعدتها أيضاً جعلت أبناء شيث يزنون [5]، وبسببها نبذتهم شركة الله. وهي التي أضاعت الشعب في البرية بعقوبات مختلفة فإنهم قاموا من مائدة الشهوة وسجدوا للعجل الميت [6]. وبإغرائها أنكروا كل النعم التي أعطيت لهم. لأن إسرائيل سمن ورفس بفعل هذا الشهوة إذ كتب عنهم "**رفض الإله الذي عمله**" [7] ولأن الكهنة شربوا وفسدوا في الأرض المقدسة واحترقت أجسادهم بالنار. كما إن النبي بسببها بكت الشعب وأعطى الويل للذين منذ الصباح يسعون نحوها (شهوة البطن) كما إن نبياً آخر ذمهم على هذه الشهوة بعينها إذ قال : يأكلون "**زبد من الغنم مع شحم خراف وكباش**" [8]. وبسببها أيضاً نال الويل الكتبة والفريسيون من فادينا "**ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقال الناموس**" [9] وهي التي جعلت الكهنة يأخذون بشكل غير عادل الجزية ممن كانوا يقربون قرابينهم. وهي التي خلعت الكهنوت من أبناء عالي الكاهن. وبسبب لذتها الزائدة جعلت حتى سليمان ينقاد إلى عبادة الأوثان. وهي اليوم التي قد أفسدت الجميع. وبسببها يشقى

[1] تك 4: 8

[2] تك 9: 21

[3] تك 27: 36

[4] تك 19: 5

[5] تك 6: 2

[6] عد 11،14،16،20،21

[7] تث 32: 15

[8] تث 32: 14

[9] مت 23: 23

العالم ومن أجل راحتها تتراكض الدنيا كلها. ولها يقدم كل البشر العبودية. فإن لم تكن هي بموجودة لما كانت كل هذه الأمور بموجودة لأن الباب كان سيقفل أمام كل الشرور.

فتش وانظر بمعرفة في سعي جميع الناس، وفي الأعمال والأتعاب وفي عَرَق كل الداخلين إلى العالم، فإن كل هذه الأمور تجري لأجلها فقط. ولأجلها ولأجل احتياجها يسير التجار في الطرقات، والبحارة في البحار المخيفة. والفلاحون والمزارعون يتحملون الأعمال والأتعاب. وأصحاب الصنائع في المدن. والأجراء يسعون إلى مكان عملهم والعبيد يخدمون أسيادهم والأسياد أيضاً يشترون ويقتنون العبيد. والكنوز التي تجمع من أجلها. والخزائن التي تحفظ لسنين، والذهب والفضة والثروات المختلفة لأجلها تجمع وتكدس. فاصعد وقف على قمة المعرفة وتأمل في العالم كله ومن هناك أنظر سعي واضطراب وتراكض وتجوال كل سكانه من كل الأطراف، وأنظر لأولئك الذين يصعدون وللآخرين النازلين. للذاهبين والقادمين. ولذاك الذي يصرخ والآخر الذي ينادي. الواحد الذي يغش والآخر الذي يتقاتل. وذاك الذي يخطف ما ليس له، والآخر الذي يسلب صاحبه. وواحد يسرق كالسارق والآخر كقاطع طريق يسرق من الطرق أقرباءه. والممالك التي تنقسم على نفسها. والرؤساء الذين يتمردون على الملوك. والملوك الذين يحاربون من أجل أن لا ينزع سلطانهم. والقضاة وهم يقبلون الرشوة. والمحامون عندما يربحون الدعاوى بالمكر. والتلاميذ الذين يتعلمون من أجلها. والمعلمون الذين لأجلها يدرسون. وعندما ترى كل هذه الأمور وأكثر منها. وكل الاضطرابات المختلفة التي تملأ العالم. عندئذ أرجع وأبحث عن سبب كل هذه الأشياء فستجد إنها لأجل شهوة البطن فقط. فلو إنها لم تنتصر لكان كل شيء ينعم بالهدوء، وما كنت ترى في العالم من يعصي أوامر الله. أو ما يقودنا لنعصي الوصايا وندوس الناموس. فإن قال أحدهم بأنه يوجد أهواء أخرى تتمم في العالم فليعلم بأن بداية كل هذه الشرور هي شهوة البطن. وإن كانت الأهواء كثيرة وواسعة وتتحرك بأشكال مختلفة في الناس. ومنها يضطرب العالم وتهيج الدنيا، لكن النبع الكبير الذي منه تنبع كل هذه الجداول وتجري لكل

الأطراف، هي هذه الشهوة. فإن قام شخص ما بطمر هذا النبع بقوة الاحتمال فإنه في الحال سوف تيبس كل جداوله الشريرة التي تنبع منه. ويعم الهدوء عليها. والسكون يشمل كل ذي جسد. وتفيض الراحة على كل الأماكن المضطربة. وتفعم الأفكار بالفرح والسعادة.

وباختصار إن لم تتواجد هذه الشهوة في الوسط فلن تجد الشر في العالم. لأن كل الشرور مجتمعة عندها. وكل الأعمال والأتعاب تسعى لأجلها. فبسببها ولد لن أن نأكل بعرق جبيننا. وبسببها نبتت الأشواك والحسك. وبزلتها حكم على الجميع بالموت. فيها رئاسة الجانب اليساري وبها ترتبط كل قوة الخطيئة. وكالرؤساء الذين يتقدمون الشعب عند الخروج إلى الحرب ضد الأعداء. هكذا تتقدم هي أمام كل الشرور لتحارب ضد الحسنات. وتساعدها في ذلك الأفكار والأعمال الشريرة، وكل حركات وأفعال الخطيئة وكل العادات السيئة تسير وراءها، وقد صارت لها كل أعمال الخطيئة كأعضاء تتقبل منها القوة وتتغذى منها. وكما ترتبط الأحاسيس بالإنسان. هكذا ترتبط بشهوة البطن كل من الضلالة وعبادة الأوثان والانقسامات والظنون والكذب. وعلى مثال الذي به تتقبل الأعضاء القوة والنمو من الجسد. هكذا تتقوى منها كل الشرور والتي هي : الزنى والفسق والأهواء الأخرى الهدامة وأمور اللبس والتلذذ الباطل لشهوة البطن والمجد الباطل والكبرياء والغضب وضجر الأفكار والكآبة والشر والكراهية، والعداوة والحقد والنفور والسخط والغيض والحسد والاضطراب والوجوه الماكرة والرياسة والسلطان والنميمة والوشاية واللسان الذي يتكلم دائماً في الظهر والهزئ والسخرية والظلم والغدر والقتل والذبح والسكر والضرب مع باقي الأهواء الشريرة التي على مثالها مجتمعة تكون مرتبطة مع شهوة البطن. هذا ولم أتكلم عن الأتعاب والضيقات والأمراض والأوجاع وما يشابهها من الآلام التي تألمناها جسدياً والتي علتها هي هذه الشهوة.

فالذي يتصارع بقوة احتماله وينتصر على هذه الشهوة السيئة فإنه بانتصاره هذا سوف ينتصر على كل خطيئة. وجيد أن أناساً لاهوتيين قد أسلموا لنا هذا الأمر، إنه من يرغب في الوصول إلى الكمال في طريق المسيح يجب أن يقاتل أولاً

ضد هذه الشهوة. إذاً فالذين يخرجون من العالم وراء الكمال إن لـم يبـدؤوا أولاً بالزهد فلا يكونون قد بدؤوا بشكل قانوني في طريق الوصـايا، حتـى إنهـم لـن يستطيعوا أن يكملوا لأن الشهوة سوف تسرقهم. وإن كـانوا فـي بدايـة طـريقهم يستخدمونها فإنها سوف تحضرهم إلى غشاوة العقل والأفكار الوهمية وإلى الـستارة القائمة أمام العقل لتظلمه عن رؤية الله. وتكثفه بـالأكثر، وإلـى أن تتمـزق هـذه الستارة من أمام أفكاره لا يستطيع أن ينظر إلى قدس أقداس علم المسيح. وإن كـان ذاك الإنسان يتحمل الأتعاب والضيقات فإنه إن لم يتمزق ستار كثافة قلبه فإن النور السماوي لن يظهر له. ولن يعمل تدبير المسيح بكل مشاعره، ولكن عندما يتمـزق هذا الستار حينئذ يبدأ الإنسان بالشعور بتجديد نفسه ويعرف مـن خـلال أفكارهـا (النفس) بأنه قد أصبح شيئاً آخر، خارجاً عن ما يمكن أن يُـرى أو يُلمـس. كمـا سيتقبل الأمور التي هي أعلى من الطبيعة والعجب والإثارة في الله. وسيتحرك فيـه إنسان حي مثله وليس ميتاً كطبيعة جسده. وباختصار من بعد أن ينتـصر الإنـسان على هذه الشهوة فإنه عند ذلك يستحق أن يشاهد كل المناظر الروحية.

فإن كان الذين يعملون في العالم بالاستقامة يلزمهم الصوم والزهد فكم يلزم بالأكثر الذين خرجوا من العالم شريطة السير في التدابير الروحية. وأما حـد هـذا الزهد فهو : أن نحارب ضد كل الأطعمة التي هي من احتياجات الـبطن. ولـيس باحتمال الأعضاء فقط بل أيضاً بثبات الأفكار. ولكن إن أجبر الإنسان على أن يأكل من أجل الحاجة فليأكل من الأطعمة البسيطة والخفيفة وليتغذَّ بالقليل منها.

ولننتبه من امتلاء البطن لأنه كمـا قـال أحـد المعلمـين الروحـانيين : " **لا تستطيع المعدة المتخمة أن تولد فكراً صائباً** " لأن التخمـة ولا شـك تعمـي البصيرة وهذا أمر لا يشك فيه أولئك الذين قد تمرسوا بالمعرفة. وإن شك الجهـلاء فلأنهم لم يتمرسوا بها. أو في حال معرفتهم يكون من الصعب علـيهم أن يمتنعـوا عن شهواتهم. إن هذه الشهادة الكاملة هي برهان لك على أنه كلما تغـذى الجـسد تضعف النفس، وكلما تكثف وأضاف جسداً على جـسده كلمـا ضـجرت الـنفس وتلاشت، وإذ هي موجودة تُحسب كأنها ليست بموجودة فيه. وكلما زاد الجسد قـوة

وجبروتاً على قامته كلما انكمشت قامة النفس وقلت أعضاؤها التي هي أفكارها وضجرت معرفتها ويمتنع عنها نور العلم. فإنه كلما وجد الجسد فالنفس تُهلك، وكلما كان الجسد صحيحاً فهي تكون مريضة. فالذي يريد أن يجد نفسه يهلك جسده ويسلمه إلى كل الضيقات. فوجود النفس مرتبط بهلاك الجسد. وصحة الإنسان الروحي هي في مرض الإنسان الجسدي كما يشهد بذلك الرسول بولس : " **لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي** "[1]. فإن كان هناك طرفان ضد بعضهم البعض فإنهما سوف يتصارعان، فإن كان الطرفان بنفس العدد وبنفس القدرة على الحرب فإن صراعهما سوف يستمر وسوف ينتصرا حيناً وينهزما حيناً آخر. وسوف يتبادلا النصرة الواحد من الآخر. وسوف يخطف الواحد الفضائل من الآخر، وأيضاً سوف يعيدانها لبعضهما البعض وبسبب تساويهم سوف يظل الصراع دائماً بينهما. فعلى هذا المثال هما الجسد والنفس بالنسبة لبعضهما البعض. وكما إن طبائعهما هي ضد بعضها البعض هكذا أيضاً إرادتهما وبهذا الصدد قال الرسول بولس : " **لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر** "[2]. وكلما هما قائمان في المستوى الواحد فإن الحرب بينهما ستظل قائمة دائماً. حيناً ينتصر الجسد وآخر تنتصر الروح. والذي يعاني من هذه الحرب ما يزال واقفاً في مكانه. فإنه وإن خطى ليسير بروحه إلى الأمام يرتبط به الجسد ويرجعه إلى الوراء. ويسحبه من ذاك المكان وينزله إلى أعماق الخطيئة، فإذا بهذا الصعود والنزول، والذهاب والإياب يظل الإنسان واقفاً في مكانه لا يتحرك. ولا يستطيع أن ينمو بالقامة التي أعطيت له من قبل الله لكي ينمو بها في الحياة الروحية. فإن كان لدى هؤلاء الذين عندهم الجسد والنفس بنفس المستوى لا يستطيعون أن يتمموا للنهاية سيرهم المسلكي. فكيف يستطيع أن ينتصروا على الأهواء أولئك الذين يحيون بالجسد وهم دائماً يغذونه ويعطونه كامل احتياجاته ويطعمونه بلا حد ويعطونه شراباً كما شاء، ويغرقونه بالنوم الثقيل. وكيف يستطيعون أن ينهوا هذا الطريق المستقيم الذي

---

[1] 2 كور 12: 10

[2] غلا 5: 17

يسيرون بها أولئك الذي يأكلون هكذا وبهذا الترتيب يهتمون بأجسادهم. فإنهم ليس فقط لا يستطيعوا أن ينتصروا على الخطيئة بل إن روحهم قد ضاعت وماتت فيهم وأصبحت أجسادهم قبوراً لأرواحهم. وأجسادهم تكون كالقبور تحفظ فيها أرواحهم وهي لا تشعر بالحياة أبداً وإن كانت في هؤلاء الناس حياة فإنها تكون للجسد فقط. أما عندما تقضي النفس على الجسد، فإن كل الأعمال عندئذ ستنسب لها. ولكن إن كان الجسد هو الذي قد قضى على الروح فهو الذي سيقوم بالأعمال ويتكلم كالحي أما الروح التي بداخله فهي ميتة ولا تشعر بشيء. وإن ظُنت بأنها حية لكون طبيعتها لا تموت فتكون عند ذلك حية للجسد وليس لنفسها. فقلل من الجسد وأعطِ للروح ولا تقلل من الروح لتعطي للجسد. ومثلما نصحك خالقك هكذا أصنع أنت نحو نفسك فهذا هو الرجاء الذي أعطاه لك بأن يتعالى جسدك لمستوى روحك في يوم القيامة وليس أن تنزل نفسك إلى مستوى الموت الجسدي وهلاكه. فقد وعد بأن يعيش نصفك مع نصفك الآخر وليس أن يباد الجزء الجيد منك مع الجزء الضعيف. إذاً أصعد قوة الجسد إلى روحك وامزج حياته بحياة الروح لكي تحفظ حياته الميتة مع حياتها غير القابلة للموت. وتمزج قدرته الضعيفة بقوة القدرة الروحية. وبدل أن يفنى قبر جسدك وتنحل وتباد أعضاؤه خذ أعضاءه بواسطة الأعمال الداخلية له وضعها على الروح فحين تخرج الروح منك بسبب الموت لا تذهب لوحدها بل تحمل معها كل ما للجسد : قوته بقوتها وحياته بحياتها وجسدياته بروحانيتها وأعضاؤه وأحاسيسه وكل أعماله تحملها بأعضائها الروحية. فحسن أن تكون لنا مثل هذه الحرب وخصوصاً عندما ننتصر بها من بداية طفولتنا. لأن هذا الهوى يتبع الناس منذ طفولتهم. ويُنمي في كل مستويات حياتهم الأهواء المناسبة لها. في الطفولة وفي الشيخوخة، في الأولاد وكبار السن. فينمي فيهم هذا الهوى السخط واللجاجة الدائمة والغضب. وفي باقي المستويات المتوسطة كالشبيبة والرجولة ومنتصف العمر فهنا يولد الزنى واللذة الباطلة ومحبة المال ومحبة السلطة مع باقي الشهوات. فلمجابهة هذه المستويات يجب أن نغير نحن أيضاً حروبنا. ففي الطفولة ولأنها أقل من مستوى المعرفة. فإنه بغضب الناموس يجب أن يتوقفوا عن عمل

هذه الشهوة، وينتصحون من المعلمين والأساتذة. لكي يتمموا عمل الزهد هـذا. وإن شعروا بأنه ثقيل عليهم وليسوا مرتاحين بعمله فليجبروا أنفسهم ويتمموها لكي يتعلموا هذه العادة الجيدة ويتدربوا على الاحتمال منذ طفولتهم. وعندما يصلون إلى مستوى المعرفة فهناك سيشعرون بطعم الاحتمال، وسيستطعمون بفرح هذا الانتصار. فالطفولة التي تتمرن منذ البداية على الحسنات بتدريبات الاحتمال تكون كالحقل الذي يحرث ثم يزرع وعندما يحين الوقت المخصص تعطي ثمار المعرفة. وما أقول بالنسبة للأطفال في كل المستويات، كذلك هو الحال بالنسبة للكاملين والرجال البالغين. أي إن فنون الحروب غير معروفة عندهم حيث تكون أفكارهم مضطربة في حروبهم. لكن ما أن ينتهوا من الحرب حتى يشعروا بهذه المعرفة. وإن وجد عندهم معرفة في وقت الحرب فهي معرفة كيف يحاربون. أي هي معرفة الناموس المسلم إليهم عن طريق السمع أو التسليم أو التعلم أو بالكلام. وليست هي معرفة الروح التي تشرق بشكل طبيعي في النفس وبدون تسليم تولد الكلمات، فكما تتقبل العين بواسطة خفتها رؤية النور البسيط. هكذا تعي النفس من بعد الانتصار على الأهواء الجسدية صفاء وبساطة معرفة الروح. وكما تسقط أشعة الشمس البسيطة على الكائنات والأجسام المختلفة فيُظن بأنها منقسمة ومتقطعة مع إن طبيعتها بسيطة وغير منفصلة. هكذا أيضاً معرفة الروح عندما تشرق على الأعمال والتدابير فعند ذاك يُظن بأنها منقسمة ومنفصلة. لكن بالنسبة لنفسها فهي أحادية وبسيطة. إن النفس لا تستحق أن تتقبل إشراق هذا النور إن لم يولد الإنسان في البدء متنقلاً من الجسديات إلى الروحانيات. وهذه الولادة تتم بالأعمال والضيقات. فإن " **إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت السموات** "[1]. كما علمنا الرسول بولس. وكأنه يقول : كلما كان اللحم والدم موجودين في الإنسان فإنه لا يستطيع أن يرث المعرفة الروحانية للمسيح، تلك التي دعاها بالرمز ملكوت السموات. فإنه بالنسبة لأمور أخرى فإن لملكوت السموات معاني أخرى لكن في موضوعنا هذا فإنه يليق أن ندعوه بهذا الفكر لأن ملكوت السموات الحقيقي هو المعرفة التي

[1] 1 كور 15: 50

لا تنسى ولا يُظن بل إنها ترى بوضوح كل الأشياء على حقيقتها : أي الأشياء الطبيعية والتي فوق الطبيعية بحسب المستوى الذي أعطي للعباد فالإنسان الذي مازالت حياته قائمة على اللحم والدم لا يستطيع أن يرث هذه المعرفة وإن صادف وقبلها عن طريق التقليد أو سمعها من أناس آخرين. فإنها ليست المعرفة التي أظهرتها به نفسه. لأن هذه المعرفة (البشرية) هي من داخل الكلمات والقراءات والأسماء كما تشهد لنا أدلة أولئك الشباب الطاهرون الذين تربوا في مدينة بابل أولئك الذين كانوا ينالون العلم الإنساني بالتعليم. لكنهم كانوا يتشوقون لتقبل المعرفة الإلهية التي تسمو عن الكلام. تلك التي أظهرت نفسها فيهم في الوقت المناسب. والشيء الذي لم يستطع العلم البشري أن يعلمهم إياه، قامت هذه المعرفة بتعليمه لهؤلاء الشبان. وقد ظهرت فيهم هذه المعرفة أيضاً لأنهم كانوا يسيرون في طريقها بشكل قانوني. وإذ كان طعامهم من مائدة الملوك. والخبز الذي كان يعطى للذين ينالون علوم المملكة كان قد أوصيا أن يعطى لهم أيضاً. لكنهم رفضوا هذه المائدة. لأنهم شعروا بأن هذه المائدة تقدم لهم لكي تنمو فيهم معرفة العالم. كما إن نظافة وطهارة الطعام تلزم للمعلمين البشريين لكي تسمو أحاسيسهم الجسدية نظراً لطهارة الطعام. لكن معرفة الروح ليست بحاجة لذلك. لأنها لا تتواجد داخل النفس بواسطة نور الاحساسات الجسدية. لكن عندما تتطهر وتتنقى النفس من كل الأهواء الشريرة حينئذ تشرق فيها هذه المعرفة. إن الأطعمة النظيفة تساعد كثيراً وفوائدها ليست بقليلة لخفة الأحاسيس لأولئك الذين يتقبلون المعرفة البشرية. أما الروحانيون فإنهم ليسوا بحاجة لمثل هذه الأمور. ولكي تعلم اليقين أنظر إلى أولئك الشبان الطاهرين وأتخذ لك منهم قدوة، فإنهم بدل الأطعمة الطاهرة والنقية اختاروا لهم أكل الحبوب والماء لشربهم. فغيرهم كانوا يعطون لأجسادهم الأطعمة الدسمة والثقيلة وهذه طبعاً هي بخلاف طعام الحبوب من حيث قوة التغذية وذلك لأنهم كانوا يتقبلون المعرفة البشرية. لكن بما أن الشبان ما كانوا يغذون أجسادهم بل أرواحهم (نفوسهم) فلذلك اختاروا أكل الحبوب لكي يهلكوا الجسد وتباد قوته وتقهر طبيعة الأعضاء، لتظهر بعد ذلك الأعضاء الحية للنفس لتشعر وترى المعرفة الإلهية. فمن بعد ثلاث سنوات

من أكلهم للحبوب وشربهم للماء ظهرت لهم المعرفة ليست تلك المعرفة المنبثقة من الكلام بل التي تأتي من الأعمال. فقد كانوا يقومون بأعمال تولد المعرفة الروحيـــة، ويتعلمون الكلام الذي يولد المعرفة البشرية. ولأن كمالهم كان ينظر إلـــى المعرفـــة التي تتولد من الأعمال وليست لتلك التي من الكلام. فلذلك نظروا إلى حيث كـــانوا ينظرون (المعرفة الإلهية) ومن حيث كانوا يترجون فمن هناك تقبلوهـــا (المعرفـــة الإلهية). فأصبحوا جسراً للكلام وآنية مضيفة للمعرفة الروحية. كما لك أن تعي من هذا العمل بأنهم كانوا يأكلون الحبوب ويشربونَ الماء فقط لكنهم مـــن بعـــد صـــوم طويل كانوا يتناولون هذا الغذاء الزهيد. لأن الذي يأكل الحبوب لا بد من أن يصوم باستمرار والذي يشرب الماء لا بد أن يكون مستعداً للصلاة الطاهرة في كل حـــين. لأن هدف زهدهم كان من أجلها (المعرفة) فأفهم من القراءة أنه عندما حان الزمـــان لكي تُظهر المعرفة نفسها بهم. فإنهم تابعوا زهدهم وصومهم وصلاتهم ثم أظهـــرت فيهم الظهورات التي كانوا يطلبونها. فقال دانيال لأصحابه " **اطلبوا المراحم من قبل إلـــه الـــسموات مـــن جهـــة هـــذا الـــسر لكـــي لا يهلـــك دانيـــال وأصـــحابه وكل حكماء بابل** "[1]. وبعد ذلك فُسر الحلم لدانيال في رؤية في الليل، فهذه الموهبة أعطاها الزهد للشبان. وهذه الثمار جمعوها من الحقول التي زرعت فيـــه الحبـــوب وسُقيت من المياه.

فاسع أيها التلميذ مثلهم لكي توجد مثلما وجدوا. أجبر نفسك وأخـــرج إلـــى الطرقات. أغصب ذاتك وأدخل من الباب الضيق. أشرب الماء لتـــشرب المعرفـــة، تغذ بالحبوب لتدرك الأسرار. كل بمقدار لكي تُحَب بلا مقدار. كـــن صـــواماً لكـــي تكون ناظراً (للأسرار). فإنه هذا هو طعامك لأنه هذه هي تلمذتك وبهذا قد وُعدت. لأن طعام اللذات وشبع البطن ليس لك بل هو للذين يحيون في الشرور داخل العالم، الذين تنمو فيهم في كل حين أشواك وحسك الخطيئة. لأن الشخص الذي يزرع فيـــه اللذات وشرب الخمر تكون ثماره هكذا. أما طعام الحبوب وشرب الماء فثمارها هي الظهورات والرؤى السماوية ومعرفة الروح والحكمـــة الإلهيـــة وتفـــسير الخفايـــا.

[1] دا 2: 18

فالأشياء التي لا تشعر بها المعرفة البشرية. تشعر بها النفس التي من شأنها هي هذه الأمور.

فإذاً أبدأ منذ حداثتك بهذا التدبير ولا تقل بأني مازلت طفلاً، لأن هذا السبب مرفوض بسبب ما أظهرناه لك بمثال أولئك الفتيان، هذا فإنهم هم أيضاً كانوا شباناً مثلما يشير الكتاب إلى ذلك فقد كان هؤلاء الفتيان ذوي أعمار صغيرة حينما بدأوا بهذا العمل الإلهي وبدون معلمين. أما أنت فاصنع ذلك إذ لك معلمين. فإذ كان لأولئك من يطلب منهم ويترجاهم بأن يأكلوا ويشربوا. فأنت لك من ينصحك بعكس ذلك ألا وهو التعليم الإلهي إذ ينصحك بالزهد والتحلي بالصبر. وإذ كانوا هم لا يلاموا إن أكلوا ولا يخطئوا، اختاروا لهم هذا المسلك وذلك بتميزهم، أما أنت فإن صنعت هذا فإنك بذلك تقوم بما عليك من واجب وتتمم وعدك. بحسب كلام الله الذي لديك.

فأيقظ نفسك وأنظر إلى أولئك الفتيان في العهد القديم الذين وهم مولودون من أم واحدة كانوا يرضعون الحليب من أخرى. فإذ كان العهد القديم قد ولدهم للإيمان بالله كانوا هم يكملون التدبير الروحي للعهد الجديد، فلم يطب لهم حليب أمهم بل كانوا متشوقين أن يرضعوا من الثديين الذي ترضع منهم أنت. ولمائدتك كانوا يشتهون. أما أنت فتمم هذه الأمور فإنها لك فمن المكان الذي ولدت فيه فهناك تتربى، والقوانين التي تحفظها وأنت مجبر بها وذلك بحسب اختيارك للأتعاب والضيقات والزهد وضبط الجسد، ومن ثم ستلاقيك الراحة التي تتولد من هذه الأمور. كاللذات والفرح والرجاء هذه الأشياء التي هي أعلى من العالم. ومن قبل مجيء الملكوت سترث أنت الملكوت. فالإنسان الذي مع الضيقات الجسدية والأعمال القاسية يستطيع أن ينقي ويطهر نفسه من الشرور فهذا من قبل أن يأتي الملكوت سيرث الملكوت، ومن قبل أن يظهر المجد يُظهر له المجد من نفسه وتصير ذاته منبع المعرفة. لأنه يوجد من هم في السماء عتيدين أن يرثوا الملكوت.

ويوجد من توجد فيهم ملكوت السموات. " **لأن ها ملكـوت الله داخلكـم** "[1]. وفـي مكان آخر يقول : " **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** "[2]. وكلاهمـا صـحيح لأن ملكوت السموات الذي هو عتيد أن يرثه الصالحون هذا الذي سيكون في نهايـة العالم في السماء. وملكوت السموات الذي بداخلكم هو المعرفة الروحية التي تتجلى للروحيين وكأنهم في السماء منذ زمن وفي اللذة التي لا ينطق بها. ولكن واحدة من هذا (الملكوت) بدون ضيقات أو أتعاب جسدية لا يمكن إيجادهـا، فأولئـك الـذين يحملون الأتعاب بأجسادهم يرثون ملكوت السموات. والذين مـع الأتعـاب يقتنـون صفاء النفس يصيرون ممن وجدوا ملكوت السموات الـذي بـداخلهم. فيـستمتعون بالنعم واللذات والفرح الدائم ولا تسيطر عليهم الكآبة لأنهم في كل حـين يبتهجـون من الفرح الذي يتولد منهم كقول الرسول بولس : " **أفرحوا كل حين** "[3]. وأيضاً في مكان آخر قال : " **كونوا مفتخرين على رجاء مجـد الله ولـيس ذلـك فقـط بـل مفتخرين بالضيقات أيضاً** "[4]. لأن من احتمال الضيقات ينمو بنا الرجـاء للأمـور العتيدة. كما قال الرسول بولس في مكان آخر " **بل نفتخر أيضاً بالضيقات عـالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجـاء والرجـاء لا يخـزى** "[5]. فالذي لا يحمل الضيقات بصبر في ذاته واضح بأنه ليس فيه حتى ذكر الرجاء لأنه لو كان له رجاء لصبر من أجل هذا الرجاء. كما ذاق كل الصالحين الذين كانوا في العالم الضيقات. وبها ساروا في هذا الطريق ثم انتقلوا إلى ملكوت الله، ولأنهم كانوا يسيرون على رجاءٍ، كانوا يستلذون في الضيقات. فبدايـة طريـق الـضيقات هـو الزهد. كما إن بداية طريق الشرور هو شراهة البطن. فإن كلاهما يبدأان من مكـان واحد. فمن شهوة البطن يبدأ الطريق اليساري ومن كره البطن يبدأ الطريق اليميني. والذي يريد أن يبدأ بطريق التلمذة بشكل جيد فعليه أن يبدأ من هنا. إذ يرغم جـسده

[1] لو 17: 21
[2] مت 3: 2
[3] 1 كو 5: 16
[4] رو 5: 2
[5] رو 5: 3

ويقلل عنه الغذاء والشراب، ويحمله الأتعاب والسهر والضيقات والصوم ويمنع عنه شهواته. وبهذه الأمور يصبح مرناً لسلوك النفس. فإن صنع أعمال الضيقات ليست صعبة كصعوبة سماعها. لأن السمع من بعيد عادة يكون مخيفاً لكل من يسمعه. لكن متى تأمل به وجرب عمل هذه الأعمال حينئذ سوف ترى له سهلة.

أما أنت يا من خلعت العالم أمامك هذه الأمور العظيمة التي تساعدك وتأخذ بيدك للسير في هذا التدبير الحسن وهي : أنك مبتعد عن أمور العالم وعن السمع والمشاهدات وهذه التي ليست بالشيء القليل إذ إنها تحفظ حياتك طاهرة. فهؤلاء الفتيان الذين أظهرتهم لك عندما وضعت أمامهم مائدة المملكة رفضوها واختاروا لهم الضيق بدل الراحة. فتأمل من هنا قوة احتمالهم، إذ لم يكن لهم معلم ليرشدهم. ولا من يشجعهم ويساندهم. ولم يوجد لهم قدوة قبلهم، ولا مخافة الناموس لكي تمنعهم ولا ضرر أو لعنة ولا خوف أو رعب ليوقفهم، ولم يفعلوا ذلك تأثراً بمنظر الأشياء تلك التي تساعد على الاحتمال. إذاً لم يكن ولا شيء من هذا قد حصل. لكنهم بأنفسهم ملؤوا أنفسهم بقوة احتمالهم.

وأما أنت فلك كل هذه الأمور لتقوم بمساعدتك، فأثبت في الاحتمال الجيد لتلمذتك وانتصر على سيدة الشرور وكل الآثام. وأقمع جسدك وأغصب أعضاءك كما قال الرسول بولس : " **بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً** "[1].

فإن كان بولس وقد أخذ بالأكثر قوة النعمة للانتصار على هذا الهوى كان محتاجاً بعد لأن يقمع جسده. فكم بالحري الذين ما تزال شهواتهم الجسدية حية بهم يحتاجون لأن يقمعوا أجسادهم بالصوم والصلاة والزهد ويحاربوا وينتصروا.

أما أنت أيها التلميذ إن كنت راغباً في أن تُحسن في تلمذتك. فلتكن لك هذه المائدة التي هي راحة للآخرين، مكانٌ للحرب. فأعدد أنت الحرب ضد كل الأطعمة إن كانت دسمة أو خفيفة، إن ثقيلة أو بسيطة. ولا تستهن بالشهوة لأنها تتحد

[1] 1 كور 9: 27

بالأشياء الصغيرة لكي تستهين بها وتعتبرها غير ملامة. فإنك تكون ملاماً بـالأكثر إن هزمتك الشهوة بالأشياء الصغيرة (الأطعمة البسيطة) أكثر من الأشـياء الكبيـرة (الأطعمة الدسمة). لأنه إن كنت تهزم بالأشياء الصغيرة من قبل الشهوة فكم بالأكثر تنتصر عليك بالأشياء الكبيرة. فإن كانت بالطعام النباتي تنتصر عليك. فكم بـالأكثر تنتصر عليك بأكل اللحم، فالذي يخطئ بالقليل يخطـئ بـالكثير. فبالـشيء الـذي تحاربك به الشهوة به انتصر عليها، فإن كان بأكل اللحم أو بمختلف الأطعمة حارب ضدها وانتصر على شهوة البطن. وإن كانت بواسطة الحبوب والنباتـات والفاكهـة والثمار البسيطة فحارب ضد هذه الأمور التي تحاربك بها وانتصر عليها، ولا تقـل بأن الانتصار على هذه الأمور البسيطة ليس بالشيء الكبيـر. لكـن أحـسب بـأن خطيئتك ستكون عظيمة إن هُزمت من هذه الأمور (البسيطة). فإن كانـت الـشهوة التي اعتادت أن تُثار بالأمور الكبيرة قد تنازلت لتثـار بـالأمور الـصغيرة لكـي تخضعك. فهل لا تتنازل أنت معها وتنتصر عليها في المكان الذي تريد هـي فيـه الانتصار عليك. فإلى حيث تدعوك فإلى هناك يجب عليك أن تتبعها. وبالشيء الذي به تثير الشهوة عليك، به أعدد الحرب ضدها لكي تشابه بذلك سيدك المسيح. فحيثما كان المجرب يريد أن يجربه كان يراه هناك. فمن أين كان يريد أن يبـدأ الحـرب معه، من هناك كان يجاوبه الرب. فعندما بدأ بحرب شهوة شراهة الـبطن انتـصر عليها باحتمال الصوم لكي يعطينا مثالاً ويجعل لنا ناموساً ظاهراً، فإن رغبنا في أن نبدأ بالتدابير الروحية فلنبدأ من الصوم. وهكذا شيئاً فشيئاً نصل إلى كل الفـضائل. لأن حتى ربنا انتصر أولاً على شهوة البطن ومن بعدها على محبة المال والـتعظم الباطل الذي للعالم والسلطان والترأس. هذه الأمور التي تتولد من هذه الشهوة. ثـم بعد ذلك انتصر على المجد الباطل الذي يتولد من الأمور الحسنة. وبانتصاره فـي هذه التجارب الثلاث انتصر على كل الأهواء التي تبعتها، وأبطلها. ثم بعد ذلك بـدأ يبشر بملكوت أبيه بقوة ويسلم الناس التعليم الكامل.

فكما أن الرب يسوع المسيح بعدما أنهى أعمال النـاموس وبـدأ بالتـدبير الروحي بدأ بالصوم. هكذا أنت أيضاً على مثاله يجب عليك أن تجعل مـن الـصوم

بداية لتلمذتك التي هي أعلى من العالم. فأي هو الزهد الكامل كالزهد الذي ليسوع المسيح، الذي لم يمتنع فقط عن ذوق الأطعمة بل عن رؤيتها ورائحتها أيضاً. لأنه ترك المكان الذي تتواجد فيه وخرج إلى البرية الخالية من أي شيء لكي يطرح هذه الشهوة اللعينة من كل أحاسيسه. لأنه لا يستطيع الإنسان السير في طريق الكمال إن لم يخرج من العالم. تأمل في هذا فقد أطال الرب صومه إلى الحد الذي تستطيع أن تصل إليه طبيعتنا، فإن موسى وإيليا وصلا إلى هذا العدد وإن كانت طبيعتنا تقدر أن تتحمل أكثر لكن الرب قد صام أكثر، وحيث أن لا قوة لنا لنصل إلى هذا العدد لذلك أنقص الرب من عدد أيام صومه، ورتب الزمان بحسب ما تستطيع طبيعتنا الإنسانية الوصول إليه. فإن ربنا لم يصم بحسب قدرته بل بحسب قدرتنا، لأنه لو صام بحسب قدرته لما جاع أبداً لأنها هذه هي طبيعته الروحانية أي عدم الجوع، لكنه صام جسدياً بحسب قدرة الجسديين وتنازل إليهم وأظهر لنا مقدار قوة تحمّل طبيعتنا. لأنه من كثرة اللذات قد ضعفت فينا قوة الاحتمال وصرنا نظن بأنه من دون هذه الأمور لا تستطيع طبيعتنا أن تحيا. وإن أقللت من هذه اللذات والأطعمة فسوف تهلك. فصام الرب أربعين يوماً لكي يعلمنا إنه إلى هذا المقدار تستطيع طبيعتنا التحمل إن لم توضع حواجز الشهوات في المنتصف وتقطع طريق الاحتمال. أما ربنا فقد هدمه وعبر على كل حواجز الشهوات وعلى احتمال الأمراض والأوجاع ووصل إلى نهاية الأربعين يوماً. وباختصار إلى هذا الحد من الصوم قد وصل الكثيرون ولم يتخطاه إنسان لأنه الحد الطبيعي (للصوم). فإن سمعت أو قيل لك بأن إنساناً قد عبر هذا الحد فإن هذا هو فوق قوة الطبيعة الإنسانية وتكون فريدة من نوعها وقد صنعت بواسطة النعمة وأسباب كثيرة منها مخفية عنا ومنها ظاهرة لنا. فهذه هي القدوة التي يجب أن يضعها التلميذ أمام عينيه إن أراد أن يكون نشيطاً في التدبير الروحي. وكما انتصر الرب على باقي الأهواء الأخرى. هكذا أنت أيضاً من بعد الزهد سيكون من السهل عليك أن تنتصر على باقي الشهوات. وكما أن الرب من بعد أن انتصر على كل الشهوات بدأ بالتعليم المستقل وبتدابير الحرية. فكان يأكل مع كل الناس ويدعى من قِبل كل الناس،

ويختلط ويتكلم مع الجميع. هذه الأمور التي هي علامة الحرية ذات السلطان. هكذا أنت أيضاً عندما تنتصر على شهوة البطن ومنها على باقي الشهوات التي تتبعها، ستقف بحرية المسيح. وكصاحب سلطان تختلط مع الجميع وتتكلم معهم. وتأكل وتشرب مع العشارين والزواني. وسيكون كلامك مع النساء بلا ملامة. بحيث أن حريتك لم تعد لتميز بين الذكر والأنثى لأنك قد خلعت من فكرك الأهواء التي تميز الأشياء. لأنه عندما يصطدم الفكر بالهوى فلا يميزه. عندها لن يميز شكل الرجل من المرأة، أو المنظر الجميل من القبيح. وبدون شهوة سيلاقي الكل وينظر إلى الكل. وبدون ملامة ستدخل إلى كل بيت وتسأل عن سلامة الكل وتصبح الكل مع الكل، مع أنك واحد ولا يصيبك تغيير لأجل فائدة الكل. وهذه التشبيهات قد ظهرت في السيد المسيح وفي رسله. فتبين إن هذه الأمور والتي على مثالها قد أتى بها الرب عن طريق الزهد وليس هو فقط بل حتى الرسل الأوائل والأنبياء. وأيضاً الوسيط بين العهدين يوحنا المعمدان. فتذكر ماذا يقص عليك الكتاب المقدس عن تدابيره في الزهد فقد كان مبتعداً ومستتراً عن تدابير كل الناس. " **كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد** "[1]. على مثال الأنبياء وطعامه كان الجراد والعسل البري وسكناه في البرية الخالية من الأمان، وصارت عيشته مع حيوانات البرية وبهذا الزهد الثقيل الذي أتممه منذ ولادته، استحق من بعد ذلك أن يتقبل الظهور لكي يصير كاروزاً أمام قدوم العلي. ومن قبل الصلب استحق أن يتقبل الأمور التي بعد الصلب. وإذ لم يكن قد نشأ بعد الطبع الإنساني السائر نحو الروحانية، ولد هو بطريقة منفردة من قبل الجميع. وهذه الرؤية التي هي فوق الوصف وهذا التغير العجيب والمدهش مع قوة النعمة التي كل الأمور قد سهلت لها. كل هذه استحقها بسبب الزهد الثقيل. فهذه هي طبيعة هذا التدبير فعندما تتقدم منه بصفاء النفس تجعل ذاك الإنسان يولد من عالم الروح، ويصبح مماثلاً للملائكة وهو لا يزال يسكن في العالم الجسدي.

---

[1] مت 3: 4

فتبين مع هذه إنه ولا الرسل الطوباويون الذين اختيروا بحسب النعمة، استحقوا أن ينالوا موهبة الروح هذه إلى أن ظهر فيهم أولاً تدبير الزهد. لأنهم عندما كانوا يسيرون مع السيد المسيح لم يُكتب عنهم بأنهم سلكوا في الزهد لأنهم كانوا يقتاتون من فيض النعمة تدبير حرية المسيح تلك التي أتى به فادينا من بعد تجربته في البرية. وإذ هم لم يصلوا بعد إلى وقت التجربة كان السيد المسيح يشاركهم بنعمته في كماله. وعندما لم يفهم الفريسيون وتلاميذ يوحنا سلطان هذه الحرية لاموا بجسارة السيد المسيح " **لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيون وأما تلاميذك فلا يصومون** "[1]. فأجابهم يسوع بكلام يفوق معناه قوة إدراكهم " **لا يستطيع بنو العرس أن يصوموا ما دام العريس معهم** "[2]. لأنه كما إنه بحفلة العرس لا يكون العريس وحده سعيداً ولابساً لباساً أبيضاً بل أيضاً كل المدعوين للعرس فبهذا المثال لست أنا فقط من بعد الانتصار ودفع ديون كل الأهواء وصلت إلى هذا العرس لأفرح وأتلذذ به وحدي بل تلاميذي أيضاً مدعوين للملكوت ليشتركوا معي. " **لكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام** "[3]. أي عندما يجتمع عندي النور الغني والسلطان الحر عندئذ يوقدون هم أيضاً مشاعل احتمالهم. وعندما يتواجد أرض للروح فبدل نور المسيح سيشرق هو نفسه (المسيح) بداخلهم. وهذه حدثت لهم من بعد صعوده إلى السماء. وإن كان قد سبق وأعطاهم تدبير الحرية كعربون لهم لكنهم لم يكونوا قد حصلوا عليها من أنفسهم بعد إلى أن بدؤوا أولاً بتدبير الزهد. فإنه بعد الصعود مباشرة كتب عنهم بأنهم "**عادوا إلى العلية التي كانوا بها وضلوا هناك في صوم وحبس صعب وصلوات طاهرة ودموع مؤلمة ثم بعد ذلك استحقوا أن يقبلوا الروح المعزي** "[4]. وإن كانت أيام زهدهم قليلة أي من صعود الرب إلى حين نزول الروح لكن نعلم

[1] مر 2: 18

[2] مر 2: 19

[3] مر 2: 20

[4] أع 1: 14

بأنه بعد أن تقبلوا الروح استمروا بهذا المسلك أي بالصوم والثبات بالزهد. وفي كل مكان كتب عنهم بأنهم كانوا يصومون ويصلون. " **وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال لهم الروح أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهم إليه** "[1]. وأيضاً قال عن الرسل عندما أرادوا أن يختاروا الشمامسة السبعة " **أما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة** "[2]. وأيضاً عندما كان بطرس محروساً في السجن كتب " **وأما الكنيسة كانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله** "[3]. وأيضاً عن بولس قبل أن يعتمد ويقتبل الروح القدس كتب عنه " **وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب** "[4]. ولم يتحرك من مكانه لأنه كان مطروحاً على وجهه يصلي وهكذا يتقبل الروح القدس. وقضى كل حياته بعد أن اختير بالصوم والصلاة. كما يذكر هو في كل مكان صلاته وصومه والضيقات الكثيرة التي احتملها من أجل البشارة إذ حسب كثرة صومه. " **في تعب وكد في أسهار مراراً كثيرة في جوع وعطش في أصوام مراراً كثيرة في برد وعري** "[5]. وأيضاً قال : " **في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص** "[6]. فكم كان مسكيناً ومحتاجاً ويشهد بذلك مرة بأنه لم يستطع أن يشتري حتى اللباس والطعام له وللذين معه. لذلك كان يعمل دائماً في الليل بيديه لكي لا يثقل على أحد. كما كتب عن بطرس " **فصعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة فجاع كثيراً واشتهى أن يأكل** "[7]. وبذلك يعلمك بأنه مع التعلم الدائم وصلوات الساعات أيضاً في أوقات معينة التي هي الصلاة الفرضية كانوا دائمي الصلاة والصوم. وقوله في الساعة السادسة جاع وأراد أن يأكل لم يكن

[1] أع 13: 2
[2] أع 6: 3 – 4
[3] أع 12: 5
[4] أع 9: 9
[5] 2 كور 11: 27
[6] في 4: 12
[7] أع 10: 9

جوعه عادياً بل كان جوعاً من التدبير الإلهي. ولم يكن موعد طعامه في تلك الساعة، وهذا معروف إذ قال : وصعد إلى السطح ليصلي وفي الحال حدث له جوع فترك الصلاة وطلب أن يعدوا له الطعام فلو كان معتاداً أن يأكل في تلك الساعة لكان مضيفه قد أعدوا له الطعام في حينه ولما كان يطلب منهم أن يعدوا له الطعام. إذاً فواضح إنه من التدبير الإلهي قد جاع لكي يتقبل من آلم جوعه تلك التعاليم التي قيلت له في حينها. إذ كان دائم الصيام. أحسب بأن الرسل لم يكونوا يصومون فإن تدبيرهم ليس خاضعاً لشهادتك. لأنه من بعد أن تقبلوا الروح القدس أصبحوا كاملين وكما أن الرب لم يصم بعد التجربة في البرية هكذا هم أيضاً لم يكن من اللائق أن يصوموا بسبب تدبير الحرية التي كانوا قائمين بها، وبسبب الكمال الذي كانوا عليه. وإذ كان تدبيرهم الروحي فوق الأتعاب، لكنهم تنازلوا إلى الأتعاب والضيقات لسببين الأول لكي يكونوا لنا قدوة لنتشبه بهم، والثاني لأن فرحهم كان في الأتعاب والضيقات. وماذا كان طعام هؤلاء العظام الذين وصلوا إلى الكمال ولم يكن يوجد عندهم طعام سوى الخبز والنباتات والزيتون فقط. فإن كان الرسل محتاجين إلى تدبير الزهد وفي زمن الكمال كانوا يسلكون به وكأنهم مجبرون عليه.. فمن هو الذي لا يخاف ويبتعد عن الرخاوة ويجري ليتمسك بتدبير النشاط. كما لك أيضاً أن تتعلم من شهادة الأنبياء إذ هم أيضاً عندما كانوا يستحقون أن يروا الرؤى الإلهية أو الملائكة، كانوا يسلكون بالصوم الكثير ثم بعد ذلك يستحقون أن يشاهدوها. كما كتب على رجل الشهوة دانيال من بعد أن صام ثلاثة أسابيع استحق أن يرى الملائكة. فإن كان لرؤية ملاك وجب عليه أن يصوم كل هذا الصوم ثم استحق أن يتقبل هذه الرؤية الروحية. فأنت يا من تريد رؤية المسيح الروحية وأن تمتلك في نفسك الشعور الفائق للطبيعة ألا يلزمك الصوم الكثير والزهد وقمع الجسد لكي تصل إلى ما هو أعظم مما رآه دانيال. وهكذا أيضاً إيليا من بعد أن صام أربعين يوماً وأربعين ليلة عندئذ استحق أن يرى الله في جبل حوريب إذ كان وحده في الصحراء ومع الصوم الطويل احتمل أتعاب المسير في الطريق وفوق كل هذا كان منعزلاً عن الناس في سكون ذاك المكان الذي هو مكان صلاة ومن بعد ذلك

سمع صوت الله يتكلم معه. وعلى مثال هذا الرجل القديس كان أيضاً الطوباوي موسى فإنه في المرتين اللتين دخل فيهما في الغيوم ليتقبل لوحي الشريعة تتطهر بمثل هذا الصوم ثم بعد ذلك أستحق تلك الرؤية. هكذا أيضاً النبي حزقيال قبل أن تظهر له النبوة عن خراب المدينة وهدم الهيكل أدخلته كلمة الله في ضيقات قاسية بأن يأكل الخبز بالوزن ويشرب الماء بالكيل وينام على جنبه غصباً ثم بعد كل هذه الأمور أتته النبوة. وهكذا تستطيع القول على كل الأنبياء والصالحين بأنهم كانوا في كل حين في الضيقات إن كان بإرادتهم أو بأوامر من قبل الله. وهكذا أيضاً الطوباوي داود يظهر لنا عن صومه القاسي وضعف جسده " **ركبتاي ارتعشتا من الصوم ولحمي هزل عن السمن** "[1]. وقال أيضاً "**حتى سهوت عن أكل خبزي من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي** "[2]. فإنه لم يترك ذكر الله ليلتفت إلى الطعام الطبيعي لكنه قد نسي كل الأطعمة الزائلة لكي يتأمل فكره بالروحانيات. فمن قسوة أتعابه وضيقاته ومن الآلام والكآبة تنهد وعظمه لصق بلحمه. وأيضاً يعلمك عن أصناف طعامه " **إني أكلت الرماد مثل الخبز** "[3]. فهذه هي الأطعمة التي كانت توضع على مائدة ذلك الملك الصالح في أكله. واسمع أيضاً عن الخمر النقي الذي كان يشربه " **ومزجت شرابي بدموع** ". فهذا هو طعام وشراب ذلك الملك الصالح. فطعامه الرماد وشرابه الدموع.

فمن هو التلميذ الذي يسمع هذه الأمور ولا ينسحق قلبه بالألم على حياته الرخوة. وإذ كان بالفعل تلميذاً وقال أيضاً : " **أذللت بالصوم نفسي** "[4] وصرت لهم للسخرية وجعلت لباسي مسحاً وصرت حديثهم. وبهذا علمنا أنه لم يصبر فقط على صنع الأمور الحسنة بل أيضاً كان يصبر على ما يصيبه بسببها من حسد واستهزاء وفي كل ذلك كان يحتمل. وبذلك علمنا بأنه إن استحقرت أعمالك من الأشخاص

[1] مز 109: 24

[2] مز 102: 4

[3] مز 102: 9

[4] مز 35: 19

المتراخين وقُصت ضيقاتك على سبيل السخرية من قبل محبي الراحة فتذكر كلام هذا النبي وتعزَ به. ولتكن مسنداً لرأسك عندما تصادفك السخرية من قبل الأشرار. وأيضاً في مكان آخر يذكر فيه لأي حد وصل في الأعمال القاسية بسبب احتمال الضيقات إذ قال : " **لأني قد صرت كزق في الدخان أما فرائضك فلم أنسها** "[1]. وبهذا أعلمك من الضعف الشديد والعطش الشديد تلاشت وانتهت حتى رطوبة جسمه. واسمعه في مكانٍ آخر يعلمك بأنه قبل أن يدخل الإنسان في الضيقات، ويختبر ببوتقة الاحتمال والأتعاب لا يستطيع أن يخرج إلى طرقات اللذات الروحية. وأدخلتني بماءٍ ونار وأخرجتني للطريق. وإذ شبه النار والماء بالضيقات والشرور والأتعاب التي أحاطت به من كل جانب إن كان بسبب الضيقات التي بإرادته أم التي من قبل الله لامتحانه أو بسبب الأشرار الذين يحسدون نعمه. فاسمع أيضاً مع قول هذا الملك الصالح ما قاله المجاهد الروحي أيوب : ولنر أي نوع من الأنواع علمته الطبابة الروحية أن يضع على المائدة قبل كل الأطعمة " **لأنه مثل خبزي يأتي أنيني ومثل مياه تأتي زفرتي** "[2]. فهذه هي الفاكهة التي يتناولها في المقدمة أي الأنين والزفرات ثم يتناول طعامه العادي. كان يتغذى أولاً بالألم ويشرب من دموع زفراته ثم يتناول بعد ذلك طعامه الجسدي. ومن هنا فالطعام الذي كان يتناوله لم يكن طعاماً (عادياً) بل مقدساً واسمع منه أيضاً عن الضيقات التي احتملها ولم ينفصل عن حبه نحو الله وكأنه يقول وإن لم يكن هو يحبني فأنا لن أترك محبته فالله كان يعامله كالعدو وهو كان يقول بأنه يحتمل هذا من الحبيب ويسلك بمحبته ولا يكفر به.

وأنت أيها التلميذ إن بحثت في كل مكان فلن تجد إنساناً صالحاً أرضى الله في هذا العالم بدون ضيقات وأتعاب، لأن هذه هي الطريق نحو مدينة الملكوت التي في الأعالي " **ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة** "[3].

---

[1] مز 119: 83

[2] أي 3: 24

[3] مت 7: 14

إذاً لنسير بهذا الطريق الصعب الذي هيأه لنا الله ونسير في درب الضيقات التي أظهره لنا. فلنتضايق هنا لنرتاح هناك، لنجع هنا لنشبع هناك، لنقلل هنا من طعامنا وشرابنا لكي نشترك هناك بالمائدة الروحية، لندخل أنفسنا في بوتقة الاحتمال لنعطى الملكوت الذهبي الطاهر الذي بلا عيب، لا نحزن على هلاك جسدنا لكي نجدد يوماً بعد يوم إنساننا الداخلي. لا نفكر بالأمراض والأوجاع التي تحدث لنا لكن لنفكر بأنه من دونها فإن خطايا النفس لن تصح. فلنمتلئ فرحاً في سعينا لنعرف الرجاء من سعينا هذا. وكأبناء النعمة لنعمل في بيت أبينا الحقيقي لنستحق ذاك الميراث المليء بالنعم والموعود للبنين. ولنذكر دائماً قول الرسول : " **أنه في ضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله** " [1]. ولنقل كلُ واحدٍ للآخر مع الرسول : " **إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه** " [2] وأن نصبر سنملك معه الذي له المجد من جميعنا إلى الأبد آمين.

[1] أع 14: 22

[2] رو 8: 17

المقال الثاني عشر

وهو عن هوى الزنى وبه يظهر بأنه ليس فقط بممارسة الشهوة جسدياً يعتبر زنى. بل عندما تثبت في الفكر وتدفع النفس إلى الزنى (بالفكر) مع شخص غائب (بالتخيل)

إن الأطباء الحكماء الذين يرغبون بحكمة في الوصول إلى تعافي الناس من الأمراض الجسدية التي تصيبهم. يبدؤون أولاً في التعرف على الأسباب التي أدت إلى الأمراض، فيستأصلونها من الوسط. ثم بعد ذلك يقتربون لمعالجة المرض بدون تعب. لأنه متى أزيلت الأسباب التي أدت إلى الأمراض فمعها تزول الأمراض التي تولدت منها. لأن الأغصان والثمار لا يمكن أن تنبت عندما تزال الجذور التي تنميها من الأرض. وإن صادف وثبتت هذه الأغصان بسبب الرطوبة الطبيعية التي بها لكنها عتيد أن تيبس طالما أن جذورها قد استأصلت ونزعت من الأرض. هكذا أيضاً الأمراض والأوجاع الجسدية التي تصيب الناس ما أن يستأصل الأطباء الأسباب التي منها تولدت الأمراض حتى يبدأ المرض بالتلاشي شيئاً فشيئاً وذلك بسبب استئصال الأسباب التي أنشأته من الجسد. وبهذه الطريقة يجب علينا أن نصنع نحو أهواء الخطايا التي تتولد إما من النفس أو من الجسد. إذ نستأصل أولاً الأسباب التي منها تتولد هذه الأهواء. وهكذا تحفظ حياتنا في طهارة من الشرور، ويصير تدبيرنا محرراً من كل إثم.

فالإنسان الذي يريد أن يصبح حراً بالله فليتحرر أولاً من الشهوات التي تتحرك فيه، بعدئذ يقترب إلى تدبير حرية المسيح. لأن أرض الأحرار لن تقبل أن يدخلها طالما وجدت فيه تلك العلامة القبيحة للعبودية. فإن تأملنا في ما كنا عليه وفيما سنكون عليه، ومن أين وإلى أين دعينا، وبأية حياة أبدلنا حياتنا، فعندها يجب أن نذكّر أنفسنا بهذه الأمور في كل حين، ونفهم دائماً معرفة سلوكنا. ونبدأ بتعلم أسباب أهواء الخطايا التي تضايق حياتنا دائماً بهيجانها. فعند ذلك سنجد صحة لأنفسنا من دون تعب. فيصير لنا الطب الطبيعي الذي يداوي الأجساد مثالاً لتطبيب أنفسنا. وكالأطباء نبدأ بمعرفة الأسباب المولدة للخطايا التي تتهيج علينا، حتى نصل إلى الصحة الروحية.

وبما أنه في الموضوع السابق قد استنكرنا شهوة البطن، فيجب علينا أن نتكلم الآن بترتيب عن شهوة الزنى تلك التي سببها ومولدها ومنميها هي شهوة البطن. والتي من السهل الانتصار عليها وذلك عندما ينتصر الإنسان على الشهوة الأولى (شهوة البطن).

فإنه من الطعام والشراب تتقوى وتلتهب في أعضائنا شهوة الزنى هذه. كما تتولد أيضاً من العِشرة الرديئة، ومن الكلام البشري (الباطل) ومن تذكر الأجسام الجميلة التي تتصور داخل النفس. ومن التحدث عن قصص الشهوات. فعند التكلم والتنصت بلذة هذه الأحاديث، ومشاهدة تلك الأجسام الجميلة بصورة دائمة والتي بشهوة مشاهدتها تقترن بالنفوس الضعيفة. فما أن تنمو في أجسامنا شهوة البطن التي هي النار لشهوة الزنى حتى تأتي كل هذه الأفكار الفاسدة وتوقظ هذه الشهوة.

إن هذه الشهوة قد وضعت في أعضائنا بشكل طبيعي من قبل الخالق وذلك للتوالد عن طريق الزواج ولاستمرار العالم. لكن بالنسبة للتلاميذ لم توضع لهذا الغرض بل لتكون لهم سبباً لنوال الأكاليل الروحية. وأداة للجهاد السماوي، إذ حينما يجاهدون وينتصرون عليها يعدون منتصرين وعندما يغلبونها في أرض الحرب فإن أسماءهم ستكتب في أورشليم السماوية.

إذاً فشهوة الزواج (الجنسية) لم تمكث في التلاميذ لكي يمارسوا هذه الشهوة، بل لكي من حرارة هذه الشهوة الطبيعية يختبرون قوة حرارة الشهوة الروحية. وعندما تلتهب في أعضائهم نار تجاوز الناموس يختبرون نار حرارة المسيح الممزوجة بنفوسهم (بأرواحهم). فباللذة الخارجة عن (أو الغير الطبيعة) يتذوقون اللذة الطبيعية الحقيقية. وبالانفعال (الشهوة) الذي ما يلبث أن يبدأ حتى ينتهي يتذوقون طعم اللذة بالاقتران الحي ذاك الذي عندما يبدأ بشهوة مشاهدة جمال المسيح البهي لا ينتهي بل يلبث في النفس إلى ما لا نهاية، وذلك إلى أن تتطهر لتصبح مسكناً له. إن نار هذه الشهوة الطبيعية هي أقوى من باقي كل الشهوات الأخرى ومع حرارتها أيضاً اللذة الفاسدة. فمن هذه الحالة نتعلم أمرين حلاوة محبة المسيح وقرب زوال هذه الشهوة الفاسدة، فإن نار الروح التي مزجت فينا تستطيع أن تبطل وتبيد نار هذه الشهوة الطبيعية وإلا لما كان لإرادتنا ثمار ولا لحريتنا أعمال باسلة. فجيد إنه قد وضع عدو ضد الحرية. لأنه متى غلب من قبلها في صراع الاحتمال تظهر عند ذلك بأنها حرية، وتعرف قوتها ويلاحظ سلطانها. فلهذا الأمر قد صارت لنا هذه الشهوة سبباً للمكاسب. فلا نتراخ لتصير لنا سبباً للخسارة، فغبي هو وبلا معرفة ذاك الذي ينتظر من المكاسب خسائر، وشرير هو وضد للنعم من يجعل الشيء الذي أعطي له للنعم وسيلة للشر.

فلنكن إذاً مجتهدين في حربنا ضد هذه الشهوة الشريرة. والتي هي نعمة عن طريق الزواج بالنسبة للذين هم في العالم، لكنها تعتبر شراً إن مورست من قبل التلاميذ. لأنه ليس كل شيء جيد بالنسبة لكل الناس وإن كان جيد بطبيعته. فالغنى جيد بطبيعته وذاك لخلقه من قبل الخالق ولكن إن أقتناه المتوحدون الذين أمروا أن لا يكون لهم ثوبان وأن لا يهتموا بما للغد فإن اقتناءهم له سيكون شراً لهم. وطاهر هو أكل اللحم وشرب الخمر للذين يسلكون في العالم. أما بالنسبة للذين اختاروا بحريتهم أن يتتلمذوا للسيد المسيح فإنه لا يليق استخدامه لهؤلاء إن لم يكن للضرورة. كما إنه حسنة وجيدة السلطة والترأس في هذا العالم لأنه مكتوب ليس سلطان إلا من الله. لكن بالنسبة للذين امتنعوا عن معاشرة الناس ووضعوا على

أنفسهم وعوداً كبيرة ومتعالية فإن اشتهاءهم للمناصب البشرية سيكون لهم للخزي والهزء. كما إن السكن في المدن والقرى والجلوس في العالم ومعاشرة الناس ليس من الأمور مذمومة إلا بالنسبة للذين زهدوا حباً بالله وخلعوا العالم مرة واحدة بإرادتهم وخرجوا منه ليصبحوا متوحدين وزهاداً، فإن معاشرة الناس لهؤلاء ستكون للذم واللوم. وكثير من هذه الأمور ليس فيها مذمة إلا بالنسبة للذين وضعوا على أنفسهم وعوداً ضدها أي إنهم قد وعدوا بالزهد في هذه الأمور وهم ملامون إن صنعوها. فعلى هذا المثال هي الشهوة (الجنسية) وجيد إنها وضعت من قبل الخالق لأن بها يستمر بقاء العالم وهي الأصل في نمو الطبيعي للناس، وهي التي تمنح لجنس البشرية الشيء الذي أخذه وسرقه منهم عقاب الموت.

لكن تأمل أيها التلميذ في هذه الشهوة وإن كانت قد وضعت في طبيعة (الإنسان) إلا أنها ثارت عند كسر الوصية، ومن أكل الثمرة ظهرت حركتها. وكعلامة ظهرت لنا لنتيقن بأن سلطانها فقط هو في العالم الجسدي، وأما في العالم الروحي فلا حاجة إليها. فإن أمثلة السلوكون قد ظهر في أبوينا (آدم وحواء) أي التدبير الجسدي والروحي، تدبير العالم الجسدي وتدبير العالم الروحي، تدبير آدم الأول وآدم الثاني. فإنه قبل أن يأكلا من ثمار كسر الوصايا التي منها تحركت تلك الشهوة التي كانت مختفية داخل الأعضاء، كان كل سلوكهما روحياً وبشكل روحي كانا ينقادا نحو كل الأمور : بحواس مقدسة وأفكار طاهرة وبعقل لائق بالله وبفكر طاهر ونقي من كل الحركات السيئة للشهوة وعلى مثال الكائنات الروحية كان وجودهما في الفردوس. إذ كانا يظهرا بالجسد في الظاهر فقط لكنهما بفكر روحي كانا يسلكان في السماء. إن الله في البداية أطعم آدم الحياة الروحية لأنه أراد أن يكون وارثاً لها. لكن الأمور العالمية وإن كانت مبدعة من كلمة الله لكن آدم بحريته أشتهاها وبإرادته اختارها وخرج وراءها ومعروف بأنه بسبب أكله لتلك الثمرة التي بها كسرت الوصايا كانت بداية كل الشهوات كقول الرسول بولس : " **فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته ولكن الشهوة وهي متخذة فرصة**

بالوصية أنشأت في كل شهوة "[1]. إذاً فشهوة الروح هي أقدم فينا من شهوة الجسد. كما تظهر ذلك قصة أبينا آدم الذي أنحدر من الأعلى إلى الأسفل، ومن الشهوة الروحية إلى الشهوة الجسدية، ومن التدبير السماوي إلى التدبير الأرضي، ومن رؤية جمال الله التي لا يشبع منه ألتفت ليرى جمال امرأته. فإلى أن ألتفت نحو الخارج لم يُر له ما في الخارج. وإلى أن تطلع نحو العالم لم تعرض أمامه مشاهدة شهوات العالم هذه التي كان سببها أكل الثمرة. وكما أصبحت فيه البطن هناك مصدراً لكل الشهوات، هكذا هنا أيضاً منها تبدأ كل الشرور. أما الشوكة الأولى التي تنمو من حقل شهوة البطن فهي الزنى. وفي الحال عندما تنمو تصبح كشوكة في العين بالنسبة لرؤية العقل وتوقفه عن رؤية الله. فإن هذه الشهوة لا تمنع فقط الذين لم يسبق لهم أن يشاهدوا الله، من مشاهدته. بل حتى الذين يعاينون الجمال الإلهي باستمرار إن صادف وتسلط عليهم هذا الهوى (الزنى) فإنه يعمي حركتهم ويصبح كستار يقف أمامهم ويمنعهم عن مشاهدة جمال المسيح. وبعدها يتألمون لكي يجدوا ما أضاعوه، وهكذا بصعوبة وبممارسة أتعاب كثيرة حتى يستطيعوا إيجاده.

فيوجد من هو أعمى بالكامل، كالذين يولدون من بطون أمهاتهم هكذا. ويوجد من بعد أن ولدوا وشاهدوا النور (السماوي) أصيبوا بالعمي. وهؤلاء بسبب الأضرار التي لحقت بهم أصاب العمي أفكارهم النيرة. فعند هؤلاء ما يزال ذكر النور السماوي محفوظاً حتى في الوقت الذي حلت بهم الأضرار. وكما يتذكر الذي يصاب بالعمى النور الذي شاهده قبل أن يصاب. هكذا يتذكر الذي يصاب بالعمى بسبب الأهواء النور الروحي الذي كان يشاهده من قبل. فإن الذي يستحق أن يرى هذه النور (من جديد) فهو لا يتقبله كمن سمع عنه من قبل بل كمن يتذكر نوره القديم. وعندما يقارنه بعماه الحاضر يتنهد ويذكر من أين وإلى أين سقط، وأي شهوة هي التي أبدلها بشهوة أخرى. إذاً فللذين شاهدوا النور الروحي يلزمهم الانتباه أكثر بكثير ممن لم يروه أبداً أو حتى لم يشعروا به. وكما يلزم الغني أن ينتبه إلى غناه أكثر من المسكين الذي لا يقتني شيئاً. هكذا يتطلب الانتباه من ذاك الذي رأى

[1] رو 7: 7

بصفاء نفسه جمال رؤية الله لكي لا يضيع الشيء الذي وجده. فكالإنسان الذي يرجع بنظره من الأمام لكي ينظر إلى الوراء، أو بدل أن ينظر إلى الوعد السماوي يلتفت إلى الظلمة. هكذا يحدث للفكر الذي ينظر إلى الله ثم يلتفت من نحوه لينظر إلى هذه الشهوة المقيتة. فالنفس إن لم تُضِع جمال وجودها لا تلتفت لتشتهي جمال الجسد الفاسد. فإنه بانعدام الجمال تشتهي جمالاً (آخر) وبانعدام الهيئة ترى هيئة أخرى وحيث أنها لا تنظر جمال المسيح الشهي لذلك تتقيد بمشاهدة جمال الجسد. ولأنها لا تكون منتبهة لذلك يستيقظ فيها النعاس. ولأن الحب الروحي قد برد فيه لذلك تلتهب فيه نار حب الجسد. فإلى أن يشعر الإنسان بجمال نفسه (روحه) لا يستطيع أن يشعر بجمال المسيح الذي لا يشبع منه. ومن طبعه أن كل نفس تشعر به وتراه يربطها طبيعياً بمحبته. فكما أن الذين يحبون جمال الجسد يتحرك ذاك الحب بشكل طبيعي في أعضائهم. هكذا أيضاً الذي يصل إلى جمال لذة المسيح تتحرك به محبته وكأنها ضرورة طبيعية. ولا يستطيع شيء أن يفصله عن رباط تلك المحبة. فإن كان الذي يشغف بشهوة الجسد وبمشاهدة الجمال الفاني الذي تحيط بها من كل جانب علل انحلاله (الجسد) ونجس فساده. يستهين (ذاك الإنسان) بكل شيء ويستخف بالتوبيخ من الجميع وينتصر حبه للجسد على كل المخاوف التي تحاربه من كل جانب. فكم بالأكثر النفس التي أحبت المسيح وتشوقت للنظر إلى جماله الأخاذ، تنحل من كل روابط الخوف وترمي وتعبر على إكراهات الناموس، وتكره في عينها كل الأشياء الجميلة عندما تقارنها بجمال رؤية من تحب. فكالذي تتسلط عليه الشهوة الطبيعية ولعدم وجود صورة (امرأة) جميلة قريبة منه، يحب عندئذ امرأة عمياء وقبيحة ومرذولة الصورة، ولكن إن صادف بعد ذلك وراء صورة جميلة ونظر إلى جسد جميلٍ آخر. فإذا قارن هذا الجمال الذي رآه مع تلك الصورة القبيحة الأولى التي أرتبط بحبها. فإنه سيحتقر تلك الشهوة الأولى ويلوم نفسه على ما ربط به محبته. وهكذا يستولي هوى الجمال الثاني على كل انفعالاته فيلتهب كلياً بتلك الشهوة وخصوصاً عندما يقارنها بتلك الشهوة الأولى التي أحبها. هكذا أيضاً يحدث للفكر عندما يعدم جماله، فيستولي عليه جمال الجسد، أي عندما

يعدم رؤية جمال المسيح يستولي عليه جمال الجسد. فيشتهي ما لا يليق للشهوة. ويحترق بنار حب الطبع الفاسد الذي يجب أن لا يدعى حباً بل هوى مكروهاً وممقوتاً. فإن صادف الإنسان إن سواء بسبب إرادته أو بسبب ما أظهره له الآخرين أو بفعل النعمة. فظهر له الجمال البهي لهذه الأزلية غير المخلوقة. وشعر بهذا الجمال غير الفاسد. فإنه في الحال ينسى الجمال الطبيعي ويرجع أمام عينيه ذاك الجمال وكل تلك العفة. فيبدأ يوبخ نفسه على أي حب سبق وارتبط ومن أي إكراه استعبد وأي ضعف قويَ عليه. ويلوم نفسه التي برخاوته استعبد لمحبة الجسد الفاسد. فتتحول كل الأمور إلى عكسها : الراحة بالراحة، والمجد بالمجد، والغنى بالغنى، والاحترام بالاحترام، واللذة باللذة، والشهوة بالشهوة، والجمال بالجمال. فكل هذه الأمور تظهر عندما تقارن ببعضها البعض : أي ما في العلو مع ما في الأسفل. فالذين يشعرون بالأمور العلوية يحتقرون كل الأشياء التي هي أقل منها ويتلهفون لما هو أعلى منها. أي للأشياء المجيدة والجميلة والمتعالية والحسنة لأنه هذه هي طبيعة النفس أن تشتهي الأمور التي أعلى منها. فعندما تشتهي هكذا، تكون شهوتها طبيعية. لكن عندما تشتهي ما هو أقل منها فعندئذٍ ذاك تكون شهوتها غير طبيعية. ولأنها قد فقدت تمييزها بمعاشرة ما هو ضدها لذلك اشتهت ما هو عكسه. وإن كانت قد تاقت إليه فيكون بدون شهوة لأنه لا يوجد إنسان مِمن رأى الشمس يتركها ويبدلها بالظلمة ويكون متلذذاً بذلك إلا إذ تحركت به أعمال تناسب الظلمة. فعندما يمزج ظلمة الخطيئة بالظلمة الطبيعية عندئذ يشتهي الظلمة في الظلمة (للخطيئة) وبهذا تعرف بأن شهوته عمياء لا ترى ماذا أبدل ولا تميز ماذا اشتهى. فمن الذل أن يتمسك الإنسان بشهوة الجسد وخصوصاً إن كان من الذين زالت عنهم الأهواء، فيعودون ويخضعون لها. ومن بعد أن استحقوا رؤية الجمال الروحي يتمسكون بمحبة الجمال الجسدي. أولئك الذين يستحقون الإهانة حقاً. فما الذي أبدلوه وبماذا أبدلوه. فقد أبدلوا جمال الملكة الأجمل من الكل ليشتهوا تلك العمياء الفقيرة والممقوتة من الكل. فإن كان جمال الروح بالنسبة إلى الذين يشعرون بها لا يشبعون منه فكم بالأكثر لا تشبع النفس من جمال المسيح الذي هو بالطبيعة

جميل وشهي ومحبوب ولا يوجد جمال يضاهيه، ولا منظر يشبه منظره، ولا حسنٌ محبوب مثله، ولا أيقونة رائعة كصورته، ولا صورة شهية مثله لأنه بالكامل شهي. فلا يوجد فيه عضو جميل وآخر عكسه بشع وممقوت كما يحدث ذلك في الجسد الفاسد إذ يوجد فيه عضو جميل وآخر بشع يقلل من جماله. فيمكن أن يوجد جسم جميل لكن أرجله قبيحة. ويمكن أن تكون عيناه جميلتين ولكن باقي الحواس تكون ضعيفة وعاجزة أو ناقصة، وتكون بعض الأعضاء حسنة وبعضها الآخر معيبة. وباختصار لا يمكن أن يوجد جسد كامل الجمال وبعيداً وخالي من العيب. فهذا الأمر موضوع من الله بحكمة لكيما لا يكون جمال الجسد كاملاً. لكي كل من يصطاد بشهوته يحل منها بسرعة. فإذا وضع عضو جميل مع آخر قبيح، وعضو ممقوت مع آخر حسن. فالذي يصطاد بشهوة العضو الجميل يرتدع عن مشاهدته للعضو القبيح المتحد به. وتلقائياً تنحل هذه الشهوة وتكون ضعيفة الجانب بالنسبة إلى الذين يتمسكون بهواها. ومع المرض يتواجد أيضاً الدواء. وعلى جانب المرض تتواجد الصحة، ومن داخل الجمال تخرج القباحة. فهكذا رتبت هذه الأمور من قبل الحكمة الإلهية. لأن علة كل العلل وجمال كل جمال لا يريد أن يشتهي جمال روحنا جمالاً غريباً خارجاً عنه. فإن صادف وبسبب نعاس الأفكار ظهرت لنا الأمور القبيحة وكأنها حسنة. ومن مشاهدة الأعضاء الجميلة نُصطاد من قبل الشهوة الفاسدة. فلنعلم بأن انحلال هذه الشهوة يتم بطريقتين الأولى بمشاهدة الأعضاء القبيحة والثانية بمشاهدة جمال الرؤى العلوية. فإذا كانت الأشياء القبيحة تبعدنا من الأسفل، فإن التأمل بالمناظر البهية تجذبنا من الأعلى. فلنمتزج بهذا الجمال الذي لا يشبع منه، ولنصب هذا الجمال علينا ونختلط به لتتجسم فينا صور روحانيته. ولا نتيه ونشتهي الأشياء التي لا تستحق أن تُشتهى فتضيع الشهوة الروحية الممزوجة بروحنا. فآدم اشتهى جمال الثمرة ومنها انقاد لمشاهدة جمال حواء، دخلت شهوة البطن فأيقظت شهوة الجسد. ومن الشهوة الجنسية نمت كل الشهوات الأخرى. إن هذه الشهوة قد وضعت فينا لاستمرار الجنس البشري. والذين لم يوجدوا ليتمموا موضوع استمرار العالم يجب أن ينتصروا على هذه الشهوة. فوعد

التلمذة يجعلهم خارج العالم وغرباء ولا حاجة لهم بالنسبة له (للعالم) فإنهم بوعودهم قد أصبحوا أعلى من العالم وكأنهم قائمون في الأعالي كوعد الفادي لهم. فالذين خرجوا من العالم بالكامل يجب عليهم أن يكونوا خارج الشهوة أيضاً تلك التي هي لاستمرارية الجنس البشري. فهاتان الشهوتان ملازمتان لبعضهما البعض، أي شهوة البطن والشهوة الجنسية. لكن يظهر لنا وجود اختلاف في عملهما : فواحدة تأمن استمرار حياتنا والأخرى تحفظ الحياة الطبيعية. فشهوة البطن تحافظ على حياتنا، والشهوة الجنسية (الزواج) تحافظ على طبعنا عن طريق التوالد. فلو كان من الممكن أن تستمر حياتنا في العالم من دون إتمام حاجات الجسد لكانت وصايا خالقنا قد منعتنا من الأكل والشرب ولكن بما أن ذلك غير ممكن لذا وضعت لنا حدود من قبل خالقنا لاستمرار حياتنا. ولكنه أوقفنا عن الزواج لأنه لم يضعنا في العالم لنكون سبباً في استمراره. بل ليكون لنا (العالم) مكان للحرب وبالجهاد الروحي نفوز فيه بأكاليل المجد. لأن الذي يحارب يلزمه عدو ومن دون ذلك لا يمكن أن تحدث الحرب. لذلك أبقى الشهوة في أعضائنا لكي تصير لنا عدواً لكيما عندما تُحارب وتُهزم من قبلنا يظهر انتصار المقاتل. وإن صادف وأخطأ، فيلام عند ذلك ضعفه لأنه بسببه انهزم وليس بسبب قوة العدو. فالشهوة لا تنتصر علينا لأنها أقوى منا بل بسبب ضعفنا وانحطاطنا. فإن كانت بطبيعتها تستطيع أن تنتصر لكانت انتصرت على الجميع وفي كل الأوقات. ولكن الأمر ليس بمرة تنتصر وأخرى تندحر. مرة تُغلب وأخرى تَغلب. فبالانتصار عليها تظهر قوة إرادتنا. وأما في انتصارها علينا وغلبتها لنا فيُظهر ذلك ضعف إرادتنا. وقلة الإيمان الذي فينا. فإلى أن تأخذ الشهوة منك قوتها لا تستطيع أن تنتصر عليك. أي إنها لا تتجرأ أن تحاربك إلا عندما تسمح لها إرادتك. فخذ لك هذه التجربة في نفسك فكلما أردت أن تبقى (الشهوة) نائمة فستظل كذلك وكلما أردت أن توقظها فستستيقظ. فإن حدث واستيقظت بسبب خارج عن إرادتك فمن السهل عليك بنفخات صغيرة أن تطفئ نارها إن كان لك قوة في نفسك أن ترسل لها مثل هذه النفخات. فهي لا تنطفئ من نفخات قوة الجسد متى التهبت به تخضع لها كل أحاسيسه. فيغلب الجسد منها لذلك لا يستطيع أن ينفخ

عليها. وأن نفخ فلن يطفئها. لكن متى قامت النفس بقوة طبيعتها وتسلطت على تمييز أفكارها وجمعت كل أحاسيسها لتتحرك لها وليس للجسد. هكذا وبقوة كبيرة ترسل نفخات تزجر بها تلك الشهوة كلما أرادت، وبطرفة عين تنطفئ النار المشتعلة في الأعضاء. فعندما يقاد الجسد من قبل النفس فإن تدبيرهما يكون سليماً وصحيحاً كما يليق للإنسان أن يسلك بالاستقامة التي تناسب الكاملين. أما عندما تقاد النفس من قبل إرادة الجسد فعندها يكون سلوك ذاك الإنسان كالحيوانات إذ لا يعود يشعر بحركات الشهوات التي تصنع منه. ولذلك لا يشعر بالندم الذي يصاحب التمييز. فكلما كانت النفس متفقة مع الجسد بأفكارها لا تستطيع أن تقوده ولا حتى أن تظهر ذاتها فيه. ولا شهوات الجسد تهتم لها، ولا حتى أهواؤها (النفس) تكون مقبولة بالنسبة لها. لكن كالأعمى المحروم من الرؤية ومن مشاهدة كل شيء. هكذا تكون النفس التي أصابها العمى من أهواء الخطيئة. فإنها لا ترى نفسها ولا أي شيء خارج عنها.

فيلزمنا إذاً أن نعزل النفس عن الجسد. من قبل أن ينعزل الجسد عن النفس (الموت). ولأن امتزاجهما طبيعي من قبل الخالق فإذاً ليس من اختصاصنا أن نعزلهما إلا إذا أراد أحد أن يضيع حياته الأبدية. والمقصود هنا أن نعزل أفكار النفس عن الجسد وهذه منوطة بحريتنا فعندما نشاء نستطيع أن نعزل أفكار نفسنا عن جسدنا. وقد تعلمنا هذا العزل من الكتب المقدسة ومنها أخذنا القوة لكي نسكن النفس منعزلة في داخل بيت الجسد. ولربما كرمز أظهر لنا روح الله إذ قال : " **الله مُسكن المتوحدين في البيت** "[1]. فالمتوحد يشير هنا للفكر الحسن الذي حل في الجسد ويحفزه بأن لا يشترك في أهوائه ولا يقرن محبته مع الذين لا يستحقونها. حتى ولئن تحرك به ومنه لكن يكون منعزلاً عنه، وبعجب مجد الله يسكن في بيت السكون. وإذ يطلق على هذا الفكر المقدس اسم المتوحد (المنعزل). فكما أن الإنسان الذي يبتعد عن العالم كله ولا يتعاطى بما له أو عليه لا بغناه أو راحته ولا لكل ما يوجد به يدعى متوحداً. هكذا يدعى متوحداً أيضاً الفكر عندما يسكن في الجسد

[1] مز 68: 6

ويبتعد عن كل شهواته وأعمال راحته ويكون فقط لوحده ويفكر في نفسه فيظهر لــه من خلال تأمله الدائم في نفسه جمال نفسه وحسن وبهاء ذاته. فجيد أن النبــي قــد برهن على هذا الفكر المنعزل (المتوحد) بوحدانية الله بالنسبة لكل الأشياء. فكما أن الله الذي هو ممزوج بالكل لكنه بعيد عن الكل بوحدانية طبيعته. هكذا أيــضاً هــذا الفكر المنعزل فإذ هو متحد مع الجسد لكنه منعزل عنه في الوقت نفسه. " **الله فــي مسكن قدسه** ". ثم قال : " **الله مسكن المتوحدين في البيت** ". فما هــي الــضرورة ليجعل هذه المقولة الأخيرة بجانب الأولى إلا ليعطي الله شهادة على توحد (انعزال) الفكر. فكما أن الله وهو متوحد في مسكنه المقدس أي ساكن فيه بعيداً عن الكل لكنه رغم ذلك قريب من الكل. هكذا أيضاً الفكر المتوحد إذ هو قريب من الكل، لكن كل شيء يكون بعيداً عنه. وهكذا هو اللائق أن يقترب الفكر بسلطانه من كــل شــيء. وهكذا يصير هو المراقب والمُوجد للمعرفة المتواجدة في كــل شــيء، ولا يــسمح لشيء أن يقترب منه. هكذا الله أيضاً الذي هو غير متناهي بطبيعته قريب من كــل شيء رغم أن كل شيء بعيد عنه لأنه غير متناهي. هكذا أيــضاً الفكــر يجــب أن يكون المسيطر وإذ هو قريب من كل شيء بناء على حريته يكون كل شيء بعيــداً عنه، لأن الأمور الجسدية لا تليق به. لأنه إن لم يكن الفكر منعزلاً لا يستطيع حتى من أن يجمع قوته. فكلما كان متحداً بالجسد فإن قوته ستسرق وتتوزع على أعضاء الجسد. فعندئذ سيفتقر ويعاق من قوته ويصير مستعبداً للشهوات، ويصير مــأموراً وليس آمراً. فعندما تشترك النفس مع الجسد وتنصاع لرغباتــه ستــستعبد لــشهوته وليس لشهوتها، فعندئذ ستشتهي معه الأمور الفاسدة التي يشتهيها هو، وستبتعد عــن شهوتها الطبيعية السليمة. فشهوة النفس السليمة والتي يجب أن تصير لنا معياراً هي هذه، عندما تتحرك النفس من خلال شهوتها الطبيعة. فكلما أشتهينا الأمور الحــسنة والتصرفات الجيدة في داخلنا، تكون النفس عندئــذ تتحــرك بــشهوتها الطبيعيــة. وباختصار فإنها تشتهي المكاسب والأمور الروحية وذلك بالقيام بأعمال جيــدة. إن شهوة الجسد ليست قوية لتقهر شهوة النفس. بل من النفس تأخذ قوتهــا وتتــصارع معها. فالشهوة بمفردها تكون ضعيفة فلذلك تأخذ لها عوناً من أمور أخرى. والشيء

الذي لا تستطيع أن تعمله بقوتها، تصنعه بمساعدة الآخرين. والأمور التي تساعد هذه الشهوة هي : شهوة البطن، واللذات والعبث وأمور اللباس ومعاشرة الناس والتكلم عن الشهوات والتحدث عن أشكال الزنى وتملق الوجوه والنظر إلى جمال الجسد وشرود الفكر وتذكر الأشياء (غير الحسنة). فمثل هذه الأمور تدعوها هذه الشهوة لمساعدتها ثم تبدأ بحربها مع النفس، فتصف ضدها حرب الرغبات. فهذه الأمور تظهر ضعف هذه الشهوة التي إن كانت تستطيع أن تنتصر بمفردها لما كانت بحاجة إليها.

أما بالنسبة لك أيها التلميذ فالمطلوب منك إن كنت راغباً في الانتصار على هذه الشهوة التي تتحارب معك ؟. أولاً أن تنتف جناحيها، وتهلك القوى التي دعتهم لمساعدتها، وتفرق أعضاءها، وتظهر أساسها وتستأصله، وتنزع جذورها. فعندما تبقى وحدها عندئذ تسهل عليك هزيمتها.

فعندما تبدأ الشهوة بمحاربتك لا تقرب لها الوقود لتلتهب به. لكن أبعد عنها كل شيء يمكن أن يغذيها. فإنها متى التهبت فبمدة قصيرة سوف تنطفئ و تخمد في مكانها. فأبعد عنها في البداية المأكل والمشرب وكل خبزك بالوزن وأشرب ماءك بالكيل، وأبعد عنك الراحة الجسدية وأتخذ لك ضيقات بتمييز وأخضع جسدك تحت نير الأتعاب وليتعذب بالجوع ويتضايق بالعطش وليتعب بالسهر. فإن أراد أن يرقد فلا تعطيه إياه، وإن أراد أن يخطف له قليلاً من النوم فأبعده عنه. فإن أجبرتك حاجته للطعام فحاسبه ثم أعطه. وباختصار لا تعطه راحة تامة لأن الراحة بدون شك هي مولدة الشهوة ومع هذه الأمور أبعد عنه أيضاً الأسباب الأولى التي قلت لك عنها. ولا تعط أذنك لتسمع كلاماً عن الشهوة. ولا تطب لك قصصها عندما يُحدث بها أمامك. ولا تلبث لديك صور الأشخاص الذين تأتيك منهم الشهوة وأنزع الصور المهيجة من داخل تفكيرك. وأستأصل تماماً من نفسك ذكر الجمال الذي سباك لأنه طالما ذكره قائم بك فلسوف يحرقك. فكما تتمسك النار بالوقود عندما يقترب منها. هكذا أيضاً الشهوة تتمسك وتلتهب في الأعضاء من رؤية وسماع هذه القصص، ومتى تمسكت بها فمن الصعب على كل إنسان أن يطفئها. فجاهد وانتصر على

الأشياء الصغيرة لكي لا تنتصر عليك الأمور الكبيرة. فإن ابتعدت عــن معاشــرة الأمور التي قلتها لك وطردت من عندك الأشياء التي تساعد هذه الشهوة فإنك سوف تغلق الباب في وجهها. ولا تعود تتسلط عليك. ولكن إن كنت أمــام هــذه الأمــور البسيطة تتراخى وتنهزم منها فكم بالأكثر سوف تُغلب وتنحط أمام الــشهوة. فلكــي لا تكثر عليك الأتعاب وتسقط في حرب قد تخرج منه أو لا. أبعد عنك هذه الأشياء التي تهدمك وتدخلك إلى الحرب وكن بعيداً عنها لتكون بعيداً عن الــشهوة. فــدس البنات فتدوس أيضاً على أمهن. أقطع الأعضاء لتقطع الرأس أيضاً، أنتف الجناحين ليظل الجسم في عمق الفقر (بلا قوى). لا تتكلم بكلام الزنى لكي لا تــصل للقيــام بفعل الزنى. لا تترك ذكر الشهوة في نفسك لكي لا تكمل فعــل الــشهوة بالعمــل، لا تثقل معدتك بكثرة الأطعمة لكي لا تشعل الشهوة في أعضائك. لا تروي جــسدك بكثرة الخمر لكي لا ترمي نفسك بالكامل في الشهوات. لا تفرح بالأطعمــة اللذيــذة لكي لا تطيب لك حلاوة الشهوة. أبعد عينك عن مشاهدة المنــاظر الخلابــة لكــي لا تهلك نفسك من حركاتها. اغلق باب سمعك أمام حديث الشهوة لكــي لا تــصير نفسك مسكنها الدائم. لا تستحسن رؤية جسدك الجميل أمامك ولا تتأمل في منــاظر الآخرين. لا تمضِ نحو الزلل لكي لا تَزِل، لا تُعثر نفسك لكي لا تتعثر، لا تَتَــدنس لكي لا تُدَنس، لا تتبع (الأمور السيئة) لكي لا تتبعك، أهرب فتهــرب منــك. تقلــد الغيرة ضد الشهوة وكالعدو أطردها من نفسك. في وقت الشهوة استخدم الغيرة بــدل المحبة لأن الحب مع العادة سيصبح طريقاً للشهوة. فكثيرون تغيــروا مــن الحــب الروحي إلى الحب الجسدي، وإن كان حبهم في البداية جيداً لكنه في النهايــة كــان مكروهاً وممقوتاً. فلتجاهد أهواؤك ضد أهواؤك تلك التــي تــشعر بأنهــا مخالفــة لبعضهم البعض. فعندما تشعر بأن واحداً من أهوائك الشريرة يقاومك فــآثر عليــه الهوى الذي هو ضده. وخصوصاً ضد هذا الهوى الممقوت للشهوة. فإنــك مجبــر لتجاهد بالأهواء المضادة. فالغيرة هوىً سيئ لكنه في وقت التجربة تلزم كثيراً. كما أن الغضب قاس لكنه في وقت الحرب يناسبك. فلا تتضايق عندما تتحرك بك هــذه الأمور المكروهة (مثل الغضب)، لأنها تساعد كثيراً عنــدما يثــور عليــك الحــب

الجسدي. فاجعل هذا الهوى (الغضب) أمام عينيك في كل فرصة تتحرك فيه الشهوة عليك وذلك لكي تنقذ حياتك من الموت ونفسك من الهلاك التام. إذ تتشبه في حربك ضد المغريات بالأشخاص الذين يتقاتلون حتى الموت في سبيل الحفاظ على حياتهم الجسدية. فيوجد الكثير بسبب خوفهم من الموت يتصارعون حتى الموت إما ضد الحيوانات، أو مع اللصوص، أو مع الأعداء، أو مع الطيور المؤذية، إذ لا يكون صراعهم سهلاً لكنهم يضعون كل قوتهم فيه لكي ينقذوا حياتهم. ففي ذاك الحين يقومون بأي شيء يحرك القوة في نفسهم وفي جسدهم ويلبسون الغيرة والغضب والسخط والصراخ في القتال ويصدرون صوتاً مليئاً بالرعب. ويغيرون وجوههم لكي تتلاءم وحالة الغضب. ويتصارعون بأيديهم وأرجلهم وأفكارهم وأعضائهم أي يتصارعون بكامل جسدهم ونفسهم. ولأنهم يخافون الموت لذلك يقاتلون إلى حد الموت. فيقومون بكل هذه الأمور لكي ينجوا من موت الحياة المائتة.

فمن هذه الأمثلة تشجع أنت أيضاً من أجل حياة نفسك (روحك) وكن ساخطاً وغاضباً وقاسياً وغيوراً في وقت التجربة ولا تقل بأن هذه الأمور لا تليق بي. لأنه لا يوجد حرب بلا غيرة، ولا يتم صراع بلا عنف، وإن كنت في الحرب فيلزمك أن ترتدي الغضب وأن يظهر هذا الغضب على وجهك لكي يهرب منك العدو الذي يحاربك، فالذي يبتسم لعدوه يكون كارهاً لنفسه، فلا تبتسم إذاً للشهوة لكي لا تنام عندك، بل أنظر إليها بعين محمّرة فتهرب منك في الحال مثل الزانية في السوق. فالشهوة هي على مثال الزانية متى تحركت بالأعضاء إن تبسم لها الفكر فإنها في الحال تتمسك به وتجبره على معاشرتها، فتضع عليه نيرها الطائش ويصير لها عبداً وخاضعاً وليس آمراً. فإن تذكر الفكر ولبس لباس الوقار أمام حقارة الشهوة وتعطف بمعطف العفة وظهر لها وقوراً ومخيفاً فإنه تتركه في الحال وتبتعد ليس فقط من عنده بل من المكان الذي تحركت به أيضاً أي من كل أعضاء الجسد وتخرج وتهرب بخجل وكأنه ليس بيتها. وبما أن قباحة هذا العمل الكريه (الزنى) لا تظهر لكل إنسان عندما يستعبد الفكر الورع من قبل الشهوة ويتدنس ويستعبد ويصير موطئاً لقدميها. لذلك سوف أعطي مثالاً صغيراً لكي يتأمل ويفهم التلميذ.

فإن حدث ووجد واحد من الناس الوقورين والمعروفين بالعفة وبسلوكهم وأتعابهم العظيمة في داخل السوق وأخذ زانية على كتفه وبصورة فاحشة بدأ يدور بها في الأسواق وبأروقة المدينة. فإنه سيحدث اضطراب بين كل من يرى هذه الحادثة، وحيرة كبيرة ستتسلط على الجميع بسبب ما حدث. وستصير هذه الحادثة سيرة وقصة في كل مكان تحكى فيه. فبهذا المثال الواضح لنتأمل بالفكر الخفي عندما يُخضع ورعه للشهوة الفاحشة، ويمنح نفسه ليكون مسكناً لكي تحل فيه. إن هذا المنظر لهو أقبح وأكره حتى من تلك التي حدثت في أسواق المدينة. فهناك جسم يحمل جسماً وجسدٌ يتبع جسداً من نوعه. أما هنا فليس كذلك بل إن فكراً روحياً يطيش ويتبع شهوة جسدية فيحدث بذلك معاشرة غريبة عن العادة وتحدث تبعية غير طبيعية. فعندما يزني الفكر مع شهوة الزنى يكون هذا زنى غريباً عن العادة. فإنه يوجد تمييز في الزنى أيضاً : فهناك زنى جسدي وزنى نفسي وزنى روحي. وهناك معاشرة جسدية ومعاشرة نفسية ومعاشرة روحية. فالزنى الجسدي هو ارتكاب فعل الزنى المخالف للناموس من امرأة غريبة. والزنى النفسي هو معاشرة الأفكار بشكل خفي لشهوة الزنى وإن لم تتمم بالعمل الظاهر. وأما الزنى الروحي فهو عندما تشترك الروح مع الشياطين أو عندما تتفق مع التعاليم الغريبة. وأما المعاشرة الجسدية فهي تكون مع امرأة شرعية (الزوجة). والمعاشرة النفسية هي التي تتقبل وتمزج بالمعارف الطبيعية للأشياء ومفاهيم إدارة كل الأشياء التي تدور في هذه الحياة. والمعاشرة الروحية تكون عندما تمتزج الروح بالعلم الإلهي وكل الأمور الروحانية.

إذاً لنهتم بأن نتحرر في البداية من زنى الأفكار التي هي زنى النفس. فنتحرر عندها أيضاً من الزنى الجسدي. فإنه ليس حسنٌ أن يشترك الفكر مع الجسد بل أن يشترك الجسد مع النفس كُرهاً. فأوقف نفسك المتعالية بطبيعتها عن تبعية الجسد. فإذا ارتفعت إلى أعالي التدابير الطاهرة تُصعد معها عندئذٍ الجسد من أعماق الشهوات.

قد جعلت النفس لتكون ملكة على الجسد ومثل مدبر وموجه حكيم تمسك لجام حواسه. فلذلك ليس حسنٌ أن تصنع نفسك ما يريده جسدك بل أن يخضع جسدك للأعمال التي تحبها النفس هذه الأمور التي هي مشيئة الله المقبولة. إذ تخلصه من كل أثقاله وتجذبه إلى خفة تدبيرها العفيفة. وتجمله بالهواء النقي لقداستها، وتبدل رخاوته بالنشاط. وثقله بالخفة، ومحبته بمحبتها. وشهوته بشهوتها، وحاجاته بحاجاتها. وكثافته برقتها وجسدياته بروحانيتها. وجوعه بشبعها. وباقي الأمور كلها تغيره بمعرفة بالأمور الروحية التي تتحرك بها. فعندما تعاشر النفس الجسد تكون هذه العاشرة زنى وفسق. أما عندما يتبع الجسد النفس باتفاق تام. فعندها سيتعالى من الأسفل إلى الأعلى باقتران سليم. فيكون هذا الاقتران شرعياً وهو الذي وضع من قبل الخالق بشكل طبيعي في كل واحد فينا. حتى إن المعاشرة الطبيعية للرجل مع المرأة قد وضعت بأمر الله منذ البدء وعندما تصنع بحسب إرادة الخالق تدعى عندئذ شرعية (زواج) ولكن إن تمت بشكل آخر تدعى زنى وفسق. ومثل الرمز قد صارت هذه على النفس والجسد. فإن اشتركت النفس مع الجسد اعتبر ذلك زنى. وإن الجسد اشترك مع النفس يعتبر اقتران شرعياً. ولهذا المعنى الحدق أيضاً يقول الكتاب : " **من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته** "[1]. فإنه لم يقل تترك المرأة أباها وأمها وتلتصق برجلها. مع إنه هذا ما يحدث في عادات العالم أن النساء تتركن أهلهن الجسديين وتلتصقن بأزواجهن. وكما يرى بحسب العادة فهي ضد ما يقوله الكتاب. إذاً ما قيل عن الرجل هو رمز للجسد الذي يجب أن يترك كل شيء يرتاح له ويتبع النفس. فلو قال الكتاب بأن المرأة تترك أبويها وتلتصق برَجُلها كان بذاك يعلم بأن النفس يجب أن تشترك مع الجسد. أما الآن فقد قال عن الرجل بأن يترك أبويه ويلتصق بامرأته. فقد صار لنا من هذه الكلمات سر لتعليم ولتشجيع الجسد لكي يكفر براحته وشهواته السيئة ويكون له اشتراك مع النفس في كل الحسنات. فمتى اشترك الجسد مع النفس والنفس مع الروح فبهذا الثالوث يتمم العمل. ذلك لأن الله هو في الكل وعلى الكل

[1] متى 19: 5

" **فأنكم هياكل الله الحي** "[1]. وروح الله ساكن فيكم. كما يخيف بولس الرسول النفس التي ترخي الجسد لكي يقوم بعمل الزنى ويقول : " **إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله** "[2]. فهنا يعلم النفس بأن لا تترك الجسد يفسد بسبب تبعيته للزنى، لأن الخسارة في النهاية سوف تصيبها هي. وإذ هو يفسد بشهوات طبيعته ستفسد هي معه في يوم الدينونة الأبدية. وحسنٌ إنه جعل السبب في هذا الفساد على النفس وإذ هو بالأكثر على كليهما أي على النفس والجسد قد وضع من قبل الله. وقد جعل الفساد يلحق بالنفس أيضاً بسبب تركها الجسد لينزل نحو شهواته وإذ كانت قادرة على إيقافه لم توقفه وإذ كانت تستطيع أن تستطعم لذتها لكنها طابت لها لذاته الفاسدة التي كل حركاتها وأهواءها وأشكالها مخجلة.

إن الشهوة عندما تتحرك تجعل كل الجسد يضطرب. كما تخضع وتحط من نشاط الإنسان تحت فعل الخطيئة، فتُضيع معرفته وتُظلم تمييزه وعلمه. ولكن إلى أن تسلم النفس بإرادتها لتخضع للذة الشهوة، لا تستطيع الشهوة أن تنتصر عليها وتطفئ فيها نور علمها. فهذا هو اجتهاد الشهوة، هي والعدو الذي يساعدها أن يطفئوا نور المعرفة في داخل النفس. لكي يكون من السهل أن تمارس الشهوة أعمالها المخجلة في الظلام. لأنه كما تشتاق الأمور الجيدة إلى النور هكذا تشتاق الشهوة لمجيء الظلمة. ولذلك ترسل دخانها وتنفخه على نور النفس وتُظلمه فمتى أصبح المرء في ظلمة تامة عندها يصنع كل شيء إن كان ظاهراً أو مخفياً وكأنه يقوم به في الظلمة. فكما تخجل العين الجسدية من النور فتطفئه ثم تقترب نحو عمل الشهوة كذلك تستحي النفس من نظر الله الخفي نحوها لذلك تطفئ الشهوة النور الذي اعتادت النفس أن ترى الله من خلاله ثم تجذب النفس لتشترك في أعمالها. فإن النفس تخجل أن تقترب إلى أعمال الخطيئة ما دام نور رؤية الله يشرق فيها. فكما يخجل الجسد من ابن جنسه، ويستحي الوجه من الوجه طالما كان موضوعاً أمامه النور الطبيعي. وكما إن الخطيئة تمارس بكل سلطان في الظلام ومن دون خجل،

---

[1] 2 كور 6: 16

[2] 1 كور 3: 17

هكذا بجسارة وبدون خجل تزنى النفس مع الجسد عندما ينطفئ منها نور تذكر الله. ولكي تروق هذه الشهوة للنفس تقوم بإطفاء هذا النور لأنها (النفس) طالما تتذكر الله فإنها لن تخطئ. وإن صادف إنها بسبب النوم سقطت في الخطيئة فإنها مع ذلك لا تروق لها الشهوة لأن مخافة الله تنزع منها لذتها بهذه الخطيئة.

إن نور ذكر الله له عملين في النفس : فإما يوبخها لكي لا تخطئ، أو إن خطأت فإنها تمارس أعمال الخطيئة هذه بخوف ورعب وفزع. كما يخاف الجسد من عمل الخطيئة عندما يعرف بأن موعد قدوم الناس يمكن أن يراه قريباً، هكذا تخاف النفس وترهب من ظهور رؤية الله. إذاً فهذا النور فقط يستطيع أن يوبخ النفس لكي لا تقوم بهذا العمل الفاسد. لذلك يجب أن تتمسك به عندها ويكون مشرق فيها دائماً، ولا تترك ذكر الله يبتعد عنها أبداً، وتلتصق بطيب معاشرته. فكلما كانت مرتبطة بعشرته، فلن تتنازل لمعاشرة الشهوة. وكلما كان نور رؤية الله مشتعلاً فيها فإن الظلمة لن تدخل بقوة إلى حدود النور. وطالما أن شهوة النفس ممزوجة بشهوة الروح فإنها لن تمزج شهوتها مع شهوة الجسد. فإن النفس التي تترك شهوتها وتنزل لتشتهي ما ليس لها هي أهل للسخرية. أما النفس الحكيمة فشهوة الجسد تكون لها برهاناً لكي تحرك هي أيضاً فيها شهوتها. فإن كان الجسد يشتهي ما هو له، أفلا تشتهي النفس ما هو لها، وإن هو يحيا بحركاته فهي أيضاً ألا تحيا بحركاتها، وإن كانت شهوته تعاق من أمور كثيرة فيتغلب عليها كلها ليتحرك بشهوته أي ليحرك شهوته بها، والنفس المتحررة من كل المتناقضات ألا تتحرك بشهوتها الحسنة.

إذاً فيجب على التلميذ أن لا يخرج من شهوة الجسد بدون أن يأخذ له معرفة (حكمة) لكن متى رآها قد استيقظت حينئذ يوقظ نفسه بالمعرفة ويكون مراقباً لها. فإن كان متسلطاً بحريته وثابتاً بقوة نفسه فإنه وإن استيقظت في الأعضاء فلن يضطرب ولن يخاف منها لكنه سيقف في الأعالي ويراقب وينظر إليها كيف استيقظت وما هي أسبابها وكم هي قوة بدايتها وكيف نمت. فيتركها تتسلط بحرارتها على أعضاء جسده وتسيطر بالكامل عليه. ويكون هو أيضاً بالمقابل وبنفس المستوى الذي تنمو هي فيه بالأعضاء ينمي هو في نفسه أفكار النشاط. وكلما

حميت كلما أشعل هو أيضاً ضدها شهوة النفس ويجعل نفسه وكأنها فـي الحـرب. ويجلس هو (العقل) ويراقب من العلى معرفته. فتلقي الشهوة يـدها علـى أعـضاء الجسد وتمسك بها، وهو كالمقاتل الشجاع مع ابن جنسه يسير معه في الحـرب. وإذ العقل جالسٌ وقد جعل نفسه مراقباً من علُ معرفة لكنه يجمع من هذا الحرب العلم، ويتعلم سبب نصرة كلٍّ من الطرفين ويجد الأخطاء عند الطرفين. وإذ هو متحـرر من الحرب لكنه أمتلك علم الحرب.

فهذا العقل (الفكر) لا يسمح لنفسه أن يدخل ويحاط بالشهوة التـي تحـارب الجسد. وإلا لا يستطيع أن يكون مراقباً للحرب ولا أن يجمع منـه العلـم بـأمور الحرب. فكما إن الجسد لا يستطيع أن يكون مراقباً لنفسه في الحرب طالما هو قائم في الحرب. ولا الشهوة ترى نفسها طالما إن حربها ضد الجسد لا يزال قائماً. هكذا أيضاً العقل لا يستطيع أن يكون مراقباً للحرب إن سمح لنفسه أن يختلط بهوى هـذه الشهوة. لأن هوى الشهوة هو أعمى وكل من يتحد بها يصيبه العمـى كمـا تعـور الشهوة عيني العقل لربما إن كان يرى يحل نفسه من نيرها.

فإن كان لك رجاء في قوة عقلك فلا تخف مـن الـشهوة عنـدما تتحـرك بأعضائك. فإنها ستكون لك سبباً في حصولك على نعم كثيرة إن كنت تملك المعرفة التي بها تحصل على المكاسب من الأمور المُخسرة. ففي البداية ستكون لـك مـادة للحرب لأنه إن لم يكن لك عدو فلن يكون عندك حرب، وإن لم يكن هنالك حـرب فلن تعرف النصر، وإن لم يظهر النصر في نهاية الحرب فلن تعطى أكاليل المجـد والبهاء. فتشجع إذاً في حربك، ولا تخف إن تحركت فيك الشهوة، لكن انتبـه لـئلا يكون لها مخارج غريبة. ولا يتلذذ بها الفكر خفية ويزنى من دون جـسم (فكريـاً) بصورة بلا وجود (التخيلات). لأن هذه هي عادة الشهوة عندما لا يتواجد بـالقرب منها جسم حقيقي فإنها تسبب له الزنى بظلال الصور، وبدل اللذات، بالتأمل بها، إذ تحيط بالفكر الذي يزنى أمور ليست قريبة منه. فبدل الأجسام تقرن الصور للـنفس، وبدلاً من أن يزنى بأعضائه يزنى بأفكاره، وبدل جسده ينجس نفسه. فعندما يتـسلط ويشتعل هوى هذه الشهوة في الأفكار، ومن الكثرة ترمي بكل ثقلها عليه وإذ ليس له

(الفكر) ما يهيجه من الخارج تقوم الشهوة بسبب كثرتها بالضغط سعياً للخروج فتنشد الوسائل لذلك وتوجد الصور، فتشعل بالجسد نار الهيجان المهلك. فكما أن الشهوة الإلهية تبحث عن فرص لتصنع بها مشيئته وترضي الله. هكذا أيضاً شهوة الزنى تريد لها صوراً لتخدم بها شهواتها وتغضب الله.

فحارب أيها العقل المميز شهوة ضد شهوة، فبالحرب تنهزم شهوة الجسد أما شهوة الروح فتثبت لأن الروحانيات هي أقوى من الجسديات في كل شيء. فعندما تمسك لجام الشهوة والجسد التي تناقض الواحدة الأخرى وتكون جالساً في العلو تراقب صراعهما فعندها تنزع الأكاليل من بينهما. أي أن الجسد المشترك مع النفس يأخذ إكليلاً كما تنتظره حياة محفوظة بلا فساد. فالجسد بشكل طبيعي متحدة مع النفس، أما الشهوة فتكون قد أتت من الخارج بسبب كسر الوصية، لذلك لا نستطيع أن نفصل الجسد عن النفس، لكن نستطيع أن نفصل ونطرح الشهوة عن الجسد إن شئنا. فقد أعد الجسد ليكون مسكناً للنفس لا ليكون مسكناً للشهوة الشريرة. فلو كان الجسد قد خُلق من الله ليكون مسكناً للشهوة فإن الشريعة الإلهية لم تكن لتوصي بطردها من الجسد، بمناداتها بأقوال مختلفة من الغضب في كل حين : فمن هنا دينونة وغضب وعذاب وجهنم وانتقام وصرير الأسنان وجلد بلا نهاية وتأديب بلا حد ومع هذا أيضاً أمراض قريبة، كما يتعذب بالأوجاع التي تصادفه، والموت سيخطفه باكراً ويعبر به من هذه الحياة. والخوف يرافقه أيضاً والفزع يحيط به والخسائر والأضرار تلاقيه. إذ إنه في البداية تبطل منه الشهوة بسبب إنه طفل وصبي وفي النهاية بسبب الشيخوخة. فكل هذه الأمور أعدتها الحكمة الإلهية لكي تبطل هذه الشهوة الشريرة من الجسد. لكي عندما يرى هذه الضيقات عن جانبه والعذابات الدائمة تتبع حياته يطفئ هيجان هذه الشهوة من أعضائه. فهذا هو معنى أن تنطفئ وتخمد منه النار الملتهبة بأعضائه كالمحرقة الملتهبة أو كالنار التي تُظهر لهيبها من كثرة الوقود. فكما هو حال الوقود أمام النار، هكذا هي حال الأعضاء أمام الشهوة. ومثلما تتسلط النار على الوقود وتفنيه، هكذا تتسلط الشهوة على أعضاء الجسد وتفسدها.

إن نهاية ما يحرق بالنار هو الرماد، ونهاية الشهوة في الأعضاء إفسادها. فلا تضع النار في الأخشاب ولا الشهوة في الأعضاء. فإنه كما يزيد النفط والزيوت من اشتعال النار هكذا الطعام والشراب يزيدان اشتعال الشهوة. وكما تطفئ النار بواسطة الماء هكذا تنطفئ الشهوة بالزهد. فإنك إن سكبت ماء كثيراً على النار تطفئها وإن سكبت عليها نفط وزيوتاً تلهبها. هكذا إن أكثرت الأطعمة وشرب الخمر لذخيرة الشهوة فإنك بذلك تضيف ناراً على نار ولهيباً على لهيب، وإن أقللت من الطعام والشراب عن الجسد تعاق فيه الشهوة الطبيعية وتنطفئ وتبرد منه كل شهواته. إذاً فلتتحرك فيك الشهوة لكن ليس من أجل خسارتك بل لأجل نصرتك، فلا تكون لك سبباً للمرض بل لتكون لك إكليل مجد. لا تظهر بسببها كالجاهل الخالي من المعرفة بل اجمع منها العلم والحكمة. فلا تتحرك بك لتعمي تمييزك بل لتصر لك نقاء لعيون فكرك. لكي يتم فيك أيها العقل ما هو مكتوب (ويجلس الحكيم في العلا والجاهلين في الأعماق يسقطون). إذ تجلس أنت في علو معرفتك في حين أن الشهوة والجسد مقهوران تحتك، وكن أنت مراقباً لصراعهما وليس مشاركاً لشهواتهما. انتبه من الشهوة الطبيعية أيها العقل عندما تكون مراقباً لحرب شهوة الجسد ولتكن خاضعة لك في كل شيء كالأرض الخاضعة تحت ثقل الجبال. ولتتحرك بإرادتك ولتبطل بإرادتك. ليكن سيرها بحسب نظرتك. فإن حركة الشهوة تكون سبباً للمعرفة والعلم عند الحكماء. إذ تتحرك فيهم الأهواء لتختبر بهما قوتهما، ويجعلوا منها مادة لتدبير معرفتهم. فمتى تتم كل هذه الأمور وبأي مستوى تعمل ؟ إنها تتم عندما يكون العقل حراً بطبيعته وأعلى من الأهواء، وكسيد يأمر عبيده فيستمعون له، فيضع عليهم نير سيادته ويحول رؤيتهم نحو حركة إشاراته فيكونون متهيئين لكلامه ومتحضرين لسماع أوامره. وإذ هو يمكث في حريته لكنهم يبقون كالعبيد يستمعون لكلامه.

فما هو التعليم الأكثر إفادة من هذا التعليم الذي يجده الإنسان من انتصاره على أهوائه. فإن هذه الأهواء لا تجعلك فقط إنساناً فاضلاً بل حكيماً وعالماً، إن كنت مراقباً لها وليس عاملاً بها، وأن تحررت من لذاتها وارتبطت بالمعرفة التي

منها. فإنه كلما كان العقل متمسكاً بلذة الشهوة فإنه لن يتفرغ ليكون مراقباً لحربها وجامعاً للمعرفة. بل يرتد إلى اللذة الفاسدة.

إن الشهوة وضعت فينا للحرب لا للفساد، ولكي تُهزم من قبلنا وليست لتنتصر علينا. ونكون بسببها حكماء وليس لتظهرنا جهلاء وأغبياء. فكل علم نحصل عليه ليس منا وبواسطة الكلام نجمعه عندنا. أما تعليم المعرفة فنقتنيه من الانتصار على أهوائنا، وبالتجارب ترسخ حقيقة حكمته عندنا. لذلك فهذا التعليم صادق وصحيح. ولذيذة هي هذه الحكمة للنفس عندما تجده أكثر من الحكمة التي تحصل عليها من الخارج. لأن النفس تكون مصدرها وترتاح بها. وفرحها يكون منها وليس من أمور خارجة عنها. فعندما تجمع المعارف من الخارج يكون اقتناء معرفتنا من الخارج. ولكن عندما نتعلم من تجارب أهوائنا فيكون هذا العلم الذي جمعناه أصح وأصدق علم يمكن أن نحصل عليه، كما يكون فيه رجاء ويحفظ من قبلنا. فإن كانت الأشياء الخارجة عنا تكون مادة لمعرفتنا فكم بالأكثر تلك العلوم التي تتحرك منا وفي داخلنا، تصير لنا سبباً لتعلم الحكمة وذلك إن تركنا هذه لشهوة تتحرك فينا لهذا الهدف (أي للتعلم) وليس لتتمم لذتها.

فكن إذاً مراقباً لنفسك بتمييز المعرفة وافصل وأفهم ما بين ذاتك وما بين هواك. لتستطيع أن تجد طهارة لنفسك. ولا تدع الشهوة تستقر بداخلك لكي لا تطلب منك في كل حين راحة لها. ولا تعطها سلاماً عندما تحل لكي لا تطلب بعد هذا السلام بداية أخرى لها، بل أقطع مسلكها لأن منبعها نجس وأوقفها عن السير في طريقها فإنها للوقت ستسكن حركة مولدها. إن الشهوة لا تشبع لذلك عندما تتغذى تجوع بالأكثر وعندما تشرب تعطش أكثر. فإنه كلما أتمت بك إرادتها فأن هيجانها لن ينته بك، ولا تقل سأعمل الآن إرادتها ومرة أخرى سوف أتصارع معها لأنها إن غُلبت منها مرة واحدة فستغلب منها في كل مرة. وكلما ازدادت هي قوة كلما ضعفت أنت.

فلا تتراخ لتعطي قوتك للشهوة لتقوى به عليك، لكن استخدم أنت قوتك الطبيعية وأتركها هي في ضعفها الذي يليق بها. ولتكن لك حرارة هذه الشهوة مثالاً لكي توقظ وتشعل على مثالها الشهوة الروحية. فإنها كما يلتهب الجسد بشهوته هكذا تلتهب أيضاً الشهوة الروحية الطبيعية. فكلما كانت الشهوة الروحية حارة بك فلا يوجد فرصة للشهوة الجسدية لتستيقظ بك. فإنك إن لم تمارس هذا الأمر بالتجربة فتعلّم من عكس هذا الأمر فإنه عندما تشتعل فيك شهوة الجسد فإنك تشعر في ذلك الوقت بأن شهوة الروح قد بطلت منك. حتى إن شهوة الجسد لا تستيقظ بك إن لم ترَ بأن الشهوة الروحية قد نامت لديك. فإنه بنوم الواحدة من هاتين الشهوتين تستيقظ الأخرى لذلك لا يمكن أن تلاحظ كلتا الشهوتين سويّة. فما أن تضعف حركة الأولى حتى تدخل مكانها تلك التي هي ضدها. وكاللص الذي يراقب وينتظر صاحب البيت لينام. هكذا تنتظر شهوة الجسد أن تنام شهوة الروح، فما أن ترى إهمالاً قليلاً وتراخياً وترى إن الإنسان قد فقد شعوره باللذة الإلهية حتى تستيقظ عليه في الحال شهوة الجسد وتبدأ في الصعود على كل أعضائه. فإن أهملها الإنسان وتركها فإنها تنبسط على كيانه وتظلمه. فكالشمس التي تبدأ بالغروب في سيرها يبدأ الظل فيتكاثر ويقوى على الأرض لكنها إلى أن تختفي أشعتها تماماً لا تتسلط ظلال الليل بالكامل وتُظلم الكون. هكذا أيضاً ظلام الشهوة الجسدية يراقب دائماً مسار نور الشهوة الروحية فعندما يرى بأن مسارها يتجه نحو النزول يتحرك هو ويتأهب ليصعد شهوة بدل شهوة، وقدرة بدل قدرة، ولهيب بدل لهيب إلى أن يستتر هذا النور بالكامل ويظلم وتنتهي منه كل أشعته الروحية. حينئذٍ تصعد ظلال الشهوة بشكل كامل وتُظلم النفس فيصبح في داخل البيت النير، ليلٌ مظلمٌ. ومن هنا يبدأ الإنسان يتعثر بكل شيء لأنه لم يعد يرى ويميز الأشياء الموضوعة أمامه. فكما إنه في ظلام الليل يصعب تمييز كل الأشياء، هكذا بظلام الشهوة تستتر معرفة النفس وتختفي قوة علمها وخصوصاً إن كانت تشعر في السابق بالمعرفة الروحية. فكما إن الظلمة هي ضد النور، هكذا هي هذه الشهوة ضد معرفة الروح. لأنه حتى عندما يلتفت العقل لكي يكون مراقباً لحركات الشهوة لا يفعل ذلك بعين روحية بل

بعين المراقب التي تتأمل بالأشياء بمعرفة نفسية. فإنه عندما يرى بهذا الشكل يكون قد جمع بذلك المعرفة من الحرب. لأنه عندما ينظر العقل روحياً بالله فإنه لا يرى الأشياء التي هي ضده (الله) ولا حتى يتنازل لينظر إلى الشهوة لأن العجب من عظمة مجد الله لا يدعه يلتفت لينظر الأشياء الموجودة خلفه (العقل). لأن طعم تلك اللذة تكفي لأن تأسر العقل نحوها. وإن قال إنسان إنه ينظر إلى الشهوة ليجمع العلم ؟ فإن مثل هذا العقل (المتأمل بالله) لا يجمع العلم من أمور مضادة، بل من حركة بسيطة من هذه المعرفة التي صارت له من بعد التحرر من الأهواء. فكما إن الملائكة يعرفون كل شيء لا عن طريق مقارنة الأشياء بعضها مع البعض ولا عن طريق تقريب الأشياء المضادة لبعضها البعض. بل بالفكر البسيط الانفرادي يتحركون بالمعرفة.

فلنحذر إذاً من هذا الفكر الذي يريد أن يكون مراقباً لشهواته فلربما إن لم يكن قد تحرر بعد بشكل كامل من الأهواء فيحدث عند نزوله ليأخذ المعرفة يصطاد بلذة الأهواء الشريرة لأن الفكر يكون في ذلك الوقت قائم في الحرب. وكما يتصارع الجسد والشهوة يكون هو أيضاً في هذا الصراع. فإن كان العقل واثقاً بأنه لن يتمسك بمحبة الأشياء التي يراها فليتأمل بأهواء الشهوة. وإلا فإنه من الأفضل له أن يهرب من أن يكون مراقباً. وأن يهرب إن شعر بضعفه خير من أن يستعبد لأعدائه. فإن يحارب وينتصر فهذا دليل على قوته وعلامة على شجاعته. لكن أن يصطاد بلذة الهوى ويستتر من محبة المعرفة، فخير له أن يتحرر من الهوى من أن يستعبد له، فإن لم يستطع أن يحصل على المعرفة فإنه لن يستطيع ذلك طالما هو مأسور بالهوى. لأن العين التي كان يراقب بها الأشياء قد أصيبت بالعمى فيتمسك عندها بلذة الهوى وليس بلذة التمييز. فكما إن الحسنات مختلفة الواحدة عن الأخرى هكذا طعمها أيضاً مختلف. وكل إنسان يختار منهم ما يريد، وبالهوى الذي يريد يتمسك : فيوجد من يتمسك بهوى الشهوة ويوجد من يتمسك بهوى المعرفة. فكما إن الذي يتمسك بهوى لذة الشهوة لا يهتم لأن يجمع منها المعرفة. هكذا الذي يتمسك بلذة المعرفة لا يلتفت إلى لذة الشهوة. لأنه فتن بما فتن ونحو الهوى الأقوى

اجتمعت كل أعضاء النفس والجسد لكي تنميه وتخدمه. فلذلك تجد الكثير من محبي المعرفة محررين من هوى هذه الشهوة، لكن انتصارهم ليس انتصاراً كاملاً لأنه بهوى انتصروا على هذا الهوى وليس بتمييز المعرفة الإلهية. أما بالنسبة لنا فلسنا مطالبين بالانتصار على الشهوة فقط بل يجب أن نعرف ما هو الشيء الذي بسببه انتصرنا. لأن من السبب يعرف الانتصار فإن كان السبب من الله فيكون انتصارنا إلهياً، وإن كان من العالم أو من محبة المعرفة أو من المجد الباطل أو أن يحتّاج إلى هوىً أخر لكي ينتصر به على هوى الزنى. فهو انتصار ضعيف لأنه عن طريق السبب يعرف الانتصار إن كان قوياً أو ضعيفاً : فالذين ينتصرون على الأهواء بواسطة أهواء أخرى فتلك تكون لزجرها وليس لإبطال الأهواء. فالذي ينتصر على الأهواء بواسطة هوى آخر فإن انتصاره لا يكون انتصاراً ملموساً فكيف يدعى انتصاراً على الأهواء ذاك الذي يكون مركباً من الأهواء، وكيف يقال عنه بأنه زجر (للأهواء) وهو ينمو من الأصل الذي ينميها (الأهواء). فإن كانت المعرفة قويةً عندك وانتصرت بها على هوى الزنى فإن وقتها (الزنى) قد أتى وانتصرت هي (شهوة المعرفة) عليه. لكن سيأتي أيضاً وقت آخر يُنتصر به عليه (هوى المعرفة). فإن كان الحال هكذا أن ينتصر الواحد على الآخر فإن هذا لا يدعى انتصاراً. أما الانتصار الحقيقي فيكون عندما ينتصر الخير على الشر، وشهوة الروح تنتصر على شهوة الجسد، والنور ينتصر على الظلمة، والعلم ينتصر على الجهل وقس على هذا. أما الانتصار الأثيم فيكون عندما ينتصر الشر على الخير، والظلام على النور، والجهل على العلم، أما النصرة المتوسطة فهي انتصار الأهواء ضد بعضها البعض وليست نصرة الغلبة الإلهية. فعندما ينتصر هوى على هوى آخر أو يقوم هوى بإبطال الآخر، على مثال أناس من أجل هوى محبة المال يحاربون شهوة البطن، ويوجد الذين بسبب المجد الباطل ينتصرون على شهوة الزنى، ويوجد من بسبب المديح البشري يتقاتل ضد شهوة المقتنيات، ويوجد من بسبب محبة الاحترام يتوقف عن معاشرة الكثيرين. ويوجد من بسبب محبة الرئاسة يحارب محبة الراحة. فإن كانت هذه الشرور ينتصر بعضها على بعض وتنهزم من

بعضها البعض. لكن الانتصار لا يعتبر انتصاراً صحيحاً عندما يتصارع هوى مع الآخر وينتصر عليه. فالشهوات الشريرة تتحرك داخل الجسد كما تتحرك أيضاً الأهواء الشريرة داخل النفس. وكما إن طبيعتهم مضادة لبعضهم البعض (النفس والجسد) هكذا أهواؤهم مضادة لبعضهم البعض.

وباختصار كل شهوات الجسد هي ضد أهواء النفس. كما إنه على الأغلب كل الأهواء الشريرة التي تنبع من النفس هي ضد شهوات الجسد. لأنه يوجد أهواء جسدية ويوجد أهواء نفسية. فالجسدية التي تنبع من الجسد، والنفسية التي تنمو في النفس. وكل الشهوات الجسدية إن تأمل بها الإنسان فسيجدها مساعدة لبعضها البعض : فشهوة البطن التي تنبع من الجسد تساعد شهوة الزنى التي هي أيضاً هوى جسدي. كما إن الأزياء واللذات البشرية التي توجد في الجسد هي دعم لشهوة الزنى. أما شهوة محبة المال فهي في الوسط فمرة تساعد شهوات الجسد وأخرى تساعد شهوات النفس. فبواسطة كرم إنفاقها تساعد شهوة محبة البطن والزنى وأمور اللباس واللذات والغناء ولذة معاشرة الناس كل هذه الأمور التي تتولد من الجسد. ويوجد أيضاً في الأمور الأخرى مساعدة لأهواء النفس فهي تساعد على محبة الرئاسة ومحبة المجد الباطل وإن كان الإنسان يريد أن يتمجد بهذا الشكل والاحترام والتكريم الدنيوي، كما إنها دعوة للافتخار ومساعدة الحسد مع باقي الأمور التي تشابه الأمور التي تحركها النفس، إذاً هذا هو هوى محبة المال رابط وجامع الأهواء المتفرقة. كما يمكن أن يوجد بشكل آخر فيصير ضد أهواء الجسد والنفس.

فإذا تأمل الإنسان بشكل دقيق في المعرفة لكي يزداد ويتقوى، فيمكن أن يوقف الشهوات من الجسد والأهواء النفسية من النفس. فإن الأهواء النفسية كلها تساعد بعضها البعض وذلك على الشكل الذي تكلمنا به عن الشهوات الجسدية وكيف تساعد الواحدة الأخرى. فإنه بهذا المثال تتواجد عند أهواء النفس : فالاحترام يساعد المجد الباطل، والمجد الباطل يساعد التكبر، والتكبر يشجع على الرئاسة والسلطة. وعلى هذا النمط تساعد الأهواء بعضها الآخر. كما يوجد أمثلة أخرى

وأشكال أخرى ضد هذه الأهواء. فإنه بحسب هذا المسلك الذي تكلمنا عنه فإنها تساعد بعضها البعض. لأنه كما تساعد الأمور الجيدة لبعضها البعض، هكذا تنمي الشرور بعضها البعض. ولكن بما أن طرق الأهواء واسعة ورحبة ويوجد فيها مخارج وحركات وأهداف وأشكال مختلفة وكثيرة. فلا يلومنا أحد على كلامنا إذ كان ينظر بوجهة نظر أخرى نحو الأهواء عندما تضاد بعضها البعض، آلام الجسد، وآلام النفس، وفي الوسط محبة المال بل ليتأمل بالمثال الذي وضعناه أمامنا الذي يحكم على كلامنا، فسيجده هكذا كما كتبناه. فكيان الإنسان الذي ينبع منه الأهواء هو واحد. كما إن الخطيئة أيضاً هي واحدة وإن كانت منقسمة إلى أشكال كثيرة ومن أعضاء الأهواء الأخرى المضاد تتركب. أما الآن فإننا نتكلم على هوى الزنى. إذاً لنستيقظ ولنكن مراقبين لأنه من الواضح أن الذي ينهزم أمامه ليس في يقظة حقيقية. فإنه على مثال ما يحدث للنائمين الذين يحلمون في نومهم بدون تمييز فإنهم يشعرون بلذة الشهوة وهم نائمون، هكذا الذي يتراخى ويمارس هذا الهوى بإرادته يكون كالغارق في نوم عميق ولا يكون فهمه في تلك الساعة سليماً ولا تمييز يقظ ولا معرفة نيرة ولا عقل معافى، لكن كما تضطرب حواس الجسد وتتراخى أعضاؤه من هيجان الشهوة هكذا أيضاً حواس النفس تضطرب وعقله يظلم وتمييزه يضيع. وكما تلتفت كل أعضاء الجسد لتخدم الشهوة هكذا كل حواس النفس تتنازل نحو لذة الجسد وتطلبها. فتُبلع بقوة الشهوة المفسدة. وكل ما يقوم به في ذاك الحين يكون فيه كالنائم. فأفهم من خلال القيام بتلك الأعمال أنه غارق في النوم. فعندما لا تكون هناك مخافة الله، ولا خجل من الناس، ولا تذكر للعذاب البعيد، ولا ذكر للدينونة القريبة، ولا يتصور الحياء والخجل، ولا يفكر أو يخطر بباله واحد من هذه الأمور الواضحة. فإنه بلا شك غارق في نوم عميق وكما في النوم يفعل كل شيء بدون أن يشعر. كما إنه يمكن أن نعرف من أمور أخرى إنه في الحال بعد أن يتمم عمل الشهوة يدخل الندم إلى النفس ويتولد فيها ألم على ما قامت به وكأن لم يكن هناك عقل في وقت الشهوة. وبعد أن قامت بالشهوة تتضايق وتحزن وتمرض وتندم على الأعمال المخجلة التي فعلتها. وتشعر بأن الأعمال التي

فعلتها مذمومة وتتحرك بها تذكر يوم الدينونة، وتتجلى أمام عيناها يوم الانتقام. وترى ما لم تكن تراه وهي نائمة في الهوى كأنها في النور واليقظة. فتتذكر الله ويوم الدينونة والعذاب. وإقدامها على الشهوة، ونومها لما غلبت به، وكيف إنها انهزمت من مجرد حلم، وكيف إن التخيلات قويت عليها، فخضعت لما لا يعد شيئاً. فمثل هذه الذكريات الجيدة تحدث لها من بعد أن تتمم الشهوة تدل على أنها قد عادت من حالة النوم إلى اليقظة وهي الآن واقفة في ذاكرة سليمة، ومستيقظة من النوم ومن موت الخطيئة وعائدة إلى الحياة.

إذاً فاليقظة هي أكثر شيء يلزم الإنسان في وقت الشهوة، وأن ينظر لذلك الشيء الذي ينتصر عليه بأنه شيء بسيط وسخيف ومستحقر. فإن وقتاً صغيراً يكفي لإتمام تلك الشهوة ولكي نلوم من صنع هذا العمل السيئ. فها إننا نرى بأنه لا يوجد واحدة من الشهوات تتم بهذه السرعة مثل لذة الشهوة، كما إن لذتها سريعة كطرفة العين ومتعتها لوقت قليل، لذلك يجب أن نحتقرها ولا ننقاد إلى هيجانها المهلك. كما إنه لا أعرف إن كان يوجد شهوة كهذه الشهوة بلا فوائد لأن من كل الجوانب تظهر ضعفها : فإن كانت لها فائدة فمعدومة، وإن كان على وقت لذتها فهو قصير، وهناؤها كالظل، وإن كانت على حركتها فهي قبيحة، وإن أسبابها فضعيفة، ومسلكها كالحيوانات، وأشكالها وصورها كالبهائم، والندامة بعدها قريبة، وإن كان الخوف فيليق بها، والخجل فهو مساكنها، وبالنسبة للرعب فموجود فيها، وإن كان الذعر فهو مرافقها، والخسائر مصاحبتها، والضرر قريب منها، والاسم السيئ يكللها، والاستهزاء برفقتها دائماً، وإن كانت على السخرية فيضحك عليها من الجميع. فبكل الطرق إن نظرت إلى هذه الشهوة تجد الخسائر تصاحبها. فبأي شيء من هذه الأمور سوف تنتصر علينا ولماذا يتقوى علينا هيجانها القوي، الذي من هذه الأمور يجب أن نستهين بها بالأكثر.

لكن بسبب ضعفنا يظهر الشيء الذي كان يجب أن ننتصر عليه نحن قد انتصر علينا هو. وإن كان يظهر بأنه قوي فينا فذاك لضعف قوة نفسنا. والقوة التي للشهوة هي مأخوذة من النفس، لكن عندما تتقوى النفس لا يظل لدى الشهوة سوى

الضعف. فإن نفساً مثل هذه التي يستخدم قوتها الآخرون، وهي تلبس ضعفهم هي نفس تعيسة. فطبيعة النفس الروحية تقتني بشكل طبيعي قوة ضد الشهوات، وسهل عليها أن تنتصر عليها إن أرادت. فكما إنه بشكل طبيعي الضعف والانحلال والفساد قريبة من الجسد. هكذا بشكل طبيعي قريب من الطبع الروحي القوة والثبات بالنعم. فإن استخدمت قوتها كما أخذتها من طبيعتها فإزاء هذا الأمر سوف تساعدها أيضاً نعمة الروح التي تعطيها المساعدة والقوة إذا أسلمت له إرادتها الطيبة. فكما يمسك الرجل القوة بيد الطفل ويحرره من ضعفه بواسطة قوته، هكذا يمسك الروح القدس بأفكار النفس وكأنها مستترة في يده ليعليها إلى الروحانية. فتمتلك عند ذاك خفة أكثر من خفتها الطبيعية بسبب تبعيتها للروح. والذي يسلم نفسه للروح لكي ينمو فيها ويصر هو أعلى من الضرر في كل مسالك حياته. وفي هذا الصدد قال بولس لنحيا بالروح ولنكمل بالروح. فأن الذي يحيا بالروح سوف ينتهي بالروح فتصير كل مسالكه روحية، وبحركات روحية يسير وتكون كل أفكاره وأحاسيسه بحسب إرادة الروح. فإنه ليس بلا مساعدة ننتصر نحن على الشهوة، لكن لأننا لا نريد مساعدة الذي يود مساعدتنا. فكما إن الشهوة عندما تريد أن تنتصر علينا تدعو الآخرين لمساعدتها ثم تتصارع معنا وتنتصر علينا. هكذا نحن أن وضعنا في الحرب لننتصر عليها فيجب أن ندعو القوة الإلهية والنعمة التي فينا لمساعدتنا، فننتصر بسهولة على الشهوة التي تحاربنا. فكلما كانت النفس متطهرة من أفكار الشهوة تكون عندئذ قائمة بقوتها الطبيعية، وكلما كانت متعالية بقوتها هذه تستحق أن تتقبل القوة الإلهية لتصير مساعدة لها ومتى صارت لها مثل هذه المساعدة فإنها لن تهزم ببساطة من قبل الشهوات التي تتصارع معها.

فأحفظ نفسك هكذا من الأسباب التي تقودك إلى الشهوة، وأغلق القنوات التي تجلب وتجمع عليك المسالك الغريبة. فعندما تطرح الأسباب التي منها تنشئ الأمراض، فإنها ستزول وتجف ولئن لم تقدم لها الأدوية، وشيئاً فشيئاً سوف تزول العفونة التي بها بالكامل.

فالشهوة التي فينا تنمو من أسباب خارجة عنـــا، وهـــذه الأســـباب كثيـــرة ومختلفة الواحد عن الأخر وكل واحد منها يزيد على الشهوة قـــوة خاصـــة. فـــإن طرحت عنك هذه الأسباب فإن الشهوة سوف تزول من نفسها، فالشهوة لا وجود لها من دونهما، ولا تمكث عندنا إن بطلت أسبابها.

فالشهوة تبدأ مرة بسبب الجسد، وأخرى من حركة الأفكار ومرة أخرى من أسباب خارجة عنا : إن كان من السمع أو من النظر أو ما شابه ذلك. إذا يجـــب أن ننظر بمعرفة من أين تبدأ ومن هناك نسبق فنقطعها. فإن كانت تستيقظ علينـــا مـــن أسباب خارجة عنا، فلنطرح عنا المعاشرات البشرية لكي نبتعد عن مشاهدة الأجسام التي تساعد تلك الشهوة. وبهذه الطريقة نغلق الأبواب التي تدخل مـــنهم إلينـــا. وإن كانت من حرارة الجسد تأتي إلينا فيجب أن نضعفه ونقلل قوته بطعام قليل وبـــسيط وبشرب الماء على أن يكون بالكيل، مع باقي الأتعاب الأخرى التي من عادتهـــا أن تقلل حرارة الجسد (حرارة شهوته). وإن شعرنا بأن بدايتها تكـــون بـــسبب الفكـــر فيجب أن نعرف بأن فكرنا قد بطل عن التفكير بالله. لأن حركته (الله) غير موجودة فيه (الفكر) لذلك سقطت فيه حركات غريبة من الخارج. وإن ظهر لنا بأنه بـــسبب توقف حركة النعمة فينا تحركت أفكار الشهوة فلنهتم بهذا الأمر ونغلق عقلنا بالتفكير بالروحانيات وبتأمل المعرفة الإلهية ونكون في هذا الوقت دائمي القـــراءة بالكتـــب (المقدسة) والسماع لقصص الرجال الأشداء والأقوياء (بالروح) ونتـــصورهم أمـــام أعيننا في كل حين ونوقظ الشهوة فينا لكي نتشبه بهم. كما يجـــب أن نـــداوم علـــى الصلاة التي هي أكثر من كل الأشياء تُملكنا قوة للعقل. لأن عمل الصلاة الوحيد هو إلباس العقل بالقوة الناصرة. فكما إننا عندما نبتعد عن معاشرة الأفكار الباطلة وعن المناظر المتراخية، نطهر فكرنا ونستقر داخلياً. هكذا بالصلاة من بعد أن تجتمع كل الأفكار يأخذ فكرنا القوة والجبروت لكي ينتصر على كل الأهواء التـــي تتـــصارع معه.

إذا هناك ثلاثة أشكال بها تتسلط الشهوة علينا، فإن استطعنا أن نغلق البـــاب في وجوهها، وأن نضع أمام كل واحد منها الوسيلة التي ينهزم بها، فإننا عند ذلـــك

نكون قد طرحنا الشهوة خارجاً عنا ونثبت نحن في طهارة الـــنفس، ونـــسلك بقـــوة الفكر الذي لا يهزم. ومن بعد هذه الأمور تكون نفسنا مـــستحقة للرؤيـــة المتعاليـــة ويصير لها الشعور الروحي الذي هو أعلى مستوى من الجسد. فكما يتحرك الجسد بما له ويرتاح له، هكذا تتلذذ النفس بحركاتها الروحية وتتجمل بنور المعرفة الحيـــة الفائقة للطبيعة التي يستحقها كل التلاميذ المؤمنين بنعمة المسيح إله الجميع له المجد إلى الأبد آمين.

المقال الثالث عشر

في الزنى وشهوة الجسد. وفيه يوضح كم من الشجاعة تتطلب منا : أي من الذين يتصارعون في هذه الحرب وكيف يميزون أهوائها الظاهرة من الحركات المستترة وهكذا يتحررون أيضاً من أهواءها الظاهرة. وبشتى الطرق يتخلصون منها ومن أهوائها داخلياً وخارجياً

عندما تأملت بهذه الأهواء الشريرة التي تعيق النفس عن المعرفة الإلهية وعن طهارة الصلاة. وجدت بأن أكثرها إعاقة للحسنات هي شهوة الزنى. وهي التي تسيطر وتلتهب بالأكثر في الأشخاص الخالين من الصبر. فعندما تتاح الفرصة لهذا الهوى بسبب حرارة الجسد ويشعر بأن الأفكار باطلت من ذكر الله ومن طلب المعرفة المفيدة. فيلتهب هذا الهوى كالنار المتقدة ويتسلط على كل الأعضاء. لا سيما وهو متقد وسريع أكثر من باقي الأهواء. وتحتاج النفس جهداً كبيراً عندما يقرر هذا الهوى محاربتها لكي تستطيع محاربته والانتصار عليه. كما تستدعي نعمة الله لمساعدتها في هذه الحرب. وليحرص الإنسان الذي يخوض هذه الحرب بأن يحارب ويستأصل هذا الهوى من فكره وينزع الجذور التي تنميه من عمق قلبه. فإنه إلى هناك يدخل (القلب) ويتسلط ويجعل له متكئاً. فعندما تستأصل من هناك جذوره فأن فروعه كلها تلك التي كانت ممتدة على كل الأعضاء ستيبس. فإن كان هذا الهوى قد تسلط على النفس من أمد طويل وكان بتخيلات عميقة يتجسم لها

فإنه يظلم كل ميزاتها ولا يجعلها تشعر بأنه هوى لكن تحسبه كباقي الأمور التي لا ملامة فيها. فتحسب هذه الشهوة غير ملامة من قبل الفكر، فهذا هو اهتمام الشهوة بأن تستأصل من النفس الفكر الذي يحسبها خطيئة، وأن تُمارس بلا خوف ورعب في الأفكار داخلياً وفي الأعمال خارجياً.

فكلما نرى هذه الشهوة تمارس من قبل الآخرين ولا تمارس من قبلنا، فإنه بحسب العدل الذي فينا نحكم عليها بأنها خطيئة. ولكن عندما نمارسها نحن من خلال العمل فيُستأصل من نفسنا فهم عملها، وتعمى عين التمييز التي بها يُرى لنا عملها القبيح. فلننتبه إذاً لكي لا نزل ونسقط في هذه الشهوة فإن صادف وأُصطدنا بها بسبب تحريض بعض الأمور، فلا يخفى عنا هذا التمييز بأنها خطيئة وخاصة عندما تكون مستترة في أفكارنا الباطنية. فإن الكثيرين يحسبون بأن شهوة الأفكار ليست بخطيئة، إلا أنها ليست فقط خطيئة بسيطة لكنها أصل لكل الشهوات التي تمارس بالعمل. فالقلب هو منبع الأفكار ومنه تتولد الأفكار الجيدة والسيئة. وكل ما يطرح فيه ويمد فيه جذوره إن كان خيراً أو شراً فإن ثماره ستظهر في الخارج. فالقلب التي تكون الشهوة متأصلة فيه فإنها متى تشاء تستيقظ فيه كالشجرة التي تقطع وتبقى جذورها في الأرض فمتى ارتوت برطوبة الماء فإنها تنبت وتنمو. هكذا أيضاً الشهوة التي تطرح وتبقى جذورها في الفكر فإنه من رطوبة المأكولات والشرب تنمو وتتربى في الأفكار والأعضاء. وهنا ينبغي علينا أن نحارب ضد الشهوة التي تمارس في الداخل أكثر من التي تمارس في الخارج. لأن هناك (في الخارج) يوجد الكثير من المعوقات التي تعيق فعلها : كرؤيتها من قبل الكثيرين والخجل والعقاب وأيضاً قد لا يرغب الطرف الثاني التي تمارس معه هذه الشهوة بممارسة الشهوة. فكل هذه الأمور تعيق ممارسة هذه الشهوة بالفعل. فإن الحرب من الخارج ليست بقاسية لأنه لسنا نحارب بمفردنا بل إن كل هذه الأمور تساعدنا في الحرب. فإنه حتى متى أردنا نحن أن نتمم هذه الشهوة بطرق كثيرة أعاقتنا هذه الأمور. ولئن كانت الشهوة تمارس فينا من الداخل لكنها تعاق من الخارج بأسباب كثيرة. وإذ كنا نحسب من قبل الناس أبراراً بسبب تصرفاتنا الخارجية لكن أمام الله

الذي ينظر إلى الباطن نحسب زناة بسبب إرادتنا التي ترغب بإتمام الفعل. وإذ إننا لم نخطئ أمام بعضنا لكن خطيئتنا ظاهرة أمام معرفة الله.

إذاً فلننتبه من هذين الأمرين : أن لا نخجل أمام الناس، ولا نخزى أمام الله. إذ نحرص في البداية على أن نرضي الله ومنه سيتولد لنا أيضا جرأة أمام الناس. فالإنسان الذي لا يزني في الظاهر لا يحسب أيضاً بأنه لا يزني في الخفاء. أما إن تحرر الإنسان من الداخل من الزنى فهذا يجعله أيضاً أن يظهر بالخارج عفيفاً. لأن العمل ليس هو أصل الأفكار بل إن الأفكار هي أصل وأسباب الأعمال. فالقلب هو منبع الأفكار وهناك تحل إرادة كل الأشياء، كما إن إرادة الله هناك تقيم لأنه منه كما من نبع كبير تتفرع سواقي الأعمال. فله يجب أن نحفظ طاهراً بدون تعكر. لأنه كما بتعكر النبع تتعكر كل الروافد التي تتشعب منه. هكذا أيضاً عندما يضطرب القلب بالشهوة تتعكر كل احساساته وتضطرب كل الأعضاء وينقلب كيانه كله وتتشوش كل الأفكار وترتبك كل الآراء، وكل واحد من أعضاء الجسد يظهر من خلال منظره بأنه خاضع للشهوة المستترة في قلبه. فالشيء الذي يبدأ من القلب إن كان خيراً أو شراً فهو الذي يعد خطيئة أو براً، وذلك باختبار المعرفة الإلهية. لذلك فربنا عندما أراد منا أن نستأصل الشهوة من أصلها وليس أن نقطعها فقط من الأعمال الخارجية قال : " **وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه** "[1]. فوضع هنا هذا الكلام لكي يقارن بين الزنى (بالعمل) والزنى (بالقلب). وبين ما يفحصه الناموس من أعمال الخطيئة وبين يقين علمه. "**سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن** "[2]. فالناموس منع القدماء عن القيام بفعل الخطيئة والوصية كانت تمنعهم من أن يظهر زناهم في الأعضاء الخارجية. ولأنه لم يكن لهم قوة آنذاك في قلوبهم لكي يستأصلوا شهوة الزنى من أفكارهم. لذلك ترك واضع الناموس تلك الوصية الأولى (الزنى بالفكر) وانصرف إلى الوصية الثانية (الزنى بالفعل). ولأنهم لم يكونوا قادرين على تطهير قلوبهم من فكر الزنى أجبرهم

[1] مت 5: 28

[2] مت 5: 27

بالوصية لكي يحفظوا على الأقل أجسادهم من أعمال الخطيئة لكي يكون لهم بر في الأرض الخارجية حيث تتواجد هناك ثمار كثيرة لمن يثبتوا في هذا الصبر.

أما الرب يسوع فلم يرد أن نطرح الزنى من الخارج لكن من حيث ما يراه هو، فرؤية الله هي منفردة وأن ما يراه قد لا يستطيع الناس أن يروه، لأنه ليس لهم أن يعرفوا الأفكار الخفية للنفس. فكما إن نظر الناس يردعك عن ارتكاب فعل الزنى الظاهر. هكذا تردعك رؤيتي (الله) من الفكر الذي يرغب في الزنى. فطهر الأرض الروحية لنفسك لتكون على مثال مشاهدتي التي تنظر إليه. فكما إن نظري إليك هو طاهر من الضلال والشك، هكذا ليتطهر المكان الذي يتقبل هذه النظرة من أفكار الزنى. فبالنسبة لي (الله) الشهوة هي الزنى وكذلك رغبة الفكر بممارسة الجسد فعل الزنى. لأنه لست بحاجة لأن أرى الشهوة وهي تتمم بالعمل وبعد ذلك أعتبرها زنى. لكن الفكر الذي يشتهي أن يزني فقد زنى من وقت طويل. وكل من نظر لامرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. ففي المكان الذي سهل عليه القيام بالزنى مارسه (في القلب) وإذ لم تظهر فعلته في الظاهر، ليس لأن إرادته منعته لكن لأسباب أخرى أوقفته عن ذلك. ومن هنا نرى أن الفضل ليس لإرادته بل للأسباب التي منعته عن ذلك.

فانظر فإن رؤية الله تخترق داخل الأفكار وتتأمل في عمق العقل، حيث ليس من السهل أن ينظر البشر فيها. وحتى إن أرادوا أن يلاحظوها فلن يفهموا ذلك بسهولة. لأن الله فقط هو فاحص القلب وعارف بالخفايا. وكما إن علم الخفايا هو له هكذا هي لنا أن نطهر قلوبنا أمام رؤيته. فكثيرون هم الذين لا يزنون بالفعل، لكنهم زناة بإرادتهم. وبأنفسهم تمارس الزنى بشكل دائم. فهم يحبلون دائماً ويلدون أمامهم صوراً مختلفة وبجمال الأشخاص وبدون أن تتلاقى بالجسد يزنون. ولا يخطر ببالهم وإن لم يكن الناس يرونهم لكن الله ينظر إلى خفايا أفكارهم. فيمكن أن يكون الفكر خطية ويمكن أن يكون العمل هو خطية. فالفكر الذي يكون ممتلئ بالشرور فهذا يكون خطية بسبب رغبته في الشر، وإن لم يقوم بالخطيئة بالفعل. أما بالنسبة لنا فكالجبابرة وضع لنا ربنا هذه الوصية " **كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها**

فقد زنى بها في قلبه " [1] وذلك لكي يستأصل الخطيئة من أصلها، ومن عمق القلب ينزع ويطرح هذه الشهوة المهلكة. فهو لم يقل لك لا تنظر لكن قال لـك لا تنظـر بشهوة. فالعين تنظر إلى كل الأشياء لكنها لا تشتهي كل شيء. هكذا لتكن لك رؤية جمال المرأة مثل رؤية كل الأشياء ولا تنخدع بهذا الجمال. لأنه لـو كـان يظهـر للنفس جمالها الطبيعي لما كانت تشتهي جمال الجسد، لأن جمالها كان يكفيها لكـي يأسر الفكر بلذة مشاهدته. فما أن ترى وتتأمل بجمالها الطبيعي حتى تـستيقظ فيهـا شهوة خلاص نفسها لتقتنها أكثر من كل الأشياء، فتحـب جمالهـا بكـل طهـارة. فلا تشته بقلبك شهوة غريبة ولا تنظر عين فكرك إلى جمال خارج عنه. فإهانة هي للنفس أن تؤسر بشهوة الجسد، فإن قيدت بها فإن قيدها هذا هو أمر غيـر طبيعـي. ولأنها تنبت لها فكراً جسدياً فلذلك اشتهت أيضاً منظراً خارجاً عن طبيعتها. فيوجـد زنى جسدي ويوجد زنى نفسي، فعندما تشتهي النفس بالفكر فهذا الزنى هو خـاص لها. فكما إنه بالنسبة للجسد يدعى الزنى ذاك الذي يمارس بالعمل، هكذا بالنسبة إلى النفس ممارسة الزنى يكون بالفكر. ولا يوجد حجة للذي يزني بالفكر ليقـول لـست بزان لأنه مارس الخطية بالنفس فقط، فبمقدار ما إن النفس أعظم من الجسد هكـذا زنى النفس هو أصعب من زنى الجسد. هذا وتظهر بشكل آخر عظمة هذه الخطيئة إذ إنه لم يزن بالجسد الممزوجة به الشهوة الطبيعية، بل أخضع الـنفس لمـا هـو غريب عنها. ومن دون علم شهوتها قررت أن تشتهي شهوة ليست لهـا. كمـا إن لشهوة الجسد أوقاتاً ولها فصلاً وتمييزاً للشهوة. فحيناً يخطئ الإنسان وفي حين آخر يتوقف عن خطيئته. أما الذي يزني بالنفس فليس له وقت يتوقف به عن الشهوة لأن الشهوة ممزوجة بشكل دائم بنفسه. فإن صادف وخرجت من فكره فـإن خروجهـا ليس بسبب ندمه بل بسبب تغلب هوى آخر عليه فقاده إلى فكر آخـر. فالانتـصار على الشهوة لا تكون بهذه الطريقة أي بسبب فكر آخر يبطل من فكره الزنى. لكـن عندما ننتصر عليه بشكل منفرد (أي بدون أن ننشغل بفكر آخر) إذ نكون قد سـبقنا وأعددنا نفسنا للانتصار عليها. فكثيرون يمتنعون عن أفكار الزنى لأن أفكار أخرى

[1] مت 5: 28

تأتي فتنميها وما أن تنهي هذه الأفكار أعمالها وتنصرف حتى تظهر شـــهوة الزنـــى مكانها لأنها لم تنتقل أصلاً من مكانها. لكنها كالجسم الذي يختفي في الظلام هكـــذا هي أيضاً استترت بظل هوى آخر، وعندما رجع الظل الذي كان يسترها ظهر جسم الزنى وهو مركب في النفس.

فلنهرب إذاً يا أخوتي من هذا الزنى (بالنفس) وخصوصاً لأنه لا يُظن بأنـــه زنى. فالشر (الخطيئة) الذي تَظهر أعماله يهرب منه الكثيرون، لكن الذي لا يُظـــن بأنه خطيئة فأن الكثيرين بدون شعور يتمسكون به. فليس فقط الشيء الـــذي يُـــرى شراً، هو شر، لكن أيضاً الشيء الذي حكم عليه الله بأنه شر يجب أن نحسبه أكثـــر شراً. فكل أعمال الخطيئة قبل أن يتمسك بها الإنسان تظهر له بأنها شر، لكن عندما يخضع لها ويخدمها بنفسه فترة طويلة بدون أن يصيبه الندم فعندها لا يعود يـــشعر بشرها إلا بعد أن يعرف ويرى مساوئها وبأنه قد أضاع تمييزه. فالخطيئة لا تـــنجس كيانه فقط بل إنها تعمي تمييزه أيضاً. وتجعل ذاك الذي كان يُرى كأنه لا يُرى، وما هو معروف يصبح غير معروف، والذي كان يميز ما عاد يميز، والشيء الذي كان يرى ويعرف بسرعة كأنه في النور ما إن يلقى في النفس ظلام الخطيئة حتى تستتر رؤيته. فكما يستتر كل شيء في الظلام عن الرؤية حتى الظلام نفسه، هكذا أيـــضا النفس التي بسط عليها ظلام الخطية يستتر بها كل شيء حتى الخطيـــة نفـــسها مـــا عادت تعرف بأنها خطيئة. فإن معرفة الإنسان لخطيئته هي المرحلة الأولـــى مـــن الانفكاك من الخطيئة. وعندما يشعر بأنه مقيد عندها سيرغب في أن يحرر نفـــسه. لكن إن لم يكن يعرف بأنه مقيد ومربوط فكيف يفكر بأن يُحل. لا تنظر إلى امـــرأة لتشتهيها وإلا فقد حسبت زانياً، انظر بها بعين طاهرة فهي خليقة الله الحسنة وســـبح المبدع الحكيم. من أي شيء صنعت وأعدت إرادته. فمن الطبع البسيط، أي حُـــسن كون، ومن التراب الحقير، جمال يفتن الذين ينظرون إليه. ومن جمـــال المخلـــوق انظر إلى جمال متقنه، فإن كنت تتعجب بهذا البسيط الذي أُتقـــن وصـــار ممجـــداً فتعجب بالأكثر من ذاك الممجد بطبعه والذي لا يشبع من النظر إليـــه مـــن الـــذين استحقوا أن ينظروا إليه.

فلتحرص على أن تطهر نفسك وليكن جسدك أيضاً طاهراً معها، وكن مقدساً بالجسد والروح لأنك مسكن لروح الله، فصلاتك أيضاً ستصبح طاهرة وخفيفة عندما يكون فكرك طاهرا من هوى الزنى. وستشرق بك نور معرفة المسيح بالأكثر عندما تتطهر عين فكرك ليحل بها. فكما إنه من السهل على الجسد السليم أن يقوم بأي عمل، هكذا من السهل على العقل أن يتطهر من الشرور ليصير مسكناً للحركات الإلهية. وكما يُضعف المرض الجسد فيجعله غير قادر على فعل شيء، هكذا ظلام الخطيئة يضعف قوة النفس ويجعلها باطلة من الحركات الإلهية. فإن فكر الزنى يلقي في نفسك الأوساخ لكي يغيرها عن لذتها وشهواتها التي تقتنيها، فتفوح من هناك رائحة كريهة. فالأفكار الإلهية لا يمكن أن تحل في هذه النفس. فكما أن الأشياء التي تقتني رائحة طيبة بطبعها توضع في الأوعية الطاهرة اللائقة بها. هكذا أيضاً المعرفة الإلهية تحل في النفس الخالية من أفكار الخطيئة وخصوصاً في النفس المتحررة من هذا الهوى، لأنه أكثر من كل الأهواء مشتت ومشوش للأفكار. كما إن سليمان قد صور وشبه هذا الهوى بأشياء مثل هذه " **ثلاثة عجيبة فوقي وأربعة لا أعرفها. طريق نسر في السماء وطريق حية على صخر وطريق سفينة في قلب البحر وطريق رجل بفتاة. كذلك طريق المرأة الزانية أكلت ومسحت فمها وقالت ما عملت إثماً** "[1]. فشبه شهوة الزنى بالمرأة الزانية تلك التي طرقها ومسالكها ليست معلومة، لأنها تطرح نظرها على الجميع وتعثر الكل وتزني مع كل شيء بشكل خارج عن نظام الطبيعة. فهكذا هي نشوة الشهوة عندما تتسلط على الأفكار، فليس لها سبيل لمعرفته ولا طريق واضح ومميز، فإذا أردت أن تقف على أثاره فلا تستطيع. فشهوة الزنى تائهة في داخل النفس وتتنقل بسهولة إلى كل الأماكن فلا يعرف أثر لخطواتها. وطريقها غير ظاهر للناظرين كطيران النسر في السماء والحية على الصخر وطريق السفينة في عمق البحر. وقد أحسن سليمان الحكيم وصف الشاب في هذا المثل بتلك الأسماء الثلاثة الأولى. لأنه كما يكون البحر بالنسبة للسفينة، والهواء للنسر، والصخر للحية، هكذا هو الشاب بالنسبة

[1] أم 30: 18 – 20

للشهوة. فبحرية يخرق النسر الهواء وبدون إعاقة تسير الحية على الصخر وبسرعة تسير السفينة في قلب البحر. هكذا هي أفكار الزنى في وقت الشبيبة. فإنها ببساطة تتم داخل النفس، فإن دَعي أحد مرحلة الشبيبة بطريق الزنى فليس بملام، لأنه كما دعاها سليمان هكذا هو أيضاً دعاها. فالطريق السهل للحية هو الصخر إذ لا تتعثر بشيء ولا ثقل التراب يعيق سيرها. وطريق النسر هو الهواء والسفينة طريقها البحر، هكذا طريق الزنى هو الشبيبة. فكما بأجنحة تطير به حيثما تشاء، وبأرجل سريعة تركض به إلى كل مكان، لأن حرارة الجسم تكون كثيرة في هذا الوقت فتصير بالأكثر مادة لإشعال الشهوة فتجعل النار سبباً (للاشتعال) من نار أخرى. أي تصنع الشهوة ناراً قوية للخطيئة من تلك الحرارة الطبيعة (الشبيبة). هكذا يجب أن تكون هناك حرب دائمة على هذا المستوى وقمع وأتعاب وضيقات وطعام قليل وشراب يسير. فعندما تأخذ من الوسط المادة التي تتمسك بها الشهوة، عندها هي أيضاً سوف تنطلق وتتلاشى. فهذه الأمور يمكن أن يشعر بها أي إنسان من خلال التجارب وذلك للذي يرغب في أن يكون مراقباً لهذه الأمور. ومن هنا كل من يريد أن ينتصر على هذه الشهوة فلينتبه ليرفع من أمامها الوقود والمواد التي تشعلها لكي لا تتشبث بها. فمن هذه الأسباب تدخل الشهوة : من رؤية النساء، أو من الاشتراك في الأحاديث الدائمة، أو من الأكل والشرب التي تعطى للجسد أكثر من حاجته. فمتى رفعت هذه الأمور الثلاثة من الوسط وتأملت بالمعرفة الإلهية، فإنه ولا فكر الشهوة سيعود يضايقك. فعندما لا يعود الجسد بسبب حرارته تتحرك الشهوة فيه ولا النفس بسبب بطلانها تفكر بها فمن أين لها أن تستيقظ (الشهوة).

فإما الجسد بسبب حرارته يشعلها أو النفس بسبب عدم تفكيرها بالمعرفة تفكر بها، فخارج هذان الأمران لا يوجد للشهوة مكان لتسند به رأسها. فعندما ترى الجسد ميت بسبب الأتعاب والنفس حية بذكر الله، فإنها تعود في الحال إلى الوراء دون أن تجد مسكنا لها. فإن كان يؤلمك وجع الشهوة فأعرف سببها وأطرحه عنك، فلماذا تتعذب بدون معرفتك بمرض سهل العلاج. فلست أظن بأنه يوجد هوى آخر سهل العلاج مثل هذا. فالطعام لا يجعلك تخطئ عندما تتناوله بنظام بحسب الحاجة

للمحافظة على الحياة. لكنه خطيئة عندما يأخذك نحو الشهوة. فكلما كنت تأكل لنفسك فليست هناك خطيئة في أكلك، لكن عندما تأكل للشهوة فعندها يكون طعامك خطيئة. فمن أين لك أن تعرف متى يكون أكلك للشهوة ومتى يكون لك ؟ فعندما تتحرك الشهوة في أعضاء جسدك وتؤلمك فإذا تناولت الطعام فإن طعامك سيكون للشهوة وهي التي ستنمو وتتقوى به وليس قوتك وحياتك. فالشهوة ممتزجة بحياتك لاستمرار حياتك فعن طريقك تنتقل الحياة إلى الآخرين (للشهوة). فإن كان من أجل محبة الحياة ينتصر الإنسان (على كل شيء) فكم بالأكثر يجب أن ينتصر ويخضع هذه الشهوة. فليس لك سلطان أن تعطي حياتك للآخرين لأنها ليست لك بل هي للمسيح. فالمعاشرة والزواج في العالم هي لإنجاب الأولاد ولتتسلسل الحياة من شخص إلى شخص ومن إنسان إلى إنسان والحي يولد حياً مثله. ففي ذلك الحين عندما كانت حياتنا ملكاً لنا كان لنا سلطان أن نقسم الحياة بواسطة الزواج ونعطيها للآخرين. لكن الآن بما أننا نحيا في الحياة الروحية بالمسيح فليس لنا سلطان أن نعطي الحياة التي ليست لنا للآخرين لأننا لم نعد ملك أنفسنا " **أنكم لستم لأنفسكم** "[1] هذا ما قاله الرسول بولس : " **لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله** "[2]. فأعلم إن الجسد والروح هما لله وليس لنا سلطان على أي منهما. والذي ليس له سلطان على حياته فكيف يعطيها للآخرين بممارسة الشهوة أي كيف نوجد بهما شخص آخر بالولادة البشرية. فقد ظهرت في العالم الولادة الروحية لكي تبطل الولادة الجسدية، وثبتت رحم أخرى وهي المعمودية لكي يوقف البطن الطبيعية عن الولادة. فإذ كانت إرادة العلي ترغب في أن يحفظ كل الجنس البشري هذه الوصية إلا أن فادينا نظراً لضعف بشريتنا وعدم قدرتها على هذا العمل، جعل إرادته في ما هو وسط لكي يمارس الضعفاء هذه الشهوة.

[1] 1 كور 6: 19

[2] 1 كور 6: 20

فلا تنظر لهذا البطن الطبيعي المخلوق من الله في البداية، بـل تأمـل فـي الأخر بدلاً من الأول فهو يولد أناساً روحيين بدل جسديين بحـسب الإرادة الكاملـة لله. فهذه هي الإرادة الحسنة والكاملة والمقبولة عند الله أن يصير كـل الجـسديين روحانيين. ولهذا السبب أتى إلى العالم لكي يخلق العالم خليقة جديـدة. أمـا أنـت فلا تنظر لماذا لم يمنع الزواج أو لماذا لم يقطع حركة الشهوة، فتظن بأنـه يرتـاح لها. فهو أيضاً لم يبطل العالم، ولم يأخذ كل راحته وغناه وسلطانه لكنه تركه كمـا كان من قبل وطلب منك أن تكون غريباً عنه وتخلعه كالرداء البالي. وهكذا بإبقـاء كل شيء على حاله إن كان العالم أو راحته أو شهوتك لا لكي تكـون لـك مـادة لضلالك ولتقيد نفسك بالشيء الذي تحررت منه بالكامل. بل قد تركت لتكـون لـك مادة لحربك وليس لشهوتك، ولتتأمل بها إرادتك القوية وفكرك المحب لله. فقد أبقـى العالم لكي يجعلك تشتاق للعالم الآخر. والغنى والسلطان لكي يحثوك لاقتناء الغنـى الذي لا يفسد وللمجد الذي لا ينتهي، وأبقى الراحة في العالم لتـشتهي لـذة الحيـاة الروحية. وبقيت الشهوة في جسدك لتكون مادة لإرادتك الطيبة لكي تزيلهـا شـيء فشيء من جسدك وتضعها في نفسك. فلا تعط لشهوتك مكاناً في جسدك ولا تتـرك لذتك الطبيعية تتحل منك ولا لفرحك وهنائك أن يبطل منك. بل أنقلها كما من بيـت إلى بيت من الجسد إلى النفس. كما يخرج الإنسان أمتعته الثمينة من البيـت الـذي يعرف بأنه موشك على السقوط وينقلها إلى البيت الجديد والراسخ الذي يثق بأنه لن يسقط أو يُسرق. هكذا خذ أنت الشهوات التي للجسد التي هي بحد ذاتها مادة جيـدة للحسنات وأدخلها وضعها في نفسك في ذاك البيت الذي لن يسقط ولـن يـزول أو يفسد. خذ الحرارة من الجسد وضعها في النفس، خذ منه الشهوة وأمزجهـا بـشهوة النفس، خذ قوته واخلطها بقوة النفس وأرجع كل ما له ليصيروا للنفس. واجتهـد أن تصنع هذه الأمور خصوصاً في فترة الشباب حيث تبدأ الأهواء بإظهار نفسها. لأنه لا في فترة الطفولة ولا في الشيخوخة تكون فيك هذه الأهواء. فالشيء الـذي لـيس بموجود كيف ستنقله بسهولة وتعطيه للآخرين. فزمن الأهواء هو في فترة الـشبيبة أي في فترة القوة. وجيد إنه مع الأهواء وجدت أيضاً القوة لتتصارع معها وتتجـي

حسناتك من جسدك، وتنقل وتأخذ غناك من مكان (الجسد) إلى مكان آخر (النفس). فالذي يتصارع في فترة شبابه وينتصر على شهواته يستطيع أن يكون قوياً بنفسه. وهو الوحيد الذي يستطيع أن يستفيد من نمو حسناته لأن له أن يأخذ ويعطي، فالشيخوخة باطلة من كليهما، والطفولة لم تصل بعد إلى إحداهما.

فلا تتشبث بالشهوة التي ستتلاشى تلقائياً، فهي مع الكيان تبطل شيئاً فشيئاً. فلا فضل لك بذلك، فكما إن موتك الطبيعي لا يعتبر شهادة من أجل الله. لأنك تتقبل العقاب الذي وضع على حياتك كما إنه ليس لك اسم ولا فخر. هكذا أيضاً ولا في هذه لك افتخارٌ متى بطلت الشهوة وقوتها بسبب الشيخوخة أو المرض. لكن سيكون لك افتخارٌ عندما تستأصلها وهي ساخنة وتطفئها عندما تلتهب. وفي الحال عندما تبدأ بالتحرك في أعضائك هيأ أنت أفكارك لكي تحملها وتضعها على شهوة النفس إذ تقول لها : لماذا تتحركين في مكان فاسد يبطل فيه في الحال شعور لذتك. لكن تعالي تحركي في مكانك الطبيعي حيث لا نهاية لك ولا تبطل قوتك ولا ندامة تلحق بك في نهاية أمرك، ولا تضعف النفس بسبب دخولك ولا تبرد حرارتك بعد انتهاء عملك. بل في كل حين ستكونين بقوة وطعمك الطيب سيحفظ دائماً بلا تغير والجرأة والرجاء ستقوى بك. وعندما تشتهين لا تشتهي تلك الأشياء الملامة التي لا تليق بك، بل أشتهي تلك الأشياء التي بشكل طبيعي تتحركين في شهواتها. فهذه هي الشهوة التي فيها الافتخار وهي التي تنمو وتتقوى يوماً بعد يوم. وهذه هي الشهوة المفضلة لتتقدمين بها إلى الأمام، ففي الجسد سيكون وقتك قصيراً جداً، أما في حياة النفس فلذتك ليس لها نهاية لكن مع حياة النفس تثبتِ بلا موت. فإذا اتبعت الجسد فجسد آخر هو الذي سيشعلك، أما إذا اتبعتِ النفس فالروح القدس هو الذي سيلهبك. فلا تتبعي الجسد الفاسد، إلا إذا أضاعت النفس تمييزها وخفي فساد وسوء الجسد من أمام عينيها، وحتى في الجسد ليس لك مكان هناك لكي تحلي فيه، لأنه إن صادف في الحين الذي تحركت فيه لذتكِ أشرق التمييز على النفس فإنه في الحال سوف ينتهي عملكِ (الشهوة) ولا يعود الجسد يخرج لذاتك المفسدة. فمثل هذه الأقوال فلنتقال منا نحو الشهوة، فعندما تحضرها من عند الجسد إلى أرض النفس،

فتأخذ منك وعوداً وعهوداً حسنة بأنها ستتقبل أشياء أفضل مما هي عديدة أن تتركها.

فبمثال الذي وضعت فيه الشهوة في الجسد بشكل طبيعي هكذا قد وضعت أيضاً الشهوة المفيدة في النفس. فالنفس عندما تشتهي طبيعياً فيه تشتهي الروحيات. وعندما يكون لها معاشرة شرعية (قانونية) تكون مع الروح ومن هذه المعاشرة تلد أولاداً قديسين وطاهرين. فكما أن المعاشرة الجسدية تصنع في الأعضاء السعادة وتحرك في الجسم حرارة فاسدة. هكذا أيضاً بمعاشرة النفس مع الروح تحصل على لذة الروح وتقتني حرارة وقوة لتتصارع ضد الشرور التي تنافي ذوقها. وما أن تتذوق النفس هذه القوة التي جاءتها من معاشرتها للروح، حتى تموت فيها بشكل كامل شهوة الزنى.

فأعلم من خلال التجربة أن عدم الشعور بشهوة الروح يوقظ في أعضائك الشهوة الجسدية. فلا يمكن أن تثار كلاهما معاً، فكلما كانت الشهوة الروحية حارة ستكون شهوة الجسد باردة والعكس صحيح. فكلا الشهوتان قد وضعتا الواحدة ضد الأخرى : فشهوة الجسد ضد شهوة الروح، وكما إن كلتيهما مختلفتان عن بعضهما البعض هكذا أيضاً فعلهما مختلف. فواحدة تتمسك بالأعضاء والأخرى تتقيد بالأفكار. تلك إناؤها الجسد والأخرى إناؤها طبيعة النفس. الأولى يتبعها الاضطراب والأخرى الترتيب. الأولى في أوجها تظلم نور الأفكار وتبطل من الفكر المعرفة والحكمة. والأخرى تملئ الفكر نوراً وتجمع بداخل النفس المعرفة والحكمة الروحية. وتلك التي للجسد عندما تصل إلى ذروتها تجعل الإنسان ضعيفاً ونادماً وخجلاً من الناس وحتى من نفسه ويخاف من كل شيء. أما التي للروح فتجعل قوة وجبروتاً في داخل النفس واستخفافا بكل ما يُرى، وجرأة أمام الناس ونظر طاهرٌ نحو الله ورجاء الإنسان يصير نحو نفسه. التي للجسد تعلم الجهل كما إن الإنسان الذي يمارس هذه الشهوة لا يستطيع أن يكون حكيما. أما التي للنفس لا تَملك المعرفة الإنسانية فقط بل أيضاً تشحن عقله بالحركات الحية للروح كما تُلبس الإنسان الأمور العتيدة والاستعداد لكل شيء حسن. وتجعل عقله فرحاً وشفافاً

(غير كثيف) لكل عمل روحي، وكل حركات النفس تتحرك بجبروت وقوة ولا تعطي المجال لكسل الجسد أن يدنو من الإنسان، ولكن إن صادف وأصيب الجسد بالكسل بسبب البرد الطبيعي أو بسبب المرض والضعف فإن حرارة هذه الشهوة تحميه في الحال، وبحرارته تطرد برودة الجسد. فمن هنا يكون الإنسان مستيقظاً ومهيأ للأعمال الإلهية. فإنه ليس بحرارة الجسد يكمل الروحانيون تدابير أعمالهم، لكن بما إنهم حارين بالروح لذلك هم شفافون ومهيؤون لمثل هذه الأعمال. كما إن بولس أيضاً يوصينا أن نوقظ فينا حرارة الروح هذه لكي بها نعمل ونكمل أعمالنا الروحية وبقوتها يكتمل سعينا في هذا الطريق "**حارين بالروح**"[1]. ولأنه يوجد حرارة للجسد لذلك ميز بولس بينهما وعلمنا بأي شهوة يجب أن نكون حارين. فبشهوة الروح كونوا حارين لكي يكون سعيكم وأعمالكم كلها بالروح. فكما أن حرارة الدم تطرد من الجسد الكسل، هكذا حرارة الروح تطرد من النفس والجسد التهاون الذي يولده الضلال وليس محبة الله. وكما أنه عندما ترتفع الحرارة الطبيعية وتقترب نحو القلب وتمتزج به تشجع الإنسان وتجعله مهيأ ومستيقظاً وسريعاً في أعمال العالم. هكذا أيضاً حرارة الروح عندما تدنو من فكر النفس فبدل أمور العالم تشجع الإنسان وتقوده نحو الأمور السماوية لبناء نفسه، ولجمع تجارته الروحية، وليجري القضاء على الذين يسرقون إرثه، ولاشتهاء المعاشرة التي لا تفسد، ويصير أباً لأبناء غير مائتين، ويهتم بأن يقتني ويفكر ويجمع ويحمل ويحفظ كل الأمور الروحية والسماوية. فحرارة الروح هي التي تهيئ الإنسان لكل هذه الأمور. وحسن أن بولس علمنا أن نكون حارين بالروح، لأنه كما تزول وتبطل البرودة أمام الحرارة، هكذا يهرب الكسل من أمام سخونة حرارة الروح ويطرد التهاون وتأخذ الضلالة وتختفي وتتلاشى كل ظلال الخطيئة. وكما تتولد القوة من الحرارة، ويتسلط الضعف على الأعضاء بسبب البرودة. هكذا من حرارة الروح تقتني النفس قوة ونشاطاً وجبروتاً تطرد بهم بشكل كامل الكسل الذي يحدث للنفس أو للجسد من عمل الحسنات. وكما إنه بمقدار اشتعال النار بمقدار ما يكون

[1] رو 12: 11

مستوى اتقاد ووفرة نورها، هكذا بحسب الحرارة التي تتواجد في النفس تكون حرارتها بالروحانيات وبالمعرفة والحكمة المتسلطة على الخزائن الإلهية.

فبهذا الشكل الذي ما تزال فيه الحرارة موجودة داخل جسدك، والشهوة الطبيعية ما تزال حية بك. فتشجع وأشعل بك حرارة الروح وأيقظ في أفكارك الشهوة الإلهية. فعندما تتهيج شهوة بشهوة، ونار تشتعل مع نار فتتقوى وتأخذ نصرة شهوة الروح تلك التي تليق بها النصرة طبيعياً. ففي الوقت الذي توجد فيك القوة لتخدم (تمارس) شهوة الجسد ففي هذه الفترة تشجع واجعل قوتك تخدم الشهوة الروحية. لأن الروح القدس لا يعمل أعماله في الأجسام البطالة، ولا يدع الحكمة الإلهية تشرق أشعتها في الأشخاص الذين بردوا بسبب الشيخوخة. فالذي يبذل قوته في زمن الشبيبة في خدمة الشهوات الشريرة فلن يتقبل المعرفة الإلهية في زمن شيخوخته المريضة. لكن متى أفلتت منه الصحة الطبيعية فسيصل إلى الشيخوخة وهو عاطل بالكامل ويكون بارداً وعاجزاً جسدياً ونفسياً. أما أنت إن كنت راغباً في أن تتواجد فيك حرارة شبابك في زمن شيخوختك، فأعمل بقوتك في زمن شبابك وسلم الحرارة لنفسك لأن النفس لا تشيخ مع الجسد. ففي الوقت الذي يضعف فيه جسدك بسبب الشيخوخة، فتخرج عندئذ من خزائن نفسك وتقتات في زمن شيخوختك من الوزنات التي أسلمتها للنفس، وما أن يضعف الجسد تجد قوة عندها (النفس)، وعندما تبرد حرارته تأخذ من حرارتها فتسخن من أعمالك، وعندما تنتهي قوة الأعضاء تتقوى بأعمالك من أفكارك، وما أن تقطع الشهوة الطبيعية مع حرارة الجسد تثبت لديك شهوة الروح التي في كل زمان تلد أبناءً روحيين. فللزرع زمن، ولجني الثمار زمن آخر، فأزرع نفسك بالحسنات في زمن شبابك لتحصد منها في زمن شيخوختك. فإن كنت تشتهي أن تتزوج فأعتزل والتزم هذه الشهوة. لكن أن تحبل وتلد أبناءً في شيخوختك فهذا لا يمكن إذ لا قدرة للجسد على المعاشرة في كل زمن. ولا تستقر الشهوة الطبيعية في الأعضاء في كل الأعمار. أما الشهوة الروحية فليست كذلك بل إن كل الأوقات هي لها، أن كانت لها معرفة وهو زمن الشبيبة، فأعبر من الجسد إلى النفس حيث يوجد جسر للعبور وقوة لرجليك للسير، ونور

لتسير به قبل أن تنتشر عليك ظلال الشيخوخة فتبقى مكانك في الجسد. فحرك بك إذاً الغضب ضد الشهوة لأنه عندما تتحرك الشهوة تساندها المحبة أما أنت فخذ لك الغضب لمساعدتك وأخرج لمقابلتها. فكما تلزمك المحبة ضد الغضب هكذا يلزمك الغضب ضد الشهوة. فالشهوة تكون هادئة ووديعة عند مجيئها كما تساعدها الرخاوة والوهن والضعف وأشكال النجاسة والحركات القبيحة هذه كلها هي ضد النشاط. فعندما ترتدي الشهوة هذه الأشكال أخرج أنت عليها بسلاح الغضب. فكما أن نعاس الأطفال يتلاشى سريعاً حينما ينظر إليهم إنسان نظرة مخيفة، هكذا تطرد أنت أيضاً طفولية وخبث الشهوة إن أظهرت لها وجهاً مليئاً بالغضب والتهديد.

فخذ إذاً من ظهيرة الشبيبة أزهاراً مفيدة وأجمع وأدخل لك ثماراً وغلالاً لكي تحفظها لك في شتاء الشيخوخة. فالإنسان الذي يحيا كله للجسد فإنه في زمن الشيخوخة سوف يبطل كلياً، أما الذي في شبابه يحيا في شهوة الروح فإنه سوف يلبث في عدم تغير حتى نهاية حياته. فليس للجسد أن يحفظ غرائزه (شهواته) إلى ما لا نهاية. فمنها من تتلف قبل أن يموت ومنهم من تتلف مع نهاية حياتهم. فجميعها تجاهد لتنتقل وترجع من الجسد إلى النفس إن وجد عقل مميز يعرف أن يعيدها. ها إنه حتى الحياة الطبيعية إذ إنها تنتهي بالموت الطبيعي لكنها بالروح محفوظة عند النفس. هكذا هو الحال أيضاً بالنسبة لشهوات الجسد. تلك التي تبطل من الشيخوخة ومن الجسد لكنها متى أسلمت بيد النفس فإنها تثبت في الحياة مع النفس إلى ما لا نهاية. فالشهوة لا تستطيع أن تقنعك إن لم تقتنع أنت بإرادتك. ولذلك فهي كمن تعرف ضعفها فلا تقترب نحوك بدون إرادتك. لكن متى حصلت على الفكر المساعد لها عندئذ تدخل وتشعل نارها في الأعضاء. أما أنت متى شعرت بالنار المفسدة قد تسلطت على جسدك أشعل أنت النار الحية التي في نفسك. ومتى رأيت أعضاءك قد أخضعت لخدمة الشهوة حينئذ أشغل تفكيرك بخدمة الأسرار الإلهية. فلا تأت الشهوة وتجدك بطالاً فتتم بك إرادتها، بل أظهر أمامها حياً بالروح لكي بنارك تنطفئ نارها. فمن حيث تريد أن تأخذ قوة أقطعها أنت من هناك. ومن أي باب تبدأ في الدخول إليك فأغلق أنت الباب في وجهها وأحبسها

خارجاً. فالشهوة الرديئة تدخل علينا من الخارج. أما التي هي راسخة فينا إن كانت للجسد أو للنفس فهي طبيعية وقد وضعت فينا لخدمة الأمور الحسنة. فالنفس لها أن تشتهي الله والجسد يشتهي ما لطبيعته. فحسن إنه وضع شهوة مقابل شـهوة. لكـي عندما تمتزج ببعضها البعض تصنع عملاً واحـداً وهـو عمـل الـشهوة الطـاهر والمقدس. فالأسباب التي تحرك شهوة النفس هي من الأعلى، أما التي للجسد فمـن تحت حيث توجد طبيعته. لكن الخالق لم يخلقه ليشتهي هذه الأمور بل ليشترك مـع النفس في اشتهاء الروحيات. فإنه وإن كان قد جبـل مـن الأرض ومـن اخـتلاط الأشياء لكنه لم يجبل للأرض لكي يدعى أو يسمى جسده أرضياً، بـل خلـق مـن الخالق ليكون للنفس أي ليتمم إرادتها في كل شيء ويشترك في كل الحسنات.

إذاً يجب علينا أن لا نحسب إن أعمالنا يجب أن تكون من المكان الذي أخذ منه جسدنا (أرضية) لكن إلى حيث خلق لهناك يجب أن يكون هدف أعمالنـا. فقـد خُلق ليكون للروح وليس للأرض وليكون روحياً وليس قابلاً للفساد. وقد دعي جسداً لكي يعرف أنه قد أخذ من الأرض. ويقال أيضاً إنسان لكي يظهر أنه تـابع لـنفس حية. فحسنٌ بأن يدعى هذا الكيان بثلاثة أسماء منفردة ومجتمعـة : جـسد ونفـس وإنسان. فالجسد لكي تعرف جسديته بأنه من التراب. وسمي نفساً ليظهـر الطبـع الحي المستتر فيه، وإنساناً ليظهر الكيان القائم من كليهما. لأن ليس للجـسد فكـر، ولا للنفس أعمال مرئية. فلذلك اختلطا ببعضهما البعض أي الذي هو ينبوع الأفكار مع الذي هو إناء الأعمال ومن كليهما كون الجسم المفيد. فالذي يـستخف بالجـسد لخلوه من الأفكار فليكرمه لأنه صانع الأعمال، والذي يستخف بالنفس لأنها لا تقوم بأعمال ظاهرة فلتكبر في عينه لأنها منبع الأفكار الحسنة. إن شهوة الروح (النفس) حارة كما إن شهوة الجسد حارة أيضاً، لكنهما ليسا بنفس المستوى. فكلطافة الـنفس هكذا أيضاً هي حرارة شهوتها، وككثافة الجسد هكذا برودة نـار شـهوته، والـذي يظنها حارة، أي في الذين هم جسديون ومتراخون فليس لأن طبيعتها حارة وقويـة بل بسبب ضعف إرادتهما الرخوة والباردة. ولتعلم مقدار بـرودة حـرارة الـشهوة الجسدية ومقدار حرارة شهوة النفس أنظر لما يحدث لكليهما. فإنه عنـدما تتحـرك

الشهوة الجسدية في الأعضاء فإن رؤية الناس لها تبردها، وكذلك سماع خبر العقاب، أو أي تهديد ضدها، أو أي قلق مفاجئ، أو إن استيقظ هوى آخر في الإنسان ضدها، أو التوبيخ والتقريع من الأحباء أو الأقارب، أو تذكر القصاص من قبل الناس، أو ضعف الطبيعية والتفكير بتأنيب الشخص الذي اتحدت به الشهوة، والجوع والعطش والحر والبرد الشديد والمرض والآلام إن وجدوا. فكل هذه الأمور وأكثر منها عندما تحدث لحرارة شهوة الجسد فإنها تطفئها وتبطلها. أما الشهوة الحارة والروحانية التي للنفس عندما تتحد بالكامل بأفكار النفس فليس هناك شيئاً يمكن أن يقطعها أو يطفئها كما يشهد بذاك الأشخاص الذين اتحدت بهم النار الإلهية لهذه الشهوة. فإن العالم كله حاربهم ولم يستطع أن يطفئ شهوتهم : لا الملوك ولا الرؤساء ولا السلاطين، لا بالتهديد بالكلام فقط بل أيضاً بالضيقات والتعذيب القاسي وبالحبس والجلد وبالأسر وعقوبات قاسية ومختلفة بالنار والأمشاط الحديدية والسيوف والحيوانات وكل شيء يؤلم ويوجع بالضيقات الزمنية. ولم تستطع كل هذه الأمور ولا ما يشابهها أن يضعف ويوهن قوة حرارة هذه الشهوة. لكن حدث ما هو عكس ذلك فأصبحت كل تلك الأمور كوقود لنار شهوتهم، فكما إن النار تتغذى (تشتعل) من الأخشاب والوقود ومن دهن الزيوت هكذا أيضاً هذه الشهوة الحسنة التي بهم تتغذى من الضيقات والشدائد. وكلما اقتربت النار نحو أجسادهم كانت النار الإلهية التي بهم تزداد قوةً واتقاداً بالأكثر لكي تنتصر على أضدادها، لأنها معتادة على الانتصار على الأضرار، فالإنسان يتقوى بمحبة الشيء الذي يحبه، فعندما يبعد العثرات من أمامه والعراقيل من أمام رجليه فإنه سيسير بسهولة وسيركض بدون عائق. وعندما يُخضع أعداءه تحت جبروته فإن قوته سوف تزداد بالأكثر لأن القوة التي تؤخذ من مبغضيه تُزاد عليه، والقوة التي تنقص من عندهم تعود له. فعندما تتقاتل شهوة النفس مع الشهوة الجسدية لا تُضعف حرارتها فقط بل تأخذ حرارتها (حرارة شهوة الجسد) لها (النفس) لا لكي تخدم شهوة الجسد، بل تخضع لإرادتها وتختلط بها (النفس) بحرارة روحية، ولذلك أيضاً جعل الله شهوة الجسد حارة لأن الشهوة التي وضعت في النفس هي أيضاً حارة. ومن هنا كلما

أرادت النفس أن تتحرك بشهوتها الطبيعية تشاركها أيضاً حرارة شـهوة الجـسد إذ ترجع حرارتها (شهوة الجسد) نحو إرادتها (شهوة النفس) الحسنة وهكذا تقوم بعمـل جيد. وليس فقط هكذا بل أيضاً في كل جزء من أجزاء الكيان (الجسم) متـى أرادت النفس أن تتحرك لعمل الأمور الخارجية، تقترب إلى الأعضاء المناسـبة لأجزائهـا المستترة إذ ترى بواسطة العين وتسمع عن طريـق الآذن مـع بـاقي الأعـضاء والحواس التي هي خادمة لإرادتها العامة. وأيضاً بهذه (الأعضاء) عندما تريـد أن تشتهي تشرك الشهوة الجسدية مع شهوتها الروحية لخدمة عمـل الحـب الإلهـي، والاشتعال بمحبة حياة البر. بحيث يظهر اتقاد هذه الشهوة مـن خـلال الأعـضاء الخارجية للجسد وليس بالحركات القبيحة أو بعمل الـشهوة الـسيئة. بـل إذ هـي (الشهوة) حارة تكون هادئة وإذ هي ساخنة تكون ساكنة.

إذاً لا تكون حرارة هذه الشهوة الممزوجة بأعضائنا سبباً لفسادنا بل لننظـر إلى الهدف الذي من أجله مزج الخالق هذه الشهوة بنا وبهذا الترتيـب نـستخدمها. فعندما تسخن في الجسد شهوته المضادة للعفة فإن مزجت مع شهوة الـنفس فإنهـا ستكون مساعدة للبتولية. فإذاً من العدل أن لا تضيع قوتها في الخارج، بل يجب أن نجمعها ونحملها إلى داخل شهوة النفس فعندما تمتزجا مع بعضها الـبعض تكونـان كالنار المتحدة بنار أخرى فتشتعل ناراً واحدةً مكملةً بالعفة. فالتغذية التـي صـارت لكل واحدة من هاتين الشهوتين هي مختلفة عن بعضها البعض. فشهوة النفس تتغذى وتتقوى بالصوم والزهد والسهر والصلاة وأتعاب جسدية. وبمـا هـو ضـدها أي الراحة واللذات والتمتع وبأطعمة وشراب وأمـور الزينـة ومعاشـرة المتـراخين والمتكاسلين بهذه كله تنمو وتشتعل الشهوة الجسدية فينا. ولـيس لمجـرد إضـعاف الجسد ستضعف معه النفس أيضاً لكن كلما ضعف الجسد فالنفس تتقـوى وتتجبـر بالأكثر. لذلك يجب أن نضعفه بالأكثر لكي تتقوى هي. فهناك فرق بـين أن يكـون الجسد من طبيعته ضعيفاً وبين أن تكون النفس هي التي أضعفته بهدف أن تقف هي بقوتها الطبيعية. فإنه عندما تُضعف النفس للجسد بهذا الشكل وتَذل قوته بالضيقات، أي ما قال الرسول بولس تكتمل عندهم : ذلك كلما كان الإنـسان الخـارجي يبلـي

فالداخلي يتجدد يوماً بعد يوم. حتى إن سليمان نصحنا بأن نبدأ منذ سن الشباب بالأتعاب من أجل الحسنات، ومن بداية نشوءنا نتمرس بهذا العلم، وأن ننتصر بالأشياء التي بنا وليست التي تسلم لنا، وأن نخضع الشهوة التي هي ضد شهوتنا، فمن هنا ينتصر الإنسان في كل حين بقوته على الضعف الذي به. وفي زمن ضعفه سيوجد قوياً. فإن سلك في شبابه باستقامة الشيوخ سيجد في شيخوخته قوة الشباب.

فخذ لك أيها التلميذ زوادة لشيخوختك من حقل شبابك، ومتى انحللت من أتعاب جسدك تجد لك راحة للنفس. فليست كل حياتك حرباً لأن خالقك قد تراءف عليك فوضع للحرب زمناً معيناً، أما للذتك فلم يجعل لها نهاية. فأنه في البداية والنهاية ليس لك حرب إما لأن الشهوة لم تتحرك بك بعد (الطفولة)، أو لأنه قد بردت بعد أن تحركت (الشيخوخة). فإن شئت وإن لم تشاء فإنك ستكون خالياً منها في زمن الشيخوخة، ولن تستطيع بسبب ضعف جسدك من أن تمارس الشهوة. بحيث لست أنت الذي أطفئ الشهوة بل هي قد انطفأت بك. فنار الشهوة التي وضعها الخالق في طبيعة جسدك هي لتكاثر الجنس البشري. وسبب بطلانها في نهاية حياته أي في زمن الشيخوخة هو لأنه لا يظل طيلة حياته ينجب الأولاد، فإنه لا في طفولته ولا في شيخوخته يستطيع أن يعمل هذا الأمر. وهذا الأمر لا يطبق عليه فقط بل على الحيوانات والطيور والنباتات فكل هذه الأجناس هي على هذا المثال، لا في طفولتها ولا في شيخوختها تظهر ثمار أجناسها. إذ أن كل جنس يكون له حرارة (الشهوة) والإنجاب قد وضع له زمن معين لذلك، وخاصة لأن الإنجاب يكون بواسطة الجسد ولذلك هو محدد مثله. فكما إن حياة الجسد محددة هكذا قوته أيضاً محددة. وكما قلت لا في البداية ولا في نهاية حياته يوجد لديه القدرة على الإنجاب. أما النفس فمن حيث أنها غير مركبة فليس فيها شيخوخة أيضاً، لذلك لا تبطل حرارة شهوتها إلا إذا أصابها مرض شرير. فكما إن الجسد بسبب نظام تركيبه يشيخ ويضعف، هكذا النفس من الخطيئة والشر تمرض وتضعف، وبسبب هذا الضعف تنطفئ حرارة شهوتها. إلى درجة أنها لا تستطيع أن تعطي ثمراً. فالذي يُضعف هذه الشهوة (الزنى) في شبابه فإنه يكون قوياً في

شيخوخته، ومن بعد أن ينهي حربه تظل قوته لديه. وهذا ما يحصل أيضاً للمحاربين الذين في العالم، فإنهم ليسوا أقوياء فقط عندما يخوضون حرباً لكن حتى بعد انتهاء الحرب تظهر فيهم قوتهم. فقوتهم لا تنتهي مع انتهاء حربهم. وإن كان فعلها قد ظهر بشكل أكبر في أثناء الحرب وذلك بسبب الغيرة. هكذا أيضاً نفسك قد لبست قوة العفة لكي تكون لك آلة في الحرب ضد الزنى، فلا تظن إنه مع انتهاء حربك ستنتهي قوتك أيضاً لكنها في نهايته سوف تتجدد بالأكثر، وإن لم يكن تجددها من أجل الحرب لكن لعمل الحسنات. وبهذا تكون قد أكملت كلا الأمرين. ففي الأول حاربت الزنى والثاني أتمت بناء العفة. وكما إن الصانع عندما يعطى بناءً قديماً ليجدده فإنه بقوته يهدمه ثم بقوته يبنيه. هكذا أيضاً بناء بنائك الجديد وهدم بنائك القديم كلاهما يتمان بقوتك. حيث هدمت الزنى التي هي طريق كل الشرور وبنيت العفة التي هي الطريق الطاهر المصعد للسماء. فما هي السيئة التي لا تتواجد في الزنى، وأي شر لا يدخل من بابها : فإن كانت شهوة البطن فهي التي تقويها، وأن كانت محبة الذهب فهي خادمة لها، الغضب والحسد لها يتبعان، وبهما تتقاتل ضد أعدائها، الكآبة تسير بإثرها، والخجل في نهايتها يُصطحب، وحتى المجد الباطل الذي يظن بأنه ضدها هو مساعد لفعلها القبيح، فبسببه عاد الكثيرون لهوى الزنى، فمن بعد نهاية أتعابهم وإذ ظنوا بأنهم قد وصلوا إلى ميناء الراحة فإذا تمسكوا به وبسبب تكاسلهم أُثخن عقلهم وأظلم نظرهم الذي كان قد تطهر بواسطة الانتصار على الشهوات الجسدية، وأعادهم نحو شهوة الزنى التي كانوا قد انتصروا عليها في بداية حربهم. إذا لم يخطئ من دعا الزنى طريق كل الشرور. والزنى التي أتكلم عنها ليست التي للجسد فقط بل بالأكثر منها التي للنفس. لأنه بالنسبة للشاب فإن عملها يعد زنى أما بالنسبة للراهب فبالتفكير بها، للشاب قيل له لا تزن أما للراهب فقيل لا تشته. فحرب الأفكار كلها غير معروفة لدى الشاب ولذلك لا يستطيع أن ينتصر على شهوته القوية بل إنه يمارسها بشكل قانوني التي هي من الطبيعة، أما الراهب فليس له هذا السلطان، ولا حتى الامتناع عن ممارستها بالعمل يعد له انتصاراً بل بانتصاره على أفكارها يحسب له فضل. ولأنه خادم روحي للمسيح

ولذلك فانتصاره الروحي يكتمل في الأفكار الداخلية، وبصبره يطهر نفسه فلما يطرد الفكر يظهر كل بيت النفس مضيئاً. فحيث يوجد النور لا يدخل ظلام الخطيئة، لأن الخطيئة تمارس في الظلام كما إن البر يمارس في النور. فلا يهيجك هذا الهوى ولا يتسلط بقوة على أفكارك. فإن أسبابه كثيرة عندك وخاصة إن كنت تسكن مع الناس، حيث ينمو بتذكر الأشخاص وبواسطة جمال منظر الجسد. فلكون شهوة الزنى تتولد من الجسد فإنها تشتهي الجسد. وكما إن شهوة البطن تشتاق لتذوق الأطعمة المختلفة. هكذا هوى الزنى يشتهي الوجوه ذات المنظر الحسن، ولا يثبت حبه في رؤية واحدة منها لأنه لا يحب الأشخاص بل جمال الهوى. لذلك عندما تتهيج عليه (الشهوة) بكثرة فإنه لا يعط أهمية حتى لجمال المنظر، بل ينمو ويتقوى به (الهوى). ومتى أخضع (الهوى) قوة النفس الخفية حينئذ ينتصر حتى على آمال الجسد الظاهرة. ولئن انتصر عليه الجسد أثناء اليقظة، فإنه يعود لمحاربته في النوم. كما يعيد ذكرى الأشخاص الذين كانوا قد طردوا من النفس في اليقظة عن طريق النوم لكي يهزم فيها الإنسان ويدنسه. لذلك يلزمك الزهد الذي بواسطته تقلل من ثخانة الجسد لكي لا يجد الزنى في جسدك مادة له حتى في النوم. فهذه هي عادة هذا الهوى إنه يتصارع في البداية عن طريق أعضاء الجسد وكالحيوانات يحركه نحو الشهوة، فإن امتلك الإنسان التمييز وأوقف عمل تلك الحركة من أعضائه، فإنه يعود ويدخل إلى الأفكار ويهيجها بالخفية لكي بواسطتها يوقظ الأعضاء لفعل الشهوة. فإن تغلبت عليه الأفكار وذلك طبعاً عندما يتطلع الفكر نحو الله ويكون لديه الصبر والزهد. حينئذ يأتي هذا الهوى الشرير عند النوم وفي النوم يتصارع مع صبر النفس، ولكن إن صادف وحدث هذا الأمر لنا (حوربنا في الليل) فلا نترك أنفسنا بدون تأنيب وخاصة أن كان الفكر قد صورت فيه رؤية الأشخاص، التي تظهر بوضوح بأنه من بقايا اليقظة. فإنه إن لم يكن ذلك بسبب رؤية الأشخاص، فإنه بسبب سلوك الجسد وخاصة الأعضاء وذلك لأنه لم يذل بالزهد فوجد كمادة للشهوة. وكل ذلك إنما هو بسبب غرقنا في النوم الكثير.

فطبعاً يجب على التلميذ أن ينتصر على الهوى وألا يقوم به لا بالعمل ولا بالفكر ولا بالنوم. فإن هزم في النوم فهذا دليل على أنه لم ينتصر عليه في الفكر، وإن لم ينتصر عليه بالفكر فهذه دلالة بأنه لم ينتصر عليه بالعمل. لذلك فمن المناسب لنا قلة الطعام والنوم لكي لا تتصارع (الشهوة) مع الجسد وتنتصر علينا في الحلم بدون إرادتنا. فكما أن الضعفاء والمسنين لا تحدث لهم الشهوة ولا في النوم لأنه منذ زمن قد تلاشت ويبست في أعضائهم شهوة الزنى هذه، هكذا الجسد الذي ضعف بسبب أتعاب الزهد لا يحدث له زنى الليل. لأنه حتى ولو تحركت الأفكار وهاجت الشياطين فإنهم لن يجدوا في أعضائهم مادة لسيلان الشهوة. فالمتوحدون يتصارعون مع النوم كمصارعتهم ضد الشهوة والأطعمة، لأنها هي أيضاً مثلها تثخن العقل وتكثر الشهوة. فإن كان الإنسان يقدم لجسده الطعام الكافي لحاجته فقط ويقدم النوم أيضاً بهذا المقدار فإنه سيجد الوسيلة ليتحرر من هذا الهوى. كما يجب أن لا يكون في يقظته تائهاً بأفكاره بل يكون مجتمع الفكر بالصلاة والترتيل.

فأطرد هذا الهوى حتى من فكرك فإن خرج من النفس فلن يمكث عند الجسد. فإن الطوباوي بولس يوصينا قائلاً : " **أميتوا أعضاءكم التي على الأرض** "[1]. فإن ماتت الأعضاء كما علمنا الرسول فلن يكون هناك مكان للشهوة لتتحرك فيه. فماذا تستطيع الشهوة أن تصنع بجسد ميت. فهل يمكن أن نميت الأعضاء ؟ هذا ما يظهره الرسول وهو لم يوصينا بما لا يمكن صنعه وخصوصاً أنه قال أعضاءكم التي على الأرض. وذلك كما لو أنه لنا أعضاء أخرى في السماء أو من السماء. وهذا ما يفهم من قوله أميتوا أعضاءكم التي على الأرض فالشهوات هي من الأرض، وعلى الأعضاء التي من الأرض تتسلط. فإن أمتنا هذه الأعضاء بالصبر والصوم والزهد والنسك إضافة إلى السهر الدائم والصلاة اليقظة فلن يتقبلوا بعد الشهوات التي من الأرض. فالشهوات ليس لها ما تفعله في أعضاء ميتة. أما الأعضاء التي في السماء فقد دعيت الإنسان الجديد وتعني الذين قيل عنهم بأنهم من

[1] كول 3: 5

السماء " **فكما هو الترابي هكذا هم الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي هكذا هم السماويون أيضاً** " [1]. إذاً فقد دعا الإنسان الجديد بالسماوي. فبهؤلاء لا يجب أن تتسلط الأهواء القديمة لأنها لا تليق بهم وليست لهم، فكيف يقبض هوى الزنى على الإنسان الجيد الذي أتحد جسده مع المسيح. فأنا أقول ليس بسبب النعمة الكبيرة التي لدينا ولا بسبب المجد الكثير أقول يجب أن ننتصر على هذا الهوى، بل أيضاً من أجل ما يلحق بهذا الهوى من : خجل الوجوه والكآبة والتأنيب واختفاء الشجاعة وظلام العقل وكثافة الأفكار واضطرابها. فكل هذه الأمور وما يشابهها تدخل إلى النفس بسبب هذا الهوى. فإن صبرنا وانتصرنا وأقمنا في أنفسنا صورة العفة الجميلة فإنه من بعد الانتصار على هذه الشهوة ستمتلئ النفس في الحال فرح وجرأة نحو الله والناس وتتلذذ براحة الأفكار وتتقبل نور المعرفة الإلهية وتلبس قوة مليئة بالرجاء فمثل هذه الراحة تتقبلها النفس من بعد الانتصار على هذه الشهوة. وليس لنا أن نفسرها (الراحة) بالكلام، لأن حتى النفس لم تحصل عليها بالكلام، فإن الشيء الذي يحصل عليه بالعمل، يستطاب بالعمل. والذي عن طريق الكلام فبالكلام يستطاب. فالانتصار على الشهوة بما أنها تم بقوة النفس مع مساعدة النعمة فالفرح الذي يعقب هذا الانتصار بهذا النظام يتم نحوها والذي هو من طبيعتها ومن نعمة مواهب الله. فكما إن لذة الجسد مضاعفة إذ مرة تتلذذ بسبب صحتها الطبيعية ومرة تتلذذ بسبب الأطعمة والشهوات التي تأتيها من الخارج. هكذا أيضاً يحدث للنفس فمرة عندما تكون قائمة بطهارة عقلها وبنقاء صحتها الطبيعية، تشعر باللذة. ومرة تتقبل لهذه اللذة عندما تستحق بنعمة الله والعجب من الظهورات الروحانية. والذي يتنعم بها يعرف ويشعر باللذة الروحية التي تُلقى على كل أعضائه، ولكن أن تُعَبِّر عن هذه اللذة الروحية التي شُعِر بها بالكلام أو بالقول فذلك ليس ممكناً لأنها (النفس) قد تقبلت هذه اللذة روحياً. لأنه باستطعام الأطعمة ولمس الأشياء يتقبل الجسد لذة الأطعمة أو من رؤية الوجوه يتحرك بلذة الشهوة، أو من الأصوات الجميلة للغناء تستمتع أذنه من تغير نغمات الأغاني، ومن اللمسة الناعمة يشعر

---

[1] 1 كور 15: 48

الإنسان بلذة الراحة. فكل هذه الأمور لأنها جسدية يتلذذ بها جسدنا وبشكل عملي يتلذذ الجسد ويستطيع الإنسان أن يتكلم عن هذه اللذة بالكلام. ولأنها تُلذذ الجسد بطريقة متجسدة فبسهولة يمكن للإنسان أن يتكلم عنها بكلام مركب ومجسد. أما لذة النفس فلأنها ليست متجسدة ولا من الأعمال الجسدية وليست من لذتها البالية. بل لذتها من العجب الروحي لكل شيء. فهذه يمكن أن يُشعر بها متى كانت النفس في صحتها الطبيعية ولكن لا يمكن التكلم عنها بواسطة الكلمات بل تَتَلذذ بشكل مستتر، وفرحها لا يكون منظوراً لأن فرحها ليس منها. فكما إن النفس هي بداخل الجسد وبقوة حياتها تعطيه أن يشعر بلذة كل الأشياء. هكذا بداخل النفس يوجد العجب الروحي الذي هو معتاد أن يلذذ النفس. فعندما تتلذذ النفس بهذا الشكل يكون تلذذها طبيعياً وبحسب ترتيب طبيعتها تتقبل اللذة. لأن عالم النفس هو بداخلها، كما إن عالم الجسد هو خارجه. فعندما تتلذذ النفس من خارج طبيعتها فإنها تأخذ لذتها إما من الجسد أو من العالم. ويكون تلذذها هذا إما بشهوات الجسد التي تتم : أو بشهوة البطن أو بممارسة شهوة الزنى أو مما تتقبله من العالم : كالتمجيد والتعظيم وأصوات الغناء ولذة رؤية المناظر الجسدية التي ترى. فكل هذه الأمور تكون إما من الجسد أو من العالم تستطعم النفس بشكل خارجٍ عن نظام طبيعتها. فهي بذلك لا تطلب صحتها بل مرضها. لأنه يوجد شهوات تخدم صحة النفس أو الجسد ويوجد ما تخدم مرضهما. فإذاً معروف إنه متى تلذذت النفس بالشهوات الشريرة فإن لذتها تكون خارج نظام طبيعتها ولم تتلذذ بما يليق بها، بل بالأشياء الغريبة عن لذتها الطبيعية. فعندما يزني جسدها ويمارس هذا العمل ويكسر الوصية، يُظن بأن النفس قد شعرت بلذة ما من هذا الأمر، أو عندما تحارب وتنتصر على شهوة جسدها لهدف حسن وبتمييز مقبول لدى الله تكمل هذه النصرة فتشعر حينذاك النفس بهذه النصرة فتتقبلها، بحيث من إتمام الشهوة، ومن الانتصار عليها، أي في كلتا الحالتين تتقبل النفس اللذة. لكن اللذة التي تقبلتها من الجسد كما قلت مراراً كثيرة هي خارجة عن نظام طبيعتها. أما التي تحدث لها من انتصارها على الشهوة فهي لذة طبيعية، وكالنفس السليمة تشعر بهذه اللذة وبشكل شرعي تتلذذ بها.

فإذاً نشعر من خلال ما قلته بأن هؤلاء الذين ينتصرون على الشهوة بهدف روحي ففي حين أنهم يشعرون بلذتهم لكن لا يستطيعوا أن يتكلموا عنها وكيف يتكلمون على شيء قد تلذذوا به بشكل غير مادي. فإذاً بما أن كل ما هو للروح ليس مادياً فلنطلبه في المكان التي يتواجد فيه فنجده هناك وحيث نجده نتلذذ به، وحيث توجد لذتها (الروح) فهناك يوجد فرحها، ذاك الفرح غير المنظور، والفرح الذي توجد معه القوة. فكما إن النفس عندما تنتصر عليها الشهوة تظهر بأنها ضعيفة ومضطربة ويحيطها الخجل. هكذا عندما تنتصر النفس على الشهوة تمتلئ بعد انتصارها بالقوة والفرح والجرأة. كما تقتني عيناً منيرة تلك التي بها ترى بسلطان معرفة الروح الممزوجة بكل المنظورات. وكما إن لذة الجسد يشعر بها أولئك الذين يمارسون الشهوات الجسدية، هكذا أيضاً اللذة الروحية يتلذذ بها الذين يمارسون الشهوات الروحية. وكما أن مرض النفس هو الذي يشعر بلذة الشهوات الجسدية، هكذا بهذه اللذة الروحية النفس السليمة هي التي تشعر بها. وأما من يريد أن يشعر بما قلناه من خلال الكلام فهو كمن يريد شيئاً لا مكان له ولا زمان، والثمرة التي يريدها لن يجدها لأنه لا يريد أن يقطفها من شجرتها. فكما إن كل ثمرة تقطف وهي على شجرتها. هكذا الأمور الروحية ترى في أماكنها، والثمار التي تلذذ الطبائع الناطقة والروحية في أشجارها توجد. إذاً من بعد الانتصار على هوى الزنى تقطف النفس الثمرة الروحية تلك التي تسعدها وتنيرها. والذي يريدها سيجدها من بعد انتصاره على هذا الهوى، وهذا الانتصار الذي يحدث لا يجب أن يكون في الجسد فقط بل في النفس أيضاً. فأحياناً تتحارب هذه الشهوة مع الجسد فقط ويمكن أن تتحارب مع أفكار النفس. ولكن كلما كانت نارها متقدة في الأعضاء فإنها لا تحارب الأفكار، فكيف تحارب شيئاً لا يتحارب معها. فكلما كانت الأفكار خاضعة لها وتنفذ إرادتها تكون الشهوة كسيدة تأمر على الأعضاء، وبحرية تتمم لذتها في أرض الجسد التي تسكن فيه. لكن عندما يصبح العقل مراقباً لنفسه ويشعر بسيادة غريبة تسكن في جسده، وأهواء سارقة ولصوص يسكنون في أعضائه، فمن هنا يتأهب ليطردهم ويبدأ بالحرب لإخراج الغرباء الذين يسكنون في بيته. ولكن

لأن الشهوات قد لذَّ لها مسكنها فإنها تتحارب هي أيضاً لكي لا تخرج، ومن هنا تبدأ حرب الأفكار على الأهواء، والأهواء على الأفكار والأقوى هو الذي ينتصر.

إذاً الشهوة التي في الأعضاء تتمم بالعمل، ولكن ليس حيثما تشاء تستطيع أن تنجز. أما المستترة في الأفكار فلا يوجد ما يوقفها عن العمل، سوى رؤية الله ولذلك أعطى النبي الويل للذين يتدنسون على فراشهم، ويظهر أفكارهم الجاهلة هؤلاء الذين يفكرون قائلين : " **من يراني الظلمة تحيطني والجدران تسترني.... وهو لا يعرف أن عيني الرب أسطع من الشمس بأضعاف فتبصران أعمال الإنسان وتكشفان أخفى خفاياه** "[1]. فإن كانت هذه الآية بوضوحها تشير إلى الإنسان الذي يخطئ على فراشه بالخفاء، وعن أولئك الذين في مساكنهم المظلمة وبعيداً عن أعين الناس يكملون شهواتهم. أفلا توبخ كلمة النبي بالأكثر الفكر الذي يزني بالخفاء في النفس. فبدل الجدران هناك الأعضاء التي تحيط به، وبدل السقف هناك القلب الذي يستره. فإذا كان يسكن في هذا البيت الذي يستره ويخفيه حيث يتمم زناه متوهماً بأن لا أحد يراه فهو لا يهرب من الخطيئة بل من رؤية الناس، ولا يعرف بأنه أمام رؤية الله المنيرة لا يوجد شيئاً مستتر. فرؤية الله التي ترى الخفايا هي أسطع بأضعاف مضاعفة من نور الشمس. فكما أنه أمام نور الشمس لا يخفى شيئاً، بل على كل الأشياء التي يشرق عليها يظهرها للنظر. هكذا عين معرفة الله ترى خفايا الناس وتنظر إلى الأفكار المستترة في العقل. وإن لم يزني الفكر بالأعمال لكنه يحسبه زانياً بإرادته فدينونته هي بسبب لذته وليس بسبب قيامه بالعمل. فيوجد من يتلذذ بالأعمال ويوجد من يتلذذ بالخيالات. ويوجد من يزني بالجسد ويوجد من يتممه بالنفس. فالذي يطرد الزنى من القلب فمعروفٌ بأنه لن يتركها تظل في الجسد أيضاً. لأن أصول (جذور) الأفعال هي الأفكار. فكما إنه عندما ننزع الشجرة من أصلها ونستأصل جذورها التي تغذيها من عمق الأرض فإنها في الحال تيبس أوراقها وتذبل ثمارها ويتغير منظرها، هكذا أيضاً أصول الشهوة إن استأصلت من القلب وطرحت ففي الحال تيبس أعمالها الخارجية. لأنه كالجذر في الأرض، هكذا

[1] سي 23: 19

أيضاً هو الفكر في داخل القلب ينمي الأعمال الخارجية إن كانت حسنة أو شريرة. وكما تنمو الأشجار بالماء هكذا الأعمال ترتوي بالأفكار، وكما تيبس الأشجار المزروعة بجانب النبع إن جف ذاك النبع، هكذا تجف أعمال الشهوات الموضوعة بجانب نبع القلب وتشرب وتنمو منه إن طمر الإنسان نبع الأفكار الشريرة ذاك.

إذاً أن يستأصل الإنسان الشهوة من الفكر فذاك هو الانتصار الكامل بالفعل. فإن شهوة الأفكار هذه ليس لها أوقات محددة لكنها تتحرك وتكتمل في كل حين وخصوصاً عندما يتواجد لها المواد التي تخدمها من الخارج. فمن هنا يجب أن ننتبه وننظر بحكمة فمن المكان الذي يمكن أن تطل علينا هذه الشهوة نغلق الباب في وجهها. فإن الشهوة ممزوجة بحياتنا وبما أن جسدنا ينبض بالحياة هكذا تتحرك الشهوة وتنبض فيه (الجسد). لكن كما إن نهاية حركات الحياة الطبيعية هي الموت، هكذا تقف حركة الشهوة بموت الإنسان القديم. فإن كان من حركات الطبيعية للجسد تقوم علينا هذه الشهوة فلنعرف بأن علينا أن نذلها ونخضعها. ونتذكر تلك الجملة المساعدة من قبل الرسول التي قالها لنا لكنه نسبها لنفسه " **بل أقمع جسدي وأستعبده** "[1]. فعندما نتأمل نحن فيها حينئذ نستعبد جسدنا ونخضع الشهوة بهيجانها وتحركها ووثوبها بالجسد بأن نضع عليها ثقل الصوم الطويل وقلة الأكل والشرب. فإن كانت هذه الأمور كافية لإخضاعها حينما نقدمهم للجسد بحسب حاجته فحسن، وإلا نضاعفها ونزيدها عليه وإن لم تكف لوحدها لإخضاعه فنبحث عن أمور أقسى منها ونستخدمها ضده. فإن أكثر ما يلزم لهذه الحرب هو قلة الشرب. لأن الشهوات وبالأخص شهوة الزنى هذه تتغذى على الرطوبة (الشرب) وإن كانت هذه الأخيرة تغذيها فإن الجفاف الذي يحصل من قلتها سوف ينهيها وييبسها. فكما إن " **جدعون البطل أعاد أولئك الذين جثوا على ركبهم وشربوا الماء من الحرب. ولأولئك الذين شربوا ماءً قليلاً إذ لغوا الماء بيدهم إلى فمهم أخذهم إلى الحرب ضد المديانيين** "[2]. فهذه الأمور صنعت من قبله ببساطة لكن الله هو الذي أمره أن

[1] 1 كور 9: 27

[2] قض 7: 6

يصنع ذلك، فإذا اجتمع شعب كثير ليذهب معه للحرب ضد محلة المـديانيين التـي تمثل شهوة الزنى. أمره الله بأن ينادي بالبوق وينبه الشعب ويقول أمامهم " **من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع** " [1]. فرجع من هذا الصوت أغلب الشعب الذي كـان معـه، وهنا ظهر بأنه ليس كل من يخرج للحرب يليق بالحرب. وإذ كان ما يـزال فـيهم الكثير ممن هم حارون بالفكر ويشتهون الانتصار لكنهم كانوا خاليين من الأتعـاب لأجلها (النصرة). قال له الرب أن ينتقي منهم ومن بعد الاختبار بالماء أعـاد مـن الحرب الذين جثوا على ركبهم وشربوا ماءً كثيراً لأن الشبع من المـاء لا يناسـب الحرب ضد الشهوة. أما القلة الذين شربوا ماءً قليلاً وبسرعة ولغوا بيدهم إلى فمهم أخذهم معه إلى الحرب ضد المحلة التي تمثل الزنى. وهذه هي التي قيلت من قبـل كتاب موسى إذ قال : " **وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الـشعب إلـى ذبائح آلهتهن** " [2]. ولأن كل ما حدث لهم هو مثال لسلوكنا الروحي وكل ما كتـب لهم يُظهر ما هو لنا. كما قال الرسول بولس : " **ولا نزن كما زنـى أنـاس مـنهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً** " [3]. فهوذا الجيل المتراخي الذي خرج من مصر عندما لاقاه حرب الزنى لم يستطع أن يقف أمامه، بل هزموا من جمال بنات موآب وزنوا معهم. وعقب هذا الزنى تسلط عليهم المهلك فوراً، فهناك اقتصر على إبادة الزناة بالعقاب الذي صدر عليهم فوراً دون أن تبطل شهوة الزنى. لكن هنا في المدبر جدعون لم يُبيد الزناة بل شهوة الزنى. لذلك عندما تهيأ ليبيد ذاك المعـسكر الذي جعل ذاك الشعب القديم يخطئ والذي قلنا عنه بأنه مثالٌ لشهوة الزنـى. أخـذ معه أناساً قليلين للحرب ضد هذا الهوى أي أولئـك الـذي شـربوا المـاء القليـل وبسرعة. وبهذا أظهروا بأنهم أكفاء للخروج لهذه الحرب التي حـدثت بالفعـل. وإذ أعدهم للحرب جعل في أيديهم أبواقاً وجراراً ومصابيحاً فوضعوا المـصابيح فـي وسط الجرار فأمسكوا الأبواق بيمينهم والجرار بيسارهم ففي الحال عنـدما نـادوا

---

[1] قض 7: 3

[2] عد 25: 1

[3] 1 كور 10: 9

بالأبواق وكسروا الجرار وبان نور المصابيح، فصوت الأبواق يمثل هدف وصية الله التي نادى بها في كل الكتب ضد هذا الهوى (ولا نزن كما زنى أناس منهم). ومثل " **لئلا يكون أحد زانياً ومستبيحاً مثل عيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته** "[1]. وأيضاً مثل " **لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله** "[2]. وأيضاً كما قال : " **فإنكم تعلمون أن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد أوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله** "[3]. وكما قال سيدنا المسيح : " **كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه** "[4]. وأيضاً يعقوب الرسول قال في رسالته : " **من أين لكم الحروب والخصومات أليست من هنا من لذاتكم المحاربة في أعضائكم** "[5]. وأيضاً بطرس قال : " **لا تتعجبوا مما يصيبكم من محنة تصهركم بنارها لامتحانكم كأنه شيء غريب يحدث لكم** "[6] والله نادى نحو الشعب " **لا تشته امرأة قريبك** "[7]. فهذه الأقوال المقدسة التي قيلت ضد هوى الزنى هي رمز لتلك الأبواق التي كانت تنادي ضد معسكر المديانيين. فهناك مع صوت الأبواق مباشرة كسرت الجرار لأنه هكذا أمر كل الشعب من قبل جدعون، ففي الحال عندما تسمعون بأني ناديت بالبوق فنادوا أنتم أيضاً بأبواقكم واكسروا الجرار ليظهر نور مصابيحكم المستتر داخل الجرار. فكل هذه الأمور هي مثال لسلوكنا الروحي فصوت الأبواق هو مثال للوصايا الإلهية، فهذه الأمور إن استعملها الإنسان في الحال بصوت نفسه ويصرخ بقوة ضد هذا الهوى فإنه في الحال سوف تبتعد وتبطل هذه الشهوة من الأقوال

1 عب 16:12
2 1 كور 6: 9
3 أف 5: 5
4 مت 5: 28
5 يع 4: 1
6 1 بط 4: 12
7 خر 20: 17

الإلهية. وكما إنه هناك مع صوت الأبواق كُسرت الجرار، هكذا هنا مع سماع الوصايا ستكسر وتبطل شهوة الزنى هذه. وكما إنه هناك عندما كسرت الجرار ظهر النور الذي كان مخفياً فيها، هكذا هنا مع بطلان الزنى سيشرق نور معرفة المسيح في النفس. وهكذا دلت هذه الثلاثة : فصوت الأبواق يمثل وصايا الله، والجرار التي كسرت هي شهوة الزنى التي هي سريعة العطب، والمصابيح التي ظهرت عند كسر الجرار هو نور معرفة الله الذي يشرق في النفس عند بطلان شهوة الزنى، فهذه الأمور كلها معروفة بالأكثر عند من اختبرها. وهذا هو التعليم الذي يعلمنا إياه حرب جدعون وهذه هي الأمثلة التي يُرينا إياها. لهذا شربوا ماءً قليلاً أولئك الذين ذهبوا إلى الحرب فلو تأملنا فيهم علينا أن نتشبه بهم فلا يشرب (الإنسان) ماء لحد الشبع، ولا يملئ جوفه بالطعام الذي له حرب مع هذه الحرب. ولا ينهزم أمام شهوة الأطعمة البسيطة فيملئ جوفه منها بل ليذكر عيسو الذي لامه كلام الرسول بولس ودعياه زانياً ومستبيحاً الذي بسبب أكلة باع البكورية. فقد لام عيسو ليس بسبب دسمها أو كثرة ثمنها بل بسبب رخاوته، فتلك كانت أكلة عدس لكنه بسبب شهوته انهزم وبشراهة أكل منها ودعي زانياً ومستبيحاً، فإنه عدلاً دعا الرسول بولس لهذه الهزيمة بالزنى. فالذي انهزم أمام رؤيته لأكلة عدس فكم بالأكثر أمام الجمال البهي. ولنتأمل أيضاً بالقول الإلهي الذي قيل للشعب اليهودي الذي لا يُبطل فقد عمل الشهوة بل شهوة الأفكار أيضاً، فلم يقل لا تزن مع امرأة قريبك بل قال لا تشته امرأة قريبك. فلو كان تمييزهم غليظاً لكن الوصية التي أعطيت لهم كانت كاملة وتامة وكانت تمنعهم من شهوة الأفكار أكثر من القيام بعمل الزنى. لا تشته فإن لم تشته فلن تزني. والرب قال : " **كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه** "[1]. لأنه يوجد من ينظر ولا يشتهي بل إنه ينظر ببساطة. لكن الذي ينظر ليشتهي فهذا بإرادته وشهوته قد زنى. إن كلا القولان يطابقان بعضهما البعض : لا تشته امرأة قريبك، والذي قيل من قبل ربنا ضد شهوة الأفكار. فهناك قال لا تشته وهنا يقول لا تنظر لكي تشتهي، لأن النظر وحده

[1] مت 5: 28

لا يسبب الخطيئة إن لم تتممه الإرادة الداخلية. فيوجد من ينظر ليشتهي، ويوجد من ينظر لمجرد النظر، فالنظر البسيط هو من طبيعة العين. أما نظر الشهوة فهو ليس للعين فقط بل للإرادة والأفكار. فإن داود إن لم ينظر لم يكن ليشته وإن لم يشته ما كان ليزني " **فإنه صعد على سطح بيت الملك فرأى المرأة تستحم فاشتهاها فأرسل وأتى بها وزنى معها** "[1]. فلو نظر ببساطة لما كان ليشتهيها وإن لم يكن قد اشتهاها ما كان قد زنى معها. فلنغلق أمام الشهوة إذاً باب النظر. فإن النظر ليس بالشيء القليل إذ إنه يضع الغشاوة داخل النفس، ولذلك فالشهوة أيضاً تتحرك بشكل متغير في الأعضاء وتشتهي أشخاصاً مختلفين، وهذا ما يحدث لها عندما لا يتواجد ذكر الله أمام عينيها. فإن كان ذكر الله موجوداً فيها فإن ذكر الشهوات السيئة يبتعد عنها بسرعة. وهي (النفس) ما كانت لتبطل عن تلك الرؤية البهية التي لا يشبع منها، لتنظر إلى الجمال الفاني. وكثيراً ما يساعدنا التأمل بالجمال الفاسد في ردع هذه الشهوة. فعندما ننظر إلي الطبع الفاسد وإلى الأشياء الأخرى القذرة والمدانة والتي ينفر منها الضمير. فإن هذه الأمور التي تلتصق بالجسد إن تأمل الإنسان في قباحتها فليس تأمله هذا أمراً قليلاً بل إنه يطفئ حرارة هذه الشهوة. فكما إن نبي الله داود عندما كان يردع افتخار الطبيعة الإنسانية قال نحوها " **الإنسان أشبه بنفخة وأيامه مثل ظل عابر** "[2]. وأيضاً عندما كان يُبطل الرجاء عليه (الإنسان) لكي لا يربط أي إنسان رجاءه بإنسان مثله " **لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده تخرج روحه فيعود إلى التراب وفي ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره** "[3]. فهكذا لنقاوم صنع ضد هوى الزنى عندما يسخن فينا ويبلبل أفكارنا، فلنضع أمامه إما تذكر الله والخوف منه، أو نستخدم ضده قراءة كلمات من الكتب المقدسة، أو نتأمل في فساده وضعفه وبأوجاع الطبيعة الإنسانية. فعندما يتأمل الإنسان بهذه الأمور بحكمة وينظر إلى أواخرها وإلى قوة نفسه، ويرى المسلك

[1] 2 صمو 11: 2

[2] مز 144: 4

[3] مز 146: 3

والقباحة والأوجاع التي تحدث للجسد وخصوصاً النتانة التي تصيب الأعضاء. فبمثل هذه الأمور التي تلحق بالجسد يستطيع الإنسان من خلالها أن يطفئ الشهوة بحيث يستهين بها ويرى لأي الأمور تجعله محتاجاً.

لكن لينتبه الفكر عندما يتأمل بقباحة الطبيعة البشرية أن لا يستحقرها في عينه، فإنه ليس لهذا الأمر يحرك فيه هذه الأشياء (التأمل وذكر الله) بل لكي يقمع شهوته. فإن كان يلزمه أيضاً أمثلة مقوية ومشجعة فليذكر الصالحين القدماء ليس فقط أولئك الذين بعد ظهور الرب إلى الآن بل بالأكثر الذين هم قبل مجيئه. إذا لم يكن الكمال قد أعطي بعد للبشر ولم يكونوا قد نالوا بعد تدبير الحياة في العالم العتيد. لكن العفة كانت توقر بناءهم أكثر من الزواج. والقداسة كانت معظمة عندهم أكثر من المعاشرة (الزوجية). فإبراهيم وأسحق ويعقوب أولئك الذين هم رؤساء آباء المؤمنين، والآنية المختارة لكل الصالحين، والسادة في إيمانهم ومحبتهم. فإنهم كانوا يشتهون الطهارة والابتعاد عن الزواج أكثر من الزواج الذي هو لإنجاب البنين. وأيضاً من بعدهم يوسف العفيف ذاك الذي كان صغيراً في العمر ولكنه أظهر بصبره إنه مميز كقديمي الأيام (الحكماء). وإذا لم يكن له معلم أو مرشد ليرشده أو أب ليحفظه أو صديق جيد ليساعده. فبدل كل هذه الأمور كان يكفيه ذكر الله. وعمله الذي ظهر في النهاية بقوله لقد وضعت الرب أمامي في كل حين. فلم يهيج نفسه التي كانت منذ البدء كاملة، وإذ كانت امرأة سيده قد سبيت بجمال جسده وإذ كانت تغريه لصنع الخطيئة وتشجعه على ذلك كان هو قد سبق وتعلم فلسفة علم المسيح وكان يصبر لكي لا يهزم من شهوته، وإذ كانت الحرب عليه من الداخل والخارج، فمن الخارج كانت امرأة سيده مع جمالها وكلماتها وبتهيج حربها كانت تتصارع معه. ومن الداخل شهوة الجسد كانت تحاربه بقوة. وإذ كان بين هذين تقوم حرب قوية عليه انتصر هو بقوة صبره. فتأمل بأي ظروف كانت نفسه قائمة في ذلك الوقت. فإذا كانت أمواج الشهوة تستيقظ عليه والإغراء يعصف به من الخارج لكنهم لم يستطيعوا أن يهدموا صخرة صبره القوية. وكالسفينة التي كانت تميل وتضطرب من الأمواج التي تعاكسها هكذا كانت سفينة يوسف مضطربة، " **لكن**

مرساة نفسه كانت في السماء كما قال بولس وليست مطروحة في الأسفل " [1]. وفكره كان دائماً متعالياً نحو السماء، ومقابل تلك الشهوة التي استيقظت عليه أيقظ هو أيضاً ذكر الله ومن رؤية الدينونة كان يبعد عن الشهوة. فقال لتلك المرأة النجسة التي كانت تحرضه دائماً " **هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدي ليس في هذا البيت أعظم مني ولم يمسك عني شيئاً غيرك لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله** " [2]. فأن يخطئ لله كانت بالنسبة له أكثر من كل العقوبات المريرة والعذابات القاسية والشديدة. وربما ليس بسبب دينونة الله لم يخطئ بل لكي لا يخطئ لله. فهل يوجد للنفس التي تشعر بالحياة الإلهية عذاب أعظم من أن تخطئ لله. ولهذا الأمر أي أن يخطئ الإنسان نحو الله دعاها يوسف شراً عظيماً، وفي الحقيقة إن سقطتها عظيمة وليس لها دواء إلا بنعمة الله. وإن أخطأ الإنسان إلى الله من يصلي من أجله كقول الكتاب " **فإن أخطأ الإنسان إلى الرب فمن يصلي من أجله** " [3]. فيوسف العفيف أعتبر الخطيئة نحو سيده أي نحو امرأته هي خطيئة نحو الله لأن وصية الله كانت ستُكسر بمخالفة الناموس الطبيعي. وإن كان لم يستلم بعد ذلك القول لا تشته امرأة قريبك لكن عمل القول كان ممزوجاً بالطبيعة (البشرية)، لأنه لا تصنع بقريبك ما لا تريده أن يصنعه بك مكتوب بالطبيعة (الإنسانية) وفي خليقة الله رسمت على الضمير لكي يكون ناموس كل إنسان بداخله. لكي لا يتجاسر إنسان ويقول لم أتعلم بعد من الكتب ولم أعرف وأقرأ الكتب. إذ منذ خلق الله للإنسان كتبها على لوح قلبه، وكلما نمى الإنسان يتأمل بهذا السفر. حيث إن يوسف كان ما يزال في العشرين من العمر حين كان قائماً بهذا المستوى ضد الحرب التي استيقظت عليه. فإنه كان يتأمل بالخفية بهذه الكتب، ومن هذا العلم الذي يتعلمه كان يقرأه لامرأة سيده. (فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الرب). كيف أُدني نفسي لما قد سبق وميزته،

[1] عب 6: 19

[2] تك 39: 8 – 9

[3] 1 صمو 2: 52

كيف أجعل نفسي خاطئاً بما سبقت ورأيته خطيئة. والطوبى التي أعطاهـا بـولس للذي لم يفسد نفسه بما قد ميزه، كان يوسف قد أكمله بالعمل وهـو صـغير الـسن وأظهر انتصاراً يفوق عمره. وربما قد أخذ منه موسى تلك التي قالها " **وكـل مـن اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعداً يعطي تقدمة للرب** "[1]. وصار مثالاً مساعداً ومشجعاً للتلاميذ الذين تحاربهم شهوة الجسد.

فإن كانت الظروف لا تتطابق، ولا يتشابه وعد يوسف ووعـدك، فالتـدبير (الإلهي) لم يميزه ليكون بتولاً ومتوحداً بل ليكون أباً لشعب كثير كما أظهره سـفر الخروج. وهناك لم يكن له مثال قبله ولا صديق يساعده ولا ناموس مكتوب يوقفـه عن ذلك لأن موسى لم يكن قد ظهر بعد ولا واحد من الأنبياء كان قد تكلـم عـن ذلك، ولا الوصايا الكاملة المعلمة لفادينا يسوع المسيح كانت قد سمعت في العـالم، ولم يكن له أيضاً السلوك النسكي الذي يردع الشهوة كثيراً، ولم يكن مبتعـداً عـن رؤية ومشاهدة النساء التي تلهب الشهوة. لكن باختصار كان يحارب مع شهوة غير مقيدة وحربه كانت مع أسد متوحش وغير مقيد فانتصاره في هذه الحرب الجديـدة جاء بجهاد الصبر.

أما بالنسبة للراهب أو المتوحد أياً كان ممن فرزوا بوعد الله، الـذين قيلـت لهم هذه الأمور فإنه يوجد الكثير من الأمور التي تساعدهم وأولها ذاك الوعد الـذي وعدوا به الله. فإن تذكر هذا الأمر كاف لوحده ليعلمنا الفلسفة الإلهية ومع هذا أيضاً فهناك السكنى في البرية البعيدة والشحيحة من كل المحادثات المزعجـة، كمـا إن جدران ذاك المسكن إن كانت كثيرة أو قليلة فهي تمنعه وتحفظه من التشتت بالعالم. إذاً يلزم الذي يريد أن يكون منتصراً في حربه على هـذا الهـوى أن يبتعـد عـن مخالطة النساء ومن رؤية الوجوه التي تثير شهوته. لأنه كمـا أن شـهوة الـبطن تشتهي الأطعمة المختلفة، هكذا هو هوى الزنى النجس يـشتهي الوجـوه الحـسنة. وشهوته مأسورة بالجسد الجميل وكلما كانت هذه المشاهدة بعيدة عنه كلما مات فـي

[1] خر 30: 14

داخله تذكر هذه المشاهدة. وعندما ينسى هذه الصور لا يعود يزني في نفسه. فـإن تلك الأديرة والمحابس ومساكن المتوحدين التي تحفظ كثيراً مـن رؤيـة ومحادثـة النساء ليست بالأمر القليل، بل باختفاء هذه الأشياء يتطهر العقـل ويظهـر قويـاً. وعندما يقف بقوة نفسه حينئذٍ يقوم لملاقاة حرب الزنى بقوة. فإن صـادف وقامـت عليه (الحرب) إما من هيجان الطبيعة أو من إغراء الشياطين فـألا يكفيـه تـذكر يوسف ذاك الشاب والصبي الذي كان يحرض من قبل سـيدته لـصنع ذاك العمـل السيئ (الزنى)، لكي يكون مقوياً لكل تلميذ تتحارب معه هذه الـشهوة. وهنـا وإن انتصر فإن فضله سيكون أقل من يوسف لأن الأشياء التي تساعده هي كثيرة. فكلما كان كثر مساعدوا الذي يحارب كلما ظهر ضعفه. فإنه من بعد قصة يوسف كتـب عن قداسة موسى وعفة يشوع ونذر شمشون وخطيئته التي أضعفت قوتـه وتربيـة صموئيل وخطيئة داود وسيرته وبتولية إيليا وزهد وطهارة إليشع وجماعة الأنبيـاء المعروفين أولئك الذين كانوا يعيشون كالرهبان في الجبـال، وباحتمـالهم العـيش كغريبين عن العالم. بالإضافة إلى كل الأمثلة المعلمة للعفة والبتولية قد كتبت مـن بعد أن كتب وعرف ما عمله يوسف. وذلك لكي يظهر ذاك المنتصر والممجد بأنـه من دون أمثلة قد حارب وانتصر. وأما نحن الخاطئون والمستحقون لكل عقاب، فإن كنا من بعد كل هذه الأمثلة نتعثر ونسقط. فهوى الزنى هذا كما يقول عنه الآباء هو كحجاب لرؤية العقل لكي لا يتأمل بالإلهيات. وكما يغطي الإنسان علـى مـا هـو مكتوب لكي لا تراه العين وتقرأه ، هكذا هو هذا الهوى مثل حجاب أمام العقل لكـي لا يتأمل بالروحيات.

فليس فقط عندما تتمم تلك الفعلة بالعمل تظلم العقل لكن إن ظلت في الفكـر وتلذذت بها النفس. فإنه يجب أن ننتصر في البداية في أرض النفس فتحفظ عند ذلك الأعضاء الخارجية لأن شهوة الأعضاء قد وضعت في المنتصف ففي داخلها هناك تمييز العقل وفي الخارج هناك الرؤية التي تهيج. فإن سمعت هذه الأعضاء للعقـل فإنها سوف تبدل تلك الشهوة إلى رتبة الشهوة الروحانيـة، إمـا إذا تقبلـت النمـو والذكريات من الخارج فإنها سوف تثير عليها الحرب ويضطرب صـفاء الأفكـار.

فكلما أضعفت العقل تتقوى وتصبح كل الجسديات والمحسوسات الآتية من العالم مساعدة لها.

يوجد من يحاربون وينهزمون، ويوجد من لم يحاربوا إطلاقاً، فليس الذي يتمم شهواته يكون قد حارب، ولا الذي انتصر على شهواته بالكامل أيضاً يحارب. لأن الأول لم يبدأ بعد (في الحرب) والثاني قد انتهى منها. فالحرب كلها في الوسط. ولذلك دعا بولس أولئك الذين أنهوا هذه الحرب بالموتى " **قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر قد أقيم من الأموات لكي تثمر لله** " [1]. وعندما أراد أن يظهر سبب الحرب التي حدثت في الوسط قال : " **لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي للناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت** " [2]. فالذين يحيون في الجسد فإنهم في كل حين منهزمون من قبل الشهوة ويثمرون للموت. أما الذين يسلكون بالناموس فهم القائمون في الحرب بحيث أن الناموس للذين هم قائمون فيه قد صار لهم مساعداً ومقوياً. فعندما يتممون الناموس في هذا المكان المتوسط وينتصرون يقول بولس : " **وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبده بجدة الحياة لا بعتق الحرف** " [3]. لأنه في الحياة الجديدة لا يوجد شهوة وحيث لا توجد شهوة لا يوجد حرب، وحيث لا يوجد حرب فهناك يعرف السلام الذي أحضره الفادي للعالم. إذاً السلام الجديد يظهر في الإنسان الجديد، لذلك يسلك في الحياة الجديدة. فبهذه الأرض لا توجد شهوات. فكما إن الذي يحيا في الجسد يكون غير شاعر بالخطيئة. هكذا الذي يسلك بالروح يكون قائماً بلا شعور بالخطيئة لأنه لا يشعر بها ولا يعرفها ولا يتأثر بها ولا يذكر الخطيئة هناك. ففي المكانين قد خلع الإنسان القديم شهواته في المعمودية وفي الحرب : فالذي خلعها في المعمودية فقد دعي لمقام البنين، والذي كان يخدم الشهوات كل أيام حياته وتركها بواسطة الحرب بسبب خوفه من القيامة فهذا يستحق الدينونة، والذي

---

[1] رو 7: 4

[2] رو 7: 5

[3] رو 7: 6

سلك بعد المعمودية بتدبير الروح فهذا هو في الحقيقة إنسان جديد لم يلبس العتيق الذي خلعه في المعمودية فلهذا لا يوجد له حرب مع الشهوة لأنه ميت للعالم فبولس قال : " **فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل لي الناموس لا تشته** " [1]. فالذي يسلك بحسب الإنسان الجديد لا يعرف الخطيئة ولا يحيا ثابتاً في الشهوة بل يكون بلا شعور بالشهوة. كما كان آدم قبل أن يوضع له الناموس. لم يعرف الشهوة (لأن لم يكن له حركة (شهوة) فيه، فالوصية مهدت لهذه الحركة والحركة أخذت ناموساً والناموس قال لا تشته. فإنه عندما سمع لا تشته عرف الشهوة وتعلم الخطيئة بالوصية التي صدته عن الخطايا. وهذه أيضاً تحدث للذين ينهزمون أمام الشهوة الجسدية فعندما يقال لهم كلام ضد الشهوة مثل : (تصور قباحة الخطيئة ونظامها الخسيس وحركاتها القوية) أي كل ما يقال لإبطالها فإنهم يلتهبون بها بالأكثر. لأنهم يسلكون عكس هذه الأمور لمساعدة شهوتهم وإشعال لذتها. فهذا ما حصل مع آدم أو مع كل من ينهزم من قبل الشهوة. فعندما يقال له لا تشته تعود الأفكار وتتذكرها والذكرى تحرك الشهوة.

إذاً فعلى التلميذ أن يبتعد عن الأحاديث والمشاهدات لكي لا يتذكر الشهوة فتحرك فيه الشهوات فتضطرب الأفكار، والفكر عندما يضطرب لا يستطيع أن يرى الله. " **إذاً لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهوتها** " [2]. فإن كان بحسب تعليم الرسول بولس فهم موتى أي أقول عن الذين هم أحياء بالروح. فمعروف بأن الشهوة أيضاً ميتة فيهم فقبيح بالعقل لا أن ينهزم أمام الشهوة بل حتى أن يحارب ضدها لأنه كيف يحار ذاك الذي قد مات. هذه الأمور لغير المجربين تصعب على العقل. أما نحن فلم نكتب هذه من خلال تجربتنا بل من قوة تعليم الرسول بولس " **فالناموس يسود على الإنسان ما دام حياً. فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي. ولكن إن مات الرجل فقد تحررت**

[1] رو 7: 7

[2] رو 6: 12

من ناموس الرجل. فإذاً ما دام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخــر " [1]. فماذا تريد (أن تفهمنا) قوة هذا البرهان وماذا يعلمنا الرســول بهــذه الأقــوال " **إذاً يا أخوتي أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر الــذي قــد أقيم من الأموات "** [2]. فكلما كنتم أعضاء لآدم الأول الذي أخذ الوصية الأولى فإنكم ستكونون خاضعين للناموس. أما الآن فقد صرتم أعضاء لآخر الذي هــو المــسيح الذي قام من الأموات فلم يعد للناموس سلطان عليكم، لأن الذي قد صرتم أعضاء له ليس خاضعاً للناموس كما إن الله هو أسمى من الناموس. وعندما يخضع الإنــسان للناموس الذي كان خاضعاً له يكون قد أتم كل وصاياه وخرج إلــى أرض الحريــة التي هي أعلى من الناموس فهذا من قال عنه الرب يسوع " **فــإن حــرركم الابــن فبالحقيقة تكونون أحراراً "** [3]. وأما الآن وقد أُبطلنا عن الناموس ومتنا لذاك الــذي كان متمسكاً بنا. فلنسلك إذاً بفرح الروح وليس بعتق الحرف. فــأظن بــأن كــلام الرسل هذا هو معروف وظاهر للذي قد سلك المسلك الجديد، فالذي يسلك في هــذا المسلك فليس هو من سامعي الكلام بل هو من مشاهدي قوته، لأن المشاهدة تزيــد الإيمان بالنسبة للمشاهد، ولفهم الأعمال أيضاً. فالأمور التي ترى بالعين تظهر لنــا بشكلٍ أوضح. هكذا أيضاً تظهر تدابير الإنسان الجديد. ونحن أيــضاً قــد صــرنا مشاهدين لكلام الرسول وليس فقط سامعين له لأنه هو أيضاً لم يكتبه مــن خــلال سماعه من الآخرين " **وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت بــه إنــه لــيس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عنــد إنــسان ولا عُلمتــه بــل بــإعلان يــسوع المسيح "** [4] لأن الإعلان معروف بأن يظهر الأمور المستترة. فكما أن العين تــرى الأمور الظاهرة هكذا العقل الطاهر يتأمل بالروحانيات. فطهارة العقــل كمــا قلــت مرات كثيرة تتأمل بموت كل أعمال الإنسان العتيق. فحسناً قــال بــولس : " **فــإن**

---

[1] رو 7: 1 – 3

[2] رو7:4

[3] يو 8: 36

[4] غلا 1: 11

المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس "[1]. فإنه كما بمثالٍ شبه النفس التي لم تتحرر من أعمال الإنسان العتيق بالمرأة. ورجلها بالناموس الذي تخضع له. وإتباعها وطاعتها له تُحفظ من الزنى الغريب. فإن حدث ومات رَجُلها الذي كانت مرتبطة معه بحسب الناموس. فإنها قد تحررت منه لتكون لمن تريد، وذلك كما حدث للناموس بواسطة حرية المسيح، فكل نفس كانت قد خضعت للناموس بسبب ارتباطها بأعمال الخطيئة قد تحررت منه بتدبير المسيح. فإنه ليس لأنها قد حفظت الناموس ما عادت تخطئ بل لأنها عاشرت المسيح. لكي لا تمتنع عن الشرور بسبب خوفها من العقاب لكن من حبها للنعم. لأن إلزام الناموس ليس له قوة ليوقف النفس عن إتيان الشرور مثل قوة النعم المرتبطة بها عندما تشعر بلذة طعمها. " **قد متم للناموس بجسد المسيح** "[2]. أي كأن يقول أحد لأنه قد وضعتم بجسد آخر فقد تحررتم من الخضوع للناموس. لأن سلطان الناموس هو على الإنسان العتيق الذي صار له بسبب كسر آدم للوصية الأولى كما قال بولس : " **صار آدم الإنسان نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً** "[3]. فهكذا يوجد آدمان بحسب تعليم الرسول الأول يسلك بحسب النفس الحية ويسري عليه سلطان الناموس، والآخر بالروح المحيي وهو أعلى من الناموس. فحسن قال بولس : " **فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي** "[4]. فالنفس التي تسلك بصورة نفسانية تكون خاضعة للناموس، والتي تتحرك بالروح المحيي هي أعلى من الناموس. لأن الروح هو المعطي للناموس وليس خاضعاً للناموس. والذين قد استحقوا أن يسلكوا بالروح هم أعلى من أفكار وحركات وأعمال الخطيئة. وليس لأنهم يخافون من الناموس فلا يأتون الخطيئة لكن لأنهم قد ماتوا عن الخطيئة. " **قد متم عن للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر للذي قد أقيم من الأموات** ". فكما أن الذين هم

---

[1] رو 7: 2

[2] رو 7: 4

[3] 1 كور 15: 45

[4] رو 7: 2

مأسورون بأعضاء الجسد الطبيعي يشعرون فقط بالآلام والأوجاع التي تحدث لهم وحدهم، فإن كان الجسد بصحة فإنهم يفرحون بصحته. ولكن إن كان يوجد لدى الآخرين آلام فإنهم لا يشعروا به. هكذا أيضاً الأعضاء الجدد الذين وضعوا في الجسد الذي قام من بين الأموات أي سيدنا يسوع المسيح يشعرون باللذة الروحية والصحة الحقيقية التي يمتلكها الجسد الذي ارتبطوا به. كما إنهم لم يعودوا يشعرون بآلام الخطيئة التي كانت للإنسان العتيق. فإذا كان جسد الإنسان لا يشعر بآلام وأوجاع الإنسان الآخر فإنه بالأكثر أعمال الإنسان العتيق تمنع العقل من الشعور بأعمال الإنسان الجديد وأكثرها هوى الزنى. ولذلك قال بولس : " **كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده** "[1]. والجسد يعني به هنا جسد المسيح الذي استحق أن يكون فيه عضواً. كما قال : " **قد متم للناموس بجسد المسيح لتصيروا لآخر للذي قد أقيم من الأموات** ". وأيضاً قال : " **لكن الجسد ليس للزنى بل للرب والرب للجسد** "[2]. فالجسد الحي بأعمال الإنسان الجديد كقول الرسول هو للرب. وكما لم يكن للمسيح هوى الزنى هكذا أيضاً الذي صار جسده عضواً في جسد المسيح لا يجب أن تتحرك فيه شهوة الزنا لأنه جسد الرب الذي صار بواسطة التركيب الجديد. فمن أين صار هذا أن الجسد لا يكون للزنى بل للرب والرب للجسد فيقول : " **الله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته** "[3]. فكما إن الآب قد أقام الابن من الموت إلى عدم الممات في الحياة الأخرى هكذا سيقيمنا نحن أيضاً معه بقوته. وكما أن المسيح من بعد قيامته لم يسلك بحسب تدبيرنا هكذا نحن أيضاً الذين قمنا معه بقوته لا نحيا حياة الخضوع للذات الإنسان العتيق. فمن أين يجب أن نتغذى لحساب الحياة الجديدة ذلك يتم بكلام مليء بالإرشاد والتعليم قال : " **ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح** "[4].

---

[1] اكور 18:6

[2] 1 كور 6: 13

[3] 1 كور 6: 14

[4] 1 كور 6: 15

وهنا لا يعلمنا الرسول فقط بل يلومنا أيضاً ويظهر لنا بأنه لا يوجد طريقة ليحيا عضو واحد خارج جسده فكل الأعضاء الموجودين في الجسد به تقوم ومنه تحيا. وبما أن أجسادكم قد صارت أعضاء في جسد المسيح فكل نموكم أيضاً منه يأخذ الحياة. فالجدة والنقاوة والقداسة والطهارة من كل الشرور وعدم الشعور بالشهوة والفرح والسلام والطمأنينة والحب والتحرك بالروح مع باقي الأمور التي هي لهذا الجسد (المسيح) والتي يعطيها لأعضائه. فإن كان هذا هو تدبير الناموس للإنسان الجديد إذاً ليس بسبب إلزام الناموس الذي يمنع عن إتيان الشرور تصنع الحسنات، لكن لأنه هكذا يليق بواضع هذا النظام (المسيح). فبتجسد المسيح من العذراء أصبح له أعضاء جسدية وهذه بينت وأظهرت بأنه قد صار إنساناً، وبالولادة من المعمودية التي تشبه الولادة من العذراء، لكن هنا ليس بتجسده يصير له هؤلاء الذين يعتمدون أعضاء له بل بتدبيره. وكل واحد من الذين يعتمدون هو جسد ونفس وإنسان كامل في أعضائه لكنه بالنسبة لجسد المسيح فهو عضو فيه. وإن لم يكن هذا التركيب (أي مجموعة الناس الذي يتركب منهم جسد المسيح) ظاهراً للناس كما كان ظاهراً (أي أعضائه العادية) عندما ولد من العذراء، لأن هناك ظهر ابن الله من الخفاء للعيان ومن غير المتجسد إلى ظهوره متحداً. أما هنا فمن أناس جسديين يصبحون أناساً روحيين، وبدلاً من أن يكون كل واحد فيهم بالنسبة لنفسه جسداً ذا أعضاء كثيرة هم في جسد المسيح عضو واحد. بحيث يركب بشكل غير منظور ويوضع في الجسد (المسيح) بشكل لا يوصف ويصير عضواً روحياً في جسم الله (الابن). كما قال الرسول : " **ألستم تعلمون إن أجسادكم هي أعضاء المسيح** "[1]. فكيف إذاً عندما يحارب عضو المسيح من قبل الشهوة ينهزم ؟ فإن كانت هناك حرب للشهوة مع جسد المسيح المقدس لكان هنالك عذر أيضاً لهؤلاء الذين وهم أعضاء في جسد المسيح ويضطربون من الشهوة. لكن الكلام الرسولي لا يوصينا فقط أن لا نزني بل أن لا نكون قابلين للذة هوى الزنى ولا شاعرين بالشهوة ولا نتورط بالحرب لأن الميت لا يُحارب. أما الأحياء فيشعرون وهذا الشعور يحرك الشهوة. لكن إن لم

[1] 1 كور 6: 15

يكن هناك حياة عتيقة فإنه لا يكون أيضاً الشعور، وإن لم يكن هناك شعور فلا وجود لشهوة أيضاً ولا الحرب تتحرك ضد الشهوة. فكيف إذاً يحارب الإنسان ضد شيء غير موجود. " **أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية** ". وكأنه يقول إنه ما دام في الجسد (المسيح) فإنه لا يوجد له فرصة ليصبح عضواً للزنى، لأنه حتى العضو الموجود في الجسد الطبيعي كلما دام في مكانه فإنه ليس له فرصة ليأخذ حياة من جسد آخر غريبٍ بل فقط من جسده. لكن إن قطعه إنسان من مكانه فإنه لا يستطيع وهو حي أن يتبع جسداً آخر لكن مع قطعه يترك حياته في جسده ويصبح ميتاً وبدون شعور في يد من أمسكه. فبهذا المثال قال بولس : " **أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية** ". كأنه يقول لم يأخذ من الجسد ما كان قد صار عضواً للزنى. لكن إن كان في الجسد وزنى أي أنه تقبل هوى الزنى هذا فقد أخطئ بجسده كله أي قد جعل كل الجسد يتألم. وعندما يصاب أحد أعضاء الجسد بضربة تتألم باقي أعضاء الجسد. هذا أيضاً العضو الذي يتقبل الزنى وهو موجود في جسد المسيح جعل كل الجسد يتألم ويتوجع. فهذا ما قال عنه بأنه " **يخطئ إلى جسده** ". وكأنه يقول ليس فقط لأنه تألم (العضو) بهوى الزنى قد أخطئ بل لأنه قد آلم أيضاً الجسد كله. فإن كان الذي يضرب جسد الغير تحسب ضربته خطيئة عليه وهو كالمخطئ لذلك أمر الناموس أن يعاقب فوراً " **وكياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض** "[1]. ومعروف بأن العضو الموجود في جسد المسيح أن ضبط بهوى الزنى فقد ألم الجسد كله ولذلك قال الرسول : " **بأنه يخطئ إلى جسده** ". فإنه لا يوجد خطيئة معروفة مثل شهوة الزنى تدنس النفس والجسد معاً. لذلك فموسى إذ كان يوصي بالانتباه وخصوصاً بالنسبة لهذا الهوى قال : " **إن كان فيكم رجل غير طاهراً من عارض الليل** ". يكون نجساً فهذا كله أقساه من أجل الإنسان الأثيم الذي ليس فقط من إرادته يقترف الزنى ويجعله نجساً بل أيضاً حتى الاحتلام. مع باقي الأشياء الأخرى. كما إنه في كل مكان كان يوصي بحرص شديد على هذه الأعضاء (التناسلية) أن تنزع من الحيوانات التي كانت تقرب لله. " **والكليتين**

---

[1] خر 21: 25

والشحم الذي عليهما " [1]. إذ إنه لم يخصصها ولا في مكان لتكون طعاماً للكهنة ولا لرؤساء الكهنة بل يجعلها وقوداً للنار مع باقي الأعضاء المرتبطة بأعمال الخطيئة فخذ " **الألية صحيحة من عند العصعص والشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين وزيادة الكبد ينزعها ويوقدها الكاهن على المذبح** " [2]. فمع الكل وقبلهم الكليتين اللتين هما هوى الزنى والفسق. فحرق الكليتان مع شحمها هي إشارة إلى كثافة العقل الذي لا يسمح بأن ترى هذه الرؤية القبيحة لهذه الأهواء. فإن كان الناموس قد أسكت بالنار لهذا الهوى وكل من كان يخرج منه عارض الليل أعتبره نجساً، والزاني والزانية كان يحرقهم بالنار. وربنا يسوع في بشارته لم يمنع الزنى فقط بل منع أيضاً الفكر الذي يجلب هذا الهوى. وبولس قال : " **لا الزناة ولا الفاسقون... يرثون ملكوت الله** " [3]. وأيضاً " **من ألتصق بزانية هو جسد واحد** " [4]. " **والذي يزني يخطئ إلى جسده** ". وأيضاً قال : " **أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية** " وأيضاً مع كلمات الكتب المقدسة فإن التجربة العملية تعلمهم بأن يكونوا مراقبين لأهوائهم.

فمن هو التلميذ الذي يريد أن يعيش باستقامة وقداسة ولا ينتبه من السقوط في هذا الهوى ويتقبل بآذان حية ومستيقظة الصوت الإلهي نحوه " **كونوا قديسين كما إني أنا قدوس** ". فإن الأمر الإلهي ما كان يطلب منا قداسة تشبه قداسته إن لم يكن قد أعطانا الروح الذي يقدسنا ذاك الذي أصبح روحاً لروحنا لكي يجعلها تسير ليس بحسب أفكارها وتنزل نحو لذة شهوات الجسد بل أن تتعالى نحو طهارته وقداسته وأن تتقبل نور مجده المطهر والمقدس لأفكارها. فإن كانت الشيخوخة والمرض تردع وتطفئ هذه الشهوة فكم بالأكثر الإرادة الصحيحة التي تحب

---

[1] لا 3: 9

[2] لا 3: 9 - 11

[3] 1 كور 6: 9

[4] 1 كور 6: 17

الروحانيات وتشتهي القداسة الإلهية. فالشيخوخة والمرض لا تستأصل هذه الشهوة بل تضعفها وتطفئها. لكن بقوة الروح الذي تكمل بالروح القدس تُستأصل هذه الشهوة من جذورها ويجعل الإنسان غير شاعر بالشهوة بل متحركاً بكل أفكاره بالروحانيات. إذ لا يبطل منه فقط اضطراب الأهواء بل حتى إحساس المحسوسات أيضاً. فكما أن الذي تمسكه محبة هذا الهوى بقوة تنطفئ منه محبة سائر الأمور الأخرى. هكذا أيضاً الذي يخلعها عنه بالكامل ويؤسر بمحبة الروحانيات بشكل كامل لا يقبل الإحساس بالأمور الأخرى التي تحرك هذا الهوى.

أما أنت أيها التلميذ بما أنك لم تصل بعد إلى هذه الأمور فتأمل بما كتبته لك من الأعلى وأكملها بالعمل، فإذا أمسكت مداخل الشهوة التي هي الرؤية والأحاديث الخارجية. ودفنت منابعها التي هي اللذة وصحة الطبيعية للجسد وطهرت أيضاً الأفكار التي أحياناً كثيرة تهيجها في داخل الأعضاء. فإنه إن قطعتها بواسطة هذا الأشياء الثلاثة لا الفكر يفكر بها ولا الأعضاء تتهيج بها ولا يكون لها مدخل من الخارج. حينئذ ستكون في هدوء بدون اضطراب وبدون أمواج ستسير سفينتك في طريقها إلى الميناء حيث تكون محفوظة بها باقي المكاسب. وتكون في هذه الحال مشابهاً للقوى الروحية، وإن أنت ثابت بالجسد لكنك متحرك بالروح. وإذ أنت في عالم لكنك تسلك في عالم آخر. وتشعر بالسبب الذي لأجله جاء المسيح إلى العالم هذا الأمر الذي لا يشعر به كل الذين يحيون بالجسد. فإذ كانوا لصوت أسراره لا يسمعون فذلك لأنهم لا يشعرون بقوة أسراره. أما نحن فلا ننكر معرفة قوة هذه الأسرار المقدسة ولا نصير غرباء عن الوصايا الإلهية ولا نحرم من عجب الروحانيات والمشاهدات الروحانية بنعمة الذي أتى لفداء ولتحرير وتجديد الكل يسوع المسيح الكلمة والابن الوحيد لله له المجد من كل الذين آمنوا وشعروا بفدائه وصاروا وسطاء لنعمه في كل عوالم النور وأماكن الروح إلى آبد الآبدين آمين.

الفهرس

المقال الأول : مقدمة	1
المقال الثاني : الوصية الأولى	14
المقال الثالث : الإيمان	30
المقال الرابع : الإيمان والبساطة	43
المقال الخامس : البساطة	70
المقال السادس : مخافة الله	92
المقال السابع : ويبين فيه بأن كل الآباء الأولين تمموا وصايا الله بمخافته	109
المقال الثامن : التجرد عن الممتلكات	128
المقال التاسع : الزهد	148
المقال العاشر : شهوة البطن	201
المقال الحادي عشر : النسك وضبط الجسد	240
المقال الثاني عشر : الزنى	283
المقال الثالث عشر : الزنى وشهوة الجسد	314
الفهرس	358

ان صورة الغلاف تدل على ما يلي :

- الشخص الحامل للصليب يشير إلى المؤمن الساعي للوصول إلى الكمال المسيحي .

- الكلمات المكتوبة على الصليب هي الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المؤمن لكي يصل إلى نهاية هذه الطريق .

- الكلمات المكتوبة على الدرج تشير إلى الشهوات التي يجب أن يقهرها المؤمن ليصل إلى الكمال .

- البحر يشير إلى العالم المستعد دائماً لإغراق كل من يسقط من هذه الطريق .

- أخيراً السيد المسيح الذي ينتظر كل من يقبل إليه ناكراً نفسه وحاملاً صليبه لكي يدخله إلى عرسه السماوي بحسب وعده الصادق لنا .